



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

السيرة

نفسية القليل

للمعلمة تريا الشيخة محمد حسين الطيب الطيباني

المجلد العشرون

منشورات

مؤسسة الأمل للطبوعات

بغداد - العراق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الميزان في تفسير القرآن

كاتب:

محمد حسين طباطبائي

نشرت في الطباعة:

علامه طباطبائي

رقم الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٧	تفسير الميزان المجلد ٢٠
١٧	اشاره
١٧	اشاره
٢١	(٧٠) سورة المعارج مكيه و هي أربع و أربعون آيه (٤٤)
٢١	[سورة المعارج (٧٠): الآيات ١ الى ١٨]
٢١	اشاره
٢١	بيان
٢٧	بحث روائى
٢٨	[سورة المعارج (٧٠): الآيات ١٩ الى ٣٥]
٢٨	اشاره
٢٩	بيان
٣٤	بحث روائى
٣٥	[سورة المعارج (٧٠): الآيات ٣٦ الى ٤٤]
٣٥	اشاره
٣٥	بيان
٤٠	بحث روائى
٤١	(٧١) سورة نوح مكيه و هي ثمان و عشرون آيه (٢٨)
٤١	[سورة نوح (٧١): الآيات ١ الى ٢٤]
٤١	اشاره
٤٢	بيان
٥٠	بحث روائى
٥١	[سورة نوح (٧١): الآيات ٢٥ الى ٢٨]
٥١	اشاره

٥٢ بيان

٥٣ (٧٢) سورة الجن مكيه و هي ثمان و عشرون آيه (٢٨)

٥٣ [سوره الجن (٧٢): الآيات ١ الى ١٧]

٥٣ اشاره

٥٤ بيان

٥٥ كلام فى الجن

٥٥ [بيان]

٦٢ بحث روائى

٦٤ [سوره الجن (٧٢): الآيات ١٨ الى ٢٨]

٦٤ اشاره

٦٥ بيان

٧٤ بحث روائى

٧٥ (٧٣) سورة المزمل مكيه و هي عشرون آيه (٢٠)

٧٥ [سوره المزمل (٧٣): الآيات ١ الى ١٩]

٧٥ اشاره

٧٦ بيان

٨٦ بحث روائى

٨٩ [سوره المزمل (٧٣): آيه ٢٠]

٨٩ اشاره

٩٠ بيان

٩٣ بحث روائى

٩٤ (٧٤) سورة المدثر مكيه و هي ست و خمسون آيه (٥٦)

٩٤ [سوره المدثر (٧٤): الآيات ١ الى ٧]

٩٤ اشاره

٩٥ بيان

٩٩ بحث روائى

- ١٠٠ [سوره المدثر (٧٤): الآيات ٨ الى ٣١]
- ١٠٠ اشاره
- ١٠١ بيان
- ١٠٦ ذنابه لما تقدم من الكلام فى النفاق
- ١٠٧ [بيان]
- ١٠٨ بحث روائى
- ١١٠ [سوره المدثر (٧٤): الآيات ٣٢ الى ٤٨]
- ١١٠ اشاره
- ١١٠ بيان
- ١١٤ [سوره المدثر (٧٤): الآيات ٤٩ الى ٥٦]
- ١١٤ اشاره
- ١١٤ بيان
- ١١٧ بحث روائى
- ١١٨ (٧٥) سوره القيامه مكيه و هى أربعون آيه (٤٠)
- ١١٨ [سوره القيامه (٧٥): الآيات ١ الى ١٥]
- ١١٨ اشاره
- ١١٩ بيان
- ١٢٣ بحث روائى
- ١٢٤ [سوره القيامه (٧٥): الآيات ١٦ الى ٤٠]
- ١٢٤ اشاره
- ١٢٥ بيان
- ١٣١ بحث روائى
- ١٣٦ (٧٦) سوره الدهر مدنيه و هى إحدى و ثلاثون آيه (٣١)
- ١٣٦ [سوره الإنسان (٧٦): الآيات ١ الى ٢٢]
- ١٣٦ اشاره
- ١٣٧ بيان

- ١٤٨ بحث روائى
- ١٥٥ كلام فى هويه الإنسان على ما يفيدده القرآن
- ١٥٦ [سوره الإنسان (٧٦): الآيات ٢٣ الى ٣١]
- ١٥٦ اشاره
- ١٥٧ بيان
- ١٦٠ بحث روائى
- ١٦١ (٧٧) سوره المرسلات مكيه و هى خمسون آيه (٥٠)
- ١٦١ [سوره المرسلات (٧٧): الآيات ١ الى ١٥]
- ١٦١ اشاره
- ١٦١ بيان
- ١٦٤ كلام فى إقسامه تعالى فى القرآن
- ١٦٥ [بيان]
- ١٦٧ بحث روائى
- ١٦٨ [سوره المرسلات (٧٧): الآيات ١٦ الى ٥٠]
- ١٦٨ اشاره
- ١٦٩ بيان
- ١٧٤ بحث روائى
- ١٧٥ (٧٨) سوره النبيا مكيه و هى أربعون آيه (٤٠)
- ١٧٥ [سوره النبيا (٧٨): الآيات ١ الى ١٦]
- ١٧٥ اشاره
- ١٧٥ [بيان]
- ١٨٠ بحث روائى
- ١٨١ [سوره النبيا (٧٨): الآيات ١٧ الى ٤٠]
- ١٨١ اشاره
- ١٨٢ بيان
- ١٩٠ كلام فيما هو الروح فى القرآن

- ١٩٢ [بيان]
- ١٩٣ بحث روائى
- ١٩٤ (٧٩) سورة النازعات مكيه و هى ست و أربعون آيه (٤٦)
- ١٩٤ [سوره النازعات (٧٩): الآيات ١ الى ٤١]
- ١٩٤ اشاره
- ١٩٥ بيان
- ١٩٩ كلام فى أن الملائكه وسائط فى التدبير
- ٢٠١ [بيان]
- ٢١١ بحث روائى
- ٢١٢ [سوره النازعات (٧٩): الآيات ٤٢ الى ٤٦]
- ٢١٢ اشاره
- ٢١٢ بيان
- ٢١٥ بحث روائى
- ٢١٦ (٨٠) سورة عبس مكيه و هى اثنان و أربعون آيه (٤٢)
- ٢١٦ [سوره عبس (٨٠): الآيات ١ الى ١٦]
- ٢١٦ اشاره
- ٢١٦ بيان
- ٢٢٠ بحث روائى
- ٢٢٢ [سوره عبس (٨٠): الآيات ١٧ الى ٤٢]
- ٢٢٢ اشاره
- ٢٢٢ بيان
- ٢٢٨ بحث روائى
- ٢٢٩ (٨١) سورة التكوير مكيه و هى تسع و عشرون آيه (٢٩)
- ٢٢٩ [سوره التكوير (٨١): الآيات ١ الى ١٤]
- ٢٢٩ اشاره
- ٢٣٠ بيان

٢٣٢ بحث روائى
٢٣٣ [سوره التكوير (٨١): الآيات ١٥ الى ٢٩]
٢٣٣ اشاره
٢٣٣ بيان
٢٣٨ بحث روائى
٢٣٩ (٨٢) سوره الانفطار مكيه و هي تسع عشره آيه (١٩)
٢٣٩ [سوره الانفطار (٨٢): الآيات ١ الى ١٩]
٢٣٩ اشاره
٢٣٩ بيان
٢٤٥ بحث روائى
٢٤٦ (٨٣) سوره المطففين مكيه أو مدنيه و هي ست و ثلاثون آيه (٣٦)
٢٤٦ [سوره المطففين (٨٣): الآيات ١ الى ٢١]
٢٤٦ اشاره
٢٤٧ بيان
٢٥٢ بحث روائى
٢٥٤ [سوره المطففين (٨٣): الآيات ٢٢ الى ٣٦]
٢٥٤ اشاره
٢٥٤ بيان
٢٥٧ بحث روائى
٢٥٧ (٨٤) سوره الانشقاق مكيه و هي خمس و عشرون آيه (٢٥)
٢٥٧ [سوره الانشقاق (٨٤): الآيات ١ الى ٢٥]
٢٥٧ اشاره
٢٥٩ بيان
٢٦٤ بحث روائى
٢٦٥ (٨٥) سوره البروج مكيه و هي اثنتان و عشرون آيه (٢٢)
٢٦٥ [سوره البروج (٨٥): الآيات ١ الى ٢٢]

- ٢٦٥ اشاره
- ٢٦٧ بيان
- ٢٧٣ بحث روائى
- ٢٧٦ (٨٦) سورة الطارق مكيه و هى سبع عشره آيه (١٧) [سوره الطارق (٨٦): الآيات ١ الى ١٧]
- ٢٧٦ اشاره
- ٢٧٨ بيان
- ٢٨١ بحث روائى
- ٢٨٣ (٨٧) سورة الأعلى مكيه و هى تسع عشره آيه (١٩) [سوره الأعلى (٨٧): الآيات ١ الى ١٩]
- ٢٨٣ اشاره
- ٢٨٣ بيان
- ٢٩٠ بحث روائى
- ٢٩٢ (٨٨) سورة الغاشيه مكيه و هى ست و عشرون آيه (٢٦) [سوره الغاشيه (٨٨): الآيات ١ الى ٢٦]
- ٢٩٢ اشاره
- ٢٩٢ بيان
- ٢٩٦ بحث روائى
- ٢٩٧ (٨٩) سورة الفجر مكيه و هى ثلاثون آيه (٣٠) [سوره الفجر (٨٩): الآيات ١ الى ٣٠]
- ٢٩٧ اشاره
- ٢٩٨ بيان
- ٣٠٦ بحث روائى
- ٣٠٩ (٩٠) سورة البلد مكيه و هى عشرون آيه (٢٠) [سوره البلد (٩٠): الآيات ١ الى ٢٠]
- ٣٠٩ اشاره

- بيان ٣١٠
- بحث روائى ٣١٥
- (٩١) سورة الشمس مكيه و هى خمس عشره آيه (١٥) ٣١٦
- [سوره الشمس (٩١): الآيات ١ الى ١٥] ٣١٦
- اشاره ٣١٦
- بيان ٣١٧
- بحث روائى ٣٢١
- (٩٢) سورة الليل مكيه و هى إحدى و عشرون آيه (٢١) ٣٢٢
- [سوره الليل (٩٢): الآيات ١ الى ٢١] ٣٢٢
- اشاره ٣٢٢
- بيان ٣٢٣
- بحث روائى ٣٢٨
- (٩٣) سورة الضحى مكيه أو مدنيه و هى إحدى عشره آيه (١١) ٣٣١
- [سوره الضحى (٩٣): الآيات ١ الى ١١] ٣٣١
- اشاره ٣٣١
- بيان ٣٣٢
- بحث روائى ٣٣٤
- (٩٤) سورة أ لم نشرح مكيه أو مدنيه و هى ثمان آيات (٨) ٣٣٥
- [سوره الشرح (٩٤): الآيات ١ الى ٨] ٣٣٥
- اشاره ٣٣٥
- بيان ٣٣٥
- بحث روائى ٣٣٩
- (٩٥) سورة التين مكيه و هى ثمان آيات (٨) ٣٤٠
- [سوره التين (٩٥): الآيات ١ الى ٨] ٣٤٠
- اشاره ٣٤٠
- بيان ٣٤٠

٣٤٣ بحث روائى
٣٤٤ (٩٦) سورة العلق مكيه و هى تسع عشره آيه (١٩)
٣٤٤ [سوره العلق (٩٦): الآيات ١ الى ١٩]
٣٤٤ اشاره
٣٤٤ بيان
٣٤٩ بحث روائى
٣٥٢ (٩٧) سورة القدر مكيه و هى خمس آيات (٥)
٣٥٢ [سوره القدر (٩٧): الآيات ١ الى ٥]
٣٥٢ اشاره
٣٥٢ بيان
٣٥٥ بحث روائى
٣٥٧ (٩٨) سورة البينه مدنيه و هى ثمان آيات (٨)
٣٥٧ [سوره البينه (٩٨): الآيات ١ الى ٨]
٣٥٧ اشاره
٣٥٨ بيان
٣٦٣ بحث روائى
٣٦٣ (٩٩) سورة الزلزله مدنيه و هى ثمان آيات (٨)
٣٦٣ [سوره الزلزله (٩٩): الآيات ١ الى ٨]
٣٦٣ اشاره
٣٦٤ بيان
٣٦٦ بحث روائى
٣٦٦ (١٠٠) سورة العاديات مدنيه و هى إحدى عشره آيه (١١)
٣٦٦ [سوره العاديات (١٠٠): الآيات ١ الى ١١]
٣٦٦ اشاره
٣٦٨ بيان
٣٧٠ بحث روائى

- ٣٧١ (١٠١) سورة القارعه مكيه و هي إحدى عشره آيه (١١)
- ٣٧١ [سوره القارعه (١٠١): الآيات ١ الى ١١]
- ٣٧١ اشاره
- ٣٧١ بيان
- ٣٧٣ بحث روائى
- ٣٧٣ (١٠٢) سورة التكاثر مكيه و هي ثمان آيات (٨)
- ٣٧٣ [سوره التكاثر (١٠٢): الآيات ١ الى ٨]
- ٣٧٣ اشاره
- ٣٧٣ بيان
- ٣٧٤ بحث روائى
- ٣٧٨ (١٠٣) سورة العصر مكيه و هي ثلاث آيات (٣)
- ٣٧٨ [سوره العصر (١٠٣): الآيات ١ الى ٣]
- ٣٧٨ اشاره
- ٣٧٨ بيان
- ٣٨١ بحث روائى
- ٣٨١ (١٠٤) سورة الهمزه مكيه و هي تسع آيات (٩)
- ٣٨١ [سوره الهمزه (١٠٤): الآيات ١ الى ٩]
- ٣٨١ اشاره
- ٣٨١ بيان
- ٣٨٣ بحث روائى
- ٣٨٤ (١٠٥) سورة الفيل مكيه و هي خمس آيات (٥)
- ٣٨٤ [سوره الفيل (١٠٥): الآيات ١ الى ٥]
- ٣٨٤ اشاره
- ٣٨٤ بيان
- ٣٨٥ بحث روائى
- ٣٨٧ (١٠٦) سورة قريش مكيه و هي أربع آيات (٤)

٣٨٧ [سوره قريش (١٠٦): الآيات ١ الى ٤]

٣٨٧ اشاره

٣٨٧ بيان

٣٩٠ بحث روائى

٣٩٠ (١٠٧)سوره الماعون مدنيه أو مكيه و هي سبع آيات(٧)

٣٩٠ [سوره الماعون (١٠٧): الآيات ١ الى ٧]

٣٩٠ اشاره

٣٩٠ بيان

٣٩١ بحث روائى

٣٩٢ (١٠٨)سوره الكوثر مكيه و هي ثلاث آيات(٣)

٣٩٢ [سوره الكوثر (١٠٨): الآيات ١ الى ٣]

٣٩٢ اشاره

٣٩٣ بيان

٣٩٤ بحث روائى

٣٩٧ (١٠٩)سوره الكافرون مكيه و هي ست آيات(٦)

٣٩٧ [سوره الكافرون (١٠٩): الآيات ١ الى ٦]

٣٩٧ اشاره

٣٩٧ بيان

٣٩٩ بحث روائى

٤٠٠ (١١٠)سوره النصر مدنيه و هي ثلاث آيات(٣)

٤٠٠ [سوره النصر (١١٠): الآيات ١ الى ٣]

٤٠٠ اشاره

٤٠٠ بيان

٤٠١ بحث روائى

٤٠٨ (١١١)سوره تبت مكيه و هي خمس آيات(٥)

٤٠٨ [سوره المسد (١١١): الآيات ١ الى ٥]

- ٤٠٨ اشاره
- ٤١٠ بيان
- ٤١٢ بحث روائى
- ٤١٣ (١١٢) سورة الإخلاص مكيه و هى أربع آيات(٤).....
- ٤١٣ [سوره الإخلاص (١١٢): الآيات ١ الى ٤].....
- ٤١٣ اشاره
- ٤١٣ بيان
- ٤١٤ بحث روائى
- ٤١٨ (١١٣) سورة الفلق مكيه و هى خمس آيات(٥).....
- ٤١٨ [سوره الفلق (١١٣): الآيات ١ الى ٥].....
- ٤١٨ اشاره
- ٤١٨ بيان
- ٤١٩ بحث روائى
- ٤٢١ (١١٤) سورة الناس مدنيه و هى ست آيات(٦).....
- ٤٢١ [سوره الناس (١١٤): الآيات ١ الى ٦].....
- ٤٢١ اشاره
- ٤٢١ بيان
- ٤٢٣ بحث روائى
- ٤٢٧ تعريف مركز

سرشناسه : طباطبائی، سید محمد حسین، ۱۲۸۱ - ۱۳۶۰.

عنوان و نام پدید آور : تفسیر المیزان / محمد حسین طباطبائی؛ ترجمه ناصر مکارم شیرازی... [و دیگران].

وضعیت ویراست : [ویراست ۲؟]

مشخصات نشر : قم: بنیاد علمی و فکری علامه طباطبائی؛ تهران: مرکز نشر فرهنگی رجاء: امیر کبیر، ۱۳۶۳-

مشخصات ظاهری : ۲۰ ج.

شابک : ۱۶۰۰۰ ریال (دوره کامل)

یادداشت : جلد ۱۱ و ۱۹ کتاب توسط سید محمد باقر موسوی همدانی ترجمه شده است.

یادداشت : ج. ۱۱ (چاپ صد و بیست و هشتم: ۱۳۶۳).

یادداشت : ج. ۱۹ (چاپ اول؟: ۱۳۶۳).

یادداشت : عنوان عطف: ترجمه تفسیر المیزان.

عنوان عطف : ترجمه تفسیر المیزان.

موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

شناسه افزوده : مکارم شیرازی، ناصر، ۱۳۰۵ - مترجم

رده بندی کنگره : BP۹۸/ط۲۵ م ۹۰۴۱ ۱۳۶۳

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۲۶

شماره کتابشناسی ملی : م ۶۳-۳۵۴۹

ص : ۱

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَ يَرَاهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَ لَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمئِذٍ بَيْنِيهِ (١١) وَ صَاحِبَتِيهِ وَ أَخِيهِ (١٢) وَ فَصَّ يَلْتَهُ الَّتِي تُوْوِيهِ (١٣) وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْلَمُ (١٥) نَزَّاعَةً لِلشَّوَى (١٦) تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى (١٧) وَ جَمَعَ فَأَوْعَى (١٨)

بيان

الذي يعطيه سياق السوره أنها تصف يوم القيامة بما أعد فيه من أليم العذاب للكافرين. تبتدى السوره فتذكر سؤال سائل سأل عذابا من الله للكافرين فتشير إلى أنه واقع ليس له دافع قريب غير بعيد كما يحسبونه ثم تصف اليوم الذي يقع فيه و العذاب الذي أعد لهم فيه و تستثنى المؤمنين الذين قاموا بوظائف الاعتقاد الحق و العمل الصالح.

و هذا السياق يشبه سياق السور المكيه غير أن المنقول عن بعضهم أن قوله:

« وَ الَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَغْلُومٌ » مدنى و الاعتبار يؤيده لأن ظاهره الزكاه و قد شرعت بالمدينه بعد الهجره، و كون هذه الآيه مدنيه يستتبع كون الآيات الحافه بها الواقعه تحت الاستثناء و هي أربع عشره آيه (قوله: إِلَّا الْمُصَلِّينَ - إلى قوله - فِي

جَنَاتٍ مُّكْرَمُونَ) مدنيه لما فى سياقها من الاتحاد و استلزام البعض للبعض.

و مدنيه هذه الآيات الواقعه تحت الاستثناء تستدعى ما استثنيت منه و هو على الأقل ثلاث آيات(قوله: إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا - إلى قوله - مُنُوعًا).

على أن قوله: «فَمَا لِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكُ مُهْطِعِينَ» متفرع على ما قبله تفرعا ظاهرا و هو ما بعده إلى آخر السوره ذو سياق واحد فتكون هذه الآيات أيضا مدنيه.

و من جهه أخرى مضامين هذا الفصل من الآيات تناسب حال المنافقين الحافين حول النبى ص عن اليمين و عن الشمال عزيزين و هم الرادون لبعض ما أنزل الله من الحكم و خاصه قوله: «أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ» إلخ، و قوله: «عَلَى أَنْ تُبَدَّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ» إلخ على ما سيجىء، و موطن ظهور هذا النفاق المدينه لا مكه، و لا ضير فى التعبير عن هؤلاء بالذين كفروا فنظير ذلك موجود فى سوره التوبه و غيرها.

على أنهم رويوا أن السوره نزلت فى قول القائل: «اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»: الأنفال: ٣٢ و قد تقدم فى تفسير الآيه أن سياقها و التى بعدها سياق مدنى لا مكى. لكن المروى عن الصادق (ع) أن المراد بالحق المعلوم فى الآيه حق يسميه صاحب المال فى ماله غير الزكاه المفروضه.

و لا- عبره بما نسب إلى اتفاق المفسرين أن السوره مكيه على أن الخلاف ظاهر و كذا ما نسب إلى ابن عباس أنها نزلت بعد سوره الحاقه.

قوله تعالى: «سَيَأْتِي السَّائِلُ بِعَذَابٍ وَقَعِ» السؤال بمعنى الطلب و الدعاء، و لذا عدى بالباء كما فى قوله: «يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ»: الدخان: ٥٥ و قيل: الفعل مضمن معنى الاهتمام و الاعتناء و لذا عدى بالباء، و قيل: الباء زائده للتأكيد، و مآل الوجوه واحد و هو طلب العذاب من الله كفرا و عتوا.

و قيل: الباء بمعنى عن كما فى قوله: «فَسُئِلَ بِهِ خَبِيرًا»: الفرقان: ٥٩، و فيه أن كونها فى الآيه المستشهد بها بمعنى عن ممنوع. على أن سياق الآيات التاليه و خاصه قوله:

«فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا» لا يلائم كون السؤال بمعنى الاستفسار و الاستخبار.

فالآيه تحكى سؤال العذاب و طلبه عن بعض من كفر طغيانا و كفرا، و قد وصف العذاب المسئول من الأوصاف بما يدل على إجابته الدعاء بنوع من التهكم و التحقير و هو قوله: «وَأَقِمْ»

و قوله: «لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ».

و المعنى سأل سائل من الكفار عذابا للكافرين من الله سيصيبهم و يقع عليهم لا محاله و لا دافع له أى أنه واقع عليهم سأل أو لم يسأل ففيه جواب تحقيرى و إجابته لمسئوله تهكما.

قوله تعالى: «لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ» للكافرين متعلق بعذاب و صفه له، و كذا قوله: «لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ» و قد مرت الإشارة إلى معنى الآية.

قوله تعالى: «مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ» الجار و المجرور متعلق بقوله: «دَافِعٌ» أى ليس له دافع من جانب الله و من المعلوم أنه لو اندفع لم يندفع إلا من جانب الله سبحانه، و من المحتمل أن يتعلق بقوله: «بِعَذَابٍ».

و المعارج جمع معرج و فسروه بالمصاعد و هى الدرجات و هى مقامات الملكوت التى يعرج إليها الملائكة عند رجوعهم إلى الله سبحانه على ما يفسره قوله بعد: «تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ» الخ فله سبحانه معارج الملكوت و مقاماتها المترتبة علوا و شرفا التى تعرج فيها الملائكة و الروح بحسب قربهم من الله و ليست بمقامات وهمية اعتباريه.

و قيل: المراد بالمعارج الدرجات التى يصعد فيها الاعتقاد الحق و العمل الصالح قال تعالى: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ»: الفاطر ١٠، و قال: «وَ لَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ»: الحج: ٣٧.

و قيل: المراد به مقامات القرب التى يعرج إليها المؤمنون بالإيمان و العمل الصالح قال تعالى: «هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ»: آل عمران: ١٦٣ و قال: «لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ»: الأنفال: ٤ و قال: «رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ» المؤمن: ١٥.

و الحق أن مآل الوجهين إلى الوجه الأول، و الدرجات المذكوره حقيقيه ليست بالوهميه الاعتباريه.

قوله تعالى: «تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» المراد بهذا اليوم يوم القيامة على ما يفيدته سياق الآيات التاليه.

و المراد بكون مقدار هذا اليوم خمسين ألف سنه على ما ذكروا أنه بحيث لو وقع فى الدنيا و انطبق على الزمان الجارى فيها كان مقداره من الزمان خمسين ألف سنه من سنى الدنيا

و المراد بعروج الملائكة و الروح إليه يومئذ رجوعهم إليه تعالى عند رجوع الكل إليه فإن يوم القيامة يوم بروز سقوط الوسائط و تقطع الأسباب و ارتفاع الروابط بينها و بين مسياتها و الملائكة وسائط موكله على أمور العالم و حوادث الكون فإذا تقطعت الأسباب عن مسياتها و زيل الله بينهم و رجع الكل إلى الله عز اسمه رجعوا إليه و عرجوا معارجهم فحفوا من حول عرش ربهم و صفوا قال تعالى: «و تَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ»: الزمر-٧٥، و قال: «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلَائِكَةُ صَفًّا»: النبأ:٣٨.

و الظاهر أن المراد بالروح الروح الذى هو من أمره تعالى كما قال: «قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي»: إسرءاء:٨٥ و هو غير الملائكة كما هو ظاهر قوله تعالى: «يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ»: النحل:٢.

فلا يعاب بما قيل: إن المراد بالروح جبرئيل و إن أطلق عليه الروح الأمين و روح القدس فى قوله: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ»: الشعراء:١٩٤ و قوله: «قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ»: النحل:١٠٣ فإن المقيد غير المطلق.

قوله تعالى: «فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا» لما كان سؤال السائل للعذاب عن تعنت و استكبار و هو مما يشق تحمله أمر نبيه ص بالصبر و وصفه بالجميل -و الجميل من الصبر ما ليس فيه شائبه الجزع و الشكوى، و عله بأن اليوم بما فيه من العذاب قريب.

قوله تعالى: «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَ نَرَاهُ قَرِيبًا» ضميرا «يَرَوْنَهُ» و «نَرَاهُ» للعذاب أو ليوم القيامة بما فيه من العذاب الواقع و يؤيد الأول قوله فيما بعد: «يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ»: الخ.

و المراد بالرؤية الاعتقاد بنوع من العناية المجازية و رؤيتهم ذلك بعيدا ظنهم أنه بعيد من الإمكان فإن سؤال العذاب من الله سبحانه استكبارا عن دينه و ردا لحكمه لا- يجامع الإيمان بالمعاد و إن تفوه به السائل، و رؤيته تعالى ذلك قريبا علمه بتحقيقه و كل ما هو آت قريب.

و فى الآيتين تعليل أمره (ص) بالصبر الجميل فإن تحمل الأذى و الصبر على المكاره يهون على الإنسان إذا استيقن أن الفرج قريب و تذكر ذلك فالكلام فى معنى قولنا فاصبر على تعنتهم و استكبارهم فى سؤالهم العذاب صبورا جميلا لا يشوبه جزع و شكوى فأنا نعلم أن

العذاب قريب على خلاف ما يستبعدونه، وعلما لا يتخلف عن الواقع بل هو نفس الواقع.

قوله تعالى: «يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهَيْلِ» المهل المذاب من المعديات كالنحاس و الذهب و غيرهما، و قيل: دردى الزيت، و قيل: عكر القطران (١).

و الظرف متعلق بقوله: «وَاقِعٌ» على ما يفيدته السياق.

قوله تعالى: «وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ» العهن مطلق الصوف، و لعل المراد المنفوش منه كما فى قوله تعالى: «وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ»: القارعه: ٥.

و قيل: هو الصوف الأحمر، و قيل: المصبوغ ألوانا لأن الجبال ذات ألوان مختلفه فمنها جدد بيض و حمر و غرايب سود (٢).

قوله تعالى: «وَ لَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا» الحميم القريب الذى تهتم بأمره و تشفق عليه.

إشاره إلى شدة اليوم فالإنسان يومئذ تشغله نفسه عن غيره حتى أن الحميم لا يسأل حميمه عن حاله لاشتغاله بنفسه.

قوله تعالى: «يُبْصِرُونَ نَهْمٌ» الضميران للأحماء المعلوم من السياق و التبصير الإراءه و الإيضاح أى يرى و يوضح الأحماء للأحماء فلا يسألونهم عن حالهم اشتغالا بأنفسهم.

و الجمله مستأنفه فى معنى الجواب عن سؤال مقدر كأنه لما قيل: لا- يسأل حميم حميما سئل فقيل: هل يرى الأحماء يومئذ أحماءهم؟ فأجيب: يبصرونهم و يمكن أن يكون «يُبْصِرُونَ نَهْمٌ» صفة «حَمِيمًا».

و من ردى التفسير قول بعضهم: إن معنى قوله: «يُبْصِرُونَ نَهْمٌ» يبصر الملائكة الكفار، و ما قيل: إن المعنى يبصر المؤمنون أعداءهم من الكفار و ما هم فيه من العذاب فيشمتون بهم، و ما قيل: إن المعنى يبصر اتباع الضلالة رؤساءهم. و هى جميعا وجوه لا دليل عليها.

قوله تعالى: «يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنِيهِ وَ صَاحِبَتِهِ وَ أَخِيهِ وَ فَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ» قال فى المجمع: الموده مشتركه بين التمنى و بين المحبه يقال: وددت الشىء أى تمنيته و وددته أى أحببته أود فيهما جميعا. انتهى، و يمكن أن يكون استعماله بمعنى التمنى من باب التضمنين.

ص: ٩

(١-١) أى رديه و خبيثه

(٢-٢) كما فى الآيه من سوره فاطر

وقال: والافتداء الضرر عن الشيء ببدل منه انتهى، وقال: الفصيلة الجماعة المنقطعه عن جملة القبيله برجوعها إلى أبوه خاصه عن أبوه عامه. انتهى، وذكر بعضهم أن الفصيلة عشيرته الأقربين الذين فصل عنهم كالأبء الأدين.

و سياق هذه الآيات سياق الإضراب و الترقى بالنسبه إلى قوله: «و لَا يَسْتَلُّ حَمِيمٌ حَمِيمًا» فيفيد أن المجرم يبلغ به شدة العذاب إلى أن يتمنى أن يفتدى من العذاب بأحب أقاربه و أكرمهم عليه بنيه و صاحبتة و أخيه و فصيلته و جميع من فى الأرض ثم ينجيه الافتداء فيود ذلك فضلا عن عدم سؤاله عن حال حميمه.

و المعنى «يؤدُّ» و يتمنى «الْمُجْرِمُ» و هو المتلبس بالأجرام أعم من الكافر «لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ ذِي» و هذا هو الذى يتمناه، و الجملة قائمه مقام مفعول يود. «بِنَيْهِ» الذين هم أحب الناس عنده «وَصَاحِبَتِهِ» التى كانت سكنا له و كان يحبها و ربما قدمها على أبويه «وَأَخِيهِ» الذى كان شقيقه و ناصره «وَفَصِيلَتِهِ» من عشيرته الأقربين «الَّتِي تُؤْوِيهِ» و تضمه إليها «وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا» من أولى العقل «ثُمَّ يُنَجِّيه» هذا الافتداء.

قوله تعالى: «كَأَلَّا إِنَّهَا لَظِيٌّ نَزَّاعَةٌ لِلشَّوَى تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى وَ جَمَعَ فَأَوْعَى» كلا للردع، و ضمير «إِنَّهَا» لجهنم أو للنار و سميت لظي لكونها تتلظى و تشتعل، و النزاعه اسم مبالغه من النزاع بمعنى الاقتلاع، و الشوى الأطراف كاليد و الرجل يقال: رماه فأشواه أى أصاب شواه كذا قال الراغب، و إيعاء المال إمساكه فى وعاء.

فقوله: «كَأَلَّا» ردع لثمنيه النجاه من العذاب بالافتداء و قد علل الردع بقوله: «إِنَّهَا لَظِيٌّ» إلخ و محصله أن جهنم نار مشتعله محرقه للأطراف شأنها أنها تطلب المجرمين لتعذبهم فلا تصرف عنهم بافتداء كائنا ما كان.

فقوله: «إِنَّهَا لَظِيٌّ» أى نار صفتها الاشتعال لا تنعزل عن شأنها و لا تخمد، و قوله:

«نَزَّاعَةٌ لِلشَّوَى» أى صفتها إحراق الأطراف و اقتلاعها لا يبطل ما لها من الأثر فيمن تعذبه.

و قوله: «تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى وَ جَمَعَ فَأَوْعَى» أى تطلب من أدبر عن الدعوه الإلهيه إلى الإيمان بالله و أعرض عن عبادته تعالى و جمع المال فأمسكه فى وعائه و لم ينفق منه للسائل و المحروم.

و هذا المعنى هو المناسب لسياق الاستثناء الآتى و ذكر الصلاه و الإنفاق فيه.

فى المجمع، حدثنا السيد أبو الحمد قال: حدثنا الحاكم أبو القاسم الحسكاني و ساق السند عن جعفر بن محمد الصادق عن آباءه (ع) قال*: لما نصب رسول الله ص عليا و قال: من كنت مولاه فعلى مولاه، طار ذلك فى البلاد-فقدم على النبي ص النعمان بن الحارث الفهرى.

فقال: أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله-و أنك رسول الله و أمرتنا بالجهاد- و الحج و الصوم و الصلاة و الزكاه فقبلناها-ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام-فقلت: من كنت مولاه فعلى مولاه، فهذا شىء منك أو أمر من عند الله؟ فقال: و الله الذى لا إله إلا هو أن هذا من الله.

فولى النعمان بن الحارث و هو يقول: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك-فأمطر علينا حجاره من السماء-فرماه الله بحجر على رأسه فقتله-و أنزل الله تعالى: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ».

أقول: و هذا المعنى مروى بغير طريق من طرق الشيعة، و قد رد الحديث بعضهم بأنه موضوع لكون سورة المعارج مكيه، و قد عرفت الكلام فى مكيه السوره.

و فى الدر المنثور، أخرج الفاريابى و عبد بن حميد و النسائى و ابن أبى حاتم و الحاكم و صححه و ابن مردويه عن ابن عباس "فى قوله: «سَيَأَلُّ سَائِلٌ» قال هو النضر بن الحارث-قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك-فأمطر علينا حجاره من السماء.

و فيه، أخرج ابن أبى حاتم عن السدى: "فى قوله: «سَيَأَلُّ سَائِلٌ» قال: نزلت بمكه فى النضر بن الحارث-و قد قال: «اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ» الآية-و كان عذابه يوم بدر.

أقول: و هذا المعنى مروى أيضا عن غير السدى، و فى بعض رواياتهم أن القائل:

اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ الآية هو الحارث بن علقمه رجل من عبد الدار، و فى بعضها أن سائل العذاب هو أبو جهل بن هشام سأله يوم بدر و لازمه مدنيه السوره و المعتمد على أى حال نزول السوره بعد قول القائل: اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ الآية و قد تقدم كلام فى سياق الآية.

و فى أمالى الشيخ، بإسناده إلى أبى عبد الله (ع) فى حديث: ألا فحاسبوا أنفسكم قبل

أن تحاسبوا-فإن في القيامة خمسين موقفا-كل موقف مثل ألف سنة مما تعدون-ثم تلا هذه الآية «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ».

أقول: وروى هذا المعنى في روضه الكافي، عن حفص بن غياث عنه (ع).

و في المجمع، روى أبو سعيد الخدري قال: قيل لرسول الله ص: ما أطول هذا اليوم-فقال: و الذي نفس محمد بيده-إنه ليخف على المؤمن-حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا.

أقول: ورواه في الدر المنثور، عن عده من الجوامع عن أبي سعيد عنه (ص).

و في تفسير القمي، في قوله تعالى: «يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ» قال: الرصاص الذائب و النحاس كذلك تذوب السماء.

و فيه، في روايه أبي الجارود عن أبي جعفر (ع): في قوله تعالى: «يُبَصَّرُونَهُمْ» يقول:

يعرفونهم ثم لا يتساءلون.

و فيه، في قوله تعالى: «نَزَاعَةَ لِلشَّوَى» قال: تنزع عينه و تسود وجهه.

و فيه، في قوله تعالى: «تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى» قال: تجره إليها.

[سورة المعارج (٧٠): الآيات ١٩ الى ٣٥]

إشارة

إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أُمُورِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلشَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصِدِّقُونَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنْ ابْتغىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَٰئِكَ فِي جَنَاتٍ مُّكْرَمُونَ (٣٥)

تشير الآيات إلى السبب الأولي الذي يدعو الإنسان إلى رذيله الإدمار والتولى و الجمع و الإيعاء التي تؤديه إلى دخول النار الخالده التي هي لظى نزاعه للشوى على ما تذكره الآيات.

و ذلك السبب صفه الهلع التي اقتضت الحكمة الإلهيه أن يخلق الإنسان عليها ليتهدى بها إلى ما فيه خيره و سعادته غير أن الإنسان يفسدها على نفسه و يسيء استعمالها في سبيل سعادته فتسلك به إلى هلكه دائمه إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات فهم في جنات مكرمون.

قوله تعالى: « إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا » الهلوع صفه مشتقه من الهلع بفتح الحين و هو شدة الحرص، و ذكروا أيضا أن الهلوع تفسره الآيتان بعده فهو الجزوع عند الشر و المنوع عند الخير و هو تفسير سديد و السياق يناسبه.

و ذلك أن الحرص الشديد الذي جبل عليه الإنسان ليس حرصا منه على كل شيء خيرا كان أو شرا أو نافعا أو ضارا بل حرصا على الخير و النافع و لا- حرصا على كل خير أو نافع سواء ارتبط به أو لم يرتبط و كان له أو لغيره بل حرصا منه على ما يراه خيرا لنفسه أو نافعا في سبيل الخير، و لازم هذا الحرص أن يظهر منه التزعزع و الاضطراب عند مس الشر و هو خلاف الخير و أن يمتنع عن ترك الخير عند مسه و يؤثر نفسه على غيره إلا- أن يرى الترك أكثر خيرا و أنفع بحاله فالجزع عند مس الشر و المنع عند مس الخير من لوازم الهلع و شدة الحرص.

و ليس الهلع و شدة الحرص المجبول عليه الإنسان- و هو من فروع حب الذات- في حد نفسه من الرذائل المذمومه كيف؟ و هي الوسيله الوحيدة التي تدعو الإنسان إلى بلوغ سعادته و كمال وجوده، و إنما تكون رذيله مذمومه إذا أساء الإنسان في تدبيرها

فاستعملها فيما ينبغي و فيما لا ينبغي و بالحق و بغير حق كسائر الصفات النفسانية التي هي كريمه ما لزمتم حد الاعتدال و إذا انحرفت إلى جانب الإفراط أو التفريط عادت رذيله ذميمة.

فالإنسان في بدء نشأته و هو طفل يرى ما يراه خيرا لنفسه أو شرا لنفسه بما جهز به من الغرائز العاطفه و هي التي تهواه نفسه و تشتتته قواه من غير أن يحده بحد أو يقدره بقدر فيجزع إذا مسه ألم أو أى مكروه، و يمنع من يزاحمه فيما أمسك به بكل ما يقدر عليه من بكاء و نحوه.

و هو على هذه الحال حتى إذا رزق العقل و الرشده أدرك الحق و الباطل و الخير و الشر و اعترفت نفسه بما أدرك و حينئذ يتبدل عنده كثير من مصاديق الحق و الباطل و الخير و الشر فعاد كثير مما كان يراه خيرا لنفسه شرا عنده و بالعكس.

فإن أقام على ما كان عليه من اتباع أهواء النفس و العكوف على المشتبهات و اشتغل بها عن اتباع الحق و غفل عنه، طبع على قلبه فلم يواجه حقا إلا دحضه و لا ذا حق إلا اضطهده و إن أدركته العناية الإلهيه عاد ما كان عنده من الحرص على ما تهواه النفس حرصا على الحق فلم يستكبر على حق واجهه و لا منع ذا حق حقه.

فالإنسان في بادئ أمره و هو عهد الصبى قبل البلوغ و الرشده مجهز بالحرص الشديد على الخير و هو صفة كماله له بحسب حاله بها ينبعث إلى جلب الخير و انقاء الشر قال تعالى: «وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ»: العاديات: ٨.

ثم إذا رزق البلوغ و الرشده زاد تجهيزا آخر و هو العقل الذى بها يدرك حقائق الأمور على ما هي عليها فيدرك ما هو الاعتقاد الحق و ما هو الخير فى العمل، و يتبدل حرصه الشديد على الخير و كونه جزوعا عند مس الشر و منوعا عند مس الخير من الحرص الشديد على الخير الواقعى من الفزع و الخوف إذا مسه شر أخروى و هو المعصيه و المسابقه إلى مغفره ربه إذا مسه خير أخروى و هو مواجهه الحسنه، و أما الشر و الخير الدنيويان فإنه لا يتعدى فيهما ما حده الله له من الصبر عند المصيبه و الصبر على الطاعه و الصبر عن المعصيه و هذه الصفة صفة كماله لهذا الإنسان.

و أما إذا أعرض الإنسان عما يدركه عقله و يعترف به فطرته و عكف على اتباع الهوى و اعتنق الباطل و تعدى إلى حق كل ذى حق و لم يقف فى حرصه على الخير على حد

فقد بدل نعمه الله نقمه و أخذ صفه غريزيه خلقها الله وسيله له يتوسل بها إلى سعادته الدنيا و الآخرة وسيله إلى الشقوه و الهلكه تسوقه إلى الإدبار و التولى و الجمع و الإيعاء كما فى الآيات.

و قد بان مما تقدم أنه لا ضير فى نسبه هلع الإنسان فى الآيات إلى الخلقه و الكلام مسوق للذم و قد قال تعالى: «الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ» السجده ٧، و ذلك أن ما يلحقه من الذم إنما هو من قبل الإنسان و سوء تدبيره لا من قبله تعالى فهو كسائر نعمه تعالى على الإنسان التى يصيرها نقما بسوء اختياره.

و ذكر الزمخشري فرارا من الإشكال أن فى الكلام استعاره، و المعنى أن الإنسان لإيثاره الجزع و المنع و تمكنهما منه كأنه مجبول مطبوع عليهما، و كأنه أمر مخلوق فيه ضرورى غير اختيارى فالكلام موضوع على التشبيه لا لإفاده كونه مخلوقا لله حقيقه لأن الكلام مسوق للذم و الله سبحانه لا يذم فعل نفسه، و من الدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم فنجوا عن الجزع و المنع جميعا.

و فيه أن الصفه مخلوقه نعمه و فضيله و الإنسان هو الذى يخرجها من الفضيله إلى الرذيله و من النعمه إلى النقمه و الذم راجع إلى الصفه من جهه سوء تدبيره لا من حيث إنها فعله تعالى.

و استثناء المؤمنين ليس لأجل أن الصفه غير مخلوقه فيهم بل لأجل أنهم أبقوها على كمالها و لم يبدلوا رذيله و نقمه.

و أوجب أيضا عن الاستثناء بأنه منقطع و هو كما ترى.

قوله تعالى: «إِلَّا- الْمُصَلِّينَ» استثناء من الإنسان الموصوف بالهلع، و فى تقديم الصلاه على سائر الأعمال الصالحه المعدوده فى الآيات التاليه دلالة على شرفها و أنها خير الأعمال.

على أن لها الأثر البارز فى دفع رذيله الهلع المذموم و قد قال تعالى: «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ»: العنكبوت ٤٥.

قوله تعالى: «الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ» فى إضافه الصلاه إلى الضمير دلالة على أنهم مداومون على ما يأتون به من الصلاه كائنه ما كانت لا أنهم دائما فى الصلاه، و فيه إشاره إلى أن العمل إنما يكمل أثره بالمداومه.

قوله تعالى: «وَ الَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ» فسره بعضهم بالزكاه المفروضه،

و فى الحديث عن الصادق (ع): أن الحق المعلوم ليس من الزكاه—و إنما هو مقدار

معلوم ينفقونه للفقراء، والسائل هو الفقير الذى يسأل، والمحروم الفقير الذى يتعفف ولا يسأل و السياق لا يخلو من تأييده فإن للزكاة موارد مسماه فى قوله: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسْكِينِ وَ الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقَابِ وَ الْغَارِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ»: التوبة ٦٠ و ليست مختصه بالسائل و المحروم على ما هو ظاهر الآيه.

قوله تعالى: «وَ الَّذِينَ يَصِفُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ» الذى يفيدته سياق عد الأعمال الصالحه أن المراد بتصديقهم يوم الدين التصديق العملى دون التصديق الاعتقادى و ذلك بأن تكون سيرتهم فى الحياه سيره من يرى أن ما يأتى به من عمل سيحاسب عليه فيجازى به إن خيرا فخييرا و إن شرا فشيئا.

و فى التعبير بقوله: «يَصِفُونَ» دلالة على الاستمرار فهو المراقبه الدائمه بذكره تعالى عند كل عمل يواجهونه فيأتون بما يريد و يتركون ما يكرهه.

قوله تعالى: «وَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ» أى خائفون، و الكلام فى إشفاقهم من عذاب ربهم نظير الكلام فى تصديقهم بيوم الدين فهو الإشفاق العملى الظاهر من حالهم.

و لازم إشفاقهم من عذاب ربهم مع لزومهم الأعمال الصالحه و مجاهدتهم فى الله أن لا يتقوا بما يأتون به من الأعمال الصالحه و لا يأمنوا عذاب الله فإن الأمن لا يجامع الخوف.

و الملاك فى الإشفاق من العذاب أن العذاب على المخالفه فلا منجى منه إلا بالطاعه من النفس و لا ثقه بالنفس إذ لا قدره لها فى ذاتها إلا ما أقدرها الله عليه و الله سبحانه مالك غير مملوك، قال تعالى: «قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»: المائده ١٧.

على أن الله سبحانه و إن وعد أهل الطاعه النجاه و ذكر أنه لا يخلف الميعاد لكن الوعد لا يقيد إطلاق قدرته فهو مع ذلك قادر على ما يريد و مشيئته نافذه فلا أمن بمعنى انتفاء القدره على ما يخالف الوعد فالخوف على حاله و لذلك نرى أنه تعالى يقول فى ملائكته: «يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ يَعْلَمُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» فيصفهم بالخوف و هو يصرح بعصمتهم، و يقول فى أنبيائه: «وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ»: الأحزاب: ٣٩، و يصف المؤمنين فى هذه الآيه بالإشفاق و هو يعدهم فى آخر الآيات بقول جازم فيقول:

«أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ».

قوله تعالى: «إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ» تعليل لإشفاقهم من عذاب ربهم فيتبين به أنهم مصيبون فى إشفاقهم من العذاب و قد تقدم وجهه.

قوله تعالى: «وَالَّذِينَ هُمْ لِأَعْتَابِهِمْ حَافِظُونَ - إلى قوله - هُمْ الْعَادُونَ» تقدم تفسير الآيات الثلاث في أول سورة المؤمنون.

قوله تعالى: «وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ» المتبادر من الأمانات أنواع الأمانه التي يؤتمنون عليها من المال و سائر ما يوصى به من نفس أو عرض و رعايتهم لها أن يحفظوها و لا يخونوها قيل: و لكثرت أنواعها جيء بلفظ الجمع بخلاف العهد.

و قيل: المراد بها جميع ما كلفهم الله من اعتقاد و عمل فتعم حقوق الله و حقوق الناس فلو ضيعوا شيئاً منها فقد خانوه.

و قيل: كل نعمه أعطاه الله عبده من الأعضاء و غيرها أمانه فمن استعمل شيئاً منها في غير ما أعطاه الله لأجله و أذن له في استعماله فقد خاناه.

و ظاهر العهد عقد الإنسان مع غيره قولاً أو فعلاً على أمر و رعايته أن يحفظه و لا ينقضه من غير مجوز.

و قيل: العهد كل ما التزم به الإنسان لغيره فإيمان العبد لربه عهد منه عاهد به ربه أن يطيعه في كل ما كلفه به فلو عصاه في شيء مما أمره به أو نهاه عنه فقد نقض عهده.

قوله تعالى: «وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ» الشهاده معروفه، و القيام بالشهاده عدم الاستنكاف عن تحملها و أداء ما تحمل منها كما تحمل من غير كتمان و لا تغيير، و الآيات في هذا المعنى كثيره.

قوله تعالى: «وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ» المراد بالمحافظه على الصلاه رعايه صفات كمالها على ما ندب إليه الشرع.

قيل: و المحافظه على الصلاه غير الدوام عليها فإن الدوام متعلق بنفس الصلاه و المحافظه بكيفيتها فلا تكرر في ذكر المحافظه عليها بعد ذكر الدوام عليها.

قوله تعالى: «أُولَئِكَ فِي جَنَاتٍ مُّكْرَمُونَ» الإشاره إلى المصلين في قوله: «إِلَّا الْمُصَلِّينَ» و تنكير جنات للتفخيم، و «فِي جَنَاتٍ» خبر و «مُكْرَمُونَ» خبر بعد خبر أو ظرف لقوله: «مُكْرَمُونَ».

فى تفسير القمى، "إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً" قال: الشر هو الفقر و الفاقة « وَ إِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً » قال: الغنى و السعه.

و فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر(ع) قال*: ثم استثنى فقال «إِلَّا الْمُصَيِّلِينَ» فوصفهم بأحسن أعمالهم «الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ» يقول: إذا فرض على نفسه شيئاً من النوافل دام عليه.

أقول: قوله: إذا فرض على نفسه «إلخ» استفاد(ع) هذا المعنى من إضافه الصلاة إلى ضمير «هُم» و قد أشرنا إليه فيما مر.

و فى الكافى، بإسناده إلى الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر(ع) عن قول الله عز و جل: «وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ» قال: هى الفريضة. قلت: «الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ» قال: هى النافله.

و فى المجمع، فى قوله تعالى: «وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ»: و

روى عن أبى عبد الله(ع) أنه قال: الحق المعلوم ليس من الزكاه- و هو الشىء الذى تخرجه من مالك- إن شئت كل جمعه و إن شئت كل يوم، و لكل ذى فضل فضله.

قال: و روى عنه أيضا أنه قال: هو أن تصل القرابه و تعطى من حرمك و تصدق على من عاداك.

أقول: و روى هذا المعنى فى الكافى، عن أبى جعفر و أبى عبد الله(ع) بعده طرق و رواه فى المحاسن عن أبى جعفر(ع).

و فى الكافى، بإسناده عن صفوان الجمال عن أبى عبد الله(ع) * فى قول الله عز و جل «لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ» قال: المحروم المحارف- الذى قد حرم كد يمينه فى الشراء و البيع.

قال: و فى روايه أخرى عن أبى جعفر و أبى عبد الله(ع) أنهما قالا*: المحروم الرجل الذى ليس بعقله بأس- و لم يبسط له فى الرزق و هو محارف.

و فى المجمع، فى قوله تعالى: «وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ»:

روى محمد بن الفضيل

عن أبي الحسن (ع) أنه قال*: أولئك أصحاب الخمسين صلاه من شيعتنا.

أقول: ولعله مبنى على ما ورد عنهم ((ع)) أن تشريع النوافل اليوميه لتتميم الفرائض.

[سوره المعارج (٧٠): الآيات ٣٦ الى ٤٤]

أشاره

فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيْطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨)
كَلَّا إِذَا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩) فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَيَّ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ
بِمَسْئُومِينَ (٤١) فَذَرْنَاهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَخْيَادِ سِرَاعًا كَانَهُمْ إِلَىٰ
نُصْبٍ يُوفُضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُفُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤)

بيان

لما ذكر سبحانه في الفصل الأول من آيات السوره في ذيل ما حكى من سؤالهم العذاب أن لهم عذابا واقعا ليس له دافع و هو النار المتلظيه النزاعه للشوى التى تدعو من أدبر و تولى و جمع فأوعى.

ثم بين فى الفصل الثانى منها الملا-ك فى ابتلائهم بهذه الشقوه و هو أن الإنسان مجهز بغريزه الهلع و حب خير نفسه و يؤديه اتباع الهوى فى استعمالها إلى الاستكبار على كل حق يواجهه فيورده ذلك النار الخالده، و لا ينجو من ذلك إلا الصالحون عملا المصدقون ليوم الدين المشفقون من عذاب ربهم.

انعطف فى هذا الفصل من الآيات- و هو الفصل الثالث-على أولئك الكفار كالمتعجب

من أمرهم حيث يجتمعون على النبي ص: مهطعين عن اليمين و عن الشمال عزين مقبلين عليه بأبصارهم لا- يفارقونه فخطبه(ص): ما بالهم يحيطون بك مهطعين عليك يلازمونك؟ هل يريد كل امرئ منهم أن يدخل جنه نعيم و هو كافر و قد قدر الله سبحانه أن لا يكرم بجنته إلا من استثناءه من المؤمنين فهل يريدون أن يسبقوا الله و يعجزوه بنقض ما حكم به و إبطال ما قدره كلا إن الله الذى خلقهم من نطفه مهينه قادر أن يبدهم خيرا منهم و يخلق مما خلقهم منه، غيرهم ممن يعبد و يدخل جنته.

ثم أمر النبي ص أن يقطع خصامهم و يذرهم يخوضوا و يلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون.

قوله تعالى: «فَلَمَّا لِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكُمْ مُهْطِعِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشُّمَالِ عَزِينَ» قال فى المجمع، قال الزجاج: المهطع المقبل ببصره على الشيء لا- يزايله و ذلك من نظر العدو، و قال أبو عبيده الإهطاع الإسراع، و عزين جماعات فى تفرقه، واحدتهم عزه. انتهى، و قبل الشيء بالكسر فالفتح الجبهه التى تليه و الفاء فى «فما» فصيحه.

و المعنى: إذا كان الإنسان بكفره و استكباره على الحق مصيره إلى النار إلا من استثنى من المؤمنين فما للذين كفروا عندك مقبلين عليك لا يرفعون عنك أبصارهم و هم جماعات متفرقه عن يمينك و شمالك أ يطمعون أن يدخلوا الجنة فيعجزوا الله و يسبقوه فيما قضى به أن لا يدخل الجنة إلا الصالحاء من المؤمنين.

قوله تعالى: «أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ»، الاستفهام للإنكار أى- ما هو الذى يحملهم على أن يحتفوا بك و يهطعوا عليك؟- هل يحملهم على ذلك طمع كل منهم أن يدخل جنه نعيم و هو كافر فلا مطمع للكافر فى دخول الجنة.

و نسب الطمع إلى كل امرئ منهم و لم ينسب إلى جماعتهم بأن يقال: أ يطمعون أن يدخلوا «إلخ» كما نسب الإهطاع إلى جماعتهم فقيل: مهطعين لأن النافع من الطمع فى السعاده و الفلاح هو الطمع القائم بنفس الفرد الباعث له إلى الإيمان و العمل الصالح دون القائم بالجماعه بما أنها جماعه فطمع المجموع من حيث إنه مجموع لا يكفى فى سعاده كل واحد واحد.

و فى قوله: «أَنْ يُدْخَلَ» مجهولا من باب الإفعال إشاره إلى أن دخولهم فى الجنة ليس منوطا باختيارهم و مشيتهم بل لو كان فإنما هو إلى الله سبحانه فهو الذى يدخلهم الجنة

إن شاء و لن يدخل بما قدر أن لا يدخلها كافر.

قيل: إن النبي ص كان يصلى عند الكعبة و يقرأ القرآن فكان المشركون يجتمعون حوله حلقا حلقا و فرقا يستمعون و يستهزءون بكلامه، و يقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد ص فلندخلها قبلهم فنزلت الآيات.

و هذا القول لا يلائمه سياق الآيات الظاهر فى تفرع صنعهم ذلك على ما مر من حرمان الناس من دخول الجنة إلا من استثنى من المؤمنين إذ من الضرورى على هذا أن اجتماعهم حوله (ص) و إهطاعهم عليه إنما حملهم عليه إفراطهم فى عداوته و مبالغتهم فى إيذائه و إهانتته، و أن قولهم: سندخل الجنة قبل المؤمنين - و هم مشركون مصرون على إنكار المعاد غير معترفين بنار و لا جنة - إنما كان استهزاء و تهكما.

فلا مساغ لتفريع عملهم ذاك على ما تقدم من حديث النار و الجنة و السؤال - فى سياق التعجب - عن السبب الحامل لهم عليه ثم استفهام طمعهم فى دخول الجنة و إنكاره عليهم.

فبما تقدم يتأيد أن يكون المراد بالذين كفروا فى قوله: «فَمَا لَ الَّذِينَ كَفَرُوا» قوما من المنافقين آمنوا به (ص) ظاهرا و لازموه ثم كفروا برد بعض ما نزل عليه كما يشير إليه أمثال قوله تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ»: المنافقون ٣، و قوله: «لَا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ»: التوبة ٦٦، و قوله: «فَأَعْقَبْتَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ»: التوبة ٧٧.

فهؤلاء قوم كانوا قد آمنوا و دخلوا فى جماعه المؤمنين و لازموا النبي ص مهطعين عليه عن اليمين و عن الشمال عزيزين ثم كفروا ببعض ما نزل إليه لا يبالون به فقرعهم الله سبحانه فى هذه الآيات أنهم لا ينتفعون بملازمته و لا لهم أن يطمعوا فى دخول الجنة فليسوا ممن يدخلها و ليسوا بسابقين و لا معجزين.

و يؤيده قوله الآتى: «إِنَّا لِقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ» إلخ على ما سنشير إليه.

قوله تعالى: «كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ» ردع لهم عن الطمع فى دخول الجنة مع كفرهم.

و قوله: «إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ» المراد بما يعلمون النطفه فإن الإنسان مخلوق منها.

و الكلام مرتبط بما بعده و المجموع تعليل للردع، و محصل التعليل أنا خلقناهم من النطفه

وهم يعلمون به-فلنا أن نذهب بهم و نخلق مكانهم قوما آخرين يكونون خيرا منهم مؤمنين غير رادين لشيء من دين الله، ولسنا بمسبوقين حتى يعجزنا هؤلاء الكفار و يسبقونا فندخلهم الجنة و ينتقض به ما قدرنا أن لا يدخل الجنة كافر.

وقيل: «من» في قوله: «مِمَّا يَعْلَمُونَ» تفيد معنى لام التعليل، و المعنى أنا خلقناهم لأجل ما يعلمون و هو الاستكمال بالإيمان و الطاعة فمن الواجب أن يتلبسوا بذلك حتى ندخلهم الجنة فكيف يطمعون في دخولها و هم كفار؟ و إنما علموا بذلك من طريق إخبار النبي ص.

وقيل: «من» لا ابتداء الغايه، و المعنى: أنا خلقناهم من نطفه قذره لا تناسب عالم القدس و الطهاره حتى تتطهر بالإيمان و الطاعة و تتخلق بأخلاق الملائكه فتدخل و أنى لهم ذلك و هم كفار.

وقيل: المراد بما في «مِمَّا يَعْلَمُونَ» الجنس، و المعنى أنا خلقناهم من جنس الآدميين الذين يعلمون أو من الخلق الذين يعلمون لا من جنس الحيوانات التي لا تعقل و لا تفقه فالحجه لازمه لهم تامه عليهم، و الوجوه الثلاثه سخيفه.

قوله تعالى: «فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ» المراد بالمشارك و المغارب مشارق الشمس و مغاربها فإن لها في كل يوم من أيام السنه الشمسيه مشرقا و مغربا لا يعود إليهما إلى مثل اليوم من السنه القابله، و من المحتمل أن يكون المراد بها مشارق جميع النجوم و مغاربها.

و في الآيه على قصرها و جوه من الالتفات ففي قوله: «فَلَا أُقْسِمُ» الالتفات من التكلم مع الغير في «إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ» إلى التكلم وحده، و الوجه فيه تأكيد القسم بإسناده إلى الله تعالى نفسه.

و في قوله: «بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ» الالتفات من التكلم وحده إلى الغيبه، و الوجه فيه الإشاره إلى صفه من صفاته تعالى هي المبدأ في خلق الناس جيلا بعد جيل و هي ربوبيته للمشارك و المغارب فإن الشروق بعد الشروق و الغروب بعد الغروب الملازم لمرور الزمان دخلا تاما في تكون الإنسان جيلا بعد جيل و سائر الحوادث الأرضيه المقارنه له.

و في قوله: «إِنَّا لَقَادِرُونَ» الالتفات من الغيبه إلى التكلم مع الغير، و الوجه فيه الإشاره

إلى العظمة المناسبة لذكر القدره، وفي ذكر ربوبيته للمشارك والمغارب إشاره إلى تعليل القدره فإن الذى ينتهى إليه تدبير الحوادث فى تكونها لا يعجزه شىء من الحوادث التى هى أفعاله عن شىء منها ولا يمنع شىء من خلقه من أن يبدله خيرا منه و إلا شاركة المانع فى أمر التدبير والله سبحانه واحد لا شريك له فى ربوبيته فافهم ذلك.

وقوله: «إِنَّا لِقَادِرُونَ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ» «عَلَىٰ» متعلق بقوله: «لِقَادِرُونَ» و المفعول الأول لنبدل ضمير محذوف راجع إليهم و إنما حذف للإشاره إلى هوان أمرهم و عدم الاهتمام بهم، و «خَيْرًا» مفعوله الثانى و هو صفة أقيمت مقام موصوفها، و التقدير إنا لقادرون على أن نبدلهم قوما خيرا منهم، و خيريتهم منهم أن يؤمنوا بالله و لا يكفروا به و يتبعوا الحق و لا يردوه.

وقوله: «وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ» المراد بالسبق الغلبه على سبيل الاستعاره، و كونه تعالى مسبوقا هو أن يمنعه خلقهم أن يذهب بهم و يأتى بدلهم بقوم خير منهم.

و سياق الآيه لا يخلو من تأييد ما لما تقدم من كون المراد بالذين كفروا قوما من المنافقين دون المشركين المعاندين للدين النافين لأصل المعاد فإن ظاهر قوله: «خَيْرًا مِّنْهُمْ» لا يخلو من دلالة أو إشعار بأن فيهم شائبه خيرييه و لله أن يبدل خيرا منهم، و المشركون لا- خير فيهم لكن هذه الطائفه من المنافقين لا- يخلو تحفظهم على ظواهر الدين مما آمنوا به و لم يردوه من خير للإسلام.

فقد بان بما تقدم أن قوله: «إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ» إلى آخر الآيات الثلاث تعليل للردع بقوله: «كَلَّا»، و أن محصل مضمون الآيات الثلاث أنهم مخلوقون من نطفه- و هم يعلمون ذلك- و هى خلقه جاريه و الله الذى هو رب الحوادث الجاريه التى منها خلق الإنسان جيلا بعد جيل و المدبر لها قادر أن يذهب بهم و يبدلهم خيرا منهم يعتنون بأمر الدين و يستأهلون لدخول الجنة، و لا يمنعه خلق هؤلاء أن يبدلهم خيرا منهم و يدخلهم الجنة بكمال إيمانهم من غير أن يضطر إلى إدخال هؤلاء الجنة فلا ينتقض تقديره أن الجنة للصالحين من أهل الإيمان.

قوله تعالى: «فَذَرَهُمْ خَوْضًا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ» أمر للنبي ص أن يتركهم و ما هم فيه، و لا يلح عليهم بحجاج و لا يتعب نفسه فيهم بعضه، و قد سمى ما هم عليه بالخوض و اللعب دلالة على أنهم لا ينتفعون به انتفاعا حقيقيا على ما لهم

فيه من الإمعان و الإصرار كاللعب الذى لا نفع فيه وراء الخيال فليتركوا حتى يلاقوا اليوم الذى يوعدون و هو يوم القيامة.

و فى إضافه اليوم إليهم إشاره إلى نوع اختصاص له بهم و هو الاختصاص بعذابهم.

قوله تعالى: «يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَّاعًا كَانْتَهُمُ إِلَىٰ نُصْبٍ يُوفِضُونَ» بيان ليومهم الذى يوعدون و هو يوم القيامة.

و الأجداث جمع جدث و هو القبر، و سراعاً جمع سريع، و النصب ما ينصب علامه فى الطريق يقصده السائرون للاهتداء به، و قيل: هو الصنم المنسوب للعباده و هو بعيد من كلامه تعالى، و الإيفاض الإسراع و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: «خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ» الخشوع تأثر خاص فى القلب عن مشاهدته العظمه و الكبرياء، و يناظره الخضوع فى الجوارح، و نسبه الخشوع إلى الأبصار لظهور آثاره فيها، و الرهق غشيان الشئء بقهر.

و قوله: «ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ» الإشاره إلى ما مر من أوصافه من الخروج من الأجداث سراعاً و خشوع الأبصار و رهق الذله.

بحث روائى

فى الدر المنثور، أخرج عبد بن حميد عن عباده بن أنس قال*: دخل رسول الله ص المسجد فقال: ما لى أراكم عزيزين حلقا حلق الجاهليه قعد رجل خلف أخيه.

أقول:

و رواه عن ابن مردويه عن أبى هريره و لفظه: خرج رسول الله ص و أصحابه جلوس حلقا حلقا- فقال: ما لى أراكم عزيزين، و روى هذا المعنى أيضا عن جابر بن سمره.

و فى تفسير القمى، "و قوله: «كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ» قال: من نطفه ثم علقه، و قوله: «فَلَا أُقْسِمُ» أى أقسم «بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَ الْمَغَارِبِ» قال: مشارق الشتاء و مشارق الصيف- و مغارب الشتاء و مغارب الصيف.

و فى المعانى، بإسناده إلى عبد الله بن أبى حماد رفعه إلى أمير المؤمنين (ع) قال: لها ثلاثمائة و ستون مشرقا و ثلاثمائة و ستون مغربا- فيومها الذى تشرق فيه لا تعود فيه إلا من قابل.

و فى تفسير القمى، "و قوله: «يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَّاعًا» قال: من القبر «كَانْتَهُمُ إِلَىٰ نُصْبٍ يُوفِضُونَ» قال: إلى الداعى ينادون، و قوله: «تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ» قال: تصيبهم ذله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢) أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقَوْهُ وَ أَطِيعُوا مَنْ (٣) يُغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَ إِنِّي كَلَّمْتُ طَائِفَةً مِنْهُمْ فَاجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَخْرُجُوا مِنِّي لَيَالٍ وَ نَهَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَ يُمِدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَنِينَ وَ يُجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَ يُجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَ قَدْ خَلَقْكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَمَاعَاتِ طِبَاقًا (١٥) وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ لَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَ يُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا (١٩) لِتَسِيلُوا فِيهَا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠) قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالًا وَ وَلَعَدَّهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَ مَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَ قَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَ لَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لَا سُوعًا وَ لَا يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَ نَسِيرًا (٢٣) وَ قَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَ لَا تَرِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (٢٤)

تشير السورة إلى رساله نوح(ع) إلى قومه و إجمال دعوته و عدم استجابتهم له ثم شكواه إلى ربه منهم و دعائه عليهم و استغفاره لنفسه و لوالديه و لمن دخل بيته مؤمنا و للمؤمنين و المؤمنات ثم حلول العذاب بهم و إهلاكهم بالإغراق و السورة مكيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ «أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ» إلخ، تفسير لرسالته أى أوحينا إليه أن أنذر» إلخ.

و فى الكلام دلالة على أن قومه كانوا عرضه للعذاب بشركهم و معاصيهم كما يدل عليه ما حكى من قوله(ع) فى الآيه التاليه: «أَعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ» و ذلك أن الإنذار تخويف و التخويف إنما يكون من خطر محتمل لا دافع له لو لا التحذر، و قد أفاد قوله: «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» إنه متوجه إليهم غير تاركهم لو لا تحذرهم منه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ وَ أَطِيعُوا» بيان لتبليغه رسالته إجمالا بقوله: «إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ» و تفصيلا بقوله: «أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ» إلخ.

و فى إضافته اليوم إلى نفسه إظهار إشفاق و رحمه أى أنكم قومى يجمعكم و إياى مجتمعنا القومى تسوؤنى ما أساءكم فلست أريد إلا ما فيه خيركم و سعادتكم إنى لكم نذير إلخ.

و فى قوله: «أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ» دعوتهم إلى توحيدته تعالى فى عبادته فإن القوم كانوا وثنيين يعبدون الأصنام، و الوثنيه لا تجوز عباده الله سبحانه لا وحده و لا مع غيره، و إنما يعبدون أرباب الأصنام بعباده الأصنام ليكونوا شفعاء لهم عند الله، و لو جوزوا

عبادته تعالى لعبدوه وحده فدعوتهم إلى عباده الله دعوه لهم إلى توحيده فى العباده.

و فى قوله: «وَ اتَّقَوْهُ» دعوتهم إلى اجتناب معاصيه من كبائر الإثم و صغائره و هى الشرك فما دونه، و فعل الأعمال الصالحه التى فى تركها معصيه.

و فى قوله: «وَ أَطِيعُونِ» دعوه لهم إلى طاعه نفسه المستلزم لتصديق رسالته و أخذ معالم دينهم مما يعبد به الله سبحانه و يستن به فى الحياه منه (ع) ففى قوله: «أَعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقَوْهُ وَ أَطِيعُونِ» ندب إلى أصول الدين الثلاثه: التوحيد المشار إليه بقوله:

«أَعْبُدُوا اللَّهَ» و المعاد الذى هو أساس التقوى (1) و التصديق بالنبوه المشار إليه بالدعوه إلى الطاعه المطلقه.

قوله تعالى: «يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ» مجزوم فى جواب الأمر و كلمه «مِنْ» للتبعيض على ما هو المتبادر من السياق، و المعنى أن تعبده و تتقوه و تطيعونى يغفر لكم بعض ذنوبكم و هى الذنوب التى قبل الإيمان: الشرك فما دونه، و أما الذنوب التى لم تقترف بعد مما سيستقبل فلا- معنى لمغفرتها قبل تحققها، و لا- معنى أيضا للوعد بمغفرتها إن تحققت فى المستقبل أو كلما تحققت لاستلزام ذلك إلغاء التكليف الدينيه بإلغاء المجازاه على مخالفتها.

و يؤيد ذلك ظاهر قوله تعالى: «يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَ آمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ»: الأحقاف ٣١، و قوله: «يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ»: إبراهيم ١٠ و قوله: «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ»: الأنفال ٣٨.

و أما قوله تعالى يخاطب المؤمنين من هذه الأمه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ يُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ» الصف ١٢ فهو و إن كان ظاهرا فى مغفره جميع الذنوب لكن رتبت المغفره فيه على استمرار الإيمان و العمل الصالح و إدامتهما ما دامت الحياه فلا مغفره فيه متعلقه بما لم يتحقق بعد من المعاصى و الذنوب المستقبليه و لا وعد بمغفرتها كلما تحققت.

و قد مال بعضهم اعتمادا على عموم المغفره فى آيه الصف إلى القول بأن المغفور بسبب الإيمان فى هذه الأمه جميع الذنوب و فى سائر الأمم بعضها كما هو ظاهر قول نوح لأمته:

ص: ٢٧

(١- ١) إذ لو لا المعاد بما فيه من الحساب و الجزاء لم يكن للتقوى الدينى وجه، منه.

« يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ » و قول الرسل: كما فى سورة إبراهيم « يَدْعُوَكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ » و قول الجن كما فى سورة الأحقاف لقومهم: « يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَ آمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ».

و فيه أن آيه الصف موردها غير مورد المغفره بسبب الإيمان فقط كما أشرنا إليه. على أن آيه الأنفال صريحه فى مغفره ما قد سلف، و المخاطب به كفار هذه الأمة.

و ذهب بعضهم إلى كون « مِنْ » فى قوله: « مِنْ ذُنُوبِكُمْ » زائده، و لم تثبت زياده « من » فى الإثبات فهو ضعيف و مثله فى الضعف قول من ذهب إلى أن « مِنْ » بيانيه، و قول من ذهب إلى أنها لا ابتداء الغايه.

قوله تعالى: « وَ يُؤَخِّرُكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » تعليق تأخيرهم إلى أجل مسمى على عباده الله و التقوى و طاعه الرسول يدل على أن هناك أجلين أجل مسمى يؤخرهم الله إليه إن أجابوا الدعوه، و أجل غيره يعجل إليهم لو بقوا على الكفر، و إن الأجل المسمى أقصى الأجلين و بعدهما.

ففى الآيه و عددهم بالتأخير إلى الأجل المسمى إن آمنوا و فى قوله: « إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ » تعليل للتأخير إلى الأجل المسمى إن آمنوا فالمراد بأجل الله إذا جاء مطلق الأجل المقضى المتحتم أعم من الأجل المسمى و غير المسمى فلا راد لقضائه تعالى و لا معقب لحكمه.

و المعنى: أن اعبدوا الله و اتقوه و أطيعونى يؤخركم الله إلى أجل مسمى هو أقصى الأجلين فإنكم إن لم تفعلوا ذلك جاءكم الأجل غير المسمى بكفركم و لم تؤخروا فإن أجل الله إذا جاء لا يؤخر، ففى الكلام مضافا إلى وعد التأخير إلى الأجل المسمى إن آمنوا، تهديد بعذاب معجل إن لم يؤمنوا.

و قد ظهر بما تقدم عدم استقامه تفسير بعضهم لأجل الله بالأجل غير المسمى و أضعف منه تفسيره بالأجل المسمى.

و ذكر بعضهم: أن المراد بأجل الله يوم القيامة و الظاهر أنه يفسر الأجل المسمى أيضا بيوم القيامة فيرجع معنى الآيه حينئذ إلى مثل قولنا: إن لم تؤمنوا عجل الله إليكم بعذاب الدنيا و إن آمنتتم أخركم إلى يوم القيامة أنه إذا جاء لا يؤخر.

و أنت خبير بأنه لا يلائم التبشير الذى فى قوله: « يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ».

وقوله: «لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» متعلق بأول الكلام أى لو كنتم تعلمون أن الله أجلين و أن أجله إذا جاء لا- يؤخر استجبتم دعوتى و عبدتم الله و اتقيتموه و اطعمونى هذا فمفعول «تَعْلَمُونَ» محذوف يدل عليه سابق الكلام.

وقيل: إن «تَعْلَمُونَ» منزل منزله الفعل اللازم، و جواب لو متعلق بأول الكلام، و المعنى: لو كنتم من أهل العلم لاستجبتم دعوتى و آمنتهم، أو متعلق بآخر الكلام، و المعنى: لو كنتم من أهل العلم لعلمتم أن أجل الله إذا جاء لا يؤخر.

قوله تعالى: «قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا» القائل هو نوح (ع) و الذى دعا إليه هو عباده الله و تقواه و طاعه رسوله، و الدعاء ليلًا و نهارًا كناية عن دوامه من غير فتور و لا توان.

وقوله: «فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا» أى من إجابته دعوتى فالمراد بالفرار التمرد و التأبى عن القبول استعاره، و إسناد زياده الفرار إلى دعائه لما فيه من شائبه السببيه لأن الخير إذا وقع فى محل غير صالح قاومه المحل بما فيه من الفساد فأفسده فانقلب شرا، و قد قال تعالى فى صفة القرآن: «وَ نَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا»: إسرائ ٨٢.

قوله تعالى: «وَ إِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَ اسْتَعْشَوْا بِبِهْتُمْ» الخ ذكر مغفرته تعالى غايه لدعوته و الأصل (دعوتهم ليؤمنوا فتغفر لهم) لأن الغرض الإشاره إلى أنه كان ناصحًا لهم فى دعوته و لم يرد إلا- ما فيه خير دنياهم و عقابهم.

وقوله: «جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ» كناية عن استنكافهم عن الاستماع إلى دعوته، و قوله: «وَ اسْتَعْشَوْا بِبِهْتُمْ» أى غطوا بها رءوسهم و وجوههم لئلا يرونى و لا يسمعوا كلامى و هو كناية عن التنفر و عدم الاستماع إلى قوله.

وقوله: «وَ أَصْرُوا وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا» أى و ألحوا على الامتناع من الاستماع و استكبروا عن قبول دعوتى استكبارا عجيبا.

قوله تعالى: «ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا» «ثُمَّ» للتراخى بحسب رتبه الكلام و الجهار النداء بأعلى الصوت.

قوله تعالى: «ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا» الإعلان و الإسرار متقابلان

و هما الإظهار و الإخفاء، و ظاهر السياق أن مرجع ضمير لهم فى الموضوعين واحد فالمعنى دعوتهم سرا و علانيه فتاره علانيه و تاره سرا سالكا فى دعوتى كل مذهب ممكن و سائرا فى كل مسير مرجو.

قوله تعالى: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا - إِلَى قَوْلِهِ - أَنْهَارًا» علل أمرهم بالاستغفار بقوله: «إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا» دلالة على أنه تعالى كثير المغفرة و هى مضافا إلى كثرتها منه سنة مستمره له تعالى.

و قوله: «يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا» مجزوم فى جواب الأمر، و المراد بالسما السحاب، و المدرار كثير الدرور بالأمطار.

و قوله: «وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ» الأمداد إلحاق المدد و هو ما يتقوى به الممد على حاجته، و الأموال و البنون أقرب الأعضاد الابتدائية التى يستعين بها المجتمع الإنسانى على حوائجه الحيويه.

و قوله: «وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَدَاتٍ وَ يَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا» هما من قسم الأموال غير أنهما لكونهما من أبسط ضروريات المعاش خصا بالذكر.

و الآيات - كما ترى - تعد النعم الدنيويه و تحكى عنه (ع) أنه يعد قومه توافر النعم و تواترها عليهم أن استغفروا ربهم فلمغفره الذنوب أثر بالغ فى رفع المصائب و النعمات العامه و انفتاح أبواب النعم من السماء و الأرض أى إن هناك ارتباطا خاصا بين صلاح المجتمع الإنسانى و فساده و بين الأوضاع العامه الكونيه المربوطه بالحياه الإنسانيه و طيب عيشه و نكده.

كما يدل عليه قوله تعالى: «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ» الروم ٤١، و قوله: «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ»: الشورى ٣٠، و قوله: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» الأعراف ٩٤، و قد تقدم فى تفسير الآيات ما لا يخلو من نفع فى هذا المقام.

قوله تعالى: «مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا» استفهام إنكارى و الوقار - كما فى المجمع، - بمعنى العظمه اسم من التوقير بمعنى التعظيم، و الرجاء مقابل الخوف و هو الظن بما فيه مسره، و المراد به فى الآيه مطلق الاعتقاد على ما قيل، و قيل: المراد به الخوف للملازمه بينهما.

و المعنى: أى سبب حصل لكم حال كونكم لا تعتقدون أو لا تخافون لله عظمه توجب أن تعبدوه.

و الحق أن المراد بالرجاء معناه المعروف و هو ما يقابل الخوف و نفيه كناية عن اليأس فكثيرا ما يكتفى به عنه يقال: لا أرجو فيه خيرا أى أنا آيس من أن يكون فيه خير، و الوقار الثبوت و الاستقرار و التمکن و هو الأصل فى معناه كما صرح به فى المجمع، و وقاره تعالى ثبوته و استقراره فى الربوبية المستتبع لألوهيته و معبوديته.

كان الوثنيين طلبوا ربا له وقار فى الربوبية لعبدوه فيئسوا منه تعالى فعبدوا غيره و هو كذلك فإنهم يرون أنه تعالى لا يحيط به أفهامنا فلا- سبيل للتوجه العبادى إليه، و العبادة أداء لحق الربوبية التى يتفرع عليها تدبير الأمر و تدبير أمور العالم مفوض إلى أصناف الملائكة و الجن فهم أربابنا الذين يجب علينا عبادتهم ليكونوا شفعاء لنا عند الله، و أما هو تعالى فليس له إلا الإيجاد إيجاد الأرباب و مربوبيهم جميعا دون التدبير.

و الآيه أعنى قوله: ﴿لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ و ما يتلوها إلى تمام سبع آيات مسوقه لإثبات وقاره تعالى فى الربوبية و حجه قاطعه فى نفى ما لفقوه لوجوب عباده غيره من الملائكة و غيرهم لاستناد تدبير العالم إليهم، و يتبين به إمكان التوجه العبادى إليه تعالى.

و محصل الحجة: ما الذى دعاكم إلى نفى ربوبيته تعالى المستتبع للألوهية و المعبودية و اليأس عن وقاره؟ و أنتم تعلمون أنه تعالى خلقكم و خلق العالم الذى تعيشون فيه طورا من الخلق لا ينفك عن هذا النظام الجارى فيه، و ليس تدبير الكون و من فيه من الإنسان إلا التطورات المخلوقة فى أجزائه و النظام الجارى فيه فكونه تعالى خالقا هو كونه مالكا مدبرا فهو الرب لا رب سواه فيجب أن يتخذ إليها معبودا.

و يتبين به صحه التوجه إليه تعالى بالعبادة فإننا نعرفه بصفاته الكريمة من الخلق و الرزق و الرحمه و سائر صفاته الفعلية فلنا أن نتوجه إليه بما نعرفه من صفاته (١).

ص: ٣١

١- ١) و إنما أخذناه بما نعرفه من صفاته الفعلية لأن من المنسوب إليهم أنهم ينكرون صفاته الذاتيه و يفسرونها بسلب النقائص فمعنى كونه حيا قديرا عليما عندهم أنه ليس بميت و لا عاجز و لا جاهل على أن الآيات أيضا تصفه بالصفات الفعلية، منه.

قوله تعالى: «وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا» حال من فاعل «لَا تَرْجُونَ» والأطوار جمع طور و هو حد الشيء و حاله التي هو عليها.

و محصل المعنى -لا ترجون لله وقارا في ربوبيه- و الحال أنه أنشأكم طورا بعد طور يستعقب طورا آخر فأنشأ الواحد منكم ترابا ثم نطفه ثم علقه ثم مضغه ثم جنينا ثم طفلا- ثم شابا ثم شيخا و أنشأ جمعكم مختلفه الأفراد في الذكوره و الأنوثة و الألوان و الهيئات و القوه و الضعف إلى غير ذلك، و هل هذا إلا التدبير فهو مدبر أمركم فهو ربكم.

قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا» مطابقه السماوات السبع بعضها لبعض كون بعضها فوق بعض أو تطابقهن و تماثلهن على الاحتمالين المتقدمين في تفسير أوائل سوره الملك.

و المراد بالرؤية العلم، و توصيف السماوات السبع -و الكلام مسوق سوق الحجه- يدل على أنهم كانوا يرون كونها سبعا و يسلمون ذلك فاحتج عليهم بالمسلم عندهم.

و كيف كان فوقوع حديث السماوات السبع في كلام نوح دليل على كونه مأثورا من الأنبياء ((ع)) من أقدم العهود.

قوله تعالى: «وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا» الآيات -كما يشهد به سياقها- مسوقه لبيان وقوع التدبير الإلهي على الإنسان بما يفيض عليه من النعم حتى تثبت ربوبيته فتجب عبادته.

و على هذا فكون الشمس سراجا هو كونها مضيئه لعالمنا و لولاها لانغمرنا في ظلمه ظلماء، و كون القمر نورا هو كونه منورا لأرضنا بنور مكتسب من الشمس فليس منورا بنفسه حتى يعد سراجا.

و أما أخذ السماوات طرفا للقمر في قوله: «وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا» فالمراد به كما قيل كونه في حيزهن و إن كان في واحده منها كما تقول: إن في هذه الدور لبثا و إن كانت في واحده منها لأن ما كان في إحداهن كان فيهن و كما تقول: أتيت بني تميم و إنما أتيت بعضهم.

قوله تعالى: «وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ لَبَاتًا» أي أنبتكم إنبات النبات و ذلك أن

الإنسان تنتهى خلقته إلى عناصر أرضيه تركبت تركبا خاصا به يغتذى و ينمو و يولد المثل، و هذه حقيقه النبات، فالكلام مسوق سوق الحقيقه من غير تشبيه و استعاره.

قوله تعالى: «ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا» الإِعادَه فيها بالإِمامه و الإِقبَار، و الإِخراج للجزء يوم القيامه فالآيه و التى قبلها قريبتا المعنى من قوله تعالى: «فِيهَا تَحْيَوْنَ وَ فِيهَا تَمُوتُونَ وَ مِنْهَا تُخْرَجُونَ»: الأعراف: ٢٥.

و فى قوله: «و يُخْرِجُكُمْ» دون أن يقول: ثم يخرجكم إيماء إلى أن الإِعادَه و الإِخراج كالصنع الواحد و الإِعادَه مقدمه للإِخراج، و الإنسان فى حالتى الإِعادَه و الإِخراج فى دار الحق كما أنه فى الدنيا فى دار الغرور.

قوله تعالى: «وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بَسَاطًا» أى كالبساط يسهل لكم التقلب من جانب إلى جانب، و الانتقال من قطر إلى قطر.

قوله تعالى: «لَتَشِيلُنَّو مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا» السبل جمع سبيل بمعنى الطريق و الفجاج جمع فج بمعنى الطريق الواسعه، و قيل: الطريق الواقعه بين الجبلين.

قوله تعالى: «قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَ وَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا» رجوع منه (ع) إلى شكواه من قومه إلى ربه بعد ما ذكر تفصيل دعوته لهم و ما ألقاه من القول إليهم من قوله: «ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا» إلى آخر الآيات.

و شكواه السابق له قوله: «فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا» بعد ما أخبر بإجمال دعوته بقوله: «رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهَارًا».

و فى الآيه دلالة على أن العظماء المترفين من قومه (ع) كانوا يصدون الناس عنه و يحرضونهم على مخالفته و إيذائه.

و معنى قوله: «لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَ وَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا»- و قد عد المال و الولد فى سابق كلامه من النعم- أن المال و الولد اللذين هما من نعمك و كان يجب عليهم شكرهما لم يزيداهم إلا كفرا و أورثهم ذلك خسرانا من رحمتك.

قوله تعالى: «وَ مَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا» الكبار اسم مبالغه من الكبر.

قوله تعالى: «وَ قَالُوا لَا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَ لَا تَدْرُنَّ وِدًّا وَ لَا سُوءَاعًا وَ لَا يُعُوثَ وَ يُعُوقَ وَ نَسِيرًا» توصيه منهم بالتمسك بالهتهم و عدم ترك عبادتها.

وود و سواع و يغوث و يعوق و نسر خمس من آلهتهم لهم اهتمام تام بعبادتهم و لذا خصوها بالذكر مع الوصيه بمطلق الآلهه، و لعل تصدير ود و ذكر سواع و يغوث بلا المؤكده للنفي لكونها أعظم أمرا عندهم من يعوق و نسر و الله أعلم.

قوله تعالى: « وَ قَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَ لَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا » ضمير « أَضَلُّوا » للرؤساء المتبوعين و يتأيد به أنهم هم المحدث عنهم في قوله: « وَ مَكَرُوا » « وَ قَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ » و قيل: الضمير للأصنام فهم المضلون، و لا يخلو من بعد.

و قوله: « وَ لَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا » دعاء من نوح على الظالمين بالضلال و المراد به الضلال مجازاه دون الضلال الابتدائي فهو دعاء منه أن يجازيهم الله بكفرهم و فسقهم مضافا إلى ما سيحكي عنه من دعائه عليهم بالهلاك.

بحث روائى

في نهج البلاغه: و قد جعل الله سبحانه الاستغفار سببا لدرور الرزق- و رحمه الخلق فقال سبحانه: « إِيَّاكَ تَغْفِرُونَ رَبُّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا - يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَ يُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَيْنِينَ » فرحم الله امرأ استقبل توبته، و استقال خطيئته، و بادر منيته أقول: و الروايات في استفادته سببيه الاستغفار لسعه الرزق و الأمداد بالأولاد من هذه الآيات كثيره.

و في الخصال، عن علي (ع) في حديث الأربعمائه*: أكثر الاستغفار تجلب الرزق.

و في تفسير القمي، في روايه أبي الجارود عن أبي جعفر (ع)* في قوله تعالى: « لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا » قال؟ لا تخافون الله عظمه:.

أقول: و قد روى هذا المعنى من طرق أهل السنه عن ابن عباس .

و فيه، في روايه أبي الجارود عن أبي جعفر (ع)* في قوله تعالى: « سَبَّحَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا » يقول بعضها فوق بعض .

و فيه، في قوله تعالى: « رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي - وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَ وَ لَدَّهُ إِلَّا خَسَارًا » قال: اتبعوا الأغنياء.

و فى الدر المنثور، أخرج البخارى و ابن المنذر و ابن مردويه عن ابن عباس قال "صارت الأصنام و الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد.

أما ود فكانت لكلب فى دومه الجندل، و أما سواع فكانت لهذيل، و أما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف عند سبيا، و أما يعوق فكانت لهمدان، و أما نسر فكانت لحمير لآل ذى الكلاع.

و كانوا أسماء رجال صالحين من قوم نوح- فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم- أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصابا- و سموها بأسمائهم ففعلوا- فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك و نسخ العلم عبت.

أقول: لعل المراد بصيروره تلك الأصنام التى كانت لقوم نوح إلى العرب مطابقه ما عند العرب لما كان عندهم فى الأسماء أو فى الأوصاف و الأسماء، و أما انتقال تلك الأصنام بأشخاصهن إلى العرب فبعيد غاية.

و روى القصة أيضا فى علل الشرائع، بإسناده عن جعفر بن محمد (ع) كما فى الروايه

و فى روضه الكافى، بإسناده عن المفضل عن أبى عبد الله (ع) فى حديث: فعمل نوح سفينته فى مسجد الكوفه بيده- فأتى بالخشب من بعد حتى فرغ منها.

قال: فالتفت عن يساره- و أشار بيده إلى موضع دار الدارين- و هو موضع دار ابن حكيم، و ذاك فرات اليوم، فقال لى يا مفضل و هنا نصبت أصنام قوم نوح: يغوث و يعوق و نسر.

[سوره نوح (٧١): الآيات ٢٥ الى ٢٨]

اشاره

مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا (٢٥) وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨)

تتضمن الآيات هلاك القوم و تتمه دعاء نوح (ع) عليهم.

قوله تعالى: «مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا» إلخ «مِنْ» لا ابتداء الغايه تفيد بحسب المورد التعليل و «مِمَّا» زائده لتأكيد أمر الخطايا و تفخيمه، و الخطيئات المعاصي و الذنوب، و تنكير النار للتفخيم.

و المعنى: من أجل معاصيهم و ذنوبهم أغرقوا بالطوفان فأدخلوا-أدخلهم الله-نارا لا يقدر عذابها بقدر، و من لطيف نظم الآيه الجمع بين الإغراق بالماء و إدخال النار.

و المراد بالنار نار البرزخ التي يعذب بها المجرمون بين الموت و البعث دون نار الآخرة، و الآيه من أدله البرزخ إذ ليس المراد أنهم أغرقوا و سيدخلون النار يوم القيامة، و لا يعاب بما قيل: إن من الجائر أن يراد بها نار الآخرة.

و قوله: «فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا» أى ينصرونهم فى صرف الهلاك و العذاب عنهم. تعريض لأصنامهم و آلهتهم.

قوله تعالى: «وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا» الديار نازل الدار، و الآيه تتمه دعائه (ع) عليهم، و كان قوله: «مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا» إلخ معترضا واقعا بين فقرتى الدعاء للإشارة إلى أنهم أهلكوا لما عد نوح من خطيئاتهم و لتكون كالتمهيد لسؤاله الهلاك فيبين أن إغراقهم كان استجابته لدعائه، و أن العذاب استوعبهم عن آخرهم.

قوله تعالى: «إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَ لَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا» تعليل لسؤال إهلاكهم عن آخرهم مفاده أن لا فائده فى بقائهم لا لمن دونهم من المؤمنين فإنهم يضلونهم، و لا فيمن يلدونه من الأولاد فإنهم لا يلدون إلا فاجرا كفارا-و الفجور الفسق الشنيع و الكفار المبالغ فى الكفر.

و قد استفاد (ع) ما ذكره من صفتهم من الوحي الإلهي على ما تقدم فى تفسير قصه نوح من سوره هود.

قوله تعالى: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِوَالِدَيَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ»

«إلخ» المراد بمن دخل بيته مؤمناً المؤمنون به من قومه، و بالمؤمنين و المؤمنات عامتهم إلى يوم القيامة.

و قوله: «و لا تزد الظالمين إلا تباراً» التبار الهلاك، و الظاهر أن المراد بالتبار ما يوجب عذاب الآخرة و هو الضلال و هلاك الدنيا بالغرق، و قد تقدما جميعاً في دعائه، و هذا الدعاء آخر ما نقل من كلامه (ع) في القرآن الكريم.

(٧٢) سورة الجن مكيه و هي ثمان و عشرون آيه (٢٨)

[سورة الجن (٧٢): الآيات ١ الى ١٧]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَ أَنَّهُ
تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَ لَا وَلَدًا (٣) وَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَ أَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ
اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَ أَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا مُلْتَأَةً فَخَشَا شِدِيدًا وَ شُهَبًا (٨) وَ أَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ
لَهُ شُهَابًا رَصَدًا (٩) وَ أَنَا لَا نَدْرِي أَسْرُّ أُرِيدُ بَعْدَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَ أَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَ مِنَّا دُونَ ذَلِكَ
كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١) وَ أَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَ لَنْ نَعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَ أَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ
فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَ لَا رَهَقًا (١٣) وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَ مِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا
لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) وَ أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقِ لَأَسْتَفْتِنَاهُمْ مَاءً عَذَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ مَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا
صَعَدًا (١٧)

ص: ٣٧

تشير السوره إلى قصه نفر من الجن استمعوا القرآن فأمنوا به و أقرأوا بأصول معارفه، و تتخلص منها إلى تسجيل نبوه النبي ص، و الإشاره إلى وحدانيته تعالى في ربوبيته و إلى المعاد، و السوره مكيه بشهاده سياقها.

قوله تعالى: «قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْمِ تَمَعٍ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ» أمر للنبي ص أن يقص القصه لقومه، و الموحى هو الله سبحانه، و مفعول «اسْمِ تَمَعٍ» القرآن حذف لدلاله الكلام عليه، و نفر الجماعه من ثلاثه إلى تسعه على المشهور، و قيل: بل إلى أربعين.

و العجب بفتحيتين ما يدعو إلى التعجب منه لخروجه عن العاده الجاربه في مثله، و إنما وصفوا القرآن بالعجب لأنه كلام خارق للعادة في لفظه و معناه أتى به رجل أمى ما كان يقرأ و لا يكتب.

و الرشد إصابه الواقع و هو خلاف الغى، و هدايه القرآن إلى الرشد دعوته إلى عقائد و أعمال تتضمن للمتلبس بها سعاده الواقعيه.

و المعنى: يا أيها الرسول قل للناس: أُوحِيَ - أى أوحى الله- إلى أنه استمع القرآن جماعه من الجن فقالوا- لقومهم لما رجعوا إليهم- إنا سمعنا كلاما مقروا خارقا للعادة يهدى إلى معارف من عقائد و أعمال في التلبس بها إصابه الواقع و الظفر بحقيقه السعاده.

الجن نوع من الخلق مستورون من حواسنا يصدق القرآن الكريم بوجودهم و يذكر أنهم بنوعهم مخلوقون قبل نوع الإنسان، و أنهم مخلوقون من النار كما أن الإنسان مخلوق من التراب قال تعالى: «وَ الْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ»: الحجر ٢٧.

و أنهم يعيشون و يموتون و يبعثون كالإنسان قال تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَ الْإِنْسِ»: الأحقاف ١٨.

و أن فيهم ذكورا و إناثا يتكاثرون بالتوالد و التناسل قال تعالى: «وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنَّ»: الجن ٦.

و أن لهم شعورا و إرادة و أنهم يقدرون على حركات سريعة و أعمال شاقه كما فى قصص سليمان(ع) و تسخير الجن له و قصه ملكه سبأ.

و أنهم مكلفون كالإنسان، منهم مؤمنون و منهم كفار، و منهم صالحون و آخرون طالحون، قال تعالى: «وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيُعْبُدُونِ»: الذاريات ٥٤ و قال تعالى: «إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ»: الجن: ٢ و قال: «وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَ مِنَّا الْقَاسِطُونَ»: الجن ١٤ و قال: «وَ أَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَ مِنَّا دُونَ ذَلِكَ»: الجن ١١ و قال تعالى: «قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ»: الأحقاف ٣١ إلى غير ذلك من خصوصيات أحوالهم التى تشير إليها الآيات القرآنيه.

و يظهر من كلامه تعالى أن إبليس من الجن و أن له ذريه و قبيلة قال تعالى: «كَانَ مِنَ الْجِنَّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ»: الكهف ٥٠ و قال تعالى: «أَفَتَتَّبِعُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي»: الكهف: ٥٠ و قال تعالى: «إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَ قَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ» الأعراف ٢٧.

[بيان]

قوله تعالى: «فَأَمَّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا» إخبار عن إيمانهم بالقرآن و تصديقهم بأنه حق، و قوله: «وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا» تأكيد لمعنى إيمانهم به أن إيمانهم بالقرآن إيمان بالله الذى أنزله فهو ربهم، و أن إيمانهم به تعالى إيمان توحيد لا يشركون به أحدا أبدا.

قوله تعالى: «وَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا» فسر الجد بالعظمه و فسر بالحظ، و الآيه فى معنى التأكيد لقولهم: «وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا».

و القراءه المشهوره «أَنَّهُ» بالفتح، و قرئ بالكسر فى هذه الآيه و فيما بعدها من الآيات - اثنا عشر موردا- إلى قوله: «وَ أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا» «بِالْفَتْحِ وَ هُوَ الْأَرْجَحُ لظهور سياق الآيات فى أنها مقوله قول الجن.

و أما قراءه الفتح فوجهها لا يخلو من خفاء، و قد وجهها بعضهم بأن الجملة «وَ أَنَّهُ» «إِلخ» معطوفه على الضمير المجرور فى قوله «فَأَمَّا بِهِ» و التقدير و آمننا بأنه تعالى جد ربنا إلخ فهو إخبار منهم بالإيمان بنفى صاحبه و الولد منه تعالى على ما يقول به الوثنيون.

و هذا إنما يستقيم على قول الكوفيين من النحاه بجواز العطف على الضمير المتصل المجرور، و أما على قول البصريين منهم من عدم جوازه فقد وجهه بعضهم كما عن الفراء و الزجاج و الزمخشري بأنها معطوفه على محل الجار و المجرور و هو النصب فإن قوله:

«فَأَمَّا بِهِ» فى معنى صدقناه، و التقدير و صدقنا أنه تعالى جد ربنا إلخ، و لا يخفى ما فيه من التكلف.

و وجهه بعضهم بتقدير حرف الجر فى الجملة المعطوفه و ذلك مطرد فى أن و أن، و التقدير آمننا به و بأنه تعالى جد ربنا «إِلخ».

و يرد على الجميع أعم من العطف على الضمير المجرور أو على محله أو بتقدير حرف الجر أن المعنى إنما يستقيم حينئذ فى قوله: «وَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا» إلخ، و قوله: «وَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا» إلخ، و أما بقيه الآيات المصدرة بأن كقوله: «وَ أَنَا ظَنَّنَا أَنْ لَنْ نَقُولَ» إلخ، و قوله: «وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالًا مِنَ الْإِنْسِ» إلخ، و قوله: «وَ أَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ» فلا يصح قطعاً فلا معنى لأن يقال: آمننا أو صدقنا أننا ظننا أن لن نقول الإنس و الجن على الله شططا، أو يقال: آمننا أو صدقنا أنه كان رجال من الإنس يعوذون إلخ، أو يقال: آمننا أو صدقنا أننا لمسنا السماء إلخ.

و لا يندفع الإشكال إلا بالمصير إلى ما ذكره بعضهم أنه إذا وجه الفتح فى الآيتين الأوليين بتقدير الإيمان أو التصديق فليوجه فى كل من الآيات الباقية بما يناسبها من التقدير.

و وجه بعضهم الفتح بأن قوله: «وَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ» إلخ و سائر الآيات المصدرة بأن

معطوفه على قوله: «أَنَّهُ اسْتَمَعَ» إلخ.

ولا يخفى فساده فإن محصله أن الآيات فى مقام الإخبار عما أوحى إلى النبى ص من أقوالهم وقد أخبر عن قولهم: إنا سمعنا قرآنا عجبا فآمنا به بعنوان أنه إخبار عن قولهم ثم حكى سائر أقوالهم بألفاظها فالمعنى أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا كذا وكذا وأوحى إلى أنه تعالى جد ربنا «إلخ» وأوحى إلى أنه كان يقول سفيها إلى آخر الآيات.

فيرد عليه أن ما وقع فى صدر الآيات من لفظه «أَنَّهُ» و«أَنَّهُمْ» و«أَنَا» إن لم يكن جزء من لفظهم المحكى كان زائدا مخلا بالكلام، وإن كان جزء من كلامهم المحكى بلفظه لم يكن المحكى من مجموع أن وما بعدها كلاما تاما واحتاج إلى تقدير ما يتم به كلاما حتى تصح الحكاياه، ولم ينفع فى ذلك عطفه على قوله: «أَنَّهُ اسْتَمَعَ» شيئا فلا تغفل.

قوله تعالى: «وَأَنَّهُ كَانَ يَاقُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا» السفه -على ما ذكره الراغب- خفه النفس لنقصان العقل، والشطط القول البعيد من الحق.

والآية أيضا فى معنى التأكيد لقولهم: «لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا» ومرادهم بسفيهم من سبقهم من مشركى الجن، وقيل: المراد إبليس وهو من الجن، وهو بعيد من سياق قوله: «كَانَ يَقُولُ سَفِيهًا» إلخ.

قوله تعالى: «وَأَنَا ظَنْنَا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» اعتراف منهم بأنهم ظنوا أن الإنس والجن صادقون فيما يقولون ولا يكذبون على الله فلما وجدوهم مشركين وسمعوهم ينسبون إليه تعالى صاحبه والولد أذعنوا به وقلدوهم فيما يقولون فأشركوا مثلهم حتى سمعوا القرآن فأنكشف لهم الحق، وفيه تكذيب منهم للمشركين من الإنس والجن.

قوله تعالى: «وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا» قال الراغب: العوذ الالتجاء إلى الغير، وقال: رهقه الأمر غشيه بقهر انتهى. وفسر الرهق بالإثم، وبالطغيان، وبالخوف، وبالشر، وبالذلة والضعف، وهى تفاسير بلازم المعنى.

و المراد بعوذ الإنس بالجن -على ما قيل: إن الرجل من العرب كان إذا نزل الوادى فى سفره ليلا قال: أعوذ بعزير هذا الوادى من شر سفهاء قومه، ونقل عن مقاتل أن أول من تعوذ بالجن قوم من اليمن ثم بنو حنيفه ثم فشا فى العرب.

و لا يبعد أن يكون المراد بالعوذ بالجن الاستعانه بهم فى المقاصد من طريق الكهان، و إليه يرجع ما نقل عن بعضهم أن المعنى كان رجال من الإنس يعوذون برجال من أجل الجن و من معرفتهم و أذاهم.

و الضميران فى قوله: «فَزَادُوهُمْ» أو لهما لرجال من الإنس و ثانيهما لرجال من الجن و المعنى فزاد رجال الإنس رجال الجن رهقا بالتجائهم إليهم فاستكبر رجال الجن و طغوا و أثموا، و يجوز العكس بأن يكون الضمير الأول لرجال الجن و الثانى لرجال الإنس، و المعنى فزاد رجال الجن رجال الإنس رهقا أى إثما و طغيانا أو ذله و خوفا.

قوله تعالى: «وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا» ضمير «أنهم» لرجال من الإنس، و الخطاب فى «ظَنَنْتُمْ» لقومهم من الجن، و المراد بالبعث بعث الرسول بالرسالة فالمشركون ينكرون ذلك، و قيل: المراد به الإحياء بعد الموت، و سياق الآيات التالىة يؤيد الأول.

و عن بعضهم أن هذه الآيه و التى قبلها ليستا من كلام الجن بل كلامه تعالى معترضا بين الآيات المتضمنه لكلام الجن، و عليه فضمير «أَنَّهُمْ» للجن و خطاب «ظَنَنْتُمْ» للناس، و فيه أنه بعيد من السياق.

قوله تعالى: «وَ أَنَا لَمُسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَ شُهْبًا» لمس السماء الاقتراب منها بالصعود إليها، و الحرس -على ما قيل- اسم جمع لحارس و لذا وصف بالمفرد و المراد بالحرس الشديد الحفاظ الأقوياء فى دفع من يريد الاستراق منها و لذا شفع بالشهب و هى سلاحهم.

قوله تعالى: «وَ أَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا» يفيد انضمام صدر الآيه إلى الآيه السابقه أن ملء السماء بالحرس الشديد و الشهب مما حدث أخيرا و أنهم كانوا من قبل يقعدون من السماء مقاعد لاستماع كلام الملائكه و يفيد ذيل الآيه بالتفريع على جميع ما تقدم أن من يستمع الآن منا بالقعود منها مقعدا للسمع يجد له

شهاباً من صفته أنه راصد له يرميه به الحرس.

فيتحصل من مجموع الآيتين الإخبار بأنهم عثروا على حادثه سماويه جديده مقارنة لنزول القرآن و بعثه النبي ص و هي منع الجن من تلقى أخبار السماء باستراق السمع.

و من عجيب الاستدلال ما عن بعضهم أن في الآيتين ردا على من زعم أن الرجم حدث بعد مبعث رسول الله ص لظهور قوله: «مُلِئَتْ حَرَساً» في أن الحادث هو الملاء و كثره الحرس لا أصل الحرس، و ظهور قوله: «نَقَعِدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ» في أنا كنا نجد فيها بعض المقاعد خاليا من الحرس و الشهب، و الآن ملئت المقاعد كلها فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً.

و يدفعه أنه لو كان المراد بالآيتين هو الإخبار عن ملء السماء بالحرس و تكثير عددهم بحيث لا يوجد فيها مقاعد خاليه منهم و قد كانت توجد قبل ذلك كان الواجب أن يتوجه النفي في قوله: «فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَاباً رَصِداً» إلى السمع عن جميع المقاعد قبال إثبات السمع من بعض تلك المقاعد لا نفى مجرد السمع.

سلمنا أن المراد نفى السمع على الإطلاق و هو يكفي في ذلك لكن تعلق الغرض في الكلام بالإخبار عن الامتلاء بالحرس مع كون بعض المقاعد خاليه عنهم قبل ذلك، و كذا تقييد قوله: «فَمَنْ يَسْتَمِعِ إلخ، بقوله: «الآنَ» يدل على حدوث أمر جديد في رجم الجن و هو استيعاب الرجم لهم في أى مقعد قعدوا و المنع من السمع مطلقاً بعد ما كانوا يستمعون من بعض المقاعد من غير منع، و هذا المقدار كاف للمدعى فيما يدعيه.

و ليتنبه أن مدلول الآيه حدوث رجم الجن بشهاب رصد و هو غير حدوث الشهاب السماوى و هو ظاهر فلا ورود لما قيل: إن الشهب السماويه كانت من الحوادث الجويه الموجوده قبل زمن النبي ص و نزول القرآن.

وجه عدم الورود أن الذى يظهر من القرآن حدوث رجم الشياطين من الجن بالشهب من غير تعرض لحدوث أصل الشهب، و قد تقدم فى تفسير أول سوره الصافات بعض ما يتعلق بهذا المقام.

قوله تعالى: «وَ أَنَا لَا نَدْرِي أَ شَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً»

الرشد بفتحين و الرشد بالضم فالسكون خلاف الغى و تنكير «رَشْدًا» لإفاده النوع أى نوعا من الرشد.

هذا منهم إظهار للجهل و التحير فيما شاهدوه من أمر الرجم و منع شياطين الجن من الاطلاع على أخبار السماء غير أنهم تنبهوا على أن ذلك لأمر ما يرجع إلى أهل الأرض إما خير أو شر و إذا كان خيرا فهو نوع هدى لهم و سعادته و لذا بدلوا الخير و هو المقابل للشر من الرشد، و يؤيده قولهم: «أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ» المشعر بالرحمة و العناية.

و قد صرحوا بالفاعل لإرادته الرشد و حذفوه فى جانب الشر أدبا و لا يراد شر من جانبه تعالى إلا لمن استحقه.

قوله تعالى: «وَ أَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَ مِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا» الصلاح مقابل الطلاح، و المراد بدون ذلك ما يقرب منه رتبة- على ما قيل-، و الظاهر أن دون بمعنى غير، و يؤيده قوله: «كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا» الدال على التفرق و التشتت و الطرائق جمع طريقه و هى الطريق المطروقه المسلوكة، و القدد القطع جمع قده بمعنى قطعه من القد بمعنى القطع و صفت الطرائق بالقدد لأن كل واحده منها مقطوعه عن غيرها تنتهى بسالكها إلى غايه غير ما ينتهى به إليه غيرها، و إلى هذا المعنى يرجع تفسير القدد بالطرائق المتفرقه المتشتته.

و الظاهر أن المراد بقوله: «الصَّالِحُونَ» الصالحون بحسب الطبع الأولى فى المعاشره و المعامله دون الصالحين بحسب الإيمان، و لو كان المراد صلاح الإيمان لكان الأنسب أن يذكر بعد ما سيجىء من حديث إيمانهم لما سمعوا الهدى.

و ذكر بعضهم أن قوله: «طَرَائِقَ قَدَدًا» منصوب على الظرفيه أى فى طرائق قدد و هى المذاهب المتفرقه المتشتته، و قال آخرون إنه على تقدير مضاف أى ذوى طرائق، و لا يبعد أن يكون من الاستعاره بتشبيهم أنفسهم فى الاختلاف و التباين بالطرق المقطوع بعضها من بعض الموصله إلى غايات متشتته.

و المعنى: و أنا منا الصالحون طبعاً و منا غير ذلك كنا فى مذاهب مختلفه أو ذوى مذاهب مختلفه أو كالطرق المقطوعه بعضها عن بعض.

قوله تعالى: «وَ أَنَا ظَنَّنَا أَن لَّنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا» الظن هو

العلم اليقيني، والأنسب أن يكون المراد بقوله: «لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ» إعجازه تعالى بالغلبه عليه فيما يشاء فيها وذلك بالإفساد في الأرض وإخلال النظام الذي يجرى فيها فإن إفسادهم لو أفسدوا من القدر، والمراد بقوله: «وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا» إعجازه تعالى بالهرب منه إذا طلبهم حتى يفوتوه فلا يقدر على الظفر بهم وقيل: المعنى لن نعجزه تعالى كائنين في الأرض ولن نعجزه هرباً إلى السماء أى لن نعجزه لا في الأرض ولا في السماء هذا وهو كما ترى.

قوله تعالى: «وَ أَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا» المراد بالهدى القرآن باعتبار ما يتضمنه من الهدى، والبخس النقص على سبيل الظلم، والرهق غشيان المكروه.

والفاء في قوله: «فَمَنْ يُؤْمِنُ» للتفريع وهو من تفريع العله على المعلول لإفاده الحجه في إيمانهم بالقرآن من دون ريث ولا مهل.

ومحصل المعنى: أنا لما سمعنا القرآن الذي هو الهدى بادرنا إلى الإيمان به من دون مكث لأن من آمن به فقد آمن بربه ومن يؤمن بربه فلا يخاف نقصانا في خير أو غشيانا من مكروه حتى يكف عن المبادره والاستعجال ويتروى في الإقدام عليه لثلا يقع في بخس أو رهق.

قوله تعالى: «وَ أَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْقَاسِطُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا» المراد بالإسلام تسليم الأمر لله تعالى فالمسلمون المسلمون له الأمر المطيعون له فيما يريد به، والقاسطون هم المائلون إلى الباطل قال في المجمع: القاسط هو العادل عن الحق والمقسط العادل إلى الحق، انتهى.

والمعنى: أنا معشر الجن منقسمون إلى من يسلم لأمر الله مطيعين له، وإلى من يعدل عن التسليم لأمر الله وهو الحق.

وقوله: «فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا» تحرى الشيء توخيه وقصده، والمعنى فالذين أسلموا فأولئك قصدوا إصابه الواقع و الظفر بالحق.

قوله تعالى: «وَ أَنَا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا» فيعذبون بتسعرهم و اشتعالهم بأنفسهم كالقاسطين من الإنس قال تعالى: «فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ» البقره ٢٦.

وقد عد كثير منهم قوله: «فَمَنْ أَسْلَمَ فَأَوْلِيكَ» - إلى قوله - لِيَجْهَنَّمَ حَطْبًا تَتَمَّهُ لِكَلَامِ الْجِنِّ يَخَاطَبُونَ بِهِ قَوْمَهُمْ وَقِيلَ: إِنَّهُ مِنْ كَلَامِهِ تَعَالَى يَخَاطَبُ بِهِ النَّبِيَّ ص.

قوله تعالى: «وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ»:

«أَنْ» مخففه من الثقيله، والمراد بالطريقه طريقه الإسلام، والاستقامه عليها لزومها والثبات على ما تقتضيه من الإيمان بالله و آياته.

والماء الغدق الكثير منه، ولا يبعد أن يستفاد من السياق أن قوله: «لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا» مثل أريد به التوسع في الرزق، ويؤيده قوله بعده: «لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ».

والمعنى: وأنه لو استقاموا أى الجن والإنس على طريقه الإسلام لله لرزقناهم رزقا كثيرا لئلا نمتحنهم فى رزقهم فالآيه فى معنى قوله: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»: الأعراف ٩٦.

و الآيه من كلامه تعالى معطوف على قوله فى أول السوره: «أَنَّهُ اسْتَمَعَ» إلخ.

قوله تعالى: «وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صِدْرًا» العذاب الصعد هو الذى يتصعد على المعذب و يغلبه، وقيل: هو العذاب الشاق.

و الإعراض عن ذكر الله لازم عدم الاستقامه على الطريقه و هو الأصل فى سلوك العذاب، و لذا وضع موضعه ليدل على السبب الأصلي فى دخول النار.

و هو الوجه أيضا فى الالتفات عن التكلم مع الغير إلى الغيبه فى قوله: «ذِكْرُ رَبِّهِ» و كان مقتضى الظاهر أن يقال: ذكرنا و ذلك أن صفه الربوبيه هى المبدأ الأصلي لتعذيب المعرضين عن ذكره تعالى فوضعت موضع ضمير المتكلم مع الغير ليدل على المبدأ الأصلي كما وضع الإعراض عن الذكر موضع عدم الاستقامه ليدل على السبب.

قيل: و قوله: «يَسْلُكْهُ» مضمن معنى يدخله و لذا عدى إلى المفعول الثانى، و المعنى ظاهر.

بحث روائى

فى المجمع، روى الواحدى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: " ما قرأ رسول الله ص على الجن و ما رآهم، انطلق رسول الله ص فى طائفه من أصحابه - عامدين إلى

سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين و بين خبر السماء-فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم: قالوا: حيل بيننا و بين خبر السماء- و أرسلت علينا الشهب-قالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث-فاضربوا مشارق الأرض و مغاربها.

فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامه بالنبي ص-عامدين إلى سوق عكاظ-و هو يصلى بأصحابه صلاة الفجر-فلما سمعوا القرآن استمعوا له و قالوا: هذا الذى حال بيننا و بين خبر السماء-فرجعوا إلى قومهم و قالوا: «إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ- وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا» فأوحى الله إلى نبيه ص: «قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ» ..

و رواه البخارى و مسلم أيضا فى الصحيح .

أقول: و روى القمى فى تفسيره ما يقرب منه و قد أوردنا الروايه فى تفسير سورة الأحقاف فى ذيل قوله: «وَ إِذْ صَيَّرْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ» إلخ.

لكن ظاهر روايته أن النفر الذين نزلت فيهم آيات سورة الأحقاف هم النفر الذين نزلت فيهم هذه السورة و ظاهر آيات السورتين لا يلائم ذلك فإن ظاهر قولهم المنقول فى سورة الأحقاف: «إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ (مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ» الآيه أنهم كانوا مؤمنين بموسى و مصدقين للتوراه و ظاهر آيات هذه السورة أنهم كانوا مشركين لا يرون النبوه و لازم ذلك تغاير الطائفتين اللهم إلا أن يمنع الظهور.

وفيه، عن علقمه بن قيس قال: "قلت لعبد الله بن مسعود: من كان منكم مع النبي ص ليله الجن؟ فقال: ما كان منا معه أحد فقدناه ذات ليله و نحن بمكة-فقلنا: اغتيل رسول الله ص أو استطير-فانطلقنا نطلبه من الشعاب فلقيناه مقبلا من نحو حراء-فقلنا:

يا رسول الله أين كنت؟ لقد أشفقنا عليك، و قلنا له: بتنا الليلة بشر ليله بات بها قوم حين فقدناك، فقال لنا: إنه أتانى داعى الجن فذهبت أقرئهم القرآن-فذهب بنا و أرانا آثارهم و آثار نيرانهم-فأما أن يكون صحبه منا أحد فلا.

وفيه، و عن الربيع بن أنس قال: "ليس لله تعالى جد و إنما قالته الجن بجهاله-فحكاه الله سبحانه كما قالت:، و روى ذلك عن أبى جعفر و أبى عبد الله(ع) .

أقول: المراد بالجد المنفى عنه تعالى الحظ و البخت.

و فى الاحتجاج، عن على(ع) فى حديث: فأقبل إليه الجن و النبي ص ببطن

النخل-فاعتذروا بأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً، ولقد أقبل إليه أحد و سبعون ألفاً منهم-فبايعوه على الصوم و الصلاة و الزكاه-و الحج و الجهاد و نصح المسلمين- فاعتذروا بأنهم قالوا على الله شططا.

أقول:بيعتهم للنبي ص على الصوم و الصلاة إلخ،يصدقها قولهم المحكى فى أول السوره:«فَأَمَّا بِهٖ» و قولهم:«وَ إِذَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهٖ»،و أما كيفيه عملهم بها و خاصه بالزكاه و الجهاد فمجهوله لنا،و اعتذارهم الأول المذكور لا يخلو من خفاء.

و فى تفسير القمى،باسناده إلى زواره قال: سألت أبا جعفر عن قول الله:«وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا»قال:كان الرجل ينطلق إلى الكاهن-الذى يوحى إليه الشيطان-فيقول:قل للشيطان:فلان قد عاذ بك.

و فيه:،فى قوله تعالى:«فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا»قال:البخس النقصان،و الرهق العذاب.

:و سنل العالم عن مؤمنى الجن أ يدخلون الجنة؟فقال:لا- و لكن لله حظائر بين الجنة و النار-يكون فيها مؤمنوا الجن و فساق الشيعة.

أقول:لعل المراد بهذه الحظائر هى بعض درجات الجنة التى هى دون جنه الصالحين.

و اعلم أنه ورد فى بعض الروايات من طرق أئمه أهل البيت(ع)تطبيق ما فى الآيات من الهدى و الطريقه على ولايه على(ع)و هى من الجرى و ليست من التفسير فى شىء.

[سوره الجن (٧٢): الآيات ١٨ الى ٢٨]

اشاره

وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَجِدًا (٢٢) إِلَّا-بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا (٢٣) حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ بَصِيرًا وَ أَقَلُّ عَدَدًا (٢٤) قُلْ إِنْ أَدْرِي مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنْ إِزْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَ أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَ أَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨)

فى الآيات تسجيل للنبوه و ذكر وحدانيته تعالى و المعاد كالاستنتاج من القصة و تختتم بالإشارة إلى عصمه الرساله.

قوله تعالى: « وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا » معطوف على قوله: « أَنَّهُ اسْتَمَعَ » إلخ، و جملة « أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ » فى موضع التعليل لقوله: « فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا » و التقدير لا تدعوا مع الله أحدا غيره لأن المساجد له.

و المراد بالدعاء العباده و قد سماها الله دعاء كما فى قوله: « وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ »: المؤمن ٦٠.

و قد اختلف فى المراد من المساجد ف قيل: المراد به الكعبه، و قيل المسجد الحرام، و قيل: المسجد الحرام و بيت المقدس، و يدفعها كون المساجد جمعا لا ينطبق على الواحد و الاثنین.

و قيل: الحرم، و هو تهكم لا دليل عليه، و قيل: الأرض كلها

لقوله (ص): جعلت لى الأرض مسجدا و طهورا، و فيه أنه لا يدل على أزيد من جواز العباده فى أى بقعه من

بقاع الأرض خلافا لما هو المعروف عن اليهود و النصارى من عدم جواز عبادته تعالى فى غير البيع و الكنائس، و أما تسميه بقاعها مساجد حتى يحمل عليها عند الإطلاق فلا.

و قيل: المراد به الصلوات فلا يصلى إلا لله، و هو تهكم لا دليل عليه.

و عن الإمام الجواد(ع): أن المراد بالمساجد الأعضاء السبعة-التي يسجد عليها فى الصلاة-و هى الجبهة و الكفان و الركبتان و أصابع الرجلين، و ستوافيك روايته فى البحث الروائى التالى إن شاء الله، و نقل ذلك أيضا عن سعيد بن جبير و الفراء و الزجاج.

و الأنسب على هذا أن يكون المراد بكون مواضع السجود من الإنسان لله اختصاصها به اختصاصا تشريعيًا، و المراد بالدعاء السجده لكونها أظهر مصاديق العباده أو الصلاة بما أنها تتضمن السجود لله سبحانه.

و المعنى: و أوحى إلى أن أعضاء السجود يختص بالله تعالى فاسجدوا له بها-أو اعبدوه بها- لا تسجدوا-أو لا تعبدوا-أحدا غيره.

قوله تعالى « وَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًّا » اللبد بالكسر فالفتح جمع لبده بالضم فالسكون المجتمعه المتراكمه، و المراد بعبد الله النبى ص كما تدل عليه الآيه التالیه، و التعبير بعبد الله كالتمهيد لقوله فى الآيه التالیه: « قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي ».

و الأنسب لسياق الآيات التالیه أن يكون مرجع ضميرى الجمع فى قوله: « كَادُوا يَكُونُونَ » المشركين و قد كانوا يزدحمون عليه(ص) إذا صلى و قرأ القرآن يستهزءون و يرفعون أصواتهم فوق صوته على ما نقل.

و المعنى: و أنه لما قام النبى ص يعبد الله بالصلاه كاد المشركون يكونون بازدحامهم لبدًا مجتمعين متراكمين.

و قيل: الضميران للجن و أنهم اجتمعوا عليه و تراكموا ينظرون إليه متعجبين مما يشاهدون من عبادته و قراءته قرآنا لم يسمعوا كلاما يماثله.

و قيل: الضميران للمؤمنين بالنبى ص المجتمعين عليه اقتداء به فى صلاته إذا صلى و إنصاتا لما يتلوه من كلام الله.

و الوجهان لا يلائمان سياق الآيات التالیه تلك الملاءمه كما تقدمت الإشارة إليه.

قوله تعالى: « قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَ لَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا » أمر منه تعالى للنبى ص

أن يبين لهم وجه عبادته بيانا يزيل عنهم الحيره حيث رأوا منه ما لم يكونوا رأوه من أحد غيره، و يتعجبون حاملين له على نوع من المكيدة و المكر بأصنامهم أو خدعه بهم لأغراض آخر دنيويه.

و محصل البيان: أنى لست أريد بما آتى به من العمل شيئا من المقاصد التى تحسبونها و ترموننى بها و إنما أدعو ربى وحده غير مشرك به أحدا و عباده الإنسان لمن عرفه ربا لنفسه مما لا ينبغى أن يلام عليه أو يتعجب منه.

قوله تعالى: «قُلْ إِنِّي لَا أُمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا» الذى يفيدته سياق الآيات الكريمة أنه (ص) يبين فيها بأمر من ربه موقع نفسه و بالنسبه إلى ربه و بالنسبه إلى الناس.

أما موقعه بالنسبه إلى ربه فهو أنه يدعو و لا يشرك به أحدا و هو قوله: «قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا».

و أما موقعه بالنسبه إليهم فهو أنه بشر مثلهم لا يملك لهم ضرا و لا رشدا حتى يضرهم بما يريد أن يرشدهم من الخير إلى ما يريد بما عنده من القدره، و أنه مأمور من الله بدعوتهم أمرا ليس له إلا- أن يمتثله فلا- مجير يجيره منه و لا ملجأ يلتجئ إليه لو خالف و عصى كما ليس لهم إلا أن يطيعوا الله و رسوله و من يعص الله و رسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا، و سيعلمون إذا رأوا ما يوعدون.

و لازم هذا السياق أن يكون المراد بملك الضر القدره على إيقاع الضر بهم فيوقعه بهم إذا أراد، و المراد بملك الرشده القدره على إيصال النفع إليهم بإصابه الواقع أى إنى لا أدعى أنى أقدر أن أضركم أو أنفعكم، و قيل: المراد بالضر الغى المقابل للرشده تعبيراً باسم المسبب عن السبب.

قوله تعالى: «قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِذًا إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ» الإجاره إعطاء الجوار و حكمه حمايه المجير للجار و منعه ممن يقصده بسوء، و الظاهر أن الملتحذ اسم مكان و هو المكان الذى يعدل و ينحرف إليه للتحرز من الشر، و قيل: المدخل و يتعلق به قوله: «مِنْ دُونِهِ» و هو كالتقيد التوضيحي و الضمير لله و البلاغ التبليغ.

و قوله: «إِلَّا بَلَاغًا» استثناء من قوله: «مُلْتَحِذًا» و قوله: «مِنْ اللَّهِ» متعلق بمقدر

أى كائنا من الله و ليس متعلقا بقوله: «بَلَاغًا» لأنه يتعدى بعن لا بمن و لذا قال بعض من جعله متعلقا ببلاغا: إن «من» بمعنى عن، و المعنى على أى حال إلا تبليغ ما هو تعالى عليه من الأسماء و الصفات.

و قوله: «و رِسَالَاتِهِ» قيل: معطوف على «بَلَاغًا» و التقدير إلا- بلاغا من الله و إلا- رسالاته و قيل: معطوف على لفظ الجلاله و من بمعنى عن، و المعنى إلا بلاغا عن الله و عن رسالاته.

و فيما استثنى منه بلاغا قول آخر و هو أنه مفعول «لَا أَفْلِكُ» و المعنى لا أملك لكم ضرا و لا رشدا إلا تبليغا من الله و رسالاته، و يبعده الفصل بين المستثنى و المستثنى منه بقوله: «لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ» إلخ و هو كلام مستأنف.

و معنى الآيتين على ما قدمنا: قل لن يجيرنى من الله أحد فيمنعنى منه و لن أجد من دونه مكانا التجئ إليه إلا تبليغا كائنا منه و رسالاته أى إلا أن أمتثل ما أمرنى به من التبليغ منه تعالى ببيان أسمائه و صفاته و إلا رسالاته فى شرائع الدين.

قوله تعالى: «وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا» أفراد ضمير «اللَّهِ» باعتبار لفظ «مَنْ» كما أن جمع «خَالِدِينَ» باعتبار معناها.

و عطف الرسول على الله فى قوله: «وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» لكون معصيته معصية الله تعالى إذ ليس له إلا رساله ربه فالرد عليه فيما أتى به رد على الله سبحانه و طاعته فيما يأمر به طاعه الله قال تعالى: «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ»: النساء ٨٠.

و المراد بالمعصيه- كما يشهد به سياق الآيات السابقه-معصيه ما أمر به من التوحيد أو التوحيد و ما يتفرع عليه من أصول الدين و فروعه فلا يشمل التهديد و الوعيد بخلود النار إلا الكافرين بأصل الدعوه دون مطلق أهل المعصيه المتخلفين عن فروع الدين فالاحتجاج بالآيه على تخليد مطلق العصاه فى النار فى غير محله.

و الظاهر أن قوله: «وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ» إلى آخر الآيه من كلام الله سبحانه لا من تتمه كلام النبى ص.

قوله تعالى: «حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَّ أَقْلُّ عَدَدًا» لقوله: «حَتَّىٰ» دلالة على معنى مدخولها غايه له و مدخولها يدل على أنهم كانوا يستضعفون النبى ص بعد ناصريه- و هم المؤمنون-ضعفاء و استقلال عدده بعد عدددهم قليلا

فالكلام يدل على معنى محذوف هو غايته كقولنا: لا يزالون يستضعفون ناصريك و يستقلون عددهم حتى إذا رأوا ما يوعدون إلخ.

و المراد بما يوعدون نار جهنم لأنها هي الموعودة في الآيه، والآيه من كلامه تعالى يخاطب النبي ص و لو كانت من كلامه و هي مصدره بقوله تعالى «قُلْ» لكان من حق الكلام أن يقال: حتى إذا رأيتم ما توعدون فستعلمون إلخ.

قوله تعالى: «قُلْ إِنْ أَدْرَى أَقْرَبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا» الأمد الغايه التي ينتهي إليها، والآيه بمنزله دفع دخل تقتضيه حالهم كأنهم لما سمعوا الوعيد قالوا: متى يكون ذلك فقل له: «قُلْ إِنْ أَدْرَى أَقْرَبٌ» إلخ.

قوله تعالى: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا» إظهار الشيء على الشيء إعانته و تسليطه عليه، و «عَالِمُ الْغَيْبِ» خبر لمبتدأ محذوف، و التقدير هو عالم الغيب، و مفاد الكلمه بإعانه من السياق اختصاص علم الغيب به تعالى مع استيعاب علمه كل غيب، و لذا أضاف الغيب إلى نفسه ثانيا فقال: «عَلَىٰ غَيْبِهِ» بوضع الظاهر موضع المضممر ليفيد الاختصاص و لو قال: فلا يظهر عليه لم يفد ذلك.

و المعنى هو عالم كل غيب علما يختص به فلا يطلع على الغيب و هو مختص به أحدا من الناس فالمفاد سلب كلى و إن أصر بعضهم على كونه سلبا جزئيا محصل معناه لا يظهر على كل غيبه أحدا و يؤيد ما قلنا ظاهر ما سيأتى من الآيات.

قوله تعالى: «إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ» استثناء من قوله: «أَحَدًا» و «مِن رَّسُولٍ» بيان لقوله «مَن ارْتَضَىٰ» فيفيد أن الله تعالى يظهر رسله على ما شاء من الغيب المختص به فالآيه إذا انضمت إلى الآيات التي تخص علم الغيب به تعالى كقوله: «وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ»: الأنعام: ٥٩، و قوله: «وَ لِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ»: النحل: ٧٧، و قوله: «قُلْ لَا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ»: النمل: ٦٥ أفاد ذلك معنى الأصاله و التبعية فهو تعالى يعلم الغيب لذاته و غيره يعلمه بتعليم من الله.

فهذه الآيات نظيره الآيات المتعرضه للتوفى كقوله: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ»: الزمر: ٤٢ الدال على الحصر، و قوله: «قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ»: الم السجده: ١١، و قوله:

«حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا»: الأنعام: ٦١ فالتوفى منسوب إليه تعالى على

نحو الأوصاله و إلى الملائكة على نحو التبعية لكونهم أسبابا متوسطة مسخره له تعالى.

قوله تعالى: «فَأَيُّهَا يَسْئَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصِيداً - إِلَى قَوْلِهِ - عِيداً» ضمير «فَأَيُّهَا» الله تعالى، و ضمير «يَدَيْهِ» و «خَلْفِهِ» للرسول، و الراصد المراقب للأمر الحارس له، و الرصد الراصد يطلق على الواحد و الجماعه و هو فى الأصل مصدر، و المراد بما بين يدي الرسول ما بينه و بين الناس المرسل إليهم، و بما خلفه ما بينه و بين مصدر الوحي الذى هو الله سبحانه و قد اعتبر فى هذا التصوير ما يوهمه معنى رساله من امتداد متوهم يأخذ من المرسل -اسم فاعل- و ينتهى إلى المرسل إليه يقطع الرسول حتى ينتهى إلى المرسل إليه فيؤدى رسالته، و الآيه تصف طريق بلوغ الغيب إلى الرسول و هو الرسالات التى توحى إليه كما يشير إلى ذلك قوله: «لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ».

و المعنى: فإن الله يسلك ما بين الرسول و من أرسل إليه و ما بين الرسول و مصدر الوحي مراقبين حارسين من الملائكة- و من المعلوم أن سلوك الرصد من بين يديه و من خلفه لحفظ الوحي من كل تخليط و تغيير بالزيادة و النقصان يقع فيه من ناحيه الشياطين بلا واسطه أو معها.

و قوله: «لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ» ضمير «لِيَعْلَمَ» الله سبحانه، و ضمير «قَدْ أَبْلَغُوا» و «رَبِّهِمْ» لقوله: «مَنْ» باعتبار المعنى أو لرسول باعتبار الجنس، و المراد بعلمه تعالى بإبلاغهم رسالات ربهم العلم الفعلى و هو تحقق الإبلاغ فى الخارج على حد قوله: «فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لِيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ»: العنكبوت: ٣ و هو كثير ورود فى كلامه تعالى.

و الجملة تعليل لسلوك الرصد بين يدي الرسول و من خلفه، و المعنى ليتحقق إبلاغ رسالات ربهم أى لتبلغ الناس رسالاته تعالى على ما هى عليه من غير تغير و تبدل.

و من المحتمل أن يرجع ضمير «بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ» إلى «غَيْبِهِ» فيكون الرصد الحرس مسلوكين بين يدي الغيب النازل و من خلفه إلى أن يبلغ الرسول، و يضعفه أنه لا يلائم قوله: «لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ» بالمعنى الذى تقدم لعدم استلزام بلوغ الغيب للرسول سليما من تعرض الشياطين حصول العلم بإبلاغه إلى الناس.

و إلى هذا المعنى يرجع قول بعضهم إن الضميرين يرجعان إلى جبريل حامل الوحي.

و يضعفه مضافا إلى ما مر عدم سبق ذكره.

وقيل: ضمير ليعلم للرسول و ضميرا «قَدْ أَبْلَغُوا» و «رَبِّهِمْ» للملائكة الرصد و المعنى يرصد الملائكة الوحي و يحرسونه ليعلم الرسول أن الملائكة قد أبلغوا إليه الوحي كما صدر فتطمئن نفسه أنه سليم من تعرض الشياطين فإن لازم العلم بإبلاغهم إياه العلم ببلوغه.

و يبعده أن ظاهر السياق- و يؤيده سبق ذكر الرسول- أن المراد بالرسالات الرسائل التي حملها الرسول ليبلغها إلى الناس لا ما حملها ملك الوحي فضمير «رَبِّهِمْ» للرسول دون الملائكة، على أن الآية تشير إلى الملائكة بعنوان الرصد و هو غير عنوان الرسالة و شأن الرصد الحفظ و الحراسه دون الرسالة.

وقيل: المعنى ليعلم محمد ص أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم، و هو وجه سخييف لا دليل عليه، و أسخف منه ما قيل: إن المعنى ليعلم مكذب الرسل أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم إليهم.

و قوله: «وَ أَحْاطَ بِمَا لَمَدَيْهِمْ» ضمير الجمع للرسل بناء على ما تقدم من المعنى و الظاهر أن الجملة متممه لمعنى الحراسه المذكوره سابقا فقوله: «مَنْ يَتَيْنِ يَدَيْهِ» يشير إلى رصد ما بين الرسول و المرسل إليهم، و قوله: «وَ مِنْ خَلْفِهِ» إلى حفظ ما بينه و مصدر الوحي، و قوله: «وَ أَحْاطَ بِمَا لَمَدَيْهِمْ» يشير إلى ظرف نفس الرسول و الإحاطه إحاطه علميه فالوحي في أمن من تطرق التغيير و التبديل فيما بين مصدر الوحي و الرسول و في نفس الرسول و في ما بين الرسول و المرسل إليهم.

و يمكن أن يكون المراد بما لديهم جميع ما له تعلق ما بالرسل أعم من مسير الوحي أو أنفسهم كما أن قوله: «وَ أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا» مسوق لإفاده عموم العلم بالأشياء غير أنه العلم بعددها و تميز بعضها من بعض.

فقد تبين مما مر في الآيات الثلاث:

أولاً: أن اختصاصه تعالى بعلم الغيب على نحو الأصالة بالمعنى الذي أوضحناه فهو تعالى يعلم الغيب بذاته و غيره يعلمه بتعليم منه.

و به يظهر أن ما حكى في كلامه تعالى من إنكارهم العلم بالغيب أريد به نفى الأصالة و الاستقلال دون ما كان بوحي كقوله تعالى: «قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَ لَا

أَعْلَمُ الْغَيْبِ»: الأنعام: ٥٠، وقوله: «وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ» الأعراف: ١٨٨ وقوله: «قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ»: الأحقاف: ٩.

و ثانيا: أن عموم قوله: «فَلَا يُظْهِرُ عَلَيَّ غَيْبِهِ أَحَدًا» لما خصص بقوله: «إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ» عاد عاما مخصصا لا- يأبى تخصيصا بمخصص آخر كما في مورد الأنبياء فإن الآيات القرآنية تدل على أنهم يوحى إليهم كقوله: «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ»: النساء: ١٦٣ و تدل على أن الوحي من الغيب فالنبي ينال الغيب كما يناله الرسول هذا على تقدير أن يكون المراد بالرسول في الآية ما يقابل النبي و أما لو أريد مطلق من أرسله الله إلى الناس و النبي ممن أرسله الله إليهم كما يشهد به قوله: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ» X الآية X: الحج: ٥٢، وقوله: «وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ» الأعراف: ٩٤ فالنبي خارج من عموم النفي من غير تخصيص جديد.

و كذا في مورد الإمام بالمعنى الذى يستعمله فيه القرآن فإنه تعالى يصفه بالصبر و اليقين كما فى قوله: «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَا صَبَرُوا وَ كَانُوا بآيَاتِنَا يُوقِنُونَ»: الم السجده ٢٤ و يعرفهم بانكشاف الغطاء لهم كما فى قوله: «وَ كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ»: الأنعام: ٧٥، وقوله: «كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ»: التكاثر: ٦ و قد تقدم كلام فى ذلك فى بعض المباحث السابقة.

و أما الملائكة فما يحملونه من الوحي السماوى قبل نزوله و كذا ما يشاهدونه من عالم الملكوت شهادته بالنسبه إليهم و إن كان غيبا بالنسبه إلينا. على أن قوله: «فَلَا يُظْهِرُ عَلَيَّ غَيْبِهِ أَحَدًا» إنما يشمل أهل الدنيا ممن يعيش على بساط الأرض و إلا لانتقض بالأموات المشاهدين لأمر الآخرة و هى من الغيب بنص القرآن فلم يبق تحت عموم النفي حتى فرد واحد إذ ما من أحد إلا و هو مبعوث ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود، و كما أن الأموات نشأتهم غير نشأه الدنيا كذلك نشأه الملائكة غير نشأه الماده.

و ثالثا: أن قوله: «فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ» إلى آخر الآيتين يدل على أن الوحي الإلهى محفوظ من لدن صدور من مصدر الوحي إلى بلوغه الناس مصون فى طريق نزوله إلى أن يصل إلى من قصد نزوله عليه.

أما مصونيته من حين صدوره من مصدره إلى أن ينتهي إلى الرسول فيكفي في الدلالة عليه قوله «مَنْ خَلْفِهِ» (١) و أما مصونيته حين أخذ الرسول إياه و تلقيه من ملك الوحي بحيث يعرفه و لا يغلط في أخذه، و مصونيته في حفظه بحيث يعيه كما أوحى إليه من غير أن ينساه أو يغيره أو يبدله، و مصونيته في تبليغه إلى الناس من تصرف الشيطان فيه فالدليل عليه قوله: «لِيُعْلَمَ أَنَّ قَدْ أُبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ» حيث يدل على أن الغرض الإلهي من سلوك الرصد أن يعلم إبلاغهم رسالات ربهم أي أن يتحقق في الخارج إبلاغ الوحي إلى الناس، و لازمه بلوغه إياهم و لو لا مصونيه الرسول في الجهات الثلاث المذكوره جميعا لم يتم الغرض الإلهي و هو ظاهر، و حيث لم يذكر تعالى للحصول على هذا الغرض طريقا غير سلوك الرصد دل ذلك على أن الوحي محروس بالملائكة و هو عند الرسول كما أنه محروس بهم في طريقه إلى الرسول حتى ينتهي إليه، و يؤكد قوله بعد: «وَ أَلْحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ».

و أما مصونيته في مسيره من الرسول حتى ينتهي إلى الناس فيكفي فيه قوله: «مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ» على ما تقدم من معناه.

أضف إلى ذلك دلاله قوله: «لِيُعْلَمَ أَنَّ قَدْ أُبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ» بما تقدم من تقريب دلالته.

و يتفرع على هذا البيان أن الرسول مؤيد بالعصمه في أخذ الوحي من ربه و في حفظه و في تبليغه إلى الناس مصون من الخطأ في الجهات الثلاث جميعا لما مر من دلاله الآيه على أن ما نزله الله من دينه على الناس من طريق رساله بالوحي مصون في جميع مراحلها إلى أن ينتهي إلى الناس و من مراحلها مرهله أخذ الرسول للوحي و حفظه له و تبليغه إلى الناس.

و التبليغ يعم القول و الفعل فإن في الفعل تبليغا كما في القول فالرسول معصوم من المعصيه باقتراف المحرمات و ترك الواجبات الدينيه لأن في ذلك تبليغا لما يناقض الدين فهو معصوم من فعل المعصيه كما أنه معصوم من الخطأ في أخذ الوحي و حفظه و تبليغه قولا.

و قد تقدمت الإشارة إلى أن النبوه كالرساله في دورانها مدار الوحي فالنبي كالرسول في خاصه العصمه، و يتحصل بذلك أن أصحاب الوحي سواء كانوا رسلا أو أنبياء

ص: ٥٧

١- ١) هذا بناء على رجوع الضمير إلى الرسول و أما بناء على احتمال رجوع الضمير إلى الغيب فالدال عليه مجموع «من بين يديه و من خلفه» لكنه ضعيف كما تقدم.

معصومون في أخذ الوحي و في حفظ ما أوحى إليهم و في تبليغه إلى الناس قولاً و فعلاً.

و رابعاً: أن الذي استثنى في الآيه من الإظهار على الغيب إظهار الرسول على ما يتوقف عليه تحقق إبلاغ رسالته أعم من أن يكون متن الرسالة كالمعارف الاعتقادية و شرائع الدين و القصص و العبر و الحكم و المواعظ أو يكون من آيات الرسالة و المعجزات الداله على صدق الرسول في دعواه كالذي حكى عن بعض الرسل من الإخبار بالمغيبات كقول صالح لقومه: «تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكُمْ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْدُوبٍ» هود: ٦٥، و قول عيسى لبنى إسرائيل: «وَأُتْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَةً لِّكُمْ» آل عمران: ٤٩، و كذا ما ورد من مواعد الرسل، و ما ورد في الكتاب العزيز من الملاحم كل ذلك من إظهارهم على الغيب.

بحث روائى

عن تفسير العياشى، عن أبى جعفر(ع): أنه سأله المعتصم عن السارق من أى موضع يجب أن يقطع؟ فقال: إن القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع -فتترك الكف.

فقال: و ما الحجه في ذلك؟ قال: قول رسول الله ص: السجود على سبعة أجزاء:

الوجه و اليدين و الركبتين و الرجلين -فاذا قطع من الكرسوع أو المرفق -لم يدع له يدا يسجد عليها و قال الله: «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ» يعنى به هذه الأعضاء السبعة التى يسجد عليها- «فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» و ما كان لله فلا يقطع. الحديث.

و فى الكافى، بإسناده عن حماد بن عيسى عن أبى عبد الله(ع) فى حديث: و سجد يعنى أباً عبد الله(ع) على ثمانية أعظم: الكفين و الركبتين و إبهامى الرجلين و الجبهه و الأنف، و قال: سبعة منها فرض يسجد عليها- و هى التى ذكرها الله فى كتابه فقال: «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» و هى الجبهه و الكفان و الركبتان و الإبهامان- و وضع الأنف على الأرض سنه.

و عن الخرائج و الجرائح، روى محمد بن الفضل الهاشمى عن الرضا(ع): أنه نظر إلى ابن هذاب فقال: إن أنا أخبرتك أنك ستبتلى فى هذه الأيام- بدم ذى رحم لك لكنت مصدقاً لى؟ قال: لا فإن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى. قال: أ و ليس أنه يقول: «عَالِمٌ

الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَيَّ غَيْبِي أَحَدًا- إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ

«فرسول الله ص عند الله مرتضى، ونحن ورثه ذلك الرسول-الذى أطلعه الله على ما يشاء من غيبه-فعلمنا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة.

أقول: والأخبار فى هذا الباب فوق حد الإحصاء، ومدلولها أن النبى ص أخذه بوحي من ربه وأنهم أخذوه بالوراثه منه(ص).

(٧٣) سورة المزمل مكيه و هى عشرون آيه (٢٠)

[سورة المزمل (٧٣): الآيات ١ الى ١٩]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧) وَ اذْكُرْ إِسْمَ رَبِّكَ وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩) وَ اصْبِرْ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠) وَ ذَرْنِي وَ الْمُكْذِبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَ مَهْلُومٍ قَلِيلًا (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَ جَحِيمًا (١٢) وَ طَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبَالُ وَ كَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا (١٤) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً (١٦) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (١٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَيَّ رَبًّا سَبِيلًا (١٩)

ص: ٥٩

السوره تأمر النبي ص بقيام الليل و الصلاه فيه ليستعد بذلك لتلقى ثقل ما سيلقى عليه من القول الثقيل و القرآن الموحى إليه، و تأمره أن يصبر على ما يقولون فيه أنه شاعر أو كاهن أو مجنون إلى غير ذلك و يهجرهم هجرا جميلا، و فيها وعيد و إنذار للكفار و تعميم الحكم لسائر المؤمنين، و فى آخرها تخفيف ما للنبي ص و المؤمنين.

و السوره مكيه من عتائق السور النازله فى أول البعته حتى قيل: إنها ثانيه السور النازله على النبي ص أو ثالثتها.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمُومُ﴾ بتشديد الزاى و الميم و أصله المتزمل اسم فاعل من التزمل بمعنى التلفف بالثوب لنوم و نحوه، و ظاهره أنه (ص) كان قد تزمل بثوب للنوم فنزل عليه الوحي و خوطب بالمزمل.

و ليس فى الخطاب به تهجين و لا تحسين كما توهمه بعضهم، نعم يمكن أن يستفاد من سياق الآيات أنه (ص) كان قد قوبل فى دعوته بالهزاء و السخرية و الإيذاء فاغتم فى الله فترمل بثوب لينام دفعا لهم فخوطب بالمزمل و أمر بقيام الليل و الصلاه فيه و الصبر على ما يقولون على حد قوله تعالى: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾: البقره: ١٥٣ فأفيد بذلك أن عليه أن يقاوم الكرب العظام و النوائب المره بالصلاه و الصبر لا بالتزمل و النوم.

و قيل: المراد يا أيها المتزمل بعباءه النبوه أى المتحمل لأثقالها، و لا شاهد عليه من جهة اللفظ.

قوله تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نَضِمْهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ المراد بقيام الليل القيام فيه إلى الصلاه فالليل مفعول به توسعا كما فى قولهم:

دخلت الدار، و قيل: معمول «قُم» مقدر و «اللَّيْلَ» منصوب على الظرفيه و التقدير قم إلى الصلاه فى الليل، و قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناء من الليل.

و قوله: «نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ» ظاهر السياق أنه بدل من «الَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا» المتعلق به تكليف القيام، و ضمير « مِنْهُ » و « عَلَيْهِ » للنصف، و ضمير « نِصْفَهُ » لليل، و المعنى قم نصف الليل أو انقص من النصف قليلاً أو زد على النصف قليلاً، و التريديد بين الثلاثة للتخيير فقد خير بين قيام النصف و قيام أقل من النصف بقليل و قيام أكثر منه بقليل.

و قيل: «نِصْفَهُ» بدل من المستثنى أعني «قَلِيلًا» فيكون المعنى قم الليل إلا نصفه أو انقص من النصف قليلاً فقم أكثر من النصف بقليل أو زد على النصف فقم أقل من النصف، و تكون جملة البدل رافعا لإبهام المستثنى بالمطابقه و لإبهام المستثنى منه بالالتزام عكس الوجه السابق.

و الوجهان و إن اتحدا في النتيجة غير أن الوجه السابق أسبق إلى الذهن لأن الحاجة إلى رفع الإبهام عن متعلق الحكم أقدم من الحاجة إلى رفع الإبهام عن توابعه و ملحقاته فكون قوله: «نصفه» إلخ بدلا من الليل و لازمه رفع إبهام متعلق التكليف بالمطابقه أسبق إلى الذهن من كونه بدلا من «قَلِيلًا».

و قيل: إن نصفه بدل من الليل لكن المراد بالقليل القليل من الليالي دون القليل من أجزاء الليل، و المعنى قم نصف الليل أو انقص منه قليلاً- أو زد عليه إلا- قليلاً من الليالي و هي ليالي العذر من مرض أو غلبه نوم أو نحو ذلك، و لا بأس بهذا الوجه لكن الوجه الأول أسبق منه إلى الذهن.

و قوله: «وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا» ترتيل القرآن تلاوته بتبيين حروفه على تواليها، و الجملة معطوفة على قوله: «قُمِ اللَّيْلَ» أي قم الليل و اقرأ القرآن بترتيل.

و الظاهر أن المراد بترتيل القرآن ترتيله في الصلاة أو المراد به الصلاة نفسها و قد عبر سبحانه عن الصلاة بنظير هذا التعبير في قوله: «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِتُدْلُوكَ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا» :إسراء: ٧٨، و قيل: المراد إيجاب قراءه القرآن دون الصلاة.

قوله تعالى: «إِذَا سَأَلَكَ عِبْدُكَ قَوْلًا ثَقِيلًا» الثقل كيفية جسمانيه من خاصته أنه يشق حمل الجسم الثقيل و نقله من مكان إلى مكان و ربما يستعار للمعاني إذا شق على النفس

تحملها أو لم تطقها فربما أضيف إلى القول من جهة معناه فعد ثقيلاً لتضمنه معنى يشق على النفس إدراكه أو لا تطيق فهمه أو تخرج من تلقيه كدقائق الأنظار العلميه إذا ألقيت على الأفهام العامه، أو لتضمنه حقائق يصعب التحقق بها أو تكاليف يشق الإتيان بها و المداومه عليها.

و القرآن قول إلهي ثقيل بكلام المعنيين: أما من حيث تلقى معناه فإنه كلام إلهي مأخوذ من ساحه العظمه و الكبرياء لا تتلقاه إلا نفس طاهره من كل دنس منقطع عن كل سبب إلا الله سبحانه، و كتاب عزيز له ظهر و بطن و تنزيل و تأويل تبياناً لكل شىء، و قد كان ثقله مشهوداً من حال النبي ص بما كان يأخذه من البرحاء و شبه الإغماء على ما وردت به الأخبار المستفيضه.

و أما من حيث التحقق بحقيقه التوحيد و ما يتبعها من الحقائق الاعتقاديه فكفى فى الإشاره إلى ثقله قوله تعالى: «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَّاسٍ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» الحشر: ٢١، و قوله تعالى:

«وَ لَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتَىٰ» الرعد ٣١.

و أما من حيث القيام بما يشتمل عليه من أمر الدعوه و إقامه مراسم الدين الحنيف، و إظهاره على الدين كله فيشهد به ما لقي (ص) من المصائب و المحن فى سبيل الله و الأذى فى جنب الله على ما يشهد به الآيات القرآنيه الحاكيه لما لقيه النبي ص من المشركين و الكفار و المنافقين و الذين فى قلوبهم مرض من أنواع الإيذاء و الهزاء و الجفاء.

فقوله: «إِنَّا سَيَّلْنَا لِقَىٰ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا» المراد بالقول الثقيل القرآن العظيم على ما يسبق إلى الذهن من سياق هذه الآيات النازله فى أول البعته، و به فسره المفسرون.

و الآيه فى مقام التعليل للحكم المدلول عليه بقوله: «قُمِ اللَّيْلَ» إلخ فتفيد بمقتضى السياق- و الخطاب خاص بالنبي ص- أن أمره بقيام الليل و التوجه فيه إليه تعالى بصلاه الليل تهيئه له و إعداد لكرامه القرب و شرف الحضور و إلقاء قول ثقيل فقيام الليل هى السبيل المؤديه إلى هذا الموقف الكريم و قد عد سبحانه صلاه الليل سبيلاً إليه فى قوله الآتى: «إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا».

و قد زاد سبحانه وعداً على ما فى هذه الآيه فى قوله: «وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً»

لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا» :إسراء:٧٩ وقد تقدم معنى المقام المحمود فى تفسير الآيه.

و إذ كان من ثقل القرآن ثقله من حيث التحقق بحقائقه و من حيث استجابته فيما يندب إليه من الشرائع و الأحكام فهو ثقل على الأمة كما هو ثقل عليه(ص) و معنى الآيه إنا سنوحى إليك قولاً- يثقل عليك و على أمتك أما ثقله عليه(ص) فلما فى التحقق بحقائقه من الصعوبه و لما فيه من محنه الرساله و ما يتبعها من الأذى فى جنب الله و ترك الراحة و الدعه و مجاهده النفس و الانقطاع إلى الله مضافا إلى ما فى تلقيه من مصدر الوحي من الجهد، و أما ثقله على أمته فلأنهم يشاركونه(ص) فى لزوم التحقق بحقائقه و اتباع أوامره و نواهيه و رعايه حدوده كل طائفه منهم على قدر طاقته.

و للقوم فى معنى ثقل القرآن أقوال أخر:

منها: أنه ثقل بمعنى أنه عظيم الشأن متين رصين كما يقال: هذا كلام له وزن إذا كان واقعا موقعه.

و منها: أنه ثقل فى الميزان يوم القيامة حقيقه أو مجازا بمعنى كثره الثواب عليه.

و منها: أنه ثقل على الكفار و المنافقين بما له من الإعجاز و بما فيه من الوعيد.

و منها: أن ثقله كناية عن بقاءه على وجه الدهر لأن الثقل من شأنه أن يبقى و يثبت فى مكانه.

و منها: غير ذلك و الوجوه المذكوره و إن كانت لا بأس بها فى نفسها لكن ما تقدم من الوجه هو الظاهر السابق إلى الذهن.

قوله تعالى: «إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَ أَقْوَمُ قِيَالًا إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا» الآيه الأولى فى مقام التعليل لاختيار الليل وقتا لهذه الصلاه، و الآيه الثانيه فى مقام التعليل لترك النهار و الإعراض عنه كما أن الآيه السابقه أعنى قوله: «إِنَّا سَيُنْقَلِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا» فى مقام التعليل لتشريع أصل هذه الصلاه.

فقوله: «إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَ أَقْوَمُ قِيَالًا» الناشئه إما مصدر كالعاقبه و العافيه بمعنى الشأه و هى الحدوث و التكون، و إما اسم فاعل من الناشئه مضاف إلى موصوفه و كيف كان فالمراد بها الليل و إطلاق الحادثه على الليل كإطلاقها على سائر أجزاء

الخلقه وربما قيل: إنها الصلاه فى الليل و وطء الأرض وضع القدم عليها، و كونها أشد وطأ كناية عن كونها أثبت قدما لصفاء النفس و عدم تكدرها بالشواغل النهاريه و قيل:

الوطء مواطاه القلب اللسان و أيد بقراءه «أَشَدُّ وَطْئًا» و المراد بكونها أقوم قيلا كونها أثبت قولاً و أصوب لحضور القلب و هدوء الأصوات.

و المعنى أن حادثه الليل أو الصلاه فى الليل هى أثبت قدما-أو أشد فى مواطاه القلب اللسان و أثبت قولاً و أصوب لما أن الله جعل الليل سكنا يستتبع انقطاع الإنسان عن شواغل المعيشه إلى نفسه و فراغ باله.

و قوله: «إِنَّ لَمَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا» السبح المشى السريع فى الماء و السبح الطويل فى النهار كناية عن الغور فى مهمات المعاش و أنواع التقلب فى قضاء حوائج الحياه.

و المعنى أن لك فى النهار مشاغل كثيره تشتغل بها مستوعبه لا تدع لك فراغا تشتغل فيه بالتوجه التام إلى ربك و الانقطاع إليه بذكره فعليك بالليل و الصلاه فيه.

و قيل: المعنى أن لك فى النهار فراغا لنومك و تدبير أمر معاشك و التصرف فى حوائجك فتتهجد فى الليل.

و قيل: المعنى أن لك فى النهار فراغا فإن فاتك من الليل شىء أمكنك أن تداركه فى النهار و تقضيه فيه فالآيه فى معنى قوله: «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا»: الفرقان: ٦٢.

و الذى قدمناه من المعنى أنسب للمقام.

قوله تعالى: «وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا» الظاهر أنه يصف صلاه الليل فهو كالعطف التفسيري على قوله: «وَ رَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا» و على هذا فالمراد بذكر اسم الرب تعالى الذكر اللفظى بمواطاه من القلب و كذا المراد بالتبتل التبتل مع اللفظ.

و قيل: الآيه تعميم بعد التخصيص و المراد بالذكر دوام ذكره تعالى ليلا و نهارا على أى وجه كان من تسييح و تحميد و صلاه و قراءه قرآن و غير ذلك، و إنما فسر الذكر بالدوام لأنه (ص) لم ينسه تعالى حتى يؤمر بذكره، و المراد الدوام العرفى دون الحقيقى لعدم إمكانه. انتهى.

و فيه أنه إن أراد بالذكر الذكر اللفظى فعدم نسيانه (ص) ربه تعالى لا ينافى أمره

بالذكر اللفظي، وإن أراد ما يعم الذكر القلبي فهو ممنوع و لو سلم ففيه أولاً أن عدم نسيانه (ص) ربه إلى حين الخطاب لا ينافي أمره بذكره بعده و ثانياً أن عده الدوام الحقيقي غير ممكن و حمل الدوام على العرفي وهم ناش عن عدم تحصيل المعنى على ما هو عليه فالله جل ذكره مذكور للإنسان لا- يغيب عنه و لا لحظه سواء تنبه عليه الإنسان أو غفل عنه. و من الممكن أن يعرفه الله نفسه بحيث لا يغفل عنه و لا في حال قال تعالى:

﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾: حم السجده: ٣٨ و قال:

﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾: الأنبياء: ٢٠ و قد تقدم في تفسير الآيتين و آخر سورة الأعراف أن ذلك لا يختص بالملائكة.

و بالجملة قوله: «و اذكُرِ اسْمَ رَبِّكَ» أمر بذكر اسم من أسمائه أو لفظ الجلاله خاصه و قيل: المراد به البسملة.

و في قوله: «رَبِّكَ» التفات عن التكلم مع الغير في قوله: «إِنَّا سَيِّئَاتِنَا» إلى الغيبه و لعل الوجه فيه إيقاظ ذله العبوديه التي هي الرابطه بين العبد و ربه، بذكر صفه الربوبيه.

و قوله «و تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا» فسر التبتل بالانقطاع أى و انقطع إلى الله، و من المروى عن أئمه أهل البيت (ع) أن التبتل رفع اليد إلى الله و التضرع إليه، و هذا المعنى أنسب بناء على حمل الذكر على الذكر اللفظي كما تقدم.

و «تَبْتِيلًا» مفعول مطلق ظاهراً و كان مقتضى الظاهر أن يقال: و تبتل إليه تبتلاً فالعدول إلى التبتيل قيل: لتضمين تبتل معنى بتل، و المعنى و قطع نفسك من غيره إليه تقطيعاً أو احمل نفسك على رفع اليد إليه و التضرع حملاً، و قيل: لمراعاة الفواصل.

قوله تعالى: «رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا» و وصف مقطوع عن الوصفيه و التقدير هو رب المشرق و المغرب، و رب المشرق و المغرب في معنى رب العالم كله فإن المشرق و المغرب جهتان نسبيتان شمالان جهات العالم المشهود كلها، و إنما اختص بالذكر لمناسبه ما تقدم من ذكر الليل و النهار المرتبطين بالشروق و الغروب.

و إنما لم يقتصر في الإشارة إلى ربوبيته تعالى بقوله السابق: «رَبِّكَ» للإيذان بأنه (ص) مأمور باتخاذ ربه لأنه ربه و رب العالم كله لا لأنه ربه وحده كما ربما كان الرجل

من الوثنيين يتخذ صنما لنفسه فحسب غير ما اتخذه غيره من الأصنام و لو كان اتخذه (ص) له تعالى ربا من هذا القبيل أو احتمال ذلك لم تصح دعوته إلى التوحيد.

و ليكون قوله: رَبِّكَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ - و هو فى معنى رب العالم كله- توطئه و تمهيدا لقوله بعده: «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» يعلل به توحيد الألوهيه فإن الألوهيه و هى المعبوديه من فروع الربوبيه التى هى الملك و التدبير كما تقدم مرارا فهو تعالى الإله وحده لا إله إلا هو لأنه الرب وحده لا رب إلا هو.

و قوله: «فَاتَّخَذَهُ وَكِيلاً» أى فى جميع أمورك، و توكيل الوكيل هو إقامة الإنسان غيره مقام نفسه بحيث تقوم إرادته مقام إرادته و عمله مقام عمله فاتخذه تعالى وكيلا أن يرى الإنسان الأمر كله له و إليه تعالى أما فى الأمور الخارجيه و الحوادث الكونيه فإن لا يرى لنفسه و لا- لشيء من الأسباب الظاهريه استقلالاً فى التأثير فلا مؤثر فى الوجود بحقيقه معنى التأثير إلا الله فلا يتعلق بتأثير سبب من الأسباب برضى أو سخط أو سرور أو أسف و غير ذلك بل يتوسل إلى مقاصده و مآربه بما عرفه الله من الأسباب من غير أن يطمئن إلى استقلالها فى التأثير و يرجع الظفر بالمطلوب إلى الله ليختار له ما يرضيه.

و أما الأمور التى لها تعلق بالعمل من العبادات و المعاملات فإن يجعل إرادته تابعه لإرادته ربه التشريعيه فيعمل على حسب ما يريده الله تعالى منه فيما شرع من الشريعه.

و من هنا يظهر أن لقوله: «فَاتَّخَذَهُ وَكِيلاً» ارتباطا بقوله: «وَ أَذْكَرِ اسْمَ رَبِّكَ» إلخ و ما تقدم عليه من الأوامر التشريعيه كما أن له ارتباطا بما تأخر عنه من قوله «وَ اصْبِرْ» و قوله «أُهْجِرْهُمْ» و قوله: «وَ ذَرْنِي».

قوله تعالى: «وَ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَ اهْجِرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً» معطوف هو و ما بعده على مدخول الفاء فى قوله: «فَاتَّخَذَهُ وَكِيلاً» فالمعنى اتخذه وكيلا و لازم اتخذه وكيلا أن تصبر على ما يقولون مما فيه إيذاؤك و الاستهزاء بك و رميك بما ليس فيك كقولهم:

افترى على الله، كاهن شاعر، مجنون، أساطير الأولين و غير ذلك مما يقصه القرآن.

و أن تهجرهم هجرا جميلا و المراد بالهجر الجميل على ما يعطيه السياق أن يعاملهم بحسن الخلق و الدعوه إلى الحق بالمناصحه، و لا يواجه قولهم بما فى وسعه من المقابله بالمثل، و الآيه لا تدافع آيه القتال فلا وجه لقول من قال: إنها منسوخه بآيه القتال.

قوله تعالى: « وَ ذَرْنِي وَ الْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَ مَهْلُهُمْ قَلِيلًا » تهديد للكفار يقال:

دعني و فلانا و ذرني و فلانا أي لا تحل بيني و بينه حتى أنتقم منه.

و المراد بالمكذبين أولى النعمة الكفار المذكورون في الآية السابقة أو رؤساؤهم المتبوعون، و الجمع بين توصيفهم بالمكذبين و توصيفهم بأولى النعمة للإشارة إلى عله ما يهددهم به من العذاب فإن تكذيبهم بالدعوه الإلهيه و هم متنعمون بنعمة ربهم كفران منهم بالنعمة و جزاء الكفران سلب النعمة و تبديلها من النعمة.

و المراد بالقليل الذي يمهلونه الزمان القليل الذي يمكنون في الأرض حتى يرجعوا إلى ربهم فيحاسبهم و يجازيهم قال تعالى: «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَ يَرَاهُ قَرِيبًا»: المعارج: ٧، و قال: «مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَ بَشَسَ الْمِهَادُ»: آل عمران ١٩٧.

و الآية بظاهرها عامه، و قيل: و عييد لهم بوقعه بدر و ليس بظاهر، و في الآية التفات عن الغيبة في «رَبِّكَ» إلى التكلم و حده في «ذَرْنِي» و لعل الوجه فيه تشديد التهديد بنسبه الأمر إليه سبحانه نفسه ثم التفات في قوله: «إِنَّ لَعْدَيْنَا» إلى التكلم مع الغير للدلالة على العظمة.

قوله تعالى: «إِنَّ لَعْدَيْنَا أَنْكَالًا وَ جَحِيمًا» تعليل لقوله «ذَرْنِي» إلخ و الأنكال القيود، قال الراغب يقال: نكل عن الشيء ضعف و عجز، و نكلته قيدته و النكل - بالكسر فالكسكون - قيد الدابة و حديده اللجام لكونهما مانعين، و الجمع الأنكال انتهى، و قال: الجحيمه شدة تأجج النار و منه الجحيم، انتهى.

قوله تعالى: «وَ طَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَ عَذَابًا أَلِيمًا» قال في المجمع: الغصة تردد اللقمة في الحلق و لا يسيغها آكلها يقال: غص بريقه يغص غصصا، و في قلبه غصه من كذا و هي كاللدغه التي لا يسوغ معها الطعام و الشراب، انتهى.

و الآيتان تذكران نعم الآخرة التي بدلت منها نعم الدنيا جزاء لكفرانهم بنعم الله.

قوله تعالى: «يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبَالُ وَ كَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّهِيلًا» ظرف للعذاب الموعود في الآيتين السابقتين، قال الراغب: الرجف الاضطراب الشديد يقال:

رجفت الأرض و البحر انتهى. و في المجمع: الكثيب الرمل المجتمع الكثير، و هلت أهيله هيلا فهو مهيل إذا حرك أسفله فسال أعلاه انتهى، و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: «إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا» إنذار للمكذبين أولى النعمة من قومه (ص) بعد ما أوعد مطلق المكذبين أولى النعمة بما أعد لهم من العذاب يوم القيامة بقياس حالهم إلى حال فرعون المستكبر على الله ورسوله المستدل لرسول الله و من آمن معه من قومه ثم قرع أسمعهم بما انتهى إليه أمر فرعون من أخذ الله له أخذا وبيلا فليتعضوا وليأخذوا حذرهم.

و في الآيه التفات عن الغيبه إلى الخطاب كان المتكلم لما أوعدهم بالعذاب على الغيبه هاج به الوجد على أولئك المكذبين بما يلقون أنفسهم بأيديهم إلى الهلاك الأبدى لسفاهه رأيهم فشافهم بالإنذار ليرتفع عن أنفسهم أى شك و ترديد و تتم عليهم الحجه و لعلهم يتقون، و لذا عقب قياسهم إلى فرعون و قياس النبي ص إلى موسى (ع) و الإشاره إلى عقابه أمر فرعون بقوله «فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا» إلخ.

فقوله: «إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ» إشاره إلى تصديق رساله النبي ص من قبله تعالى و شهادته على أعمالهم بتحملها في الدنيا و تأديتها يوم القيامة، و قد تقدم البحث عن معنى شهاده الأعمال في الآيات المشتمله عليها مرارا، و في الإشاره إلى شهادته (ص) نوع زجر لهم عن عصيانه و مخالفته و تكذيبه.

و قوله: «كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا» هو موسى بن عمران (ع).

قوله تعالى: «فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً» أى شديدا ثقيلا.

إشاره إلى عاقبه أمر فرعون في عصيانه موسى (ع)، و في التعبير عن موسى بالرسول إشاره إلى أن السبب الموجب لأخذ فرعون مخالفته أمر رسالته لا نفس موسى بما أنه موسى، و إذا كان السبب هو مخالفه الرساله فليحذروا مخالفه رساله محمد ص.

كما أن وضع الظاهر موضع الضمير في قوله: «فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ» للإيماء إلى أن ما كان له من العزه و العلو في الأرض و التبجح بكثره العده و سعه المملكه و نفوذ المشيه لم يغن عنه شيئا و لم يدفع عنه عذاب الله فما الظن بهؤلاء المكذبين؟ و هم كما قال الله: «جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ» _ ص ١١.

قوله تعالى: «فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا» نسبه الالتقاء إلى اليوم من المجاز العقلي و المراد اتقاء العذاب الموعود فيه، و عليه فيوما مفعول به لتتقون،

وقيل: مفعول «تَتَّقُونَ» محذوف و«يَوْمًا» ظرف له و التقدير فكيف تتقون العذاب الكائن في يوم، وقيل: المفعول محذوف و«يَوْمًا» ظرف للالتقاء وقيل غير ذلك.

وقوله: «يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا» الشيب جمع أشيب مقابل الشاب، وجعل الولدان شيبا كناية عن شدة اليوم لا عن طوله.

قوله تعالى: «السَّمَاءُ مُنْقَطِرَةٌ بِهِ [□]كَانَ وَعِدُهُ مَفْعُولًا» إشارة بعد إشاره إلى شدة اليوم، و الانفطار الانشقاق و تذكير الصفه لكون السماء جائز الوجهين يذكر و يؤنث، و ضمير « به » لليوم، و الباء بمعنى فى أو للسببيه، و المعنى السماء منسقه فى ذلك اليوم أو بسبب ذلك اليوم أى بسبب شدته.

وقوله: «كَانَ وَعِدُهُ مَفْعُولًا» استئناف لتسجيل ما تقدم من الوعيد و أنه حتم مقضى و نسبه الوعد إلى ضميره تعالى لعله للإشعار بأن لا يصلح لهذا الوعد إلا الله تعالى فيكفى فيه الضمير من غير حاجه إلى ذكره باسمه.

قوله تعالى: «إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا» الإشارة بهذه إلى الآيات السابقة بما تشتمل عليه من القوارع و الزواجر، و التذكرة الموعظه التى يذكر بها ما يعمل عليه.

وقوله: «فَمَنْ شَاءَ» مفعول «شاء» محذوف و المعروف فى مثل هذا المورد أن يقدر المفعول من جنس الجواب و السياق يلائمه، و التقدير فمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا اتخذ إلخ، وقيل: المقدر الاتعاض، و المراد باتخاذ السبيل إليه اتخاذ السبيل إلى التقرب منه، و السبيل هو الإيمان و الطاعة هذا ما ذكره المفسرون.

و من الممكن أن تكون هذه إشارة إلى ما تقدم فى صدر السوره من الآيات النادبه إلى قيام الليل و التهجد فيه، و الآيه مسوقه لتوسعه الخطاب و تعميمه لغير النبى ص من المؤمنين بعد ما كان خطاب صدر الصورة مختصا به (ص)، و الدليل على هذا التعميم قوله: «فَمَنْ شَاءَ» إلخ.

و يؤيد ما ذكرنا وقوع هذه الآيه «إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ» إلخ بعينها فى سوره الدهر بعد ما أشير إلى صلاه الليل بقوله تعالى: «وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا» و يستنتج من ذلك أن صلاه الليل سبيل خاصه تهدى العبد إلى ربه.

فى الدر المنثور، أخرج البزار و الطبرانى فى الأوسط و أبو نعيم فى الدلائل عن جابر قال*:

اجتمعت قريش فى دار الندوه فقالوا: سمو هذا الرجل اسما يصدر الناس عنه فقالوا:

كاهن. قالوا ليس بكاهن. قالوا: مجنون. قالوا: ليس بمجنون. قالوا ساحر. قالوا: ليس بساحر. قالوا: يفرق بين الحبيب و حبيبه-فتفرق المشركون على ذلك.

فبلغ ذلك النبى ص فتزمل فى ثيابه و تدثر فيها-فأتاه جبريل فقال: يا أيها المزمّل يا أيها المدثر.

أقول: آخر الروايه لا يخلو من شىء حيث إن ظاهرها نزول السورتين معا. على أن القرآن حتى فى سوره المدثر يحكى تسميتهم له (ص) بألقاب السوء كالكاهن و الساحر و المجنون و الشاعر و لم يذكر فيها قولهم: يفرق بين الحبيب و حبيبه.

وفيه، أخرج عبد الله بن أحمد فى كتاب الزهد و محمد بن نصر فى كتاب الصلاه عن عائشه قالت*: كان النبى ص قلما ينام من الليل لما قال الله له: «قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا».

و فى الكشاف، عن عائشه": أنها سألت: ما كان تزميله؟ قالت: كان مرطا طوله أربع عشره ذراعا-نصفه على و أنا نائمه و نصفه عليه و هو يصلى. فسئلت: ما كان؟ قالت: و الله ما كان خزا و لا قزا- و لا مرعزيا و لا إبريسما و لا صوفا. كان سداه شعرا و لحمته وبرا.

أقول: الروايه مرميه بالوضع فإن السوره من العتائق النازله بمكه، و عائشه إنما بنى عليها النبى ص بالمدينه بعد الهجره.

و عن جوامع الجامع، روى: أنه قد دخل على خديجه و قد جثت فرقا (1) فقال: زمّلونى فينا هو على ذلك إذ ناداه جبريل: «يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ».

وفى الدر المنثور، أخرج عبد بن حميد و ابن جرير و ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير قال*: «لما نزلت «يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا» مكث النبى ص على هذه الحال عشر سنين-يقوم الليل كما أمره الله-و كانت طائفه من أصحابه يقومون معه-فأنزل الله بعد عشر سنين «إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ -إلى قوله- وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ» فخفف الله عنهم بعد عشر سنين.

ص: ٧٠

أقول: وروى نزول آيه التخفيف بعد سنه و روى أيضا نزولها بعد ثمانيه أشهر، و لم يكن قيام الليل واجبا على غير النبي ص كما أشير إليه بقوله تعالى « إِنَّ هَذِهِ تَذَكِرَةٌ » الآية كما تقدم، و يؤيده ما فى الروايه من قوله: «و طائفه من أصحابه».

و فى التهذيب، بإسناده عن محمد بن مسلم عن أبى جعفر (ع) قال: * سألته عن قول الله تعالى: « قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا » قال: أمره الله أن يصلى كل ليله- إلا أن تأتى عليه ليله من الليالى لا يصلى فيها شيئا.

أقول: الروايه تشير إلى أحد الوجوه فى الآية و فى المجمع، و قيل: إن نصفه بدل من القليل فيكون بيانا للمستثنى، و يؤيد هذا القول ما روى عن الصادق (ع) قال: القليل النصف أو انقص من القليل قليلا- أو زد على القليل قليلا.

و فى الدر المنثور، أخرج العسكرى فى المواعظ عن على (ع) * أن رسول الله ص سئل عن قول الله: « وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا » قال: بينه تبيينا، و لا تنثره نثر الدقل، و لا تهذه هذ الشعر، فقفوا عند عجائبه، و حركوا به القلوب، و لا يكن هم أحدكم آخر السوره.

أقول: و روى هذا المعنى فى أصول الكافى، بإسناده عن عبد الله بن سليمان عن الصادق عن على (ع) * و لفظ بينه تبيينا و لا تهذه هذ الشعر، و لا تنثره نثر الرمل، و لكن أفرغوا (١) قلوبكم القاسيه- و لا يكن هم أحدكم آخر السوره.

و فيه، أخرج ابن أبى شيبه عن طاووس قال: * سئل رسول الله ص أى الناس أحسن قراءة- قال الذى إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله.

و فى أصول الكافى، بإسناده عن على بن أبى حمزه قال قال أبو عبد الله (ع): * إن القرآن لا يقرأ هذرمة (٢) و لكن يرتل ترتيلا- فإذا مررت بآيه فيها ذكر الجنه فقف عندها- و اسأل الله عز و جل الجنه، و إذا مررت بآيه فيها ذكر النار فقف عندها- و تعوذ بالله من النار.

و فى المجمع، فى معنى الترتيل عن أبى بصير عن أبى عبد الله (ع) قال: * هو أن تتمكث فيه و تحسن به صوتك.

ص: ٧١

١-١) أفرغ الإناء: أخلاه.

٢-٢) الهذرمة: الإسراع فى القراءة.

وفيه، روى عن أم سلمة أنها قالت " *: كان رسول الله ص يقطع قراءته آيه آيه.

وفيه، عن أنس قال " *: كان (ص) يمد صوته مدا.

وفيه، سأل الحارث بن هشام رسول الله ص فقال *: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال (ص): أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس - وهو أشد على فيفصم (1) عنى وقد وعيت ما قال - وأحيانا يتمثل الملك رجلا فأعى ما يقول.

قالت عائشه: إنه كان ليوحى إلى رسول الله ص - وهو على راحلته فتضرب بجرانها.

قالت: ولقد رأيته ينزل عليه فى اليوم الشديد البرد - فيفصم عنه و إن جبينه ليرفض عرقا.

و عن تفسير العياشى، بإسناده عن عيسى بن عبيد عن أبيه عن جده عن علي (ع) قال *: كان القرآن ينسخ بعضه بعضا، وإنما يؤخذ من أمر رسول الله ص بآخره.

و كان من آخر ما نزل عليه سوره المائده - نسخت ما قبلها و لم ينسخها شىء - لقد نزلت عليه و هو على بغله شهباء - و ثقل عليها الوحي حتى وقفت - و تدلى بطنها حتى رأيت سرتها تكاد تمس الأرض.

أقول: إن صحت الروايه كان ظهور أثر ثقل الوحي على الناقه أو البغله من قبيل تجسم المعانى و كثيرا ما يوجد مثله فيما نقل من المعجزات و كرامات الأولياء، و أما اتصاف الوحي و هو كلام بالثقل المادى فغير معقول.

و فى التهذيب، بإسناده عن هشام بن سالم عن أبى عبد الله (ع) *: فى قول الله عز و جل:

« إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَ أَقْوَمُ قِيلاً » قال: يعنى بقوله: « وَ أَقْوَمُ قِيلاً » قيام الرجل عن فراشه يريد به الله عز و جل لا يريد به غيره:.

أقول: و رواه أيضا بسندين آخرين فى التهذيب و العلل عن هشام عنه (ع).

و فى المجمع، فى قوله تعالى: « إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ » الآية: و

المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (ع) أنهما قالا: هى القيام فى آخر الليل.

ص: ٧٢

و في الدر المنثور، أخرج ابن المنذر عن حسين بن علي * أنه رثى يصلى بين المغرب و العشاء - ف قيل له في ذلك؟ فقال: إنهما من الناشئه.

و في المجمع، في قوله تعالى: « وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا »:

روى محمد بن مسلم و زواره و حمران عن أبي جعفر و أبي عبد الله (ع) * أن التبتل هذا رفع اليدين في الصلاة.

و في روايه أبي بصير قال: هو رفع يدك إلى الله و تضرعك.

أقول: و ينطبق على قنوت الصلاة، و في روايه هو رفع اليدين و تحريك السبابتين، و في روايه الإيماء بالإصبع و في روايه الدعاء بإصبع واحده يشير بها.

و فيه، " في قوله تعالى: « وَ طَعَامًا ذَا غُصَّةٍ » الآية " عن عبد الله بن عمر " أن النبي ص سمع قارئاً يقرأ هذا فصعق.

و في تفسير القمي، " في قوله: « وَ كَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً » قال: مثل الرمل ينحدر.

[سوره المزمل (٧٣): آيه ٢٠]

اشاره

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ نُجُومِ اللَّيْلِ وَ نَضِيفَهُ وَ ثُلُثَهُ وَ طَائِفَهُ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَ اللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضِيٌّ وَ آخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ آخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَ أقيموا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ اقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَ مَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِهِمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَ أَعْظَمُ أَجْرًا وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٠)

آيه مبنيه على التخفيف فيما أمر به النبي ص في صدر السوره من قيام الليل و الصلاه فيه ثم عمم الحكم لسائر المؤمنين بقوله: «إِنَّ هَذِهِ تَذَكِرَةٌ» الآيه.

و لسان الآيه هو التخفيف بما تيسر من القرآن من غير نسخ لأصل الحكم السابق بالمنع عن قيام ثلثي الليل أو نصفه أو ثلثه.

و قد ورد في غير واحد من الأخبار أن الآيه مكيه نزلت بعد ثمانيه أشهر أو سنه أو عشر سنين من نزول آيات صدر السوره لكن يوهنه اشتمال الآيه على قوله تعالى:

« وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ أَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا » فَإِنْ ظَاهِرُهُ أَنْ الْمُرَادَ بِالزَّكَاةِ - وَ قَدْ ذَكَرْتُ قَبْلَهَا الصَّلَاةَ وَ بَعْدَهَا الْإِنْفَاقَ الْمُسْتَحَبَّ - هُوَ الزَّكَاةُ الْمَفْرُوضَةُ وَ إِنَّمَا فَرَضْتُ الزَّكَاةَ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ.

و قول بعضهم: إن الزكاه فرضت بمكه من غير تعيين الأنصبا و الذى فرض بالمدينه تعيين الأنصبا، تحكم من غير دليل، و كذا قول بعضهم: إنه من الممكن أن تكون الآيه مما تأخر حكمه عن نزوله.

على أن فى الآيه ذكرا من القتال إذ يقول: « وَ آخِرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » و لم يكن من مصلحة الدعوه الحقه يومئذ ذاك و الظرف ذلك الظرف أن يقع فى متنها ذكر من القتال بأى وجه كان، فالظاهر أن الآيه مدنيه و ليست بمكيه و قد مال إليه بعضهم.

قوله تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ» إلى آخر الآيه. الخطاب للنبي ص و فى التعبير بقوله: «رَبِّكَ» تلويح إلى شمول الرحمه و العنايه الإلهيه، و كذا فى قوله: «يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ» إلخ مضافا إلى ما فيه من لائحته الشكر قال تعالى: «وَ كَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا»: الدهر ٢٢.

و قوله: «تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ» أدنى اسم تفضيل من الدنو بمعنى القرب، و قد جرى العرف على استعمال أدنى فيما يقرب من الشىء و هو أقل فيقال:

إن عدتهم أدنى من عشره إذا كانوا تسعه مثلا دون ما لو كانوا أحد عشر فمعنى قوله:

« أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ » أقرب من ثلثيه و أقل بقليل.

و الواو العاطفه فى قوله: « وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثُهُ » لمطلق الجمع و المراد أنه يعلم أنك تقوم فى بعض الليالى أدنى من ثلثى الليل و فى بعضها نصفه و فى بعضها ثلثه.

و قوله: « وَ طَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ » المراد المعيه فى الإيمان و « مِّنَ » للتبعيض فالآيه تدل على أن بعضهم كان يقوم الليل كما كان يقومه النبى ص. و قيل «من» بيانيه، و هو كما ترى.

و قوله: « وَ اللَّهُ يُعَدِّدُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ » فى مقام التعليل لقوله: « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ » و المعنى و كيف لا يعلم و هو الله الذى إليه الخلق و التقدير ففى تعيين قدر الليل و النهار تعيين ثلثهما و نصفهما و ثلثيهما، و نسبة تقدير الليل و النهار إلى اسم الجلاله دون اسم الرب و غيره لأن التقدير من شئون الخلق و الخلق إلى الله الذى إليه ينتهى كل شىء.

و قوله: « عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ » الإحصاء تحصيل مقدار الشىء و عدده و الإحاطه به، و ضمير « لَنْ تُحْصَوْهُ » للتقدير أو للقيام مقدار ثلث الليل أو نصفه أو أدنى من ثلثيه، و إحصاء ذلك مع اختلاف الليالى طولاً و قصرًا فى أيام السنه مما لا يتيسر لعامه المكلفين و يشتد عسرا لمن نام أول الليل و أراد القيام بأحد المقادير الثلاثه دون أن يحتاط بقيام جميع الليل أو ما فى حكمه.

فالمراد بقوله: « عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ » علمه تعالى بعدم تيسر إحصاء المقدار الذى أمروا بقيامه من الليل لعامه المكلفين.

و المراد بقوله: « فَتَابَ عَلَيْكُمْ » توبته تعالى و رجوعه إليهم بمعنى انعطاف الرحمه الإلهيه عليهم بالتخفيف فله سبحانه توبه على عباده بسط رحمته عليهم و أثرها توفيقهم للتوبه أو لمطلق الطاعه أو رفع بعض التكليف أو التخفيف قال تعالى: « ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا »: التوبه ١١٨.

كما أن له توبه عليهم بمعنى الرجوع إليهم بعد توبتهم و أثرها مغفره ذنوبهم، و قد تقدمت الإشارة إليه.

و المراد بقوله: « فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ » التخفيف فى قيام الليل من حيث المقدار لعامه المكلفين تفريعاً على علمه تعالى أنهم لن يحصوه.

و لانزم ذلك التوسع فى التكليف بقيام الليل من حيث المقدار حتى يسع لعامه المكلفين الشاق عليهم إحصاؤه دون النسخ بمعنى كون قيام الثلث أو النصف أو الأدنى من الثلثين

لمن استطاع ذلك بدعه محرمة و ذلك أن الإحصاء المذكور إنما لا يتيسر لمجموع المكلفين لا لجميعهم و لو امتنع لجميعهم و لم يتيسر لأحدهم لم يشرع من أصله و لا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

على أنه تعالى يصدق لنبيه(ص) و طائفه من الذين معه قيام الثلث و النصف و الأذنى من الثلثين و ينسب عدم التمكن من الإحصاء إلى الجميع و هم لا- محاله هم القائمون و غيرهم فالحكم إنما كان شاقا على المجموع من حيث المجموع دون كل واحد فوسع في التكليف بقوله: «فَأَقْرُوا[□] مَا تَيْسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ» و سهل الأمر بالتخفيف ليكون لعامه المكلفين فيه نصيب مع بقاء الأصل المشتمل عليه صدر السورة على حاله لمن تمكن من الإحصاء و إرادته، و الحكم استحبابي لسائر المؤمنين و إن كان ظاهر ما للنبي ص من الخطاب الوجوب كما تقدمت الإشارة إليه.

و للقوم في كون المراد بقيام الليل الصلاة فيه أو قراءه القرآن خارج الصلاة، و على الأول في كونه واجبا على النبي ص و المؤمنين أو مستحبا للجميع أو واجبا على النبي ص مستحبا لغيره ثم في نسخ الحكم بالتخفيف بما تيسر بهذه الآية أو تبديل الصلاة من قراءه ما تيسر من القرآن أقوال لا كثير جدوى في التعرض لها و البحث عنها.

و قوله: «عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضِي[□] وَ آخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ آخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ[□]» إشاره إلى مصلحة أخرى مقتضيه للتخفيف في أمر القيام ثلث الليل أو نصفه أو أدنى من ثلثيه، وراء كونه شاقا على عامه المكلفين بالصفة المذكورة أولا فإن الإحصاء المذكور للمريض و المسافر و المقاتل مع ما هم عليه من الحال شاق عسير جدا.

و المراد بالضرب في الأرض للابتغاء من فضل الله طلب الرزق بالمسافره من أرض إلى أرض للتجاره.

و قوله: «فَأَقْرُوا[□] مَا تَيْسَّرَ مِنْهُ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ أَقْرُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا[□]» تكرر للتخفيف تأكيدا، و ضمير « مِنْهُ » للقرآن، و المراد الإتيان بالصلاة على ما يناسب سعه الوقت الذي قاموا فيه.

و المراد بالصلاة المأمور بإقامتها الفريضة فإن كانت الآية مدنيه فالفرائض الخمس اليوميه و إن كانت مكيه فبحسب ما كانت مفروضه من الصلاة، و المراد بالزكاة الزكاة

المفروضه، والمراد بإقراضه تعالى غير الزكاه من الإنفاقات الماليه فى سبيل الله.

و عطف الأمر بإقامه الصلاه و إيتاء الزكاه و الإقراض للتلويح إلى أن التكليف الدينيه على حالها فى وجوب الاهتمام بها و الاعتناء بأمرها، فلا يتوهم من متوهم سريان التخفيف و المسامحه فى جميع التكليف فالآيه نظيره قوله فى آيه النجوى: «فَاذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ»: المجادله: ١٣.

و قوله: «وَ مَا تَقَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَ أَكْبَرُ مِنْ خَيْرٍ» «مِنْ خَيْرٍ» بيان للموصول، و المراد بالخير مطلق الطاعه أعم من الواجبه و المندوبه، و «هُوَ» ضمير فصل أو تأكيد للضمير فى «تجدوه».

و المعنى: و الطاعه التى تقدمونها لأنفسكم- أى لتعيشوا بها فى الآخره- تجدونها عند الله- أى فى يوم اللقاء- خيرا من كل ما تعملون أو تتركون و أعظم أجرا.

و قوله: «وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» ختم الكلام بالأمر بالاستغفار، و فى قوله: «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» إشعار بوعد المغفره و الرحمه، و لا يبعد أن يكون المراد بالاستغفار الإتيان بمطلق الطاعات لأنها وسائل يتوسل بها إلى مغفره الله فالإتيان بها استغفار.

بحث روائى

فى تفسير القمى، فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر (ع) * فى قوله تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَ نَضِيفَهُ وَ ثُلُثَهُ» ففعل النبى ص ذلك و بشر الناس به- فاشتد ذلك عليهم- و «عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ» و كان الرجل يقوم و لا يدرى متى ينتصف الليل- و متى يكون الثلثان، و كان الرجل يقوم حتى يصبح مخافه أن لا يحفظه.

فأنزل الله: «إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ -إلى قوله- عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ» يقول:

متى يكون النصف و الثلث نسخت هذه الآيه «فَأَقْرُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ»، و اعلموا أنه لم يأت نبى قط إلا خلا بصلاه الليل، و لا جاء نبى قط بصلاه الليل فى أول الليل.

أقول: محصل الروايه أن صدر السوره توجب صلاه الليل و ذيلها تنسخها، و روى ما يقرب منه من طرق أهل السنه عن ابن عباس و غيره، و قد تقدم ما يتعلق به فى البيان السابق.

و في المجمع، روى الحاكم أبو القاسم إبراهيم الحسكاني بإسناده عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس* في قوله تعالى: «وَ طَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ» قال: علي و أبو ذر.

و فيه، في قوله تعالى: «فَأَقْرُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ»:

روى عن الرضا عن أبيه عن جده (ع) قال*: ما تيسر منه لكم فيه خشوع القلب و صفاء السر.

و في الدر المنثور، أخرج ابن أبي حاتم و الطبراني و ابن مردويه عن ابن عباس عن النبي ص* «فَأَقْرُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ» قال: مائه آيه.

و فيه، أخرج ابن مردويه عن عبد الله بن مسعود قال*: قال رسول الله ص: ما من جالب يجلب طعاما إلى بلد من بلاد المسلمين - فيبيعه بسعر يومه - إلا - كانت منزلته عند الله منزله الشهيد. ثم قرأ رسول الله ص «وَ آخِرُونَ يُضْرَبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ - وَ آخِرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

و في تفسير القمي، بإسناده عن زرعه عن سماعه قال*: سألته عن قول الله: «وَ أَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» قال: هو غير الزكاه.

و في الخصال، عن أمير المؤمنين (ع) في حديث الأربعمائه: أكثروا الاستغفار تجلبوا الرزق، و قدموا ما استطعتم من عمل الخير تجدوه غدا.

أقول: ذيله مأخوذ من قوله تعالى: «وَ مَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَ أَعْظَمُ أَجْرًا».

(٧٤) سورة المدثر مكيه و هي ست و خمسون آيه (٥٦)

[سورة المدثر (٧٤): الآيات ١ الى ٧]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَ رَبِّكَ فَكْبُرُ (٣) وَ لِيَا بَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَ الرَّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَ لَا تَمُنُّنَّ تَسْتَكْبِرُ (٦) وَ لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)

تتضمن السوره أمر النبي ص بالإنذار فى سياق يلوح منه كونه من أوامر أوائل البعثه ثم الإشاره إلى عظم شأن القرآن الكريم و جلاله قدره، و الوعيد الشديد على من يواجهه بالإنكار و الرمى بالسحر، و ذم المعرضين عن دعوته.

و السوره مكيه من العتائق النازله فى أوائل البعثه و ظهور الدعوه حتى قيل: إنها أول سوره نزلت من القرآن و إن كان يكذبه نفس آيات السوره الصريحه فى سبق قراءته (ص) القرآن على القوم و تكذيبهم به و إعراضهم عنهم و رميهم له بأنه سحر يؤثر.

و لذا مال بعضهم إلى أن النازل أولاً هى الآيات السبع الواقعه فى أول السوره و لازمه كون السوره غير نازله دفعه و هو و إن كان غير بعيد بالنظر إلى متن الآيات السبع لكن يدفعه سياق أول سوره العلق الظاهر فى كونه أول ما نزل من القرآن.

و احتمال بعضهم أن تكون السوره أول ما نزل على النبي ص عند الأمر بإعلان الدعوه بعد إخفائها مده فى أول البعثه فهى فى معنى قوله: «فَاصِدِّعْ بِمَا تُوَمَّرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ»: الحجر ٩٤، و بذلك جمع بين ما ورد من أنها أول ما نزل، و ما ورد أنها نزلت بعد سوره العلق، و ما ورد أن سورتي المزل و المدثر نزلتا معاً، و هذا القول لا يتعدى طور الاحتمال.

و كيف كان فالمتيقن أن السوره من أوائل ما نزل على النبي ص من السور القرآنيه، و الآيات السبع التى نقلناها تتضمن الأمر بالإنذار و سائر الخصال التى تلزمه مما وصاه الله به.

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ» المدثر بتشديد الدال و الثاء أصله المتدثر اسم فاعل من التدثر بمعنى التغطى بالثياب عند النوم.

و المعنى: يا أيها المتغطى بالثياب للنوم خطاب للنبي ص و قد كان على هذه الحال فخطب بوصف مأخوذ من حاله تأنيساً و ملاطفه نظير قوله: «يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ».

و قيل: المراد بالتدثر تلبسه (ص) بالنبوه بتشبيهها بلباس يتحلى به و يتزين و قيل:

المراد به اعتزاله (ص) و غيبته عن النظر فهو خطاب له بما كان عليه فى غار حراء، و قيل: المراد به الاستراحه و الفراغ فكأنه قيل له (ص): يا أيها المستريح الفراغ قد

انقضى زمن الراحة و أقبل زمن متاعب التكليف و هدايه الناس.

و هذه الوجوه و إن كانت فى نفسها لا بأس بها لكن الذى يسبق إلى الذهن هو المعنى الأول.

قوله تعالى: «قُمْ فَأَنْذِرْ» الظاهر أن المراد به الأمر بالإنذار من غير نظر إلى من ينذر فالمعنى افعل الإنذار، و ذكر بعضهم أن مفعول الفعل محذوف، و التقدير أنذر عشيرتك الأقربين لمناسبته لابتداء الدعوه كما ورد فى سورة الشعراء.

و ذكر آخرون أن المفعول المحذوف عام و هو جميع الناس لقوله: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ» سبأ: ٢٨.

و لم يذكر التبشير مع الإنذار مع أنهما كالمتلازمين فى تمام الدعوه لأن السوره مما نزل فى ابتداء الدعوه و الإنذار هو الغالب إذ ذاك.

قوله تعالى: «وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ» أى أنسب ربك إلى الكبرياء و العظمه اعتقادا و عملا قولاً و فعلاً و هو تنزيهه تعالى من أن يعادله أو يفوقه شىء فلا شىء يشاركه أو يغلبه أو يمانعه، و لا نقص يعرضه، و لا وصف يحده.

و لذا ورد عن أئمه أهل البيت (ع) أن معنى التكبير: الله أكبر من أن يوصف، فهو تعالى أكبر من كل وصف نصفه به حتى من هذا الوصف، و هذا هو المناسب للتوحيد الإسلامى الذى يفوق ما نجده من معنى التوحيد فى سائر الشرائع السماويه.

و هذا الذى ذكرناه هو الفرق بين كلمتى التكبير و التسييح-الله أكبر و سبحان الله-فسبحان الله تنزيه له تعالى عن كل وصف عدمى مبنى على النقص كالموت و العجز و الجهل و غير ذلك، و الله أكبر تنزيه مطلق له تعالى عن كل وصف نصفه به أعم من أن يكون عدمياً أو وجودياً حتى من نفس هذا الوصف لما أن كل مفهوم محدود فى نفسه لا يتعدى إلى غيره من المفاهيم و هو تعالى لا يحيط به حد، فافهم ذلك.

و قيل: المراد الأمر بالتكبير فى الصلاه.

و التعبير عنه تعالى بربك لا يخلو من إشعار بأن توحيده تعالى يومئذ كان يختص به.

قال فى الكشاف، فى قوله: «فَكَبِيرٌ»: و دخلت الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل: و ما كان فلا تدع تكبيره.

قوله تعالى: «وَلِيَّابِكَ فَطَهَّرْ» قيل: كناية عن إصلاح العمل، و لا يخلو من وجه فإن العمل بمنزله الثياب للنفس بما لها من الاعتقاد فالظاهر عنوان الباطن، وكثيرا ما يكتفى فى كلامهم عن صلاح العمل بطهاره الثياب.

وقيل: كناية عن تركيه النفس و تزيهها عن الذنوب و المعاصى.

وقيل: المراد تقصير الثياب لأنه أبعد من النجاسه و لو طالت و انجرت على الأرض لم يؤمن أن تتنجس.

وقيل: المراد تطهير الأزواج من الكفر و المعاصى لقوله تعالى: «هُنَّ لِيَّاسٌ لَكُمْ» البقره ١٨٧.

وقيل: الكلام على ظاهره و المراد تطهير الثياب من النجاسات للصلاه و الأقرب على هذا أن يجعل قوله: «وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ» إشاره إلى تكبير الصلاه و تكون الآيتان مسوقتين لتشريع أصل الصلاه مقارنا للأمر بالدعوه.

و لا يرد عليه ما قيل: إن نزول هذه الآيات كان حيث لا صلاه أصلا و ذلك أن تشريع الفرائض الخمس اليوميه على ما هى عليها اليوم و إن كان فى ليله المعراج و هى جميعا عشر ركعات ثم زيد عليها سبع ركعات إلا أن أصل الصلاه كان منذ أوائل البعثه كما يشهد به ذكرها فى هذه السوره و سورتى العلق و المزمل، و يدل عليه الروايات.

وقيل: المراد بتطهير الثياب التخلق بالأخلاق الحميده و الملكات الفاضله.

و فى معنى تطهير الثياب أقوال أخر أغمضنا عن نقلها لإمكان إرجاعها إلى بعض ما تقدم من الوجوه، و أرجح الوجوه المتقدمه أولها و خامسها.

قوله تعالى: «وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ» قيل: الرجز بضم الراء و كسرهما العذاب، و المراد بهجره هجر سببه و هو الإثم و المعصيه، و المعنى اهجر الإثم و المعصيه.

وقيل: الرجز اسم لكل قبيح مستقذر من الأفعال و الأخلاق فالأمر بهجره أمر بترك كل ما يكرهه الله و لا يرتضيه مطلقا، أو أمر بترك خصوص الأخلاق الرذيله الذميمة على تقدير أن يكون المراد بتطهير الثياب ترك الذنوب و المعاصى.

وقيل: الرجز هو الصنم فهو أمر بترك عباده الأصنام.

قوله تعالى: «وَلَا تَمُنُّنَّ تَسِيَةً كَثِيرًا» الذي يعطيه سياق الآيات و يناسب المقام أن يكون المراد بالمن تكدير الصنيعه بذكرها للمنعم عليه كما فى قوله تعالى: «لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى» البقره: ٢٦٤، وقوله: «يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا»: الحجرات ١٧ و المراد بالاستكثار رؤيه الشىء و حسابانه كثيرا لا طلب الكثره.

و المعنى: لا تمنن امثالك لهذه الأوامر و قيامك بالإنذار و تكبيرك ربك و تطهيرك ثيابك و هجرك الرجز حال كونك ترى ذلك كثيرا و تعجبه-فإنما أنت عبد لا- تملك من نفسك شيئا إلا ما ملكك الله و أقدرك عليه و هو المالك لما ملكك و القادر على ما عليه أقدرك فله الأمر و عليك الامثال-.

و للقوم فى الآيه وجوه آخر من التفسير لا تلائم السياق تلك الملاءمه فقيل المعنى لا تعط عطيه لتعطى أكثر منها.

و قيل: المعنى لا تمنن ما أعطاك الله من النبوه و القرآن على الناس مستكثرا به الأجر.

و قيل: أى لا تمنن إبلاغ الرساله على أمتك.

و قيل: المعنى لا تضعف فى عملك مستكثرا لطاعاتك.

و قيل: المعنى لا تمنن بعتائك على الناس مستكثرا له.

و قيل: أى إذا أعطيت عطيه فأعطها لربك و اصبر حتى يكون هو الذى يشيك.

و قيل: هو نهى عن الربا المحرم أى لا تعط شيئا طالبا أن تعطى أكثر مما أعطيت.

قوله تعالى: «وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ» أى لوجه ربك، و الصبر مطلق يشمل الصبر عند المصيبه و الصبر على الطاعه و الصبر عن المعصيه، و المعنى و لوجه ربك فاصبر عند ما يصيبك من المصيبه و الأذى فى قيامك بالإنذار و امثالك هذه الأوامر و اصبر على طاعه الله و اصبر عن معصيته، و هذا معنى جامع لمتفرقات ما ذكره فى تفسير الآيه كقول بعضهم: إنه أمر بنفس الفعل من غير نظر إلى متعلقه، و قول بعضهم: إنه الصبر على أذى المشركين، و قول بعضهم: إنه الصبر على أداء الفرائض، إلى غير ذلك.

فى الدر المنثور، أخرج الطيالسى و عبد الرزاق و أحمد و عبد بن حميد و البخارى و مسلم و الترمذى و ابن الضريس و ابن جرير و ابن المنذر و ابن مردويه و ابن الأنبارى فى المصاحف عن يحيى بن أبى كثير قال*: سألت أبا سلمه بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن- فقال: يا أيها المدثر قلت: يقولون: اقرأ باسم ربك الذى خلق؟ فقال أبو سلمه: سألت جابر بن عبد الله عن ذلك، قلت له مثل ما قلت. قال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ص.

قال: جاورت بحراء فلما قضيت جوارى نوديت- فنظرت عن يمينى فلم أر شيئا- ونظرت عن شمالى فلم أر شيئا، ونظرت خلفى فلم أر شيئا- فرفعت رأسى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء- جالس على كرسى بين السماء والأرض- فجثت منه رعبا فرجعت فقلت: دثرونى دثرونى- فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ - إِلَى قَوْلِهِ - وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾.

أقول: الحديث معارض بالأحاديث الآخر الداله على كون سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن و يؤيدها سياق سورة اقرأ، على أن قوله: «فإذا الملك الذى جاءنى بحراء» يشعر بنزول الوحي عليه قبلا.

وفيه، أخرج ابن مردويه عن أبى هريره*: قلنا: يا رسول الله كيف نقول إذا دخلنا فى الصلاة؟ فأنزل الله «وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ» فأمرنا رسول الله ص أن نفتح الصلاة بالتكبير.

أقول: و فى الروايه شىء فأبو هريره ممن آمن بعد الهجره بكثير و السوره مما نزل فى أول البعته فأين كان أبو هريره أو الصحابه يومئذ؟.

و فى الخصال، عن أمير المؤمنين (ع) فى حديث الأربعمائه: تشمير الثياب طهور لها قال الله تبارك و تعالى: «وَلِيَّابِكَ فَطَهِّرْ» يعنى فشمير.

أقول: و فى المعنى عده أخبار مرويه فى الكافى، و المجمع، عن أبى جعفر و أبى عبد الله.

و أبى الحسن (ع).

و فى الدر المنثور، أخرج الحاكم و صححه و ابن مردويه عن جابر قال*: سمعت رسول الله ص يقول: «وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ» برفع الراء، و قال: هى الأوثان.

أقول: وقوله: «هي الأوثان» من كلام جابر أو غيره من رجال السند.

و في تفسير القمي، في قوله تعالى: «وَلَا تَمُنُّنَّ تَسْتَكْبِرُ» و في روايه أبي الجارود يقول:

لا تعط تلتمس أكثر منها.

[سوره المدثر (٧٤): الآيات ٨ الى ٣١]

إشارة

فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠) ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَيْنَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقَتَلَ كَيْفَ فَدَرَّ (١٩) ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ فَدَرَّ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سَحَابٌ مُنْتَهَى (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصَلِّبُهُ سِقْرَ (٢٦) وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرٌ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَاحِئَهُ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يزتاب الذين أوتوا الكتاب و المؤمنون و ليقول الذين في قلوبهم مرض و الكافرون ما ذا أراد الله بهذا مثلاً كذلك يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ (٣١)

فى الآيات وعيد شديد للطاعنين فى القرآن الرامين له بأنه سحر و المستهزين لبعض ما فيه من الحقائق.

قوله تعالى: «فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ» النقر القرع و الناقور ما ينقر فيه للتصويت، و النقر فى الناقور كالنفخ فى الصور كناية عن بعث الموتى و إحضارهم لفصل القضاء يوم القيامة و الجملة شرطيه جزاؤها قوله «فذلك» إلخ.

قوله تعالى: «فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ» الإشاره بقوله «فَذَلِكَ» إلى زمان نقر الناقور و لا يبعد أن يكون المراد بيومئذ يوم إذ يرجعون إلى الله للحساب و الجزاء أو يوم إذ يرجع الخلائق إلى الله فيكون ظرفا ليوم نقر الناقور فمن الجائز أن تعتبر قطعه من الزمان ظرفا لبعض أجزائه كالسنه تجعل ظرفا للشهر و الشهر يجعل ظرفا لليوم لنوع من العنايه أو يعتبر زمان متعددًا مختلفًا باختلاف صفاته أو الحوادث الواقعه فيه ثم يجعل باعتبار بعض صفاته ظرفا لنفسه باعتبار صفه أخرى.

و المعنى فرمان نقر الناقور الواقع فى يوم رجوع الخلائق إلى الله زمان عسير على الكافرين أو زمان نقر الناقور زمان عسير على الكافرين فى يوم الرجوع-بناء على كون قوله: «يَوْمَئِذٍ» قيذا لقوله: «فَذَلِكَ» أو لقوله: «يَوْمٌ».

و قال فى الكشاف: فإن قلت: بم انتصب إذا و كيف صح أن يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير؟ قلت: انتصب إذا بما دل عليه الجزاء لأن المعنى إذا نقر فى الناقور عسر الأمر على الكافرين، و الذى أجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير أن المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير لأن يوم القيامة يأتى و يقع حين ينقر فى الناقور. انتهى.

و قال: و يجوز أن يكون يومئذ مبنيًا مرفوع المحل بدلا من ذلك، و يوم عسير خبر كأنه قيل: فيوم النقر يوم عسير. انتهى.

و قوله: «غَيْرُ يَسِيرٍ» و وصف آخر ليوم مؤكد لعسره و يفيد أنه عسير من كل وجه من وجه دون وجه.

قوله تعالى: «ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا» كلمه تهديد و قد استفاض النقل أن الآيه

و ما يتلوها إلى تمام عشرين آيه نزلت في الوليد بن المغيرة، و ستأتى قصته في البحث الروائى الآتى إن شاء الله تعالى.

و قوله: «وَحِيداً» حال من فاعل «خَلَقْتُ» و محصل المعنى: دعنى و من خلقتة حال كونى وحيداً لا يشاركنى فى خلقه أحد ثم دبرت أمره أحسن التدبير، و لا تحل بينى و بينه فأنا أكفيه.

و من المحتمل أن يكون حالاً من مفعول «ذَرْنِي». و قيل: حال من مفعول خلقت المحذوف و هو ضمير عائذ إلى الموصول، و محصل المعنى دعنى و من خلقتة حال كونه وحيداً لا مال له و لا بنون، و احتمال أيضاً أن يكون «وَحِيداً» منصوباً بتقدير «أذم» و أحسن الوجوه أولها.

قوله تعالى: «وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً» أى مبسوطاً كثيراً أو ممدوداً بمدد النماء.

قوله تعالى: «وَبَيْنَ شُهُوداً» أى حضوراً يشاهدهم و يتأيد بهم، و هو عطف على قوله: «مَالاً».

قوله تعالى: «وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً» التمهيد التهيئة و يتجاوز به عن بسطه المال و الجاه و انتظام الأمور.

قوله تعالى: «ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً» أى ثم يطمع أن أزيد فيما جعلت له من المال و البنين و مهدت له من التمهيد.

و قوله: «كَلَّا» ردع له، و قوله: «إِنَّهُ كَانَ» إلخ تعليل المردع، و العنيد المعاند المباهى بما عنده، قيل، ما زال الوليد بعد نزول هذه الآيه فى نقصان من ماله و ولده حتى هلك.

قوله تعالى: «سَأَرْهُقُهُ صِيعُوداً» الإرهاق الغشيان بالعنف، و الصعود عقبه الجبل التى يشق مصعدها شبه ما سيناله من سوء الجزاء و مر العذاب بغشيانه عقبه و عر صعبه الصعود.

قوله تعالى: «إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ» التفكير معروف، و التقدير عن تفكير نظم معان و أوصاف فى الذهن بالتقديم و التأخير و الوضع و الرفع لاستنتاج غرض مطلوب، و قد كان الرجل يهوى أن يقول فى أمر القرآن شيئاً يبطل به

دعوته و يرضى به قومه المعاندين ففكر فيه أ يقول: شعر أو كهانه أو هذره جنون أو أسطوره فقدر أن يقول: سحر من كلام البشر لأنه يفرق بين المرء و أهله و ولده و مواليه.

و قوله: «فَقَتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ» دعا عليه على ما يعطيه السياق نظير قوله: «قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ»: التوبه ٣٠.

و قوله: «ثُمَّ قَتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ» تكرر للدعاء تأكيدا.

قوله تعالى: «ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ» تمثيل لحاله بعد التكفير و التقدير و هو من أطف التمثيل و أبلغه.

فقوله: «ثُمَّ نَظَرَ» أى ثم نظر بعد التفكير و التقدير نظره من يريد أن يقضى فى أمر سئل أن ينظر فيه-على ما يعطيه سياق التمثيل-.

و قوله: «ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ» العبوس تقطيب الوجه، قال فى المجمع،: و عبس يعبس عبوسا إذا قبض وجهه و العبوس و التكليلج و التقطيب نظائر و ضدها الطلاقه و البشاشه، و قال: و البسور بدء التكره فى الوجه انتهى، فالمعنى ثم قبض وجهه و أبدا التكره فى وجهه بعد ما نظر.

و قوله: «ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ» الإدبار عن شىء الإعراض عنه، و الاستكبار الامتناع كبرا و عتوا، و الأمران أعنى الإدبار و الاستكبار من الأحوال الروحيه، و إنما رتبا فى التمثيل على النظر و العبوس و البسور و هى أحوال صوريه محسوسه لظهورهما بقوله: «إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ» إلخ، و لذا عطف قوله: «فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ بالفاء دون» ثم.

و قوله: «فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ» أى أظهر إدباره و استكباره بقوله مفرعا عليه: «إِنْ هَذَا -أى القرآن- إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ» أى يروى و يتعلم من السحره.

و قوله: «إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ» أى ليس بكلام الله كما يدعيه محمد ص.

قيل: إن هذه الآيه كالتأكيد للآيه السابقه و إن اختلفتا معنى لأن المقصود منهما نفى كونه قرآنا من كلام الله، و باعتبار الاتحاد فى المقصود لم تعطف الجملة على الجملة.

قوله تعالى: «سَأَصْلِيهِ سِقَرٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِقَرٌ لَّا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ لَوْ أَحَ لِّلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ» أى سأدخله سقر و سقر من أسماء جهنم فى القرآن أو دركه من دركاتها، و جملة

« سَأَصْلِيهِ سَقَرَ » بيان أو بدل من قوله: « سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا ».

و قوله: « وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرَ » تفخيم لأمرها و تهويل.

و قوله: « لَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ » قضيه إطلاق النفي أن يكون المراد أنها لا تبقى شيئا ممن نالته إلا أحرقتة، و لا تدع أحدا ممن ألقى فيها إلا- نالته بخلاف نار الدنيا التي ربما تركت بعض ما ألقى فيها و لم تحرقه، و إذا نالت إنسانا مثلا نالت جسمه و صفاته الجسميه و لم تنل شيئا من روحه و صفاته الروحيه، و أما سقر فلا تدع أحدا ممن ألقى فيها إلا نالته قال تعالى: « تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى »: المعارج ١٧، و إذا نالته لم تبق منه شيئا من روح أو جسم إلا أحرقتة قال تعالى: « نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ »: الهمزة ٧.

و يمكن أن يراد أنها لا تبقىهم أحياء و لا تتركهم يموتون فيكون في معنى قوله تعالى:

« الَّذِي يَصَلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَ لَا يَحْيَى »: الأعلى: ١٣.

و قيل: المعنى لا تبقى شيئا يلقى فيها إلا أهلكته، و إذا هلك لم تذر هالكا حتى يعاد فيعذب ثانيا.

و قيل: المراد أنها لا تبقى لهم لحما و لا تذر عظما، و قيل غير ذلك.

قوله تعالى: « لَوْ أَحَۡهُ لَلْبَشَرِ » اللواحه من التلويح بمعنى تغيير اللون إلى السواد و قيل:

إلى الحمرة، و البشر جمع بشره بمعنى ظاهر الجلد.

قوله تعالى: « عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ » يتولون أمر عذاب المجرمين و قد أبهم و لم يصرح أنهم من الملائكة أو غيرهم غير أن الاستفادة من آيات القيامة- و تصرح به الآيه التاليه- أنهم من الملائكة.

و قد استظهر بعضهم أن ميمز قوله: « تِسْعَةَ عَشَرَ » ملكا ثم قال: أ لا ترى العرب و هم الفصحاء كيف فهموا منه ذلك فقد روى عن ابن عباس: " أنها لما نزلت « عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ » قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم- أ سمع ابن أبي كبشه يخبركم- أن خزنه النار تسعه عشر و أنتم الدهم- أ يعجز كل عشره منكم أن يبطشوا برجل منهم؟ فقال أبو الأسد بن أسيد بن كلده الجمحي- و كان شديد البطش: أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين انتهى، و أنت ترى أن لا دليل في كلامه على ما يدعيه. على أنه سمي الواحد من الخزنه رجلا و لا يطلق الرجل على الملك البته و لا سيما عند المشركين الذين قال تعالى فيهم:

«وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثَاءً»: الزخرف: ١٩.

قوله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً» إلى آخر الآية. سياق الآية يشهد على أنهم تكلموا فيما ذكر في الآية من عدد خزان النار فنزلت هذه الآية، ويتأيد بذلك ما ورد من سبب النزول و سبب نزولك في البحث الروائي التالي.

فقوله: «وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً» المراد بأصحاب النار خزنتها الموكلون عليها المتولون لتعذيب المجرمين فيها كما يفيد قوله: «عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ» ويشهد بذلك قوله بعد: «وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً» إلخ.

و محصل المعنى: أنا جعلناهم ملائكة يقدرون على ما أمروا به كما قال:

«عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ»: التحريم ٦.

فليسوا من البشر حتى يرجوا المجرمون أن يقاوموهم و يطيقوهم.

و قوله: «وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا» الفتنه المحنه و الاختبار. ذكروا أن المراد بالجعل الجعل بحسب الإخبار دون الجعل بحسب التكوين فالمعنى و ما أخبرنا عن عدتهم أنها تسعة عشر إلا ليكون فتنه للذين كفروا، و يؤيده ذيل الكلام:

لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

«إِلخ.

و قوله: «لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» الاستيقان وجدان اليقين في النفس أى ليقن أهل الكتاب بأن القرآن النازل عليك حق حيث يجدون ما أخبرنا به من عده أصحاب النار موافقا لما ذكر فيما عندهم من الكتاب.

و قوله: «وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا» أى بسبب ما يجدون من تصديق أهل الكتاب ذلك.

و قوله: «وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا» اللام فى «لِيَقُولَ» للعاقبه بخلاف اللام فى «لَيْسَتَيْنِ» فللتعليل بالغايه، و الفرق أن قولهم:

«مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا» تحقير و تهكم و هو كفر لا- يعد غايه لفعله سبحانه إلا- بالعرض بخلاف الاستيقان الذى هو من الإيمان، و لعل اختلاف المعنيين هو الموجب لإعاده اللام فى قوله: «وَلِيَقُولَ».

و قد فسروا «الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» بالشك و الجحود بالمنافقين و فسروا الكافرين

بالمظاهرين بالكفر من المشركين و غيرهم.

و قولهم: مَا ذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا «أرادوا به التحقير و التهكم يشيرون بهذا إلى قوله تعالى: «عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ» و المثل الوصف، و المعنى ما الذى يعنيه من وصف الخزنه بأنهم تسعه عشر؟ فهذه العده القليله كيف تقوى على تعذيب أكثر الثقيلين من الجن و الإنس.

ذنبه لما تقدم من الكلام فى النفاق

ذكر بعضهم أن قوله تعالى: «وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» الآية-بناء على أن السوره بتمامها مكيه، و أن النفاق إنما حدث بالمدينه-إخبار عما سيحدث من المغيبات بعد الهجره انتهى.

أما كون السوره بتمامها مكيه فهو المتعين من طريق النقل و قد ادعى عليه إجماع المفسرين، و ما نقل عن مقاتل أن قوله: «وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً» الآية مدنى لم يثبت من طريق النقل، و على فرض الثبوت هو قول نظرى مبنى على حدوث النفاق بالمدينه و الآية تخبر عنه.

و أما حديث حدوث النفاق بالمدينه فقد أصر عليه بعضهم محتجا عليه بأن النبى ص و المسلمين لم يكونوا قبل الهجره من القوه و نفوذ الأمر و سعه الطول بحيث يهابهم الناس أو يرجى منهم خير حتى يتقوهم و يظهروا لهم الإيمان و يلحقوا بجمعهم مع إبطان الكفر و هذا بخلاف حالهم بالمدينه بعد الهجره.

و الحججه غير تامه-كما أشرنا إليه فى تفسير سوره المنافقون فى كلام حول النفاق فإن علل النفاق ليست تنحصر فى المخافه و الاتقاء أو الاستدرار من خير معجل فمن علله الطمع و لو فى نفع مؤجل و منها العصبية و الحميه و منها استقرار العاده و منها غير ذلك.

و لا دليل على انتفاء جميع هذه العلل عن جميع من آمن بالنبى ص بمكه قبل الهجره و قد نقل عن بعضهم أنه آمن ثم رجع أو آمن عن ريب ثم صلح.

على أنه تعالى يقول: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاء نَصِيرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي

صُدُورِ الْعَالَمِينَ وَ لِيُعَلِّمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لِيُعَلِّمَنَّ الْمُتَافِقِينَ: العنكبوت: ١١.

و الآيتان فى سورة مكيه و هى سورة العنكبوت، و هما ناطقتان بوجود النفاق فيها و مع الغض عن كون السوره مكيه فاشتمال الآيه على حديث الإيذاء فى الله و الفتنه أصدق شاهد على نزول الآيتين بمكه فلم يكن بالمدينه إيذاء فى الله و فتنه، و اشتمال الآيه على قوله: «وَ لئنُ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ» إلخ لا يدل على النزول بالمدينه فللنصر مصاديق أخرى غير الفتح المعجل.

و احتمال أن يكون المراد بالفتنه ما وقعت بمكه بعد الهجره غير ضائر فإن هؤلاء المفتونين بمكه بعد الهجره إنما كانوا من الذين آمنوا بالنبى ص قبل الهجره و إن أوذوا بعدها.

و على مثل ذلك ينبغى أن يحمل قوله تعالى: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ»: الحج: ١١ إن كان المراد بالفتنه العذاب و إن كانت السوره مدينه.

[بيان]

و قوله: «كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» الإشاره بذلك إلى مضمون قوله: «وَ مَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً» إلخ.

و قوله: «وَ مَا يَعْلمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ» علق تعالى العلم المنفى بالجنود- و هى الجموع الغليظه التى خلقهم و سائط لإجراء أوامره- لا بخصوص عدتهم فأفاد بإطلاقه أن العلم بحقيقتهم و خصوصيات خلقتهم و عدتهم و ما يعملونه من عمل و دقائق الحكمه فى جميع ذلك يختص به تعالى لا يشاركه فيه أحد، فليس لأحد أن يستقل عدتهم أو يستكثر أو يطعن فى شىء مما يرجع إلى صفاتهم و هو جاهل بها.

و قوله: «وَ مَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ» الضمير راجع إلى ما تقدم من قوله: «عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ» و تأنيته لتأنيث الخبر، و المعنى أن البشر لا سبيل لهم إلى العلم بجنود ربك و إنما أخبرنا عن خزنه النار أن عدتهم تسعه عشر ليكون ذكرى لهم يتعظون بها.

و قيل: الضمير للجنود، و قيل: لسقر، و قيل: للسوره، و قيل: لنار الدنيا و هو

و في الآيه دلالة على أن الخطابات القرآنيه لعامه البشر.

بحث روائى

في تفسير القمى، " في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ -إلى قوله- وَحِيداً﴾ فإنها نزلت في الوليد بن المغيرة-و كان شيخا كبيرا مجربا من دهاه العرب،و كان من المستهزئين برسول الله ص- و كان رسول الله ص يقعد في الحجر و يقرأ القرآن-فاجتمعت قريش إلى الوليد بن المغيرة-فقالوا:يا أبا عبد شمس ما هذا الذى يقول محمد؟أ شعر هو أم كهانه أم خطب؟ فقال دعونى أسمع كلامه-فدنا من رسول الله ص فقال:يا محمد أنشدنى من شعرك-قال:

ما هو شعر و لكنه كلام الله-الذى ارتضاه لملائكته و أنبيائه و رسله-فقال:اتل على منه شيئا! فقرأ عليه رسول الله ص حم السجده-فلما بلغ قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَ ثَمُودَ﴾ قال:فاقشعر الوليد و قامت كل شعره في رأسه و لحيته،و مر إلى بيته و لم يرجع إلى قريش من ذلك.

فمشوا إلى أبى جهل فقالوا:يا أبا الحكم-إن أبا عبد شمس صبا إلى دين محمد أ ما تراه لم يرجع إلينا-فغدا أبو جهل إلى الوليد فقال:يا عم-نكست رءوسنا و فضحتنا و أشمت بنا عدونا-و صبوت إلى دين محمد،فقال:ما صبوت إلى دينه-و لكنى سمعت كلاما صعبا تقشعر منه الجلود-فقال له أبو جهل:أ خطب هو؟قال:لا إن الخطب كلام متصل و هذا كلام منثور-و لا يشبه بعضه بعضا.قال:أ فشعر هو؟قال:لا-أما إنى لقد سمعت أشعار العرب بسيطها و مديدها-و رملها و رجزها و ما هو بشعر.قال:فما هو؟قال: دعنى أفكر فيه.

فلما كان من الغد قالوا له:يا أبا عبد شمس ما تقول فيما قلناه؟قال:قولوا:هو سحر فإنه آخذ بقلوب الناس-فأنزل على رسوله ص في ذلك: ﴿ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾.

و إنما سمي وحيدا لأنه قال لقريش:أنا أتوحد لكسوه البيت سنه و عليكم فى جماعتكم

سنه، و كان له مال كثير و حدائق، و كان له عشر بنين بمكه، و كان له عشره عبيد عند كل عبد ألف دينار يتجر بها- و تلك القنطار فى ذلك الزمان، و يقال: إن القنطار جلد ثور مملوء ذهباً.

و فى الدر المنثور، أخرج الحاكم و صححه و البيهقى فى الدلائل من طريق عكرمه عن ابن عباس " * أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبى ص- فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له- فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجعلوا لك مالا ليعطوه لك- فإنك أتيت محمدا لتصيب مما عنده. قال: قد علمت قريش أنى من أكثرها مالا.

قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك- إنك منكر أو إنك كاره له، قال: و ما ذا أقول- فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى لا برجزه- و لا بقصيده و لا- بأشعار الجن- و الله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا، و و الله إن لقوله الذى يقوله حلاوه و إن عليه لطلاوه، و إنه لمثمر أعلاه، و مغدق أسفله، و إنه ليعلو و لا يعلى، و إنه ليحطم ما تحته.

قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه- قال: دعنى حتى أفكر فلما فكر قال- ما هو إلا سحر يؤثر يؤثره عن غيره- فنزلت: « ذُرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ».

و فى المجمع، روى العياشى بإسناده عن زراره و حمران و محمد بن مسلم عن أبى عبد الله و أبى جعفر (ع) * أن الوحيد ولد الزنا. قال زراره: ذكر لأبى جعفر (ع) عن أحد بنى هشام أنه قال فى خطبته: أنا ابن الوحيد- فقال: ويله لو علم ما الوحيد ما فخر بها فقلنا له، و ما هو؟ قال، من لا يعرف له أب.

و فى الدر المنثور، أخرج أحمد و ابن المنذر و الترمذى و ابن أبى الدنيا فى صفه النار و ابن جرير و ابن أبى حاتم و ابن حبان و الحاكم و صححه و البيهقى فى البعث عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ص قال *، الصعود جبل فى النار يصعد فيه الكافر سبعين خريفا- ثم يهوى و هو كذلك فيه أبدا.

و فى تفسير القمى، فى قوله تعالى، « ثُمَّ عَبَسَ » قال، عبس وجهه « وَ بَسَرَ » قال، ألقى شذقه (1).

اشاره

كَلَّا وَالْقَمَرَ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَشْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَأِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَهُ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَ لَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ (٤٤) وَ كُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَ كُنَّا نُكذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَلَمَّا تَنفَعَهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)

بيان

في الآيات تنزيه للقرآن الكريم عما رموه به، و تسجيل أنه إحدى الآيات الإلهية الكبرى فيه إنذار البشر كافة و في اتباعه فك نفوسهم عن رهانه أعمالهم التي تسوقهم إلى سقر.

قوله تعالى: «كَلَّا» ردع و إنكار لما تقدم قال في الكشف: إنكار بعد أن جعلها ذكرى أن يكون لهم ذكرى لأنهم لا يتذكرون، أو ردع لمن ينكر أن يكون إحدى الكبر نذيرا. انتهى. فعلى الأول إنكار لما تقدم و على الثاني ردع لما سيأتي، و هناك وجه آخر سيوافيك.

قوله تعالى: « وَالْقَمَرَ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ وَالصُّبْحِ إِذَا أَشْفَرَ » قسم بعد قسم، و إدبار الليل مقابل إقباله، و إسفار الصبح انجلاؤه و انكشافه.

قوله تعالى: « إِنَّهَا لَأِحْدَى الْكُبَرِ » ذكروا أن الضمير لسقر، و الكبر جمع كبرى،

و المراد بكون سقر إحدى الكبر أنها إحدى الدواهي الكبر لا يعادلها غيرها من الدواهي كما يقال: هو أحد الرجال أى لا نظير له بينهم، و الجملة جواب للقسم.

و المعنى أقسم بكذا و كذا أن سقر لإحدى الدواهي الكبر-أكبرها-إنذارا للبشر.

و لا يبعد أن يكون «كَلَّا» ردعا لقوله فى القرآن: «إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ» و يكون ضمير «إِنَّهَا» للقرآن بما أنه آيات أو من باب مطابقه اسم إن لخبرها.

و المعنى: ليس كما قال أقسم بكذا و كذا أن القرآن-آياته-لإحدى الآيات الإلهيه الكبرى إنذارا للبشر.

و قيل: الجملة «إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبْرِ» تعليل للردع، و القسم معترض للتأكيد لا جواب له أو جوابه مقدر يدل عليه كلا.

قوله تعالى: «نَذِيرًا لِلْبَشَرِ» مصدر بمعنى الإنذار منصوب للتمييز، و قيل: حال مما يفهم من سياق قوله: «إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبْرِ» أى كبرت و عظمت حالكونها إنذارا أى مندره.

و قيل فيه وجوه آخر لا يعابأ بها كقول بعضهم: أنه صفة للنبي ص و الآيه متصله بأول السوره و التقدير قم نذيرا للبشر فأنذر، و قول بعضهم: صفة له تعالى.

قوله تعالى: «لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ» تعميم للإنذار و «لِمَنْ شَاءَ» بدل من البشر، و «أَنْ يَتَقَدَّمَ» إلخ مفعول «شَاءَ» و المراد بالتقدم و التأخر: الاتباع للحق و مصداقه الإيمان و الطاعه، و عدم الاتباع و مصداقه الكفر و المعصيه.

و المعنى: نذيرا لمن اتبع منكم الحق و لمن لم يتبع أى لجميعكم من غير استثناء.

و قيل: «أَنْ يَتَقَدَّمَ» فى موضع الرفع على الابتداء و «لِمَنْ شَاءَ» خبره كقولك لمن توشأ أن يصلى، و المعنى مطلق لمن شاء التقدم أو التأخر أن يتقدم أو يتأخر، و هو كقوله: «فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ» و المراد بالتقدم و التأخر السبق إلى الخير و التخلف عنه انتهى.

قوله تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» الباء بمعنى مع أو للسببيه أو للمقابله و «رَهِينَةٌ»

بمعنى الرهن على ما ذكره الزمخشري قال في الكشاف: رهينه ليست بتأنيث رهين في قوله: «كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ» لتأنيث النفس لأنه لو قصدت لقييل: رهين لأن فعلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث، وإنما هي اسم بمعنى الرهن كالشتمه بمعنى الشتم كأنه قيل: كل نفس بما كسبت رهن. انتهى.

و كان العنايه فى عد كل نفس رهينه أن الله عليها حق العبوديه بالإيمان و العمل الصالح فهى رهينه محفوظه محبوسه عند الله حتى توفى دينه و تؤدى حقه تعالى فإن آمنت و صلحت فكت و أطلقت، و إن كفرت و أجمت و ماتت على ذلك كانت رهينه محبوسه دائما، و هذا غير كونها رهين عملها ملازمه لما اكتسبت من خير و شر كما تقدم فى قوله تعالى:

«كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ»: الطور ٢١.

و الآيه فى مقام بيان وجه التعميم المستفاد من قوله: «نَذِيرًا لِلْبَشَرِ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ» فإن كون النفس الإنسانيه رهينه بما كسبت يوجب على كل نفس أن تتقى النار التى ستحبس فيها إن أجمت و لم تتبع الحق.

قوله تعالى: «إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ» هم الذين يؤتون كتابهم بأيمانهم يوم الحساب و هم أصحاب العقائد الحقه و الأعمال الصالحه من متوسطى المؤمنين، و قد تكرر ذكرهم و تسميتهم بأصحاب اليمين فى مواضع من كلامه تعالى، و على هذا فالاستثناء متصل.

و المتحصل من مجموع المستثنى منه و المستثنى انقسام النفوس ذوات الكسب إلى نفوس رهينه بما كسبت و هى نفوس المجرمين، و نفوس مفكوكه من الرهن مطلقه و هى نفوس أصحاب اليمين، و أما السابقون المقربون و هم الذين ذكرهم الله فى مواضع من كلامه و عدهم ثالثه الطائفتين و غيرهما كما فى قوله تعالى: «وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً» - إلى أن قال - «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ»: الواقعه: ١١، فهؤلاء قد استقروا فى مستقر العبوديه لا يملكون نفسا و لا عمل نفس فنفسهم لله و كذلك أعمالهم فلا يحضرون و لا يحاسبون قال تعالى: «فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عَبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ»: الصافات: ١٢٨، فهم خارجون عن المقسم رأسا.

و عن بعضهم تفسير أصحاب اليمين بالملائكه، و عن بعضهم التفسير بأطفال المسلمين و عن بعضهم أنهم الذين كانوا عن يمين آدم يوم الميثاق، و عن بعضهم أنهم الذين سبقت

لهم من الله الحسنى، وهى وجوه ضعيفه غير خفيه الضعف.

قوله تعالى: «فِي جَنَاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَاءَ لَكُمْ فِي سِقَرٍ» فِي جَنَاتٍ «خبر لمبتدأ محذوف و تنوين جنات للتعظيم، و التقدير هم فى جنات لا يدرك وصفها، و يمكن أن يكون حالا من أصحاب اليمين.

و قوله: «يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ» أى يتساءل جمعهم عن جمع المجرمين.

و قوله: «مَا سَأَلَكُمْ فِي سِقَرٍ» أى ما أدخلكم فى سقر بيان لتساؤلهم من بيان الجملة بالجملة، أو بتقدير القول أى قائلين ما سلككم فى سقر.

قوله تعالى: «قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ» ضمير الجمع للمجرمين، و المراد بالصلاه التوجه العبادى الخاص إلى الله سبحانه فلا يضره اختلاف الصلاه كما و كيفا باختلاف الشرائع السماويه الحقه.

قوله تعالى: «وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ» المراد بإطعام المسكين الإنفاق على فقراء المجتمع بما يقوم به صلبهم و يرتفع به حاجتهم، و إطعام المسكين إشاره إلى حق الناس عملا كما أن الصلاه إشاره إلى حق الله كذلك.

قوله تعالى: «وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ» المراد بالخوض الاشتغال بالباطل قولاً أو فعلاً و الغور فيه.

قوله تعالى: «وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ» و هو يوم الجزاء فهذه خصال أربع من طبع المجرم أن يبتلى بها كلا أو بعضاً، و لما كان المجيب عن التساؤل جمع المجرمين صحت نسبه الجميع إلى الجميع و إن كان بعضهم مبتلى ببعضها دون بعض.

قوله تعالى: «حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ» قيد للتكذيب، و فسروا اليقين بالموت لكونه مما لا شك فيه فالمعنى و كنا فى الدنيا نكذب بيوم الجزاء حتى آتانا الموت فانقطعت به الحياه الدنيا أى كنا نكذب به ما دامت الحياه.

و قيل: المراد به اليقين الحاصل بحقيه يوم الجزاء بمشاهده آيات الآخرة و معاينه الحياه البرزخيه حين الموت و بعده، و هو معنى حسن.

قوله تعالى: «فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ» تقدم فى بحث الشفاعة أن فى الآيه دلالة

على أن هناك شافعين يشفعون فيشفعون لكن لا تنفع هؤلاء شفاعتهم لأنهم محرومون من نيلها.

و قد أوردنا جملة من أخبار الشفاعة في الجزء الأول من الكتاب.

[سورة المدثر (٧٤): الآيات ٤٩ الى ٥٦]

إشارة

فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرِهِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صِيحْفًا مُنَشَّرًا (٥٢) كَلَّا- بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (٥٣) كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ (٥٤) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ (٥٦)

بيان

في معنى الاستنتاج مما تقدم من الوعيد و الوعد أورد في صورته التعجب من إعراضهم عن تذكره القرآن و تنفرهم عن الحق الصريح كأنه قيل: فإذا كان كذلك فعليهم أن يجيئوا دعوه الحق و يتذكروا بالتذكرة فمن العجب أنهم معرضون عن ذلك كلاً بل لا يؤمنون بالرسالة و يريد كل امرئ منهم أن ينزل عليه كتاب من الله. كلاً بل لا يخافون الآخرة فلا يرتدعون عن وعيد.

ثم يعرض عليهم التذكرة عرضاً فهم على خيره من القبول و الرد فإن شاءوا قبلوا و إن شاءوا ردوا، لكن عليهم أن يعلموا أنهم غير مستقلين في مشيئتهم و ليسوا بمعجزين لله سبحانه فليس لهم أن يذكروا إلا أن يشاء الله، و حكم القدر جار فيهم البتة.

قوله تعالى: «فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرِهِ مُعْرِضِينَ» تفرغ على ما تقدم من التذكرة و الموعدة، و الاستفهام للتعجب، و «لَهُمْ» متعلق بمحذوف و التقدير فما كان لهم: «مُعْرِضِينَ» حال من ضمير «لَهُمْ» و «عَنِ التَّذْكَرِهِ» متعلق بمعرضين.

و المعنى: فإذا كان كذلك فأى شىء كان -عرض- للمشركين الذين يكذبون بتذكرة القرآن حال كونهم معرضين عنها أى كان من الواجب عليهم أن يصدقوا و يؤمنوا لكنهم أعرضوا عنها و هو من العجب.

قوله تعالى: «كَأَنَّهُمْ حُمْرٌ مُّسْتَنْفَرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ» تشبيه لهم من حيث حالهم فى الإعراض عن التذكرة، و الحمر جمع حمار، و المراد الحمر الوحشية و الاستنفار بمعنى النفرة و القسوره الأسد و الصائد، و قد فسر بكل من المعنيين.

و المعنى: معرضين عن التذكرة كأنهم حمر وحشية نفرت من أسد أو من الصائد.

قوله تعالى: «بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صِحْفًا مِّنْشَرَّةً» المراد بالصحف المنشرة الكتاب السماوى المشتمل على الدعوه الحقه.

و فى الكلام إضراب عما ذكر من إعراضهم، و المعنى ليس إعراضهم عن التذكرة لمجرد النفرة بل يريد كل امرئ منهم أن ينزل عليه كتاب من عند الله مشتمل على ما تشتمل عليه دعوه القرآن.

و هذه النسبه إليهم كناية عن استكبارهم على الله سبحانه أنهم إنما يقبلون دعوته و لا- يردونها لو دعا كل واحد منهم بإنزال كتاب سماوى إليه مستقلا و أما الدعوه من طريق الرساله فليسوا يستجيبونها و إن كانت حقه مؤيده بالآيات البينه.

فالأية فى معنى ما حكاه الله سبحانه من قولهم: «لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ تُؤْتِيَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ»: الأنعام ١٢٤، و فى معنى قول الأمم لرسولهم: «إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلَنَا» على ما قررنا من حجتهم على نفى رساله الرسل.

و قيل: إن الآية فى معنى قولهم للنبي ص الذى حكاه الله فى قوله: «وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُؤْيَاكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ»: إسرائ ٩٣.

و يدفعه أن مدلول الآية أن ينزل على كل واحد منهم صحف منشرة غير ما ينزل على غيره لا نزول كتاب واحد من السماء على النبي ص يقرؤه الجميع كما هو مدلول آيه الإسرائ.

و قيل: المراد نزول كتب من السماء عليهم بأسمائهم أن آمنوا بمحمد ص.

و قيل: المراد أن ينزل عليهم كتب من السماء بالبراءه من العذاب و إسباغ النعمه حتى

يؤمنوا وإلا بقوا على كفرهم وقيل غير ذلك.

و هي جميعا معان بعيدة من السياق و التعويل على ما تقدم.

قوله تعالى: «كَلَّا- يَلْ لَّا- يَخَافُونَ الْآخِرَةَ» ردع لهم بما يريدونه من نزول كتاب سماوى على كل واحد منهم فإن دعوه الرساله مؤيده بآيات بينه و حجج قاطعه لا تدع ريبا لمرتاب فالحجه تامه قائمه على الرسول و غيره على حد سواء من غير حاجه إلى أن يؤتى كل واحد من الناس المدعويين صحفا منشره.

على أن الرساله تحتاج من طهاره الذات و صلاحيه النفس إلى ما يفقده نفوس سائر الناس كما هو مدلول جوابه تعالى فى سوره الأنعام عن قولهم: «لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ» بقوله: «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ».

و قوله: «بَلْ لَّا- يَخَافُونَ الْآخِرَةَ» إضراب عن قوله: «يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ» إلخ، و المراد أن اقتراحهم نزول كتاب على كل امرئ منهم قول ظاهرى منهم يريدون به صرف الدعوه عن أنفسهم، و السبب الحقيقى لكفرهم و تكذيبهم بالدعوه أنهم لا يخافون الآخرة، و لو خافوها لآمنوا و لم يقترحوا آيه بعد قيام الحجه بظهور الآيات البينات.

قوله تعالى: «كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ» ردع ثان لاقتراحهم نزول كتاب سماوى لكل امرئ منهم، و المعنى لا تنزل كتابا كذلك أن القرآن تذكرة و موعظه نعظهم به لا نريد به أزيد من ذلك، و أثر ذلك ما أعد للمطيع و العاصى عندنا من الجزاء.

قوله تعالى: «فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ» أى فمن شاء اتعظ به فإنما هى دعوه فى ظرف الاختيار من غير إكراه.

قوله تعالى: «وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ» دفع لما يمكن أن يتوهموه من قوله تعالى: «فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ» أن الأمر إليهم و أنهم مستقلون فى إرادتهم و ما يترتب عليها من أفعالهم فإن لم يشاءوا الذكر و لم يذكروا غلبوه تعالى فيما أراد و أعجزوه فيما شاء من ذكرهم.

و المحصل من الدفع أن حكم القدر جاء فى أفعالهم كغيرها من الحوادث، و تذكرهم إن تذكروا و إن كان فعلا اختياريا صادرا عنهم باختيارهم من غير إكراه فالمشبه الإلهيه متعلقه به بما هو اختيارى بمعنى أن الله تعالى يريد بإرادته تكوينه أن يفعل الإنسان

الفعل الفلاني بإرادته و اختياره فالفعل اختياري ممكن بالنسبه إلى الإنسان و هو بعينه متعلق الإراده الإلهيه ضروري التحقق بالنسبه إليها و لولاها لم يتحقق.

و قوله: «هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَ أَهْلُ الْمَغْفَرَةِ» أى أهل لأن يتقى منه لأن له الولاية المطلقه على كل شىء، و بيده سعادته الإنسان و شقاوته، و أهل لأن يغفر لمن اتقاه لأنه غفور رحيم.

و الجملة أعنى قوله: «هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَ أَهْلُ الْمَغْفَرَةِ» صالحه لتعليل ما تقدم من الدعوه فى قوله: «إِنَّهُ تَذَكَّرَهُ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ» و هو ظاهر، و لتعليل قوله: «وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» فإن كونه تعالى أهل التقوى و أهل المغفره لا يتم إلا بكونه ذا إرادته نافذه فيهم ساريه فى أعمالهم فليسوا بمخلىين و ما يهوونه و هم معجزون لله بتمردهم و استكبارهم.

بحث روائى

فى تفسير القمى، فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر (ع) * فى قوله تعالى: «بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مِّنْ شَرِّهِ» و ذلك أنهم قالوا: يا محمد- قد بلغنا أن الرجل من بنى إسرائيل كان يذنب الذنب- فيصبح و ذنبه مكتوب عند رأسه و كفارته.

فنزل جبرئيل على رسول الله ص و قال: يسألك قومك سنه بنى إسرائيل فى الذنوب- فإن شاءوا فعلنا ذلك بهم- و أخذناهم بما كنا نأخذ بنى إسرائيل- فزعموا أن رسول الله ص كره ذلك لقومه.

أقول: و القصة لا تلائم لحن الآيه و الروايه لا تخلو من إيماء إلى ضعف القصة.

و فى الدر المنثور، أخرج عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر عن السدى عن أبى صالح قال " * قالوا: إن كان محمد صادقاً- فليصبح تحت رأس كل رجل منا صحيفه- فيها براءته و أمنته من النار- فنزلت: «بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مِّنْ شَرِّهِ».

أقول: سياق الآيات و ما فيها من الردع لا يلائم القصة.

و فيه، أخرج عبد بن حميد و ابن المنذر عن مجاهد " * «بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مِّنْ شَرِّهِ» قال: إلى فلان بن فلان من رب العالمين- يصبح عند رأس كل رجل صحيفه موضوعه يقرؤها.

أقول: ما في الرواية يقبل الانطباق على الرواية السابقة و على ما قدمناه من معنى الآية.

و فيه، أخرج عبد بن حميد و ابن المنذر عن قتاده* في قوله تعالى: «بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُنشَرَةً» قال: قد قال قائلون من الناس لمحمد ص- إن شرك أن نتابعك فأتنا بكتاب خاصه يأمرنا باتباعك.

أقول: الرواية قابله التطبيق لما في تفسير الآية من القول بأن الآية في معنى قوله تعالى:

«وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ» الآية و قد تقدم ما فيه.

و في تفسير القمي،* في قوله تعالى: «هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَ أَهْلُ الْمُغْفِرَةِ» قال: هو أهل أن يتقى و أهل أن يغفر.

و في التوحيد، بإسناده إلى أبي بصير عن أبي عبد الله (ع)* في قول الله عز و جل:

«هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَ أَهْلُ الْمُغْفِرَةِ» قال: قال الله عز و جل: أنا أهل أن أتقى- ولا يشرك بي عبدى شيئا- أنا أهل إن لم يشرك بي عبدى شيئا أن أدخله الجنة.

و قال: إن الله تبارك و تعالى أقسم بعزته و جلاله- أن لا يعذب أهل توحيدته بالنار.

و في الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن عبد الله بن دينار قال:* سمعت أبا هريره و ابن عمر و ابن عباس يقولون: سئل رسول الله ص عن قول الله: «هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَ أَهْلُ الْمُغْفِرَةِ» قال: يقول الله: أنا أهل أن أتقى- فلا يجعل معى شريك- فإذا اتقيت و لم يجعل معى شريك- فأنا أهل أن أغفر ما سوى ذلك.

أقول: و في معناه غير واحد من الروايات عنه (ص).

(٧٥) سورة القيامة مكيه و هى أربعون آيه (٤٠)

[سورة القيامة (٧٥): الآيات ١ الى ١٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَ لَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نَسُوِيَ بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ (٧) وَ خَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَ أَخَّرَ (١٣) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَ لَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥)

يطوف بيان السوره حول القيامه الكبرى فتنبئ بوقوع يوم القيامه أولا- ثم تصفه ببعض أشرطه تاره، و بإجمال ما يجرى على الإنسان أخرى، و ينبئ أن المساق إليه يبدأ من يوم الموت، و تختتم بالاحتجاج على القدره على الإعاده بالقدره على الابتداء.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: «لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ» إقسام بيوم القيامه سواء قيل بكون «لَا أُقْسِمُ» كلمه قسم أو بكون لا زائده أو نافية على اختلاف الأقوال.

قوله تعالى: «وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللّوَّامَةِ» إقسام ثان على ما يقتضيه السياق و مشاكلة اللفظ فلا يعبا بما قيل: إنه نفى الأقسام و ليس بقسم، و المراد أقسم بيوم القيامه و لا أقسم بالنفس اللوامة.

و المراد بالنفس اللوامة نفس المؤمن التى تلومه فى الدنيا على المعصيه و التناقل فى الطاعه و تنفعه يوم القيامه.

و قيل: المراد به النفس الإنسانيه أعم من المؤمنه الصالحه و الكافره الفاجره فإنها تلوم الإنسان يوم القيامه أما الكافره فإنها تلومه على كفره و فجوره، و أما المؤمنه فإنها تلومه على قله الطاعه و عدم الاستكثار من الخير.

و قيل. المراد نفس الكافر الذى تلومه يوم القيامه على ما قدمت من كفر و معصيه قال تعالى: «وَأَسِرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ»
:يونس ٥٤.

و لكل من الأقوال وجه.

و جواب القسم محذوف يدل عليه الآيات التالية، و التقدير ليعثن، و إنما حذف للدلالة على تفخيم اليوم و عظمه أمره قال تعالى: «ثَقُلْتُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَعْتُهُ» :الأعراف ١٨٧ و قال: «إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى» طه ١٥ و قال: «عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ» :النبأ: ١.

قوله تعالى: «أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَهُ عِظَامَهُ» الحسبان الظن، و جمع العظام كناية عن الإحياء بعد الموت، و الاستفهام للتوبيخ، و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: «بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَدَانَهُ» أي بلى نجمعها و قَادِرِينَ «حال من فاعل مدخول بلى المقدر، و البنان أطراف الأصابع و قيل: الأصابع و تسويه البنان تصويرها على ما هي عليها من الصور، و المعنى بلى نجمعها و الحال أنا قادرون على أن نصور بنانه على صورها التي هي عليها بحسب خلقنا الأول.

و تخصيص البنان بالذكر-لعله- للإشارة إلى عجب خلقها بما لها من الصور و خصوصيات التركيب و العدد تترتب عليها فوائد جمه لا تكاد تحصى من أنواع القبض و البسط و الأخذ و الرد و سائر الحركات اللطيفة و الأعمال الدقيقة و الصنائع الظريفة التي يمتاز بها الإنسان من سائر الحيوان مضافا إلى ما عليها من الهيئات و الخطوط التي لا يزال ينكشف للإنسان منها سر بعد سر.

و قيل: المراد بتسويه البنان جعل أصابع اليدين و الرجلين مستوية شيئا واحدا من غير تفريق كخف البعير و حافر الحمار، و المعنى قادرين على أن نجعلها شيئا واحدا فلا يقدر الإنسان حينئذ على ما يقدر عليه مع تعدد الأصابع من فنون الأعمال، و الوجه المتقدم أرجح.

قوله تعالى: «بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ» قال الراغب: الفجر شق الشيء شقا واسعا. قال: و الفجور شق ستر الديانة يقال: فجر فجورا فهو فاجر و جمعه فجار و فجره. انتهى، و أمام ظرف مكان أستعير لمستقبل الزمان، و المراد من فجوره أمامه فجوره مدى عمره و ما دام حيا، و ضمير «أمامه» للإنسان.

و قوله: «لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ» تعليل ساد مسد معلله و هو التأكيد بالبعث و الإحياء بعد الموت، و «بَلْ» إضراب عن حسابانه عدم البعث و الإحياء بعد الموت.

و المعنى: أنه لا- يحسب أن لن نجمع عظامه بل يريد أن يكذب بالبعث ليفجر مدى عمره إذ لا موجب للإيمان و التقوى لو لم يكن هناك بعث للحساب و الجزاء.

هذا ما يعطيه السياق فى معنى الآيه، و لهم وجه آخر ذكروها فى معنى الآيه بعيدة لا تلائم السياق أغمضنا عن ذكرها.

و ذكر الإنسان فى الآيه من وضع الظاهر موضع الضمير و النكتة فيه زياده التوبيخ و المبالغه فى التقرير، و قد كرر ذلك فى الآيه و ما يتلوها من الآيات أربع مرات.

قوله تعالى: «يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» الظاهر أنه بيان لقوله: «يَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ» فيفيد التعليل و أن السائل فى مقام التكذيب و السؤال سؤال تكذيب إذ من الواجب على من دعى إلى الإيمان و التقوى، و أنذر بهذا النبيا العظيم مع دلالة الآيات البينه و قيام الحجج القاطعه أن يتخذ حذره و يتجهز بالإيمان و التقوى و يتهيأ للقاء اليوم قريبا كان أو بعيدا فكل ما هو آت قريب لا أن يسأل متى تقوم الساعة؟ و أيان يوم القيامة؟ فليس إلا سؤال مكذب مستهزئ.

قوله تعالى: «فَإِذَا بَرِقَ الْبَصُرُ وَ حَسَفَ الْقَمَرُ وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ» ذكر جملة من أشراف الساعة، و بريق البصر تحيره فى إبصاره و دهشته، و خسوف القمر زوال نوره.

قوله تعالى: «يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ» أى أين موضع الفرار، و قوله: «أَيْنَ الْمَفَرُّ» مع ظهور السلطنه الإلهيه له و علمه بأن لا مفر و لا فرار يومئذ من باب ظهور ملكاته يومئذ فقد كان فى الدنيا يسأل عن المفر إذا وقع فى شدة أو هددته مهلكه و ذلك كإنكارهم الشرك يومئذ و حلفهم كذبا قال تعالى: «ثُمَّ لَمْ تَكُنْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ» الأنعام: ٢٣، و قال: «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ» المجادل: ١٨.

قوله تعالى: «كَلَّا- لا- وَزَرَ» ردع عن طلبهم المفر، و الوزر الملجأ من جبل أو حصن أو غيرهما، و هو من كلامه تعالى لا من تمام كلام الإنسان.

قوله تعالى: «إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ» الخطاب للنبي ص، و تقديم «إِلَىٰ رَبِّكَ» و هو متعلق بقوله: «الْمُسْتَقَرُّ» يفيد الحصر فلا مستقر إلى غيره فلا وزر و لا ملجأ يلتجأ إليه فيمنع عنه.

و ذلك أن الإنسان سائر إليه تعالى كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾: الانشقاق: ٦ و قال: ﴿إِنَّ إِلِيَّ رَبِّكَ الرَّجْعِي﴾: العلق: ٨ و قال: ﴿وَ أَنْ إِلِيَّ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾: النجم: ٤٢، فهو ملاقى ربه راجع و منته إليه لا- حاجب يحجبه عنه و لا مانع يمنعه منه و أما الحجاب الذى يشير إليه قوله: «كَلَّا- يَلِ رَانَ عَلَيَّ قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ كَلَّا- إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ»: المطففين: ١٥ فسياق الآيتين يعطى أن المراد به حجاب الحرمان من الكرامه لا حجاب الجهل أو الغيبه.

و يمكن أن يكون المراد بكون مستقره إليه رجوع أمر ما يستقر فيه من سعادته أو شقاوه و جنه أو نار إلى مشيئته تعالى فمن شاء جعله فى الجنه و هم المتقون و من شاء جعله فى النار و هم المجرمون قال تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾: المائدة: ٤٠.

و يمكن أن يراد به أن استقرارهم يومئذ إلى حكمه تعالى فهو النافذ فيهم لا- غير قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: القصص: ٨٨.

قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُوا الْإِنْسَانَ يَوْمِئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَ آخَرَ﴾ المراد بما قدم و آخر ما عمله من حسنه أو سيئه فى أول عمره و آخره أو ما قدمه على موته من حسنه أو سيئه و ما آخر من سنه حسنه سنها أو سنه سيئه فيثاب بالحسنات و يعاقب على السيئات.

و قيل: المراد بما قدم ما عمله من حسنه أو سيئه فيثاب على الأول و يعاقب على الثانى، و بما آخر ما تركه من حسنه أو سيئه فيعاقب على الأول و يثاب على الثانى، و قيل، المراد ما قدم من المعاصى و ما آخر من الطاعات، و قيل، ما قدم من طاعه الله و آخر من حقه فضيعه، و قيل: ما قدم من ماله لنفسه و ما ترك لورثته و هى وجوه ضعيفه بعيده عن الفهم.

قوله تعالى: ﴿يَلِ الْإِنْسَانُ عَلَيَّ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَ لَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾: إضراب عن قوله، «يَتَّبِعُوا الْإِنْسَانَ» إلخ، و البصيره رؤيه القلب و الإدراك الباطنى و إطلاقها على الإنسان من باب زيد عدل أو التقدير الإنسان ذو بصيره على نفسه.

و قيل: المراد بالبصيره الحجه كما فى قوله تعالى، «مَا أَنْزَلَ هُوَ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ بِضَائِرٍ»: إسرائ، ١٠٢ و الإنسان نفسه حجه على نفسه يومئذ حيث يسأل عن سمعه و بصره و فؤاده و يشهد عليه سمعه و بصره و جلده و يتكلم يده و رجلاه، قال تعالى:

«إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصِيرَ وَ الْفؤَادَ كَمَلَّ أَوْلِيَّكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤلاً» :إسراء ٣٦، و قال «شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصَارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ» :حم السجده، ٢٠. و قال، «وَ تَكَلَّمْنَا أَيْدِيَهُمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ» :يس: ٦٥.

و قوله: «وَ لَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ» المعاذير جمع معذره و هى ذكر موانع تقطع عن الفعل المطلوب، و المعنى هو ذو بصيره على نفسه و لو جادل عن نفسه و اعتذر بالمعاذير لصرف العذاب عنها.

و قيل: المعاذير جمع معذار و هو الستر، و المعنى و إن أرخى الستور ليخفى ما عمل فإن نفسه شاهده عليه و مآل الوجهين واحد.

بحث روائى

فى تفسير القمى:، فى قوله تعالى: «وَ لَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ» قال: نفس آدم التى عصت فلامها الله عز و جل.

أقول: و فى انطباقها على الآيه خفاء.

و فيه، "فى قوله: «بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ» قال: يقدم الذنب و يؤخر التوبه و يقول: سوف أتوب.

و فيه، "فى قوله: «فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ» قال: يبرق البصر فلا يقدر أن يطرف.

و فيه، "فى قوله تعالى: «بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ» - وَ لَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ» قال: يعلم ما صنع و إن اعتذر.

و فى الكافى، بإسناده عن عمر بن يزيد قال*: «إنى لأتعضى مع أبى عبد الله (ع) و تلا هذه الآيه «بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَ لَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ» ثم قال: يا أبا حفص ما يصنع الإنسان- أن يعتذر إلى الناس بخلاف ما يعلم الله منه؟ إن رسول الله ص كان يقول: من أسر سريره ألبسه الله رداها- إن خيرا فخير و إن شرا فشر.

و فى المجمع، و روى العياشى بإسناده عن محمد بن مسلم عن أبى عبد الله (ع) قال*:

ما يصنع أحدكم أن يظهر حسنا و يستر سيئا؟ أليس إذا رجع إلى نفسه يعلم أنه

ليس كذلك؟ و الله سبحانه يقول: «بَلِ الْإِنْسَانِ عَلِيٌّ نَفْسِهِ بِصِيرَةٍ» إن السريره إذا صلحت قويت العلانيه:.

أقول: و رواه فى أصول الكافى، بإسناده عن فضل أبى العباس عنه (ع) .

و فيه، عن العياشى عن زراره قال، * سألت أبا عبد الله (ع) ما حد المرض الذى يفطر صاحبه؟ قال، «بَلِ الْإِنْسَانِ عَلِيٌّ نَفْسِهِ بِصِيرَةٍ» هو أعلم بما يطيق:.

أقول: و رواه فى الفقيه، أيضا .

[سوره القيامه (٧٥): الآيات ١٦ الى ٤٠]

اشاره

لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ (٢٤) تَنْظُرُونَ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالتَّفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ (٣٣) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٥) أَيْ يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَعًا مِنْ مَنِيٍّ يُُمْتَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عُلُقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ (٤٠)

تممه صفه يوم القيامة باعتبار حال الناس فيه و انقسامهم إلى طائفه ناضره الوجوه مبتهجين و أخرى باسره الوجوه عابسين آيسين من النجاه، و الإشاره إلى أن هذا المساق تتدئ من حين نزول الموت ثم الإشاره إلى أن الإنسان لا يترك سدى فالذى خلقه أولا قادر على أن يحييه ثانيا و به تختتم السوره.

قوله تعالى: «لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ - إِلَى قَوْلِهِ - ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتَهُ» الذى يعطيه سياق الآيات الأربع بما يحفها من الآيات المتقدمه و المتأخره الواصفه ليوم القيامة أنها معترضه متضمن أدبا إلهيا كلف النبى ص أن يتأدب به حينما يتلقى ما يوحى إليه من القرآن الكريم فلا يبادر إلى قراءه ما لم يقرأ بعد و لا يحرك به لسانه و ينصت حتى يتم الوحى.

فآيات الأربع فى معنى قوله تعالى: «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ» : طه: ١١٤.

فالكلام فى هذه الآيات يجرى مجرى قول المتكلم منا أثناء حديثه لمخاطبه إذا بادر إلى تتميم بعض كلام المتكلم باللفظه و اللفظتين قبل أن يلفظ بها المتكلم و ذلك يشغله عن التجرد للإنصات فيقطع المتكلم حديثه و يعترض و يقول لا تعجل بكلامى و أنصت لتفقه ما أقول لك ثم يمضى فى حديثه.

فقوله: «لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ» الخطاب فيه للنبى ص، و الضميران للقرآن الذى يوحى إليه أو للوحى، و المعنى لا تحرك بالوحى لسانك لتأخذه عاجلا فتسبقنا إلى قراءه ما لم نقرأ بعد فهو كما مر فى معنى قوله: «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ» : طه: ١١٤.

و قوله: «إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ» القرآن هاهنا مصدر كالفرقان و الرجحان، و الضميران للوحى، و المعنى لا تعجل به إذ علينا أن نجتمع ما نوحيه إليك بضم بعض أجزائه إلى بعض و قراءته عليك فلا يفوتنا شىء منه حتى يحتاج إلى أن تسبقنا إلى قراءه ما لم نوحه بعد.

وقيل: المعنى إن علينا أن نجمعه في صدرك بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه و أن نثبت قراءته في لسانك بحيث تقرأه متى شئت و لا يخلو من بعد.

وقوله: «فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ» أى فإذا أتممتنا قراءته عليك و حيا فاتبع قراءتنا له و اقرأ بعد تمامها.

وقيل: المراد باتباع قرآنه اتباعه ذهنا بالإنصات و التوجه التام إليه و هو معنى لا بأس به.

وقيل: المراد فاتبع فى الأوامر و النواهي قرآنه، وقيل: المراد اتباع قراءته بالتكرار حتى يرسخ فى الذهن و هما معنيان بعيدان.

وقوله: «ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْيَأْتَهُ» أى علينا إيضاحه عليك بعد ما كان علينا جمعه و قرآنه فثم للتأخير الرتبى لأن البيان مترتب على الجمع و القراءه رتبه.

وقيل، المعنى ثم إن علينا بيانه للناس بلسانك نحفظه فى ذهنك عن التغير و الزوال حتى تقرأه على الناس.

وقال بعضهم فى معنى هذه الآيات إن النبى ص كان يحرك لسانه عند الوحي بما ألقى إليه من القرآن مخافه أن ينساه فنهى عن ذلك بالآيات و أمر بالإنصات حتى يتم الوحي فضمير «لَا تُحَرِّكُ بِهِ» للقرآن أو الوحي باعتبار ما قرأ عليه منه لا باعتبار ما لم يقرأ بعد.

و فيه أنه لا- يلائم سياق الآيات، تلك الملاءمه نظرا إلى ما فيها من النهى عن العجل و الأمر باتباع قرآنه تعالى بعد ما قرأ، و كذا قوله، «إِنَّ عَلَيْنَا لَجَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ» فذلك كله أظهر فيما تقدم منها فى هذا المعنى.

و عن بعضهم فى معنى هذه الآيات، الذى اختاره أنه لم يرد القرآن، و إنما أراد قراءه العباد لكتبهم يوم القيامة يدل على ذلك ما قبله و ما بعده، و ليس فيه شيء يدل على أنه القرآن و لا شيء من أحكام الدنيا.

و فى ذلك تقريع و توبيخ له حين لا تنفعه العجله يقول: لا تحرك لسانك بما تقرأه من صحيفتك التى فيها أعمالك يعنى اقرأ كتابك و لا تعجل فإن هذا الذى هو على نفسه بصيره إذا رأى سيئاته ضجر و استعجل فيقال له توبيخا: لا تعجل و تثبت لتعلم الحجه عليك

فإننا نجتمعها لك فإذا جمعناه فاتبع ما جمع عليك بالانقياد لحكمه و الاستسلام للتبعه فيه فإنه لا يمكنك إنكاره ثم إن علينا بيانه لو أنكرت. انتهى.

و يدفعه أن المعترضه لا تحتاج في تمام معناها إلى دلالة مما قبلها و ما بعدها عليه على أن مشاكله قوله: «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ» في سياقه لهذه الآيات تؤيد مشاكتها له في المعنى.

و عن بعضهم أن الآيات الأربع متصله بما تقدم من حديث يوم القيامة، و خطاب «لَا تُحَرِّكْ» للنبي ص، و ضمير «بِهِ» ليوم القيامة، و المعنى لا- تتفوه بالسؤال عن وقت القيامة أصلا و لو كنت غير مكذب و لا مستهزئ «لِتَعْجَلَ بِهِ» أي بالعلم به «إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ» أي من الواجب في الحكمه أن نجتمع من نجمعه فيه و نوحى شرح وصفه إليك في القرآن «فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ» أي إذا قرأنا ما يتعلق به فاتبع ذلك بالعمل بما يقتضيه من الاستعداد له «ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ» أي إظهار ذلك بالنفخ في الصور انتهى ملخصا و هو كما ترى.

و قد تقدم في تفسير قوله: «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ» إن هذا النهى عن العجل بالقرآن يؤيد ما ورد في الروايات أن للقرآن نزولا على النبي ص دفعه غير نزوله تدريجا.

قوله تعالى: «كَلَّا- بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ» خطاب للناس و ليس من تعميم الخطاب السابق في شيء لأن خطاب «لَا تُحَرِّكْ» اعتراضى غير مرتبط بشيء من طرفيه.

و قوله: «كَلَّا» ردع عن قوله السابق: «يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ» و قوله:

«يَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ»- أي الحياه العاجله و هى الحياه الدنيا- «و تَذَرُونَ الْآخِرَةَ» أي تتركون الحياه الآخره، و ما فى الكلام من الإضراب إضراب عن حسابان عدم الإحياء بعد الموت نظير الإضراب فى قوله: «بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ».

قوله تعالى: «وَجُودٌ يُؤْمِنُ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ» و وصف ليوم القيامة بانقسام الوجوه فيه إلى قسمين: ناضره و باسره، و نضره الوجه و اللون و الشجر و نحوها و نضارتها حسنها و بهجتها.

و المعنى: نظرا إلى ما يقابله من قوله: «وَجُودٌ يُؤْمِنُ بِسِرَّةٍ» إلخ وجوه يوم إذ تقوم القيامة حسنه متهلله ظاهره المسره و البشاشه قال تعالى: «تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ

النَّعِيمِ: المطففين: ٢٤، وقال: «وَلَقَاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا»: الدهر: ١١.

وقوله: «إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ» خبر بعد خبر لوجهه، و«إِلَىٰ رَبِّهَا» متعلق بناظره قدم عليها لإفاده الحصر أو الأهمية.

و المراد بالنظر إليه تعالى ليس هو النظر الحسى المتعلق بالعين الجسمانيه الماديه التى قامت البراهين القاطعه على استحالته فى حقه تعالى بل المراد النظر القلبى و رؤيه القلب بحقيقه الإيمان على ما يسوق إليه البرهان و يدل عليه الأخبار المأثوره عن أهل العصمه (ع) و قد أوردنا شطرا منها فى ذيل تفسير قوله تعالى: «قَالَ رَبِّ أَرْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ»: الأعراف:

١٤٣، وقوله تعالى: «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى»: النجم: ١١.

فهؤلاء قلوبهم متوجهه إلى ربهم لا يشغلهم عنه سبحانه شاغل من الأسباب لتقطع الأسباب يومئذ، ولا يقفون موقفا من مواقف اليوم و لا يقطعون مرحله من مراحلها إلا و الرحمه الإلهيه شامله لهم «وَهُمْ مِنْ فَرْعِ يَوْمِئِذٍ آمِنُونَ»: النمل: ٨٩ و لا يشهدون مشهدا من مشاهد الجنه و لا- يتنعمون بشىء من نعيمها إلا و هم يشاهدون ربهم به لأنهم لا ينظرون إلى شىء و لا يرون شيئا إلا من حيث إنه آيه لله سبحانه و النظر إلى الآيه من حيث إنها آيه و رؤيتها نظر إلى ذى الآيه و رؤيه له.

و من هنا يظهر الجواب عما أورد على القول بأن تقديم «إِلَىٰ رَبِّهَا» على «نَاطِرَةٌ» يفيد الحصر و الاختصاص، إن من الضرورى أنهم ينظرون إلى غيره تعالى كنعم الجنه.

و الجواب أ لما لم يحجبا عن ربهم كان نظرهم إلى كل ما ينظرون إليه إنما هو بما أنه آيه، و الآيه بما أنها آيه لا تحجب ذا الآيه و لا تحول بينه و بين الناظر إليه فالنظر إلى الآيه نظر إلى ذى الآيه فهؤلاء لا ينظرون فى الحقيقه إلا إلى ربهم.

و أما ما أوجب به عنه أن تقديم «إِلَىٰ رَبِّهَا» لرعايه الفواصل و لو سلم أنه للاختصاص فالنظر إلى غيره فى جنب النظر إليه لا يعد نظرا، و لو سلم فالنظر إليه تعالى فى بعض الأحوال لا فى جميعها.

فلا يخلو من تكلف التقييد من غير مقيد على أنه أسند النظر إلى الوجوه لا إلى العيون أو الأبصار و وجوه أهل الجنه إلى ربهم دائما من غير أن يواجهوا بها غيره.

قوله تعالى: «وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ» فسر البسور بشده

العبوس و الظن بالعلم و «فَاقِرَةٌ» صفه محذوفه الموصوف أى فعله فاقره، و الفاقره من فقره إذا أصاب فقار ظهره، و قيل: من فقرت البعير إذا وسمت أنفه بالنار.

و المعنى: و وجوه يومئذ شديد العبوس تعلم أنه يفعل بها فعله تقصم ظهورها أو تسم أنوفها بالنار، و احتمال أن يكون تظن خطابا للنبي ص بما أنه سامع و الظن بمعناه المعروف.

قوله تعالى: «كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ» ردع عن حبهم العاجله و إثارها على الآخره كأنه قيل: ارتدعوا عن ذلك فليس يدوم عليكم و سينزل عليكم الموت فتساقون إلى ربكم و فاعل «بَلَغَتِ» محذوف يدل عليه السياق كما فى قوله تعالى: «فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ» الواقعة: ٨٣ و التقدير إذا بلغت النفس التراقى.

و التراقى العظام المكتنفه للنحر عن يمين و شمال جمع ترقوه، و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: «وَ قِيلَ مِّن رَّاقٍ» اسم فاعل من الرقى أى قال من حضره من أهله و أصدقائه من يرقيه و يشفيه؟ كلمه يأس، و قيل: المعنى قال بعض الملائكه لبعض: من يرقى بروحه من الملائكه أم ملائكه الرحمه أم ملائكه العذاب؟ قوله تعالى: «وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ» أى و علم الإنسان المحتضر من مشاهدته هذه الأحوال أنه مفارقتة للعاجله التى كان يحبها و يؤثرها على الآخره.

قوله تعالى: «وَ التَّفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ» ظاهره أن المراد به التفاف ساق المحتضر بساقه ببطلان الحياه الساريه فى أطراف البدن عند بلوغ الروح التراقى.

و قيل: المراد به التفاف شده أمر الآخره بأمر الدنيا، و قيل: التفاف حال الموت بحال الحياه، و قيل: التفاف ساق الدنيا و هى شده كرب الموت بساق الآخره و هى شده هول المطلع.

و لا دليل من جهه اللفظ على شىء من هذه المعانى نعم من الممكن أن يقال: إن المراد بالتفاف الساق بالساق غشيان الشدائد و تعاقبها عليه واحده بعد أخرى من حينه ذلك إلى يوم القيامة فينطبق على كل من المعانى.

قوله تعالى: «إِلَىٰ رَبِّكَ يُؤْمِنُ الْمَسَاقُ» المساق مصدر ميمى بمعنى السوق، و المراد بكون السوق يومئذ إليه تعالى أنه الرجوع إليه، و عبر بالمساق للإشارة إلى أن لا خيره للإنسان فى هذا المسير و لا مناص له عنه فهو مسوق مسير من يوم موته و هو قوله، «إِلَىٰ رَبِّكَ يُؤْمِنُ الْمَسَاقُ» حتى يرد على ربه يوم القيامة و هو قوله: «إِلَىٰ رَبِّكَ يُؤْمِنُ الْمُسْتَقَرُّ»

و لو كان تقديم «إِلَى رَبِّكَ» لإفاده الحصر أفاد انحصار الغايه فى الرجوع إليه تعالى.

وقيل:الكلام على تقدير مضاف و تقديم «إِلَى رَبِّكَ» لإفاده الحصر و التقدير إلى حكم ربك يومئذ المساق أى يساق ليحكم الله و يقضى فيه بحكمه، أو التقدير إلى موعد ربك و هو الجنة و النار، وقيل:المراد برجوع المساق إليه تعالى أنه تعالى هو السائق لا غير، و الوجه ما تقدم.

قوله تعالى: «فَلَا صِدْقَ وَلَا صِيْلَىٰ وَ لَكِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّىٰ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ» الضمائر راجعه إلى الإنسان المذكور فى قوله: «أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ» إلخ، و المراد بالتصديق المنفى تصديق الدعوه الحقه التى يتضمنها القرآن الكريم، و بالتصليه المنفيه التوجه العبادى إليه تعالى بالصلاه التى هى عمود الدين.

و التمطى -على ما فى المجمع،- تمدد البدن من الكسل و أصله أن يلوى مطاه أى ظهره، و المراد بتمطيه فى ذهابه التبخر و الاختيال استعاره.

و المعنى: فلم يصدق هذا الإنسان الدعوه فيما فيها من الاعتقاد و لم يصل لربه أى لم يتبعها فيما فيها من الفروع و ركنها الصلاه و لكن كذب بها و تولى عنها ثم ذهب إلى أهله يتبختر و يختال مستكبرا.

قوله تعالى: «أُولَىٰ لِمَكَ فَأُولَىٰ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ» لا ريب أنه كلمه تهديد كررت لتأكيد التهديد، و لا يبعد -و الله أعلم- أن يكون قوله: «أُولَىٰ لَكَ» خبرا لمبتدأ محذوف هو ضمير عائد إلى ما ذكر من حال هذا الإنسان و هو أنه لم يصدق و لم يصل و لكن كذب و تولى ثم ذهب إلى أهله متبخترا مختالا، و إثبات ما هو فيه من الحال له كناية عن إثبات ما هو لازمه من التبعه و العقاب.

فيكون الكلام و هى كلمه ملقاه من الله تعالى إلى هذا الإنسان كلمه طبع طبع الله بها على قلبه حرم بها الإيمان و التقوى و كتب عليه أنه من أصحاب النار، و الآيتان تشبهان بوجه قوله تعالى: «فَإِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةَ مُحْكَمَةً وَ ذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَىٰ لَهُمْ»: سورة محمد ٢٠.

و المعنى: ما أنت عليه من الحال أولى و أرجح لك فأولى ثم أولى لك فأولى لتذوق وبال أمرك و يأخذك ما أعد لك من العذاب.

وقيل:أولى لك اسم فعل مبنى و معناه وليك شر بعد شر.

وقيل:أولى فعل ماض دعائى من الولى بمعنى القرب و فاعل الفعل ضمير مستتر عائد إلى الهلاك و اللام مزيده و المعنى أولاك الهلاك.

وقيل:الفاعل ضمير مستتر راجع إليه تعالى و اللام مزيده،و المعنى أولاك الله ما تكرهه،أو غير مزيده و المعنى أدناك الله مما تكرهه.

وقيل:معناه الدم أولى لك من تركه إلا أنه حذف و كثر فى الكلام حتى صار بمنزله الويل لك و صار من المحذوف الذى لا يجوز إظهاره.

وقيل:المعنى أهلكك الله هلاكا أقرب لك من كل شر و هلاك.

وقيل:أولى أفعال تفضيل بمعنى الأحرى،و خبر لمبتدأ محذوف يقدر كما يليق بمقامه فالتقدير هنا النار أولى لك أى أنت أحق بها و أهل لها فأولى.

و هى وجوه ضعيفه لا تخلو من تكلف و الوجه الأخير قريب مما قدمنا و ليس به.

قوله تعالى:« أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى »مختتم فيه رجوع إلى ما فى مفتتح السوره من قوله:« أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نُجَمَعَ عِظَامَهُ ».

و الاستفهام للتوبيخ،و السدى المهمل،و المعنى أ يظن الإنسان أن يترك مهملا لا يعتنى به فلا يبعث بإحيائه بعد الموت و لازمه أن لا يكلف و لا يجزى.

قوله تعالى:« أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى »اسم كان ضمير راجع إلى الإنسان،و إماء المنى صبه فى الرحم.

قوله تعالى:« ثُمَّ كَانَ عَاقِبَتَهُ فَخَلَقَ فَسَوَى »أى ثم كان الإنسان-أو المنى-قطعه من دم منعقد فقدره فصوره بالتعديل و التكميل.

قوله تعالى:« فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنثَى »أى فجعل من الإنسان الصنفين:

الذكر و الأنثى.

قوله تعالى:« أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى »احتجاج على البعث الذى ينكرونه استبعادا له بعموم القدره و ثبوتها على الخلق الابتدائى و الإعادة لا تزيد على الابتداء مثونه بل هى أهون،و قد تقدم الكلام فى تقريب هذه الحججه فى تفسير الآيات المتعرضه لها مرارا.

بحث روائى

فى الدر المنثور،أخرج الطيالسى و أحمد و عبد بن حميد و البخارى و مسلم و الترمذى و النسائى و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و ابن الأنبارى فى المصاحف و الطبرانى و ابن مردويه و أبو نعيم و البيهقى معا فى الدلائل عن ابن عباس قال*: كان رسول الله ص يعالج

من التنزيل شده، و كان يحرك به لسانه و شفثيه مخافه أن ينفلت منه- يريد أن يحفظه فأنزل الله «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ- إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ» قال: إن علينا أن نجمله في صدرك ثم نقرأه «فَإِذَا قَرَأْتَهُ» يقول: إذا أنزلناه عليك «فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ» فاستمع له و أنصت «ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ» بينه بلسانك، و في لفظ علينا أن نقرأه- فكان رسول الله ص بعد ذلك إذا أتاه جبريل أطرق- و في لفظ استمع- فإذا ذهب قرأ كما وعده الله.

و فيه، أخرج ابن المنذر و ابن مردويه عن ابن عباس قال "": كان النبي ص إذا أنزل عليه القرآن- تعجل بقراءته ليحفظه- فنزلت هذه الآية «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ».

و كان رسول الله ص لا يعلم ختم سورة- حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم.

أقول: و روى ما في معنى صدر الحديث في المجمع، عن ابن جبير و في معناه غير واحد من الروايات، و قد تقدم أن في انطباق هذا المعنى على الآيات خفاء.

و في تفسير القمي، "قوله تعالى: «كَلَّا- يَلِئَلْ تُجِئُونَ الْعَاجِلَةَ» قال: الدنيا الحاضرة- «و تَذَرُونَ الْآخِرَةَ» قال: تدعون «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ» أي مشرقه «إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ» قال: ينظرون إلى وجه الله أي رحمه الله و نعمته.

و في العيون، في باب ما جاء عن الرضا(ع) من أخبار التوحيد بإسناده إلى إبراهيم بن أبي محمود قال: قال علي بن موسى الرضا(ع): في قوله تعالى: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ» إلى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ» يعني مشرقه تنتظر ثواب ربها:.

أقول: و رواه في التوحيد، و الاحتجاج، و المجمع، عن علي(ع)

، و قد اعترض علي أخذ ناظره بمعنى منتظره بأن الانتظار لا يتعدى إلى بل هو متعد بنفسه، و رد عليه في مجمع البيان بالاستشهاد بقول جميل بن معمر:

و إذا نظرت إليك من ملك

و البحر دونك جدتني نعماً

و قول الآخر:

إني إليك لما وعدت لناظر

نظر الفقير إلى الغني الموسر

و عد في الكشاف إطلاق النظر في الآية بمعنى الانتظار استعمالاً كنايةاً و هو معنى حسن.

و في الدر المنثور، أخرج ابن أبي شيبة و عبد بن حميد و الترمذى و ابن جرير و ابن المنذر و الأجرى فى الشريعة و الدارقطنى فى الرؤيه و الحاكم و ابن مردويه و اللالكائى فى السنه و البيهقى عن ابن عمر قال: *قال رسول الله ص: إن أدنى أهل الجنة منزلا لمن ينظر إلى جنانه- و أزواجه و نعيمه و خدمه و سرره مسيره ألف سنه- و أكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوه و عشيه.

ثم قرأ رسول الله ص: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ» قال: البياض و الصفاء «إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ» قال: ينظر كل يوم فى وجهه.

أقول: الروايه تقبل الانطباق على المعنى الذى أوردناه فى تفسير الآيه، و مع الغض عنه تقبل الحمل على رحمته و فضله و كرمه تعالى و سائر صفاته الفعلية فإن وجه الشىء ما يستقبل به الشىء غيره و ما يستقبل به الله سبحانه خلقه هو صفاته الكريمة فالنظر إلى رحمه الله و فضله و كرمه و صفاته الكريمة نظر إلى وجه الله الكريم.

و فيه، أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك قال: *قال رسول الله ص: فى قول الله.

«وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ» قال: ينظرون إلى ربهم بلا كيفية و لا حد محدود و لا صفه معلومه.

أقول: و الروايه تؤيد ما قدمنا فى تفسير الآيه أن المراد به النظر القلبي و رؤيه القلب دون العين الحسيه، و هى تفسر ما ورد فى عده روايات من طرق أهل السنه مما ظاهره التشبيه و أن الرؤيه بالعين الحسيه التى لا تفارق المحدوديه.

و فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «كَلَّا- إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ» قال: يعنى النفس إذا بلغت الترقوه «وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ» قال: يقال له: من يرقيك «وَوَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ» علم أنه الفراق

و فى الكافى، بإسناده إلى جابر عن أبى جعفر (ع) قال: *سألته عن قول الله عز و جل - «وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ» قال: فإن ذلك ابن آدم إذا حل به الموت قال: هل من طيب «وَوَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ» أيقن بمفارقة الأحبه «وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ» قال:

التفت الدنيا بالآخره «إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ» قال: المسير إلى رب العالمين.

و فى تفسير القمى، " «وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ» قال: التفت الدنيا بالآخره «إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ» قال: يساقون إلى الله.

و فى العيون، بإسناده عن عبد العظيم الحسنى قال، *سألت محمد بن على الرضا(ع) عن قول الله عز و جل، «أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ ثُمَّ أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ» قال: يقول الله عز و جل بعدا لك من خير الدنيا-و بعدا لك من خير الآخرة.

أقول: يمكن إرجاعه إلى ما قدمناه من معنى الآيتين، و كذا إلى بعض ما قيل فيه.

و فى المجمع، و جاءت الرواية: أن رسول الله ص أخذ بيد أبى جهل ثم قال له: أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى. فقال أبو جهل: بأى شىء تهددنى-لا تستطيع أنت و ربك أن تفعلوا بى شيئا، و إنى لأعز أهل هذا الوادى، فأنزل الله سبحانه كما قال له رسول الله ص.

أقول: و روى ما فى معناه فى الدر المنثور، عن عده عن قتاده قال: *ذكر لنا و ساق الحديث .

و فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى» قال: لا يحاسب و لا يعذب و لا يسأل عن شىء.

و فى العلل، بإسناده إلى مسعده بن زياد قال: *قال رجل لجعفر بن محمد(ع)، يا أبا عبد الله-إنا خلقنا للعجب قال: و ما ذلك لله أنت؟ قال: خلقنا للفناء فقال يا ابن أخ خلقنا للبقاء، و كيف يفنى جنه لا تبيد و نار لا تخمد؟ و لكن قل: إنما نتحول من دار إلى دار.

و فى المجمع، و جاء فى الحديث عن البراء عن عازب قال: *لما نزلت هذه الآية «أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ» قال رسول الله ص: سبحانهك اللهم و بلى: و روى ذلك عن أبى جعفر و أبى عبد الله(ع) .

أقول: و روى فى الدر المنثور، عن أبى هريره و غيره: أنه(ص) إذا قرأ الآية قال: *

سبحانك اللهم و بلى، و كذا

فى العيون، عن الرضا(ع): أنه كان إذا قرأ السوره- قال عند الفراغ سبحانهك اللهم بلى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢)
إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ
مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالْإِذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعَمُونَ
الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِذَا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا
غَمُوسًا فَمَطِرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُتَّكِنِينَ فِيهَا
عَلَى الْأَرْوَاحِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شُمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهُمْ وَذُلَّتْ أَيْدِيهِمْ فِيهَا تَذَلِيلًا (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَاتِهِ مِنْ
فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ فَوَارِيرًا (١٥) فَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا
تُسْمَى سُلْسِيلًا (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا
كَبِيرًا (٢٠) عَلَيْهِمْ قِيَابٌ سِنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعٌ أَسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً
وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا (٢٢)

تذكر السوره خلق الإنسان بعد ما لم يكن شيئاً مذكوراً ثم هدايته السبيل إما شاكراً وإما كفوراً وأن الله اعتد للكافرين أنواع العذاب وللأبرار ألوان النعم-وقد فصل القول في وصف نعيمهم في ثمان عشره آيه وهو الدليل على أنه المقصود بالبيان-

ثم تذكر مخاطبا للنبي ص أن القرآن تنزيل منه تعالى عليه و تذكره فليصبر لحكم ربه ولا يتبع الناس في أهوائهم وليذكر اسم ربه بكره و عشيا و ليسجد له من الليل و ليسبحه ليلا طويلا.

و السوره مدنيه بتمامها أو صدرها-و هي اثنتان و عشرون آيه من أولها-مدني، و ذيلها-و هي تسع آيات من آخرها-مكي و قد أطبقت روايات أهل البيت(ع) على كونها مدنيه،و استفاضت بذلك روايات أهل السنه.

و قيل بكونها مكيه بتمامها،و سيوافيك تفصيل القول في ذلك في البحث الروائي التالي إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً» الاستفهام للتقرير فيفيد ثبوت معنى الجملة و تحققه أى قد أتى على الإنسان «إلخ» و لعل هذا مراد من قال من قدماء المفسرين: إن «هَيْلٌ» فى الآيه بمعنى قد، لا-على أن ذلك أحد معانى «هل» كما ذكره بعضهم.

و المراد بالإنسان الجنس. و أما قول بعضهم: إن المراد به آدم(ع) فلا يلائمه قوله فى الآيه التاليه: «إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ».

و الحين قطعه من الزمان محدوده قصيره كانت أو طويله،و الدهر الزمان الممتد من دون تحديد ببدايه أو نهايه.

و قوله: «شَيْئاً مَّذْكُوراً» أى شيئاً يذكر باسمه فى المذكورات أى كان يذكر مثلا الأرض و السماء و البر و البحر و غير ذلك و لا يذكر الإنسان لأنه لم يوجد بعد حتى وجد

فقيل: الإنسان فكونه مذكورا كناية عن كونه موجودا بالفعل فالنفي في قوله: «لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكَوراً» متوجه إلى كونه شيئاً مذكورا لا إلى أصل كونه شيئاً فقد كان شيئاً و لم يكن شيئاً مذكورا و يؤيده قوله: «إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ» إلخ فقد كان موجودا بمادته و لم يتكون بعد إنسانا بالفعل والآية و ما يتلوها من الآيات واقعه في سياق الاحتجاج بيبين بها أن الإنسان حادث يحتاج في وجوده إلى صانع يصنعه و خالق يخلقه، و قد خلقه ربه و جهزه التدبير الربوبي بأدوات الشعور من السمع و البصر يهتدى بها إلى السبيل الحق الذي من الواجب أن يسلكه مدى حياته فإن كفر فمصيره إلى عذاب أليم و إن شكر فإلى نعيم مقيم.

و المعنى هل أتى-قد أتى-على الإنسان قطعه محدوده من هذا الزمان الممتد-غير المحدود و الحال أنه لم يكن موجودا بالفعل مذكورا في عداد المذكورات.

قوله تعالى: «إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً» النطفة في الأصل بمعنى الماء القليل غلب استعماله في ماء الذكور من الحيوان الذي يتكون منه مثله، و أمشاج جمع مشيج أو المشج بفتححتين أو بفتح فكسر بمعنى المختلط الممتزج، و وصفت بها النطفة باعتبار أجزائها المختلفة أو اختلاط ماء الذكور و الإناث.

و الابتلاء نقل الشيء من حال إلى حال و من طور إلى طور كابتلاء الذهب في البوتقه، و ابتلاؤه تعالى الإنسان في خلقه من النطفة هو ما ذكره في مواضع من كلامه أنه يخلق النطفة فيجعلها علقه و العلقه مضغه إلى آخر الأطوار التي تتعاقبها حتى ينشئه خلقا آخر.

و قيل: المراد بابتلائه امتحانه بالتكليف، و يدفعه تفريع قوله: «فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً» على الابتلاء و لو كان المراد به التكليف كان من الواجب تفريعه على جعله سميعا بصيرا لا-بالعكس، و الجواب عنه بأن في الكلام تقديم و تأخيرا و التقدير إنا خلقناه من نطفه أمشاج فجعلناه سميعا بصيرا لنبتيه، لا يصغى إليه.

و قوله: «فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً» سياق الآيات و خاصه قوله: «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ» إلخ يفيد أن ذكر جعله سميعا بصيرا للتوسل به في التدبير الربوبي إلى غايته و هي أن يرى آيات الله الداله على المبدأ و المعاد و يسمع كلمه الحق التي تأتيه من جانب ربه بإرسال الرسل و إنزال الكتب فيدعوه البصر و السمع إلى سلوك سبيل الحق و السير في مسير الحياه بالإيمان و العمل الصالح فإن لزم السبيل الذي هدى إليه أداه إلى نعيم الأبد و إلا فإلى عذاب مخلد.

و ذكر الإنسان في الآيه من وضع الظاهر موضع الضمير و النكته فيه تسجيل أنه تعالى هو خالقه و مدبر أمره.

و المعنى: إنا خلقنا الإنسان من نطفه هي أجزاء مختلطه ممتزجه و الحال أنا ننقله من حال إلى حال و من طور إلى طور فجعلناه سميعا بصيرا لسمع ما يأتيه من الدعوه الإلهيه، و يبصر الآيات الإلهيه الداله على وحدانيته تعالى و النبوه و المعاد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ الهدايه بمعنى إراءه الطريق دون الإيصال إلى المطلوب و المراد بالسبيل السبيل بحقيقه معنى الكلمه و هو المؤدى إلى الغايه المطلوبه و هو سبيل الحق.

و الشكر استعمال النعمه بإظهار كونها من منعمها و قد تقدم فى تفسير قوله تعالى:

﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾: آل عمران: ١٤٤ إن حقيقه كون العبد شاكر لله كونه مخلصا لربه، و الكفران استعمالها مع ستر كونها من المنعم.

و قوله: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ حالان من ضمير «هَدَيْنَاهُ» لا من «السَّبِيلَ» كما قاله بعضهم، و «إِمَّا» يفيد التقسيم و التنوع أى إنا هديناه السبيل حال كونه منقسما إلى الشاكر و الكفور أى أنه مهدي سواء كان كذا أو كذلك.

و التعبير بقوله: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ هو الدليل أولا: على أن المراد بالسبيل السنه و الطريقه التى يجب على الإنسان أن يسلكها فى حياته الدنيا لتوصله إلى سعادته فى الدنيا و الآخره و تسوقه إلى كرامه القرب و الزلفى من ربه و محصله الدين الحق و هو عند الله الإسلام.

و به يظهر أن تفسير بعضهم السبيل بسبيل الخروج من الرحم غير سديد.

و ثانيا: أن السبيل المهدي إليه سبيل اختيارى و أن الشكر و الكفر اللذين يترتبان على الهدايه المذكوره واقعان فى مستقر الاختيار للإنسان أن يتلبس بأيهما شاء من غير إكراه و إجبار كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾: عبس: ٢٠، و ما فى آخر السوره من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إنما يفيد تعلق مشيئه تعالى بمشيئه العبد لا بفعل العبد الذى تعلقت به مشيه العبد حتى يفيد نفى تأثير مشيه العبد المتعلقه بفعله، و قد تقدمت الإشاره إلى هذا المعنى فى هذا الكتاب مرارا.

و الهدايه التى هى نوع إيدان و إعلام منه تعالى للإنسان هدايه فطريه هى تنبيه بسبب نوع خلقته و ما جهز به وجوده بإلهام من الله سبحانه على حق الاعتقاد و صالح العمل قال تعالى: «و نَفْسٍ وَّ مَا سَوَّاهَا فَالْتَمَّهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا»: الشمس: ٨ و أوسع مدلولاً منه قوله تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ»: الروم: ٣٠.

و هدايه قوليه من طريق الدعوه يبعث الأنبياء و إرسال الرسل و إنزال الكتب و تشريع الشرائع الإلهيه، و لم يزل التدبير الربوبى تدعم الحياه الإنسانيه بالدعوه الدينيه القائم بها أنبياءه و رسله، و يؤيد بذلك دعوه الفطره كما قال: «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ X- إلى أن قال X- رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ»: النساء: ١٦٥.

و من الفرق بين الهديتين أن الهدايه الفطريه عامه بالغه لا يستثنى منها إنسان لأنها لازم الخلقه الإنسانيه و هى فى الأفراد بالسويه غير أنها ربما تضعف أو يلغو أثرها لعوامل و أسباب تشغل الإنسان و تصرفه عن التوجه إلى ما يدعو إليه عقله و يهديه إليه فطرته أو ملكات و أحوال رديئه سيئه تمنعه عن إجابته نداء الفطره كالعناد و اللجاج و ما يشبه ذلك قال تعالى: «أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلَى بَصِيرِهِ غِشًّا أَوَّهَ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ»: الجاثيه: ٢٣، و الهدايه المنفيه فى الآيه بمعنى الإيصال إلى المطلوب دون إراءه الطريق بدليل قوله: «وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ».

و أما الهدايه القوليه و هى التى تتضمنها الدعوه الدينيه فإن من شأنها أن تبلغ المجتمع فتكون فى معرض من عقول الجماعه فيرجع إليها من أثر الحق على الباطل و أما بلوغها لكل واحد واحد منهم فإن العلل و الأسباب التى يتوسل بها إلى بيان أمثال هذه المقاصد ربما لا تساعد على ذلك على ما فى الظروف و الأزمنه و البيئات من الاختلاف و كيف يمكن لإنسان أن يدعو كل إنسان إلى ما يريد بنفسه أو بوسائط من نوعه؟ فمن المتعذر ذلك جدا.

و إلى المعنى الأول أشار تعالى بقوله: «وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ»: فاطر: ٢٤، و إلى الثانى بقوله: «لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ»: يس: ٦.

فمن بلغته الدعوه و انكشف له الحق فقد تمت عليه الحججه و من لم تبلغه الدعوه بلوغاً ينكشف به له الحق فقد أدركه الفضل الإلهى بعده مستضعفاً أمره إلى الله إن يشأ يغفر

له و إن يشأ يعذبه قال تعالى: «إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَّا يَسْتَظِعُونَ حِيلَهُ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا»: النساء: ٩٨.

ثم من الدليل على أن الدعوه الإلهيه و هى الهدايه إلى السبيل حق يجب على الإنسان أن يتبعها فطره الإنسان و خلقته المجهزه بما يهدى إليها من الاعتقاد و العمل، و وقوع الدعوه خارجا من طريق النبوه و الرساله فإن سعادته كل موجود و كماله فى الآثار و الأعمال التى تناسب ذاته و تلائمها بما جهزت به من القوى و الأدوات فسعادته الإنسان و كماله فى اتباع الدين الإلهى الذى هو سنه الحياه الفطريه و قد حكم به العقل و جاءت به الأنبياء و الرسل عليهم السلام.

قوله تعالى: «إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَيِّئَاتٍ وَأَغْلَابًا وَ سَيِّئَاتٍ» الاعتاد التهيئه، و سلاسل جمع سلسله و هى القيد الذى يقاد به المجرم، و أغلال جمع غل بالضم قيل هى القيد الذى يجمع اليدين على العنق، و قال الراغب: فالغل مختص بما يقيد به فيجعل الأعضاء وسطه. انتهى. و السعير النار المشتعله، و المعنى ظاهر.

و الآيه تشير إلى تبعه الإنسان الكفور المذكور فى قوله: «إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَافِرًا» و قدم بيان تبعته على بيان جزاء الإنسان الشاكر لاختصار الكلام فيه.

قوله تعالى: «إِنَّ الْمَأْبُورَ يُشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا» الكأس إناء الشراب إذا كان فيه شراب، و المزاج ما يمزج به كالحزام لما يحزم به، و الكافور معروف يضرب به المثل فى البروده و طيب الرائحه، و قيل: هو اسم عين فى الجنة.

و الأبرار جمع بر بفتح الباء صفه مشبهه من البر و هو الإحسان و يتحصل معناه فى أن يحسن الإنسان فى عمله من غير أن يريد به نفعا يرجع إليه من جزاء أو شكور فهو يريد الخير لأنه خير لا لأن فيه نفعا يرجع إلى نفسه و إن كرهت نفسه ذلك فيصبر على مر مخالفه نفسه فيما يريد و يعمل العمل لأنه خير فى نفسه كالوفاء بالنذر أو لأن فيه خيرا لغيره كإطعام الطعام للمستحقين من عباد الله.

و إذ لا خير فى عمل و لا صلاح إلا بالإيمان بالله و رسوله و اليوم الآخر كما قال تعالى:

«أُولَئِكَ لَمْ يُوْمِنُوا فَأَخْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ»: الأحزاب: ١٩ إلى غير ذلك من الآيات.

فالأبرار مؤمنون بالله و رسوله و اليوم الآخر، و إذ كان إيمانهم إيمان رشد و بصيره فهم يرون أنفسهم عبيدا مملوكين لربهم، له خلقهم و أمرهم، لا يملكون لأنفسهم نفعا و لا ضرا

عليهم أن لا يريدوا إلا ما أَرَادَهُ رَبُّهُمْ و لا يفعلوا إلا ما يرضيه فقدموا إرادته على إرادته أنفسهم و عملوا له فصبروا على مخالفته أنفسهم فيما تهواه و تحبه و كلفه الطاعة، و عملوا ما عملوه لوجه الله، فأخلصوا العبودية في مرحله العمل لله سبحانه.

و هذه الصفات هي التي عرف سبحانه الأبرار بها كما استفاد من قوله: «يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ» و قوله: «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ» و قوله: «وَ جَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا» و هي المستفاده من قوله في صفتهم: «لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ» X الخ: البقرة: ١٧٧ و قد مر بعض الكلام في معنى البر في تفسير الآيه و سيأتي بعضه في قوله: «كَلَّا- إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ»: المطففين: ١٨.

و الآيه أعنى قوله: «إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ» إلخ بما يتبادر من معناها من حيث مقابلتها لقوله: «إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ» إلخ المبين لحال الكافرين في الآخرة، تبين حال الأبرار في الآخرة في الجنة، و أنهم يشربون من شراب ممزوج بالكافور باردا طيب الرائحة.

قوله تعالى: «عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا» «عَيْنًا» منصوب بنزع الخافض و التقدير من عين أو بالاختصاص و التقدير أخص عينا، و الشرب- على ما قيل - يتعدى بنفسه و بالباء فشرب بها و شربها واحد، و التعبير عنهم بعباد الله للإشارة إلى تحليهم بحليه العبودية و قيامهم بلوازمها على ما يفيدته سياق المدح.

و تفجير العين شق الأرض لإجرائها، و ينبغي أن يحمل تفجيرهم العين على إرادتهم جريانها لأن نعم الجنة لا تحتاج في تحققها و التمتع بها إلى أزيد من مشيه أهلها قال تعالى:

«لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا»: ق: ٣٥.

و الآيتان- كما تقدمت الإشارة إليه- تصفان نعم الأبرار بشارب الجنة في الآخرة، و بذلك فسرت الآيتان.

و لا يبعد أن تكون الآيتان مسوقتين على مسلك تجسم الأعمال تصفان حقيقه عملهم الصالح من الإيفاء بالندى و إطعام الطعام لوجه الله، و أن أعمالهم المذكوره بحسب باطنها شرب من كأس مزاجها كافور من عين لا يزالون يفجرونها بأعمالهم الصالحة و ستظهر لهم بحقيقتها في جنه الخلد و إن كانت في الدنيا في صوره الأعمال فتكون الآيتان في مجرى أمثال قوله تعالى: «إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ»: يس: ٨.

و يؤيد ذلك ظاهر قوله «يَشْرَبُونَ» و «يَشْرَبُ بِهَا» و لم يقل: يشربون و يشرب بها، و وقوع قوله: يشربون و يوفون و يخافون و يطعمون متعاقبه فى سياق واحد، و ذكر التفجير فى قوله: «يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا» الظاهر فى استخراج العين و إجرائها بالتوسل بالأسباب.

و لهم فى مفردات الآيتين و إعرابها أقاويل كثيرة مختلفه مذكوره فى المطولات فليراجعها من أراد الوقوف عليها.

قوله تعالى: «يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا» المستطير اسم فاعل من استطار إذا فشا و انتشر فى الأقطار غايه الانتشار و هو أبلغ من طار كما قيل: يقال:

استطار الحريق و استطار الفجر إذا اتسعا غايته، و المراد باستطاره شر اليوم و هو يوم القيامه بلوغ شدائده و أهواله و ما فيه من العذاب غايته.

و المراد بالإيفاء بالنذر ما هو ظاهره المعروف من معناه، و قول القائل: إن المراد به ما عقدوا عليه قلوبهم من العمل بالواجبات أو ما عقدوا عليه القلوب من اتباع الشارع فى جميع ما شرعه خلاف ظاهر اللفظ من غير دليل يدل عليه.

قوله تعالى: «وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا» ضمير «عَلَىٰ حُبِّهِ» للطعام على ما هو الظاهر، و المراد بحبه توقان النفس إليه لشده الحاجه، و يؤيد هذا المعنى قوله تعالى: «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ»: آل عمران: ٩٢.

وقيل: الضمير لله سبحانه أى يطعمون الطعام حبا لله لا طمعا فى الثواب، و يدفعه أن قوله تعالى حكاية منهم: «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ» يعنى عنه.

و يليه فى الضعف ما قيل: إن الضمير للإطعام المفهوم من قوله: «وَيُطْعَمُونَ» و وجه الضعف أنه إن أريد بحب الإطعام حقيقه معناه فليس فى حب الإطعام فى نفسه فضل حتى يمدحوا به، و إن أريد به كون الإطعام بطيب النفس و عدم التكلف فهو خلاف الظاهر، و رجوع الضمير إلى الطعام هو الظاهر.

و المراد بالمسكين و اليتيم معلوم، و المراد بالأسير ما هو الظاهر منه و هو المأخوذ من أهل دار الحرب.

و قول بعضهم: إن المراد به أسارى بدر أو الأسير من أهل القبله فى دار الحرب

بأيدي الكفار أو المحبوس أو المملوك من العبيد أو الزوجه كل ذلك تكلف من غير دليل يدل عليه.

والذى يجب أن يتنبه له أن سياق هذه الآيات سياق الاقتصاص تذكر قوما من المؤمنين تسميهم الأبرار و تكشف عن بعض أعمالهم و هو الإيفاء بالنذر و إطعام مسكين و يتيم و أسير و تمدحهم و تعدهم الوعد الجميل.

فما تشير إليه من القصة سبب النزول، و ليس سياقها سياق فرض موضوع و ذكر آثارها الجميله، ثم الوعد الجميل عليها، ثم إن عد الأسير فيمن أطعمه هؤلاء الأبرار نعم الشاهد على كون الآيات مدنيه فإن الأسر إنما كان بعد هجره النبي ص و ظهور الإسلام على الكفر و الشرك لا قبلها.

قوله تعالى: «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا» وجه الشىء هو ما يستقبل به غيره، و وجهه تعالى صفاته الفعلية الكريمة التى يفيض بها الخير على خلقه من الخلق و التدبير و الرزق و بالجمله الرحمة العامه التى بها قيام كل شىء، و معنى كون العمل لوجه الله على هذا كون الغايه فى العمل هى الاستفاضه من رحمه الله و طلب مرضاته بالاعتصار على ذلك و الإعراض عما عند غيره من الجزاء المطلوب، و لذا ذيلوا قولهم:

«إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ» بقولهم «لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا».

و وراء ذلك صفاته الذاتيه الكريمة التى هى المبدأ لصفاته الفعلية و لما يترتب عليها من الخير فى العالم، و مرجع كون العمل لوجه الله على هذا هو الإتيان بالعمل حبا لله لأنه الجميل على الإطلاق، و إن شئت فقل: عبادته تعالى لأنه أهل للعباده.

و ابتغاء وجه الله بجعله غايه داعيه فى الأعمال مذكور فى مواضع من كلامه تعالى كقوله: «وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ»: الكهف:

٢٨، و قوله: «وَ مَا تَنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ»: البقره: ٢٧٢، و فى هذا المعنى قوله:

«وَ مَا أَمْرُوا إِلَّا لِيُعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ»: البينه: ٥، و قوله: «فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ»: المؤمن: ٦٥، و قوله: «أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ»: الزمر: ٣.

و قوله: «لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا» الجزاء مقابله العمل بما يعادله إن خيرا فخييرا و إن شرا فشرا، و يعم الفعل و القول لكن المراد به فى الآيه بقرينه مقابله الشكور مقابله إطعامهم عملا لا لسانا.

و الشكر و الشكور ذكر النعمة و إظهارها قلباً أو لساناً أو عملاً، و المراد به فى الآيه و قد قوبل بالجزاء الثناء الجميل لساناً.

و الآيه أعنى قوله: «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ» إلخ خطاب منهم لمن أطعموه من المسكين و اليتيم و الأسير إما بلسان المقال فهى حكاية قولهم أو بتقدير القول و كيف كان فقد أرادوا به تطيب قلوبهم أن يأمنوا المن و الأذى، و إما بلسان الحال و هو ثناء من الله عليهم لما يعلم من الإخلاص فى قلوبهم.

قوله تعالى: «إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبَّوسًا قَمَطِرًا» عد اليوم و هو يوم القيامة عبوساً من الاستعاره، و المراد بعبوسه ظهوره على المجرمين بكمال شدته، و القمطير الصعب الشديد على ما قيل.

و الآيه فى مقام التعليل لقولهم المحكى: «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ» إلخ ينبهون بقولهم هذا أن قصرهم العمل فى ابتغاء وجه الله تعالى إخلاصاً للعبودية لمخافتهم ذاك اليوم الشديد، و لم يكتفوا بنسبه المخافه إلى اليوم حتى نسبه نحواً من النسبه إلى ربهم فقالوا: «نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا» إلخ لأنهم لما لم يريدوا إلا وجه ربهم فهم لا يخافون غيره كما لا يرجون غيره و إنما يخافون و يرجون ربهم فلا يخافون يوم القيامة إلا لأنه من ربهم يحاسب فيه عباده على أعمالهم فيجزئهم بها.

و أما قوله قبلاً: «و يَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا» حيث نسب خوفهم إلى اليوم فإن الواصف فيه هو الله سبحانه و قد نسب اليوم بشدائده إلى نفسه قبلاً حيث قال:

«إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ» إلخ.

و بالجمله ما ذكروه من الخوف مخافه فى مقام العمل لما يحاسب العبد على عمله فالعبودية لازمه للإنسان لا تفارقه و إن بلغ ما بلغ قال تعالى: «إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ»: الغاشية: ٢٦.

قوله تعالى: «فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا» الوقايه الحفظ و المنع من الأذى و لقى بكذا يلقيه أى استقبله به و النضرة البهجه و حسن اللون و السرور مقابل المساءه و الحزن.

و المعنى: فحفظهم الله و منع عنهم شر ذلك اليوم و استقبلهم بالنضرة و السرور، فهم ناضره الوجوه مسرورون يومئذ كما قال: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ»: القيامة: ٢٢.

قوله تعالى: « وَ جَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيرًا » المراد بالصبر صبرهم عند المصيبة و على الطاعة و عن المعصية فإنهم ابتغوا فى الدنيا وجه ربهم و قدموا إرادته على إرادتهم فصبروا على ما قضى به فيهم و أرادته من المحن و مصائب الدنيا فى حقهم، و صبروا على امتثال ما أمرهم به و صبروا على ترك ما نهاهم عنه و إن كان مخالفا لأهواء أنفسهم فبدل الله ما لقوه من المشقه و الكلفه نعمه و راحه.

قوله تعالى: « مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَ لَا زَمْهَرِيرًا » الأرائك جمع أريكه و هو ما يتكأ عليه، و الزمهير البرد الشديد، و المعنى حال كونهم متكئين فى الجنة على الأرائك لا يرون فيها شمساً حتى يتأذوا بحرهما و لا زمهيرا حتى يتأذوا ببرده.

قوله تعالى: « وَ دَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهُمْ وَ ذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا » الظلال جمع ظل، و دنو الظلال عليهم قريبا منهم بحيث تنبسط عليهم فكان الدنو مضمن معنى الانبساط و قطوف جمع قطف بالكسر فالسكون و هو الثمره المقطوفه المجتناه، و تذليل القطوف لهم جعلها مسخره لهم يقطفونها كيف شاءوا من غير مانع أو كلفه.

قوله تعالى: « وَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَاتِهِ مِنْ فَضِّهِ وَ أَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا » الآنيه جمع إناء كأكسيه جمع كساء و هو الوعاء، و أكواب جمع كوب و هو إناء الشراب الذى لا عروه له و لا خرطوم و المراد طواف الولدان المخلدين عليهم بالآنيه و أكواب الشراب كما سيأتى فى قوله: « وَ يُطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ » الآيه.

قوله تعالى: « قَوَارِيرًا مِنْ فَضِّهِ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا » بدل من قوارير فى الآيه السابقه، و كون القوارير من فضه مبنى على التشبيهه البليغ أى إنها فى صفاء الفضه و إن لم تكن منها حقيقه، كذا قيل. و احتمال أن يكون بحذف مضاف و التقدير من صفاء الفضه.

و ضمير الفاعل فى « قَدَّرُوهَا » للأبرار و المراد بتقديرهم الآنيه و الأكواب كونها على ما شاءوا من القدر ترويههم بحيث لا تزيد و لا تنقص كما قال تعالى: « لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ فِيهَا » ق: ٣٥ و قد قال تعالى قبل: « يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ».

و يحتمل رجوع الضمير إلى الطائفين المفهوم من قوله: « يُطَافُ عَلَيْهِمْ » و المراد بتقديرهم الآنيه و الأكواب إتيانهم بها على قدر ما أرادوا محتويه على ما اشتهاوا قدر ما اشتهاوا.

قوله تعالى: « وَ يُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَتْ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا » قيل: إنهم كانوا يستطيبون الزنجبيل في الشراب فوعده الأبرار بذلك و زنجبيل الجنة أطيب و ألد.

قوله تعالى: « عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا » أى من عين أو التقدير أعنى أو أخص عينا.

قال الراغب: و قوله: « سَلْسَبِيلًا » أى سهلا لذيدا سلسا حديد الجريه.

قوله تعالى: « وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا » أى ولدان دائمون على ما هم عليه من الطراوه و البهاء و صباحه المنظر، و قيل: أى مقرطون بخلده و هى ضرب من القرط.

و المراد بحسبانهم لؤلؤا منثورا أنهم فى صفاء ألوانهم و إشراق وجوههم و انعكاس أشعه بعضهم على بعض و انبثاتهم فى مجالسهم كاللؤلؤ المنثور.

قوله تعالى: « وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَ مُلْكًا كَبِيرًا » « ثَمَّ » ظرف مكان ممحض فى الظرفيه، و لذا قيل: إن معنى « رَأَيْتَ » الأول: رميت ببصرك، و المعنى و إذا رميت ببصرك ثم يعنى الجنة رأيت نعيما لا يوصف و ملكا كبيرا لا يقدر قدره.

و قيل: « ثَمَّ » صله محذوفه الموصول و التقدير و إذا رأيت ما ثم من النعيم و الملك، و هو كقوله: « لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ »: الأنعام: ٩٤ و الكوفيون من النحاه يجوزون حذف الموصول و إبقاء الصله و إن منعه البصريون منهم.

قوله تعالى: « عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَ إِسْتَبْرَقٌ » إلخ الظاهر أن « عَالِيَهُمْ » حال من الأبرار الرجعه إليه الضمائر و « ثِيَابٌ » فاعله، و السندس - كما قيل - ما رق نسجه من الحرير، و الخضر صفه ثياب و الإستبرق ما غلظ نسجه من ثياب الحرير، و هو معرب كالسندس.

و قوله: « وَ حُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ » التحليه التزيين، و أساور جمع سوار و هو معروف، و قال الراغب: هو معرب دستواره.

و قوله: « وَ سَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا » أى بالغا فى التطهير لا تدع قذاره إلا أزالها و من القذاره قذاره الغفله عن الله سبحانه و الاحتجاب عن التوجه إليه فهم غير محجوبين عن ربهم و لذا كان لهم أن يحمدوا ربهم كما قال: « وَ آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » يونس: ١٠ و قد تقدم فى تفسير سوره الحمد إن الحمد وصف لا يصلح له إلا المخلصون من عباد الله تعالى لقوله: « سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ »: الصافات: ١٦٠.

وقد أسقط تعالى في قوله: «وَسَيَقَاهُمْ رَبُّهُمْ» الوسائط كلها و نسب سقيهم إلى نفسه، و هذا أفضل ما ذكره الله تعالى من النعيم الموهوب لهم في الجنة، و لعله من المزيد المذكور في قوله: «لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ»: ق: ٣٥.

قوله تعالى: «إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا» حكاية ما يخاطبون به من عنده تعالى عند توفيته أجرهم أو بحذف القول و التقدير و يقال لهم: إن هذا كان لكم جزاء «إلخ».

و قوله: «وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا» إنشاء شكر لمساعيهم المرضية و أعمالهم المقبولة، و يا لها من كلمة طيبة تطيب بها نفوسهم.

و اعلم أنه تعالى لم يذكر فيما ذكر من نعيم الجنة في هذه الآيات نساء الحور العين و هي من أهم ما يذكره عند وصف نعم الجنة في سائر كلامه و يمكن أن يستظهر منه أنه كانت بين هؤلاء الأبرار الذين نزلت فيهم الآيات من هي من النساء. و قال في روح المعاني: و من اللطائف على القول بنزول السورة فيهم يعني في أهل البيت إنه سبحانه لم يذكر فيها الحور العين و إنما صرح عز و جل بولدان مخلصين رعايه لحرمة البتول و قره عين الرسول، انتهى.

بحث روائي

في إتقان السيوطي، عن البيهقي في دلائل النبوه بإسناده عن عكرمه و الحسن بن أبي الحسن قالاً: "أنزل الله من القرآن بمكة اقرأ باسم ربك و ن و المزمّل - إلى أن قال - و ما نزل بالمدينة و يل للمطففين، و البقره، و آل عمران، و الأنفال، و الأحزاب، و المائدة، و الممتحنه، و النساء، و إذا زلزلت، و الحديد، و محمد، و الرعد، و الرحمن، و هل أتى على الإنسان. الحديث.

و فيه، عن ابن الضريس في فضائل القرآن بإسناده عن عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه عن ابن عباس قال: "كان إذا نزلت فاتحه سورة بمكة كتبت بمكة - ثم يزيد الله فيها ما شاء.

و كان أول ما أنزل من القرآن اقرأ باسم ربك، ثم ن، ثم يا أيها المزمّل - إلى أن قال -

ثم أنزل بالمدينه سورہ البقرہ ثم الأنفال- ثم آل عمران ثم الأحزاب ثم الممتحنه ثم النساء- ثم إذا زلزلت ثم الحديد ثم القتال ثم الرعد- ثم الرحمن ثم الإنسان. الحديث.

و فيه، عن البيهقي في الدلائل بإسناده عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال " *: إن أول ما أنزل الله على نبيه من القرآن- اقرأ باسم ربك، و ذكر مثل حديث عكرمه و الحسين- و فيه ذكر ثلاث من السور المكيه التي سقطت من روايتهما- و هي الفاتحه و الأعراف و كهيعص.

و في الدر المنثور، أخرج ابن الضريس و ابن مردويه و البيهقي عن ابن عباس قال " *:

نزلت سورہ الإنسان بالمدينه.

و فيه، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس " * في قوله تعالى: « وَ يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ » الآية- قال: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب- و فاطمه بنت رسول الله ص.

أقول: الآية تشارك سائر آيات صدر السورہ مما تقدم عليها أو تأخر عنها في سياق واحد متصل فنزلها فيهما (ع) لا ينفك نزولها جميعا بالمدينه.

و في الكشاف، و عن ابن عباس: أن الحسن و الحسين مرضا- فعادهما رسول الله ص في ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت علي ولدك (ولديك ظ) فنذر علي و فاطمه و فضه جاريه لهما- إن برء مما بهما أن يصوموا ثلاثه أيام- فشفا و ما معهم شيء.

فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي- ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمه صاعا- و اختبزت خمسه أقراص علي عددهم- فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل و قال: السلام عليكم أهل بيت محمد- مسكين من مساكين المسلمين- أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة- فأثروه و باتوا لم يذوقوا إلا الماء و أصبحوا صياما.

فلما أمسوا و وضعوا الطعام بين أيديهم- وقف عليهم يتيم فأثروه، و وقف عليهم أسير في الثالثه ففعلوا مثل ذلك.

فلما أصبحوا أخذ علي بيد الحسن و الحسين- و أقبلوا إلى رسول الله ص- فلما أبصرهم و هم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع- قال: ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم- فانطلق معهم فرأى فاطمه في محرابها- قد التصق ظهرها (1) ببطنها و غارت عيناها- فسأه ذلك فنزل جبريل و قال: خذها يا محمد- هناك الله في أهل بيتك فأقرأه السورہ:

ص: ١٣٢

أقول: الروايه مرويه بغير واحد من الطرق عن عطاء عن ابن عباس و نقلها البحراني في غايه المرام، عن أبي المؤيد الموفق بن أحمد في كتاب فضائل أمير المؤمنين بإسناده عن مجاهد عن ابن عباس، و عنه بإسناد آخر عن الضحاك عن ابن عباس و عن الحموي في كتاب فرائد السمطين بإسناده عن مجاهد عن ابن عباس، و عن الثعلبي بإسناده عن أبي صالح عن ابن عباس، و رواه في المجمع، عن الواحدى في تفسيره .

و في المجمع، بإسناده عن الحاكم بإسناده عن سعيد بن المسيب عن علي بن أبي طالب أنه قال *سألت النبي عن ثواب القرآن: فأخبرني بثواب سورة سورة-على نحو ما نزلت من السماء.

فأول ما نزل عليه بمكة فاتحه الكتاب-ثم اقرأ باسم ربك، ثم ن-إلى أن قال- و أول ما نزل بالمدينه سورة البقره ثم الأنفال-ثم آل عمران ثم الأحزاب ثم الممتحنه ثم النساء-ثم إذا زلزلت ثم الحديد ثم سورة محمد ثم الرعد-ثم سورة الرحمن ثم هل أتى. الحديث.

و فيه، عن أبي حمزه الثمالى في تفسيره قال*: حدثنى الحسن بن الحسن أبو عبد الله بن الحسن "أنها مدنيه نزلت في علي و فاطمه السوره كلها.

و في تفسير القمى، عن أبيه عن عبد الله بن ميمون عن أبي عبد الله (ع) قال*: كان عند فاطمه (ع) شعير فجعلوه عصيده (1) فلما أنضحوها و وضعوها بين أيديهم جاء مسكين فقال: مسكين رحمكم الله فقام على (ع) فأعطاه ثلثا- فلم يلبث أن جاء يتيماً فقال: يتيماً رحمكم الله- فقام على (ع) فأعطاه الثلث ثم جاء أسير فقال: الأسير رحمكم الله فأعطاه على (ع) الثلث- و ما ذاقوها فأنزل الله سبحانه الآيات فيهم- و هى جاريه فى كل مؤمن فعل ذلك لله عز و جل.

أقول: القصة كما ترى ملخصه فى الروايه و روى ذلك البحراني فى غايه المرام، عن المفيد فى الاختصاص، مسندا و عن ابن بابويه فى الأموال، بإسناده عن مجاهد عن ابن عباس، و بإسناده عن سلمه بن خالد عن جعفر بن محمد عن أبيه (ع)، و عن محمد بن العباس بن ماهيار فى تفسيره بإسناده عن أبي كثير الزبيرى عن عبد الله بن عباس، و فى المناقب، أنه مروى عن الأصبغ بن نباته.

ص: ١٣٣

و فى الاحتجاج، عن على(ع): فى حديث يقول فيه للقوم بعد موت عمر بن الخطاب:

نشدتكم بالله هل فيكم أحد نزل فيه و فى ولده « إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا » إلى آخر السوره غيرى؟ قالوا: لا.

و فى كتاب الخصال، فى احتجاج على على أبى بكر قال: أنشدك بالله أنا صاحب الآيه- « يُوفُونَ بِالْغَدْرِ وَ يُخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا » أم أنت؟ قال: بل أنت.

و فى الدر المنثور، أخرج الطبرانى و ابن مردويه و ابن عساکر عن ابن عمر قال*: جاء رجل من الحبشه إلى رسول الله ص- فقال له رسول الله ص: سل و استفهم- فقال:

يا رسول الله فضلتنا- بالألوان و الصور و النبوه- أفرأيت إن آمنت بما آمنت به- و عملت بمثل ما عملت به إنى لكائن معك فى الجنه؟ قال: نعم و الذى نفسى بيده- إنه ليرى بياض الأسود فى الجنه من مسيره ألف عام. ثم قال: من قال لا إله إلا الله كان له عهد عند الله- و من قال: سبحان الله و بحمده كتبت له مائه ألف حسنه- و أربعة و عشرون ألف حسنه- و نزلت عليه السوره هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ- إلى قوله: مُلْكًا كَبِيرًا .

فقال الحبشى: و إن عيني لترى ما ترى عيناك فى الجنه؟ قال: نعم فاشتكى حتى فاضت نفسه. قال عمر: فلقد رأيت رسول الله ص يدليه فى حفرة بيده.

و فيه، أخرج أحمد فى الزهد عن محمد بن مطرف قال*: حدثنى الثقة: أن رجلا أسود كان يسأل النبى ص عن التسييح و التهليل- فقال له عمر بن الخطاب: مه أكثرت على رسول الله- فقال: مه يا عمر و أنزلت على رسول الله ص « هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ » حتى إذا أتى على ذكر الجنه- زفر الأسود زفره خرجت نفسه- فقال النبى ص: مات شوقا إلى الجنه.

و فيه، أخرج ابن وهب عن ابن زيد* أن رسول الله ص قرأ هذه السوره- هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ- و قد أنزلت عليه و عنده رجل أسود- فلما بلغ صفه الجنان زفر زفره فخرجت نفسه- فقال رسول الله ص: أخرج نفس صاحبكم الشوق إلى الجنه.

أقول: و هذه الروايات الثلاث على تقدير صحتها لا تدل على أزيد من كون نزول السوره مقارنا لقصه الرجل و أما كونها سببا للنزول فلا، و هذا المعنى فى الروايه الأخيره أظهر و بالجملة لا تنافى الروايات الثلاث نزول السوره فى أهل البيت(ع).

على أن روايه ابن عمر للقصة الظاهره فى حضوره القصة و قد هاجر إلى المدينه و هو ابن إحدى عشره سنه من شواهد وقوع القصة بالمدينه.

و فى الدر المنثور، أيضا أخرج النحاس عن ابن عباس قال " *:نزلت سورة الإنسان بمكه.

أقول: هو تلخيص حديث طويل أورده النحاس فى كتاب الناسخ و المنسوخ، و قد نقله فى الإتقان و هو معارض لما تقدم نقله مستفيضا عن ابن عباس من نزول السوره بالمدينه و أنها نزلت فى أهل البيت (ع).

على أن سياق آياتها و خاصه قوله يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيُطْعِمُونَ الطَّامَّ «إلخ سياق قصه واقعه و ذكر الأسير فيمن أطعموهم نعم الشاهد على نزول الآيات بالمدينه إذ لم يكن للمسلمين أسير بمكه كما تقدمت الإشارة إلى ذلك.

قال بعضهم ما ملخصه: أن الروايات مختلفه فى مكيه هذه السوره و مدينتها و الأرجح أنها مكيه بل الظاهر من سياقها أنها من عتائق السور القرآنيه النازله بمكه فى أوائل البعته يؤيد ذلك ما ورد فيها من صور النعم الحسيه المفصله الطويله و صور العذاب الغليظ كما يؤيده ما ورد فيها من أمر النبى ص بالصبر لحكم ربه و أن لا يطيع منهم آثما أو كفورا و يثبت على ما نزل عليه من الحق و لا يدهن المشركين من الأوامر التى كانت تنزل بمكه عند اشتداد الأذى على الدعوه و أصحابها بمكه كما فى سوره القلم و المزمل و المدثر فلا عبره باحتمال مدينه السوره.

و هو فاسد أما ما ذكره من احتمال السوره على صور النعم الحسيه المفصله الطويله و صور العذاب الغليظ فليس ذلك مما يختص بالسور المكيه حتى يقضى بها على كون السوره مكيه فهذه سوره الرحمن و سوره الحج مدينتان على ما تقدمت فى الروايات المشتمله على ترتيب نزول السور القرآنيه و قد اشتملتا من صور النعم الحسيه المفصله الطويله و صور العذاب الغليظ على ما يربو و يزيد على هذه السوره بكثير.

و أما ما ذكره من احتمال السوره على أمر النبى ص بالصبر و أن لا يطيع منهم آثما أو كفورا و لا يدهنهم و يثبت على ما نزل عليه من الحق ففيه أن هذه الأوامر واقعه فى الفصل الثانى من آيات السوره و هو قوله: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا» إلى آخر السوره و من المحتمل جدا أن يكون هذا الفصل من الآيات—و هو ذو سياق تام مستقل

-نازلاً بمكة، و يؤيده ما فى كثير من الروايات المتقدمه أن الذى نزل فى أهل البيت بالمدينه هو الفصل الأول من الآيات، و على هذا أول السوره مدنى و آخرها مكى.

و لو سلم نزولها دفعه واحده فأمره (ص) بالصبر لا اختصاص له بالسور المكيه فقد ورد فى قوله: «وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدَاهِ وَالْعِشْيَى يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَ لَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ لَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَ كَانَ أَمْرُهُ فُزُطًا»: الكهف: ٢٨ و الآيه-على ما روى-مدنيه و الآيه-كما ترى- متحده المعنى مع قوله: «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ» الخ و هى فى سياق شبيه جدا بسياق هذه الآيات فراجع و تأمل.

ثم الذى كان يلقاه النبى ص من أذى المنافقين و الذين فى قلوبهم مرض و الجفاه من ضعفاء الإيمان لم يكن بأهون من أذى المشركين بمكة يشهد بذلك أخبار سيرته.

و لا- دليل أيضا على انحصار الإ-ثم و الكفور فى مشركى مكة فهناك غيرهم من الكفار و قد أثبت القرآن الإ-ثم لجمع من المسلمين فى موارد كقوله: «لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ»: النور: ١١، و قوله: «وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَزِمْ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَ إِثْمًا مُبِينًا»: النساء: ١١٢.

و فى المجمع، و روى العياشى بإسناده عن عبد الله بن بكير عن زرارہ قال*: سألت أبا جعفر(ع) عن قوله: «لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا» قال: كان شيئا و لم يكن مذكورا.

أقول: و روى فيه، أيضا عن عبد الأعلى مولى آل سام عن أبى عبد الله(ع): مثله .

و فيه، أيضا عن العياشى بإسناده عن سعيد الحذاء عن أبى جعفر(ع) قال*: كان مذكورا فى العلم و لم يكن مذكورا فى الخلق.

أقول: يعنى أنه كان له ثبوت فى علم الله ثم خلق بالفعل فصار مذكورا فيمن خلق.

و فى الكافى، بإسناده عن مالك الجهنى عن أبى عبد الله(ع)* فى الآيه قال: كان مقدرًا غير مذكور.

أقول: هو فى معنى الحديث السابق.

و فى تفسير القمى، " فى الآيه قال: لم يكن فى العلم و لا فى الذكر،

و فى حديث آخر:

كان فى العلم و لم يكن فى الذكر.

أقول: معنى الحديث الأول أنه لم يكن في علم الناس ولا فيمن يذكرونه فيما بينهم، ومعنى الثاني أنه كان في علم الله ولم يكن مذكوراً عند الناس.

و في تفسير القمي، أيضاً في روايه أبي الجارود عن أبي جعفر(ع) * في قوله تعالى « أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ » قال: ماء الرجل والمرأه اختلطاً جميعاً.

و في الكافي، بإسناده عن حمران بن أعين قال: * سألت أبا عبد الله(ع) عن قوله عز وجل، « إِذَا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا » قال: إما آخذ فهو شاكر وإما تارك فهو كافر.

أقول: و رواه القمي في تفسيره، بإسناده عن ابن أبي عمير عن أبي جعفر(ع) * مثله .

و في التوحيد، بإسناده إلى حمزه بن الطيار عن أبي عبد الله(ع) ما يقرب منه و لفظه:

عرفناه إما آخذاً وإما تاركاً.

و في الدر المنثور، أخرج أحمد و ابن المنذر عن جابر بن عبد الله قال: * قال رسول الله ص: كل مولود يولد على الفطرة حتى يعبر عنه لسانه - فإذا عبر عنه لسانه إما شاكراً وإما كفوراً - و الله تعالى أعلم.

و في أمالي الصدوق، بإسناده عن الصادق عن أبيه(ع) في حديث: « عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا » قال: هي عين في دار النبي ص - يفجر إلى دور الأنبياء و المؤمنين « يُوفُونَ بِالْأَنْدَرِ » يعني علياً و فاطمه - و الحسن و الحسين(ع) و جارياتهم « وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا » يقول عابسا كلوحاً « وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَيَّ حُبِّهِ » يقول: على شهوتهم للطعام و إثارهم له « مَشِيكِينًا » من مساكين المسلمين - « وَ يَتِيمًا » من يتامى المسلمين « وَ أُسِيرًا » من أسارى المشركين.

و يقولون إذا أطعموهم: « إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ - لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَ لَا شُكُورًا » قال: و الله ما قالوا هذا لهم - و لكنهم أضمروه في أنفسهم فأخبر الله بإضمامهم - يقولون: لا نريد جزاء تكافؤنا به - و لا شكوراً تتنون علينا به، و لكننا إنما أطعمناكم لوجه الله و طلب ثوابه.

و في الدر المنثور، أخرج سعيد بن منصور و ابن أبي شيبة و ابن المنذر و ابن مردويه عن الحسن قال: * : كان الأسارى مشركين يوم نزلت هذه الآية « وَ يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَيَّ حُبِّهِ مَشِيكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أُسِيرًا » .

أقول:مدلول الروايه نزول الآيه بالمدينه،و نظيرها ما رواه فيه عن عبد بن حميد عن قتاده،و ما رواه عن ابن المنذر عن ابن جريح،و ما رواه عن عبد الرزاق و ابن المنذر عن ابن عباس.

و فيه،أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك عن النبي ص *في قوله:«يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا»قال:يقبض ما بين الأبصار.

و فى روضه الكافى،بإسناده عن محمد بن إسحاق المدنى عن أبى جعفر(ع) *فى صفه الجنه قال:و الثمار دانيه منهم-و هو قوله عز و جل:«وَ دَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهُمْ-وَ ذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا»من قربها منهم يتناول المؤمن-من النوع الذى يشتهييه من الثمار بفيه و هو متكئ- و إن الأنواع من الفاكهه ليقطن لولى الله:يا ولى الله كلمنى قبل أن تأكل هذه قبلى.

و فى تفسير القمى،" فى قوله:«وَ لِدَانٌ مُّخَلَّدُونَ»قال:مسورون.

و فى المعانى،بإسناده عن عباس بن يزيد قال*:قلت لأبى عبد الله(ع)و كنت عنده ذات يوم:أخبرنى عن قول الله عز و جل:«وَ إِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَ مُلْكًا كَبِيرًا» ما هذا الملك الذى كبر الله عز و جل حتى سماه كبيراً؟قال:إذا أدخل الله أهل الجنه الجنة- أرسل رسولا إلى ولى من أوليائه فيجد الحجه على بابه-فتقول له:قف حتى نستأذن لك،فما يصل إليه رسول ربه إلا بإذن فهو قوله عز و جل:«وَ إِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَ مُلْكًا كَبِيرًا».

و فى المجمع،:«وَ إِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَ مُلْكًا كَبِيرًا»لا يزول و لا يفنى: عن الصادق(ع).

و فيه،:«عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ» و روى عن الصادق(ع)فى معناه: تعلقهم الثياب فيلبسونها.

كلام فى هويه الإنسان على ما يفيدته القرآن

لا ريب أن فى هذا الهيكل المحسوس الذى نسميه إنسانا مبدأ للحياه ينتسب إليه الشعور و الإراده،و قد عبر تعالى عنه فى الكلام فى خلق الإنسان-آدم-بالروح و فى سائر المواضع من كلامه بالنفس قال تعالى:«فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ

ساجدين»: الحجر: ٢٩_ص: ٧٢، وقال: «ثُمَّ سَوَّاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ»: الم السجده: ٩.

و الذى يسبق من الآيتين إلى النظر البادئ أن الروح و البدن حقيقتان اثنتان متفارقتان نظير العجين المركب من الماء و الدقيق و الإنسان مجموع الحقيقتين فإذا قارنت الروح الجسد كان إنسانا حيا و إذا فارقت فهو الموت.

لكن يفسرها قوله تعالى: «قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ»: الم السجده: ١١ حيث يفيد أن الروح التى يتوفاها و يأخذها قابض الأرواح هى التى يعبر عنها بلفظه «كم» و هو الإنسان بتمام حقيقته لا جزء من مجموع فالمراد بنفخ الروح فى الجسد جعل الجسد بعينه إنسانا لا ضم واحد إلى واحد آخر يغيره فى ذاته و آثار ذاته فالإنسان حقيقه واحده حين تعلق روحه ببدنه و بعد مفارقه روحه البدن.

و يفيد هذا المعنى قوله تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ»: المؤمنون: ١٤ فالذى أنشأه الله خلقا آخر هو النطفه التى تكونت علقه ثم مضغه ثم عظاما بعينها.

و فى معناها قوله تعالى: «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا» فتقييد الشىء المنفى بالمذكور يعطى أنه كان شيئا لكن لم يكن مذكورا فقد كان أرضا أو نطفه مثلا لكن لم يكن مذكورا أنه الإنسان الفلانى ثم صار هو هو.

فمفاد كلامه تعالى أن الإنسان واحد حقيقى هو المبدأ الوحيد لجميع آثار البدن الطبيعى و الآثار الروحية كما أنه مجرد فى نفسه عن المادة كما يفيد أمثال قوله تعالى: «قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ» و قوله: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا»: الزمر: ٤٢ و قوله: «ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ» و قد تقدم بيانه.

[سوره الإنسان (٧٦): الآيات ٢٣ إلى ٣١]

إشارة

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤) وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَ أُصِيلًا (٢٥) وَ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦) إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَ يَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا (٢٧) نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ وَ شَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَ إِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا (٢٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَ مَا تَشَاوُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١)

لما وصف جزاء الأبرار و ما قدر لهم من النعيم المقيم و الملك العظيم بما صبروا فى جنب الله وجه الخطاب إلى النبى ص و أمره بالصبر لحكم ربه و أن لا يطيع هؤلاء الآثمين و الكفار المحبين للعاجله المتعلقين بها المعرضين عن الآخره من المشركين و سائر الكفار و المنافقين و أهل الأهواء، و أن يذكر اسم ربه و يسجد له و يسبحه مستمرا عليه ثم عمم الحكم لأمته بقوله: «إِنَّ هَذِهِ تَذِكْرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَيَّ رِبًّا سَبِيلًا».

فهذا وجه اتصال الآيات بما قبلها و سياقها مع ذلك لا يخلو من شبه بالسياقات المكيه و على تقدير مكيتها فصدر السوره مدنى و ذيلها مكى.

قوله تعالى: «إِذَا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا» تصدير الكلام بأن و تكرار ضمير المتكلم مع الغير و الإتيان بالمفعول المطلق كل ذلك للتأكيد، و لتسجيل أن الذى نزل من القرآن نجوما متفرقه هو من الله سبحانه لم يداخله نفث شيطانى و لا هو نفسانى.

قوله تعالى: «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا» تفریع على ما هو لازم مضمون الآيه السابقه فإن لازم كون الله سبحانه هو الذى نزل القرآن عليه أن يكون ما فى القرآن من الحكم حكم ربه يجب أن يطاع فالمعنى إذا كان تنزيله منا فما فيه من الحكم حكم ربك فيجب عليك أن تصبر له فاصبر لحكم ربك.

وقوله «وَلَا تَطْعَمْنَهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا» ورود الترديد في سياق النهي يفيد عموم الحكم فالنهي عن طاعتها سواء اجتمعا أو افترقا، والظاهر أن المراد بالإثم المتلبس بالمعصية وبالکفور المبالغ في الكفر فتشمل الآيه الكفار والفساق جميعا.

و سبق النهي عن طاعة الإثم و الكفور بالأمر بالصبر لحكم ربه يفيد كون النهي مفسرا للأمر فمفاد النهي أن لا تطعم منهم آثما إذا دعاك إلى إثمه و لا- كفورا إذا دعاك إلى كفره لأن إثم الآثم منهم و كفر الكافر مخالفان لحكم ربك و أما تعليق الحكم بالوصف المشعر بالعليه فإنما يفيد عليه الإثم و الكفر للنهي عن الطاعة مطلقا لا عليتهما للنهي إذا دعا الآثم إلى خصوص إثمه و الكافر إلى خصوص كفره.

قوله تعالى: «وَ اذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَ اَصِيلاً» أي داوم على ذكر ربك و هو الصلاة في كل بكرة و أصيل و هما الغدو و العشى.

قوله تعالى: «وَ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا» من للتبويض و المراد بالسجود له الصلاة، و يقبل ما في الآيتين من ذكر اسمه بكرة و أصيلا و السجود له بعض الليل الانطباق على صلاة الصبح و العصر و المغرب و العشاء و هذا يؤيد نزول الآيات بمكة قبل فرض الفرائض الخمس بقوله في آيه الإسراء: «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ» :إسراء: ٧٨.

فالآيتان كقوله تعالى: «وَ اَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَ زُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ» :هود: ١١٤، و قوله «وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ غُرُوبِهَا وَ مِنْ اَنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَ اطْرَافِ النَّهَارِ» :طه: ١٣٠.

نعم قيل: على أن الأصيل يطلق على ما بعد الزوال فيشمل قوله «وَ اَصِيلاً» و قتي صلواتي الظهر و العصر جميعا، و لا يخلو من وجه.

و قوله: «وَ سَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا» أي في ليل طويل و وصف الليل بالطويل توضيحي لا احترازي، و المراد بالتسبيح صلاة الليل، و احتمال أن يكون طويلا صفة لمفعول مطلق محذوف، و التقدير سبحه في الليل تسبيحا طويلا.

قوله تعالى: «إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَ يَدْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا» تعليل لما تقدم من الأمر و النهي و الإشارة بهؤلاء إلى جمع الإثم و الكفور المدلول عليه بوقوع النكره في

سياق النهى، و المراد بالعاجله الحياه الدنيا، و عد اليوم ثقيلًا من الاستعاره، و المراد بثقله شدته كأنه محمول ثقيل يشق حمله، و اليوم يوم القيامة.

و كون اليوم وراءهم تقررره أمامهم لأن وراء تفيد معنى الإحاطه، أو جعلهم إياه خلفهم و وراء ظهورهم بناء على إفاده «يَذُرُونَ» معنى الإعراض.

و المعنى: فاصبر لحكم ربك و أقم الصلاة و لا تطع الآثمين و الكفار منهم لأن هؤلاء الآثمين و الكفار يحبون الحياه الدنيا فلا يعملون إلا لها و يتركون أمامهم يوما شديدا أو يعرضون فيجعلون خلفهم يوما شديدا سيلقونه.

قوله تعالى: «نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَ شَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَ إِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا» الشد خلاف الفك، و الأسر فى الأصل الشد و الربط و يطلق على ما يشد و يربط به فمعنى شددنا أسرهم أحكنا ربط مفاصلهم بالرباطات و الأعصاب و العضلات أو الأسر بمعنى المأسور و المعنى أحكنا ربط أعضائهم المختلفه المشدوده بعضها ببعض حتى صار الواحد منهم بذلك إنسانا واحدا.

و قوله: «وَ إِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا» أى إذا شئنا بدلناهم أمثالهم فذهبنا بهم و جئنا بأمثالهم مكانهم و هو أماته قرن و إحياء آخرين، و قيل المراد به تبديل نشأتهم الدنيا من نشأه القيامة و هو بعيد من السياق.

و الآيه فى معنى دفع الدخل كان متوهما يتوهم أنهم بحبهم للدنيا و إعراضهم عن الآخره يعجزونه تعالى و يفسدون عليه إرادته منهم أن يؤمنوا و يطيعوا فأجيب بأنهم مخلوقون لله خلقهم و شد أسرهم و إذا شاء أذهبهم و جاء بآخرين فكيف يعجزونه و خلقهم و أمرهم و حياتهم و موتهم بيده؟ قوله تعالى: «إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا» تقدم تفسيره فى سوره المزمل و الإشاره بهذه إلى ما ذكر فى السوره.

قوله تعالى: «وَ مَا تَشَاوُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا» الاستثناء من النفى يفيد أن مشيه العبد متوقفه فى وجودها على مشيته تعالى فلمشيته تعالى تأثير فى فعل العبد من طريق تعلقها بمشيئه العبد، و ليست متعلقه بفعل العبد مستقلا و بلا واسطه حتى تستلزم بطلان تأثير إرادته العبد و كون الفعل جبريا و لا أن العبد مستقل فى إرادته يفعل ما يشاؤه شاء الله أو لم يشأ، فالفعل اختياري لاستناده إلى اختيار العبد، و أما

اختيار العبد فليس مستندا إلى اختيار آخر، وقد تكرر توضيح هذا البحث في مواضع مما تقدم.

و الآيه مسوقه لدفع توهم أنهم مستقلون في مشيبتهم منقطعون من مشيه ربهم، و لعل تسجيل هذا التنبيه عليهم هو الوجه في الالتفات إلى الخطاب في قوله « وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ » كما أن الوجه في الالتفات من التكلم بالغير إلى الغيبه في قوله: « يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْإِشَارَةُ إِلَى عِلْمِ الْحَكْمِ فَإِنْ مَسَمَى هَذَا الْأَسْمَ الْجَلِيلَ يَبْتَدِئُ مِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ وَ يَنْتَهِي إِلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ فَلَا تَكُونُ مَشِيهِ إِلَّا بِمَشِيَّتِهِ وَ لَا تَوْتِرُ مَشِيهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

و قوله: « إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا » توطئه لبيان مضمون الآيه التاليه.

قوله تعالى: « يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا » مفعول « يَشَاءُ » محذوف يدل عليه الكلام، و التقدير يدخل في رحمته من يشاء دخوله في رحمته، و لا- يشاء إلا- دخول من آمن و اتقى، و أما غيرهم و هم أهل الإثم و الكفر فيبين حالهم بقوله: « وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ».

و الآيه تبين سنته تعالى الجاربه في عبادته من حيث السعاده و الشقاء، و قد علل ذلك بما في ذيل الآيه السابقه من قوله « إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا » فأفاد به أن سنته تعالى ليست سنه جزافيه مبنيه على الجهاله بل هو يعامل كلا من الطائفتين بما هو أهل له و سينبئهم حقيقه ما كانوا يعملون.

بحث روائى

و فى الدر المنثور، أخرج عبد بن حميد و ابن جرير و ابن حاتم عن قتاده* فى قوله:

« وَ لَا تُطْعِمُهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا » قال: حدثنا أنها نزلت فى عدو الله أبى جهل.

أقول: و هو أشبهه بالتطبيق.

و فى المجمع، فى قوله تعالى « وَ سَبَّحُهُ لَيْلًا نَهَارًا »:

روى عن الرضا(ع): أنه سأله أحمد بن محمد عن هذه الآيه و قال: ما ذلك التسيح؟ قال: صلاة الليل.

و فى الخرائج و الجرائح، عن القائم(ع): فى حديث يقول لكامل بن إبراهيم المدنى:

و جئت تسأل عن مقاله المفوضه- كذبوا بل قلوبنا أوعيه لمشييه الله عز و جل- فإذا شاء شئنا، و الله يقول « وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ».

و فى الدر المثور، أخرج ابن مردويه من طريق ابن شهاب عن سالم عن أبى هريره* أن رسول الله ص كان يقول إذا خطب: كل ما هو آت قريب، لا- بعد لما يأتى، ولا يعجل الله لعجله أحد، ما شاء الله لا ما شاء الناس، يريد الناس أمرا و يريد الله أمرا، ما شاء الله كان و لو كره الناس، لا مباعدا لما قرب الله، ولا مقربا لما بعد الله، لا يكون شىء إلا بإذن الله.

أقول: و فى بعض الروايات من طرق أهل البيت (ع) تطبيق الحكم فى قوله:

«فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ» و الرحمه فى قوله: «يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ» على الولاية و هو من الجرى أو البطن و ليس من التفسير فى شىء.

(٧٧) سورة المرسلات مكيه و هى خمسون آيه (٥٠)

[سورة المرسلات (٧٧): الآيات ١ الى ١٥]

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَ النَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَ إِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَ إِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَ إِذَا الرُّسُلُ أَقْتَتْ (١١) لَأَيُّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَضْلِ (١٣) وَ مَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَضْلِ (١٤) وَ يَلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٥)

بيان

تذكر السوره يوم الفصل و هو يوم القيامة و تؤكد الإخبار بوقوعه و تشفعه بالوعيد الشديد للمكذبين به و الإنذار و التبشير لغيرهم و يربو فيها جانب الوعيد على غيره فقد كرر فيها قوله: «وَيَلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» عشر مرات.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: «وَ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا» الآية و ما يتلوها إلى تمام ست آيات إقسام منه تعالى بأمر يعبر عنها بالمرسلات فالعاصفات و الناشرات فالفارقات فالملقىات ذكرا عذرا أو نذرا، والأوليان أعنى المرسلات عرفا و العاصفات عصفا لا تخلوان لو خليتا و نفسهما مع الغض عن السياق من ظهور ما فى الرياح المتعاقبه الشديده الهبوب لكن الأخيره أعنى الملقىات ذكرا عذرا أو نذرا كالصريحه فى الملائكه النازلين على الرسل الحاملين لوحى الرساله الملقين له إليهم إتماما للحجه أو إنذارا و بقيه الصفات لا تأبى الحمل على ما يناسب هذا المعنى.

و حمل جميع الصفات الخمس على إرادته الرياح كما هو ظاهر المرسلات و العاصفات-على ما عرفت-يحتاج إلى تكلف شديد فى توجيه الصفات الثلاث الباقيه و خاصه فى الصفه الأخيره.

و كذا حمل المرسلات و العاصفات على إرادته الرياح و حمل الثلاث الباقيه أو الأخيرتين أو الأخيره فحسب على ملائكه الوحي إذ لا تناسب ظاهرا بين الرياح و بين ملائكه الوحي حتى يقارن بينها فى الأقسام و ينظم الجميع فى سلك واحد، و ما وجهه من مختلف التوجيهات معان بعيده عن الذهن لا ينتقل إليها فى مفتتح الكلام من غير تنبيه سابق.

فالوجه هو الغض عن هذه الأفاويل و هى كثيره جدا لا تكاد تنضب، و حمل المذكورات على إرادته ملائكه الوحي كتنظيرتها فى مفتتح سوره الصافات «وَ الصَّافَاتِ صَيْفًا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا» و فى معناها قوله تعالى: «عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ»: الجن: ٢٨.

فقوله: «وَ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا» إقسام منه تعالى بها و العرف بالضم فالسكون الشعر النابت على عنق الفرس و يشبه به الأمور إذا تتابعت يقال: جاءوا كعرف الفرس، و يستعار فيقال: جاء القطا عرفا أى متتابعه و جاءوا إليه عرفا واحدا أى متتابعين، و العرف أيضا المعروف من الأمر و النهى و «عُرْفًا» حال بالمعنى الأول مفعول له بالمعنى الثانى، و الإرسال خلاف الإمساك، و تأنيث المرسلات باعتبار الجماعات أو باعتبار الروح التى

تنزل بها الملائكة قال تعالى: «يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ عَلِيٍّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» النحل: ٢ و قال «يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِ عَلِيٍّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ»: المؤمن: ١٥.

و المعنى أقسم بالجماعات المرسلات من ملائكة الوحي.

و قيل: المراد بالمرسلات عرفا الرياح المتتابعه المرسله و قد تقدمت الإشارة إلى ضعفه، و مثله في الضعف القول بأن المراد بها الأنبياء(ع) فلا يلائمه ما يتلوها.

قوله تعالى: «فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا عَظْفًا عَلَى الْمُرْسَلَاتِ وَ الْمُرَادُ بِالْعَصْفِ سُرْعَةُ السَّيْرِ اسْتِعَارَةٌ مِنْ عَصْفِ الرِّيَّاحِ أَيْ سُرْعَةُ هُبُوبِهَا إِشَارَةٌ إِلَى سُرْعَةِ سَيْرِهَا إِلَى مَا أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ، وَ الْمَعْنَى أَقْسَمُ بِالْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يُرْسِلُونَ مُتَتَابِعِينَ فَيُسْرِعُونَ فِي سَيْرِهِمْ كَالرِّيَّاحِ الْعَاصِفَةِ.

قوله تعالى: «وَ النَّاشِئَاتِ نَشْرًا» إقسام آخر، و نشر الصحيفة و الكتاب و الثوب و نحوها: بسطه، و المراد بالنشر نشر صحف الوحي كما يشير إليه قوله تعالى «كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي كَرَامٍ بَرَرَةٍ»: عبس: ١٦ و المعنى و أقسم بالملائكة الناشرين للصحف المكتوبه عليها الوحي للنبي ليتلقاه.

و قيل: المراد بها الرياح ينشرها الله تعالى بين يدي رحمته و قيل: الرياح الناشره للسحاب، و قيل: الملائكة الناشرين لصحائف الأعمال، و قيل: الملائكة نشروا أجنحتهم حين النزول و قيل: غير ذلك.

قوله تعالى «فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا» المراد به الفرق بين الحق و الباطل و بين الحلال و الحرام، و الفرق المذكور صفه متفرعه على النشر المذكور.

قوله تعالى: «فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا عِذْرًا أَوْ نُذْرًا» المراد بالذكر القرآن يقرءونه على النبي ص أو مطلق الوحي النازل على الأنبياء المقرو عليهم.

و الصفات الثلاث أعني النشر و الفرق و إلقاء الذكر مرتبه فإن الفرق بين الحق و الباطل و الحلال و الحرام يتحقق بنشر الصحف و إلقاء الذكر فبالنشر يشرع الفرق في التحقق و بالتلاوه يتم تحققه فالنشر يترتب عليه مرتبه من وجود الفرق و يترتب عليها تمام وجوده بالإلقاء.

وقوله: «عُدْرًا أَوْ نُذْرًا» هما من المفعول له و«أَوْ» للتنويع قيل: هما مصدران بمعنى الإعذار و الإنذار، و الإعذار الإتيان بما يصير به معذورا و المعنى أنهم يلقون الذكر لتكون عذرا لعباده المؤمنين بالذكر و تخويفا لغيرهم.

وقيل: ليكون عذرا يعتذر به الله إلى عباده في العقاب أنه لم يكن إلا على وجه الحكمة، و يثول إلى إتمام الحجته، فمحصل المعنى عليه أنهم يلقون الذكر ليكون إتماما للحججه على المكذبين و تخويفا لغيرهم، و هو معنى حسن.

قوله تعالى: «إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ» جواب القسم، و ما موصوله و الخطاب لعامه البشر، و المراد بما توعدون يوم القيامة بما فيه من العقاب و الثواب و الواقع أبلغ من الكائن لما فيه من شائبه الاستقرار، و المعنى أن الذى وعدكم الله به من البعث و العقاب و الثواب سيتحقق لا محاله.

كلام فى أقسامه تعالى فى القرآن

من لطيف صنعه البيان فى هذه الآيات الست أنها مع ما تتضمن الأقسام لتأكيد الخبر الذى فى الجواب تتضمن الحججه على مضمون الجواب و هو وقوع الجزاء الموعود فإن التدبير الربوبى الذى يشير إليه القسم أعنى إرسال المرسلات العاصفات و نشرها الصحف و فرقها و إلقاءها الذكر للنبي تدبير لا يتم إلا مع وجود التكليف الإلهى و التكليف لا يتم إلا مع تحتم وجود يوم معد للجزاء يجازى فيه العاصى و المطيع من المكلفين.

فالذى أقسم تعالى به من التدبير لتأكيد وقوع الجزاء الموعود هو بعينه حجه على وقوعه كأنه قيل: أقسم بهذه الحججه أن مدلولها واقع.

و إذا تأملت الموارد التى أورد فيها القسم فى كلامه تعالى و أمعنت فيها وجدت المقسم به فيها حجه داله على حقيه الجواب كقوله تعالى فى الرزق: «فَوَرَبِّ السَّمٰوٰتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ»: الذاريات: ٢٣ فإن ربوبيه السماء و الأرض هى المبدأ لرزق المرزوقين، و قوله:

«لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ»: الحجر: ٧٢ فإن حياه النبي ص الطاهره المصونه بعصمه من الله داله على سكرهم و عمههم، و قوله: «وَ الشَّمْسِ وَ ضُحَاهَا X- إلى أن قال- X وَ نَفْسٍ وَ مٰمٍ سَوَاهٍ ۚ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَ قَدْ خَابَ مَنْ

دَسَاهَا» :الشمس: ١٠ فإن هذا النظام المتقن المنتهى إلى النفس الملهمة المميزه لفجورها و تقواها هو الدليل على فلاح من زكاها و خيبه من دساها.

و على هذا النسق سائر ما ورد من القسم فى كلامه تعالى و إن كان بعضها لا يخلو من خفاء يحوج إلى إمعان من النظر كقوله: «وَالتِّينِ وَ الزَّيْتُونِ وَ طُورِ سِينِينَ» :التين: ٢ و عليك بالتدبر فيها.

[بيان]

قوله تعالى: «فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ -إلى قوله- أَقْتَتُ» بيان لليوم الموعود الذى أخبر بوقوعه فى قوله: «إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ» و جواب إذا محذوف يدل عليه قوله:

«لَأَيُّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ -إلى قوله- لِلْمُكَذِّبِينَ».

و قد عرف سبحانه اليوم الموعود بذكر حوادث واقعه تلازم انقراض العالم الإنسانى و انقطاع النظام الدنيوى كأنطماس النجوم و انشقاق الأرض و اندكاك الجبال و تحول النظام إلى نظام آخر يغيره، و قد تكرر ذلك فى كثير من السور القرآنيه و خاصه السور القصار كسوره النبأ و النازعات و التكوير و الانفطار و الانشقاق و الفجر و الزلزال و القارعه، و غيرها، و قد عدت الأمور المذكوره فيها فى الأخبار من أشرط الساعه.

و من المعلوم بالضروره من بيانات الكتاب و السنه أن نظام الحياه فى جميع شؤونها فى الآخره غير نظامها فى الدنيا فالدار الآخره دار أبدية فيها محض السعاده لساكنيها لهم فيها ما يشاءون أو محض الشقاء و ليس لهم فيها إلا ما يكرهون و الدار الدنيا دار فناء و زوال لا- يحكم فيها إلا- الأسباب و العوامل الخارجيه الظاهرية مخلوط فيها الموت بالحياه، و الفقدان بالوجدان، و الشقاء بالسعاده، و التعب بالراحه، و المساءه بالسرور، و الآخره دار جزاء و لا عمل و الدنيا دار عمل و لا جزاء، و بالجمله النشأه غير النشأه.

فتعريفه تعالى نشأه البعث و الجزاء بأشرطها التى فيها انطواء بساط الدنيا بخراب ببيان أرضها و انتساف جبالها و انشقاق سمائها و انطماس نجومها إلى غير ذلك من قبيل تحديد نشأه بسقوط النظام الحاكم فى نشأه أخرى قال تعالى: «وَ لَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَةَ الْأُولَى ﴿١﴾ فَلَوْ لَا تَذَكَّرُونَ» :الواقعه: ٦٢.

فقوله: «فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ» أى محى أثرها من النور وغيره، وطمس إزاله الأثر بالمحو قال تعالى: «وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ» التكوير: ٢.

وقوله: «وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ» أى انشقت، و الفرجه الشق بين الشيئين قال تعالى: «إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ»: الانشقاق: ١.

وقوله: «وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ» أى قلعت و أزيلت من قولهم: نسفت الريح الشىء أى اقتلعته و أزالته قال تعالى: «وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا»: طه: ١٠٥.

وقوله: «وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتَتَتْ» أى عين لها الوقت الذى تحضر فيه للشهادة على الأمم أو بلغت الوقت الذى تنتظره لأداء شهادتها على الأمم من التأقيت بمعنى التوقيت، قال تعالى: «فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ»: الأعراف: ٤، وقال: «يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ»: المائدة: ١٠٩.

قوله تعالى: «لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ» - إلى قوله: - «لِلْمُكَذِّبِينَ» الأجل المده المضروب للشىء، و التأجيل جعل الأجل للشىء، و يستعمل فى لازمه و هو التأخير كقولهم: دين مؤجل أى له مده بخلاف الحال و هذا المعنى هو الأنسب للآيه، و الضمير فى «أُجِّلَتْ» للأمر المذكوره قبلا من طمس النجوم و فرج السماء و نسف الجبال و تأقيت الرسل، و المعنى لأى يوم أخرت يوم أخرت هذه الأمور.

و احتمال أن يكون «أُجِّلَتْ» بمعنى ضرب الأجل للشىء و أن يكون الضمير المقدر فيه راجعا إلى الرسل، أو إلى ما يشعر به الكلام من الأمور المتعلقة بالرسل مما أخبروا به من أحوال الآخرة و أهوالها و تعذيب الكافرين و تنعيم المؤمنين فيها، و لا يخلو كل ذلك من خفاء.

وقد سيقت الآيه و التى بعدها أعنى قوله: «لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ لِيَوْمِ الْفُصَيْلِ» فى صورته الاستفهام و جوابه للتعظيم و التهويل و التعجيب و أصل المعنى أخرت هذه الأمور ليوم الفصل.

و هذا النوع من الجمل الاستفهاميه فى معنى تقدير القول، و المعنى أن من عظمه هذا اليوم و هوله و كونه عجبا أنه يسأل فيقال: لأى يوم أخرت هذه الأمور العظيمه الهائله العجيبه فيجاب: ليوم الفصل.

وقوله: «لِيَوْمِ الْفُصَيْلِ» هو يوم الجزاء الذى فيه فصل القضاء قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»: الحج: ١٧.

و قوله: «وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ» تعظيم لليوم و تفخيم لأمره.

و قوله: «وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» الويل الهلاك، و المراد بالمكذبين المكذبون بيوم الفصل الذى فيه ما يوعدون فإن الآيات مسوقه لبيان وقوعه و قد أقسم على أنه واقع.

و فى الآيه دعاء على المكذبين، و قد استغنى به عن ذكر جواب إذا فى قوله: «فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ» إلخ و التقدير فإذا كان كذا و كذا وقع ما توعدون من العذاب على التكذيب أو التقدير فإذا كان كذا و كذا كان يوم الفصل و هلك المكذبون به.

بحث روائى

فى الخصال، عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: أسرع الشيب إليك يا رسول الله قال (ص): شيبتنى هود و الواقعة و المرسلات و عم يتساءلون.

و فى الدر المنثور، أخرج البخارى و مسلم و النسائى و ابن مردويه عن ابن مسعود قال*:

بينما نحن مع النبى ص فى غار بمنى - إذ نزلت عليه سوره و المرسلات عرفا- فإنه يتلوها و إنى لألقاها من فيه- وإن فاه لرطب بها إذ وثبت عليه حيه- فقال النبى ص: اقلوها فابتدرناها فذهبت- فقال النبى ص وقيت شركم كما وقيتم شرها.

أقول: و رواها أيضا بطريقين آخرين.

و فى تفسير القمى، " فى قوله تعالى: «وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا» قال: آيات تتبع بعضها بعضا.

و فى المجمع،: فى الآيه و قيل: إنها الملائكة أرسلت بالمعروف- من أمر الله و نهيه.: فى روايه الهروى عن ابن مسعود، و عن أبى حمزه الشمالى عن أصحاب على عنه (ع).

و فى تفسير القمى، " فى قوله تعالى: «فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ» قال: يذهب نورها و تسقط.

و فيه، فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر (ع) * فى قوله: «فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ» فطمسها ذهاب ضوئها «و إِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ» قال: تفرج و تنشق «و إِذَا الرُّسُلُ أُقْتَتَتْ» قال: بعثت فى أوقات مختلفه.

و فى المجمع، قال الصادق (ع): «أُقْتَتَتْ» أى بعثت فى أوقات مختلفه.

و فى تفسير القمى، " فى قوله تعالى: «لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ» قال: أخرت.

أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَ أَمْواتًا (٢٦) وَ جَعَلْنَا فِيهَا رِوْاسِيَ رُؤَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَ أَشْقَقْنَاكُمْ مَاءً قُرَاتًا (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٨) انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩) انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَ لَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ (٣٥) وَ لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَذَا يَوْمُ الْفَضْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَ الْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونَ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٠) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَ عُيُونٍ (٤١) وَ فُؤَادِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٥) كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلًا - إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (٤٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبَأَى حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠)

حجج داله على توحيد الربوبية تقضى بوجود يوم الفصل الذى فيه جزاء المكذبين به، وإشاره إلى ما فيه من الجزاء المعد لهم الذى كانوا يكذبون به، وإلى ما فيه من النعمه و الكرامه للمتقين، و تختتم بتوبيخهم و ذمهم على استكبارهم عن عبادته تعالى و الإيمان بكلامه.

قوله تعالى: «أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ» الاستفهام للإنكار، والمراد بالأولين أمثال قوم نوح و عاد و ثمود من الأمم القديمه عهدا، و بالآخرين الملحقون بهم من الأمم الغابره، و الإتياع جعل الشئ أثر الشئ.

و قوله: «ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ» برفع نتبع على الاستيناف و ليس بمعطوف على «نُهْلِكِ» و إلا لجزم.

و المعنى قد أهلكنا المكذبين من الأمم الأولين ثم إنا نهلك الأمم الآخريين على أثرهم.

و قوله: «كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ» فى موضع التعليل لما تقدمه و لذا أورد بالفصل من غير عطف كان قائلا- قال: لما ذا أهلكوا؟ فقيل: كذلك نفعل بالمجرمين. و الآيات - كما ترى - إنذار و إرجاع للبيان إلى الأصل المضروب فى السوره أعنى قوله: «وَيَلِيَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» و هى بعينها حجه على توحيد الربوبية فإن إهلاك المجرمين من الإنسان تصرف فى العالم الإنسانى و تدبير، و إذ ليس المهلك إلا الله- و قد اعترف به المشركون- فهو الرب لا رب سواه و لا إله غيره.

على أنها تدل على وجود يوم الفصل لأن إهلاك قوم لإجرامهم لا يتم إلا بعد توجه تكليف إليهم يعصونه و لا معنى للتكليف إلا مع مجازاه المطيع بالثواب و العاصى بالعقاب فهناك يوم يفصل فيه القضاء فيثاب فيه المطيع و يعاقب فيه العاصى و ليس هو الثواب و العقاب الدنيويين لأنهما لا يستوعبان فى هذه الدار فهناك يوم يجازى فيه كل بما عمل، و هو يوم الفصل ذلك يوم مجموع له الناس.

قوله تعالى: «أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ -إلى قوله- فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ» الاستفهام للإنكار و الماء المهين الحقيق قليل الغناء و المراد به النطفه، و المراد بالقرار المكين الرحم و بقوله: «قَدَرٍ مَعْلُومٍ» مده الحمل.

و قوله: «فَقَدَرْنَا» من القدر بمعنى التقدير، و الفاء لتفريع القدر على الخلق أى خلقناكم فقدرنا ما سيجرى عليكم من الحوادث و ما يستقبلكم من الأوصاف و الأحوال من طول العمر و قصره و هيئته و جمال و صحه و مرض و رزق إلى غير ذلك.

و احتمال أن يكون «فَقَدَرْنَا» من القدره مقابل العجز و المراد فقدرنا على جميع ذلك، و ما تقدم أوجه.

و المعنى: قد خلقناكم من ماء حقير هو النطفه فجعلنا ذلك الماء فى قرار مكين هى الرحم إلى مده معلومه هى مده الحمل فقدرنا جميع ما يتعلق بوجودكم من الحوادث و الصفات و الأحوال فنعم المقدرون نحن.

و يجرى فى كون مضمون هذه الآيات حجه على توحيد الربوبية نظير البيان السابق فى الآيات المتقدمه، و كذا فى كونه حجه على تحقق يوم الفصل فإن الربوبية تستوجب خضوع المربوبين لساحتها و هو الدين المتضمن للتكليف، و لا يتم التكليف إلا بجعل جزاء على الطاعة و العصيان، و اليوم الذى يجازى فيه بالأعمال هو يوم الفصل.

قوله تعالى: «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَ أَمْواتًا -إلى قوله- فُرَاتًا» الكفت و الكفات بمعنى الضم و الجمع أى أ لم نجعل الأرض كفاتا يجمع العباد أحياء و أمواتا، و قيل: الكفات جمع كفت بمعنى الوعاء، و المعنى أ لم نجعل الأرض أوعيه تجمع الأحياء و الأموات.

و قوله: «وَ جَعَلْنَا فِيهَا رِوَاْسِيًّا شَامِخَاتٍ» الرواسى الثابتات من الجبال، و الشامخات العاليات، و كان فى ذكر الرواسى توطئه لقوله: «وَ أَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا» لأن الأنهار و العيون الطبيعیه تنفجر من الجبال فتجرى على السهول، و الفرات الماء العذب.

و يجرى فى حجه الآيات نظير البيان السابق فى الآيات المتقدمه.

قوله تعالى: «إِنْظَلُّوا إِلَى مِائِمَاتٍ كُنْتُمْ بِهِ تُكذِّبُونَ» حكاية لما يقال لهم يوم الفصل و القائل هو الله سبحانه بقريته قوله فى آخر الآيات: «فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونَ» و المراد بما كانوا

به يكذبون: جهنم، و الانطلاق الانتقال من مكان إلى مكان من غير مكث، و المعنى يقال لهم: انتقلوا من المحشر من غير مكث إلى النار التي كنتم تكذبون به.

قوله تعالى: «انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ» ذكروا أن المراد بهذا الظل ظل دخان نار جهنم قال تعالى: «وَ ظِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ» الواقعة: ٤٣.

و ذكروا أن في ذكر انشعابه إلى ثلاث شعب إشارة إلى عظم الدخان فإن الدخان العظيم يتفرق تفرق الذوائب.

قوله تعالى: «لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ» الظل الظليل هو المانع من الحر و الأذى بستره على المستظل فكون الظل غير ظليل كونه لا يمنع ذلك، و اللهب ما يعلو على النار من أحمر و أصفر و أخضر.

قوله تعالى: «إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ» ضمير أنها للنار المعلومه من السياق، و الشرر ما يتطاير من النار، و القصر معروف، و الجماله جمع جمل و هو البعير.

و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: «هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ» الإشارة إلى يوم الفصل، و المراد بالأيذن الإذن في النطق أو في الاعتذار.

و قوله: «فَيَعْتَذِرُونَ» معطوف على «يُؤْذَنُ» منتظم معه في سلك النفي، و المعنى هذا اليوم يوم لا ينطقون فيه أى أهل المحشر من الناس و لا يؤذن لهم في النطق أو في الاعتذار فلا يعتذرون، و لا ينافى نفي النطق هاهنا إثباته في آيات أخر لأن اليوم ذو مواقف كثيرة مختلفه يسألون في بعضها فينطقون و يختم على أفواههم في آخر فلا ينطقون.

و قد تقدم في تفسير قوله تعالى: «يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ» هود: ١٠٥ فليراجع.

قوله تعالى: «هَذَا يَوْمُ الْفُضْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَ الْأُولِينَ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا» سمي يوم الفصل لما أن الله تعالى يفصل و يميز فيه بين أهل الحق و أهل الباطل بالقضاء بينهم قال تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» السجده: ٢٥، و قال: «إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» يونس: ٩٣.

و الخطاب في قوله: «جَمَعْنَاكُمْ وَ الْأُولِينَ» لمكذبي هذه الأمة بما أنهم من الآخرين و لذا قوبلوا بالأولين قال تعالى: «ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ» هود: ١٠٣ و قال «وَ حَشَرْنَاَهُمْ

فَلَمْ نَعَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا: الكهف: ٦٧.

وقوله: «فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ» أى إن كانت لكم حيله تحتالون بى فى دفع عذابى عن أنفسكم فاحتالوا، وهذا خطاب تعجيزى منبى عن انسلاب القوه و القدره عنهم يومئذ بالكليه بظهور أن لا قوه إلا الله عز اسمه قال تعالى: «وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأُوا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ»: البقره: ١٦٦.

و الآيه أعنى قوله: «فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ» أوسع مدلولاً من قوله: «يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ»: الرحمن: ٣٣ لاختصاصه بنفى القدره على الفرار بخلاف الآيه التى نحن فيها و فى قوله: «فَكِيدُونِ» التفات من التكلم مع الغير إلى التكلم وحده و النكته فيه أن متعلق هذا الأمر التعجيزى إنما هو الكيد لمن له القوه و القدره فحسب و هو الله وحده و لو قيل: فكيدونا فأت الإشعار بالتوحد.

قوله تعالى: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ» -إلى قوله- «الْمُحْسِنِينَ» الظلال و العيون ظلال الجنه و عيونها التى يتنعمون بالاستظلال بها و شربها، و الفواكه جمع فاكهه و هى الثمره.

و قوله: «كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» مفاده الإذن و الإباحه، و كان الأكل و الشرب كناية عن مطلق التمتع بنعم الجنه و التصرف فيها و إن لم يكن بالأكل و الشرب، و هو شائع كما يطلق أكل المال على مطلق التصرف فيه.

و قوله: «إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» تسجيل لسعادتهم.

قوله تعالى: «كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ» الخطاب من قبيل قولهم: افعل ما شئت فإنه لا ينفعك، و هذا النوع من الأمر إياس للمخاطب أن ينتفع بما يأتى به من الفعل للحصول على ما يريد، و منه قوله: «فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» طه: ٧٢، و قوله: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»: حم السجده: ٤٠.

فقوله: «كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلًا» أى تمتعاً قليلاً- أو زماناً قليلاً- إياس لهم من أن ينتفعوا بمثل الأكل و التمتع فى دفع العذاب عن أنفسهم فليأكلوا و ليتمتعوا قليلاً فليس يدفع عنهم شيئاً.

و إنما ذكر الأكل و التمتع لأن منكري المعاد لا يرون من السعاده إلا سعاده الحياه الدنيا و لا يرون لها من السعاده إلا الفوز بالأكل و التمتع كالحيوان العجم قال تعالى:

«وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَ النَّارُ مَثْوًى لَهُمْ» :سوره محمد: ١٢.

و قوله: «إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ» تعليل لما يستفاد من الجملة السابقه المشتمله على الأمر أى لا- ينفعكم الأكل و التمتع قليلا- لأنكم مجرمون بتكذيبكم بيوم الفصل و جزاء المكذبين به النار لا محاله.

قوله تعالى: «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يُرْكَعُونَ» المراد بالركوع الصلاه كما قيل و لعل ذلك باعتبار اشتمالها على الركوع.

و قيل: المراد بالركوع الأمور به الخشوع و الخضوع و التواضع له تعالى باستجابته دعوته و قبول كلامه و اتباع دينه، و عبادته.

و قيل: المراد بالركوع ما يؤمرون بالسجود يوم القيامه كما يشير إليه قوله تعالى «وَ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَبِطُونَ» :القلم: ٤٢ و الوجهان لا يخلوان من بعد.

و وجه اتصال الآيه بما قبلها أن الكلام كان مسوقا لتهديد المكذبين بيوم الفصل و بيان تبعه تكذيبهم به و تمم ذلك فى هذه الآيه بأنهم لا- يعبدون الله إذا دعوا إلى عبادته كما ينكرون ذلك اليوم فلا معنى للعباده مع نفي الجزاء، و ليكون كالتوطئه لقوله الآتى:

«فَبَأَى حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ».

و نسب إلى الزمخشري أن الآيه متصله بقوله فى الآيه السابقه: «لِلْمُكذِّبِينَ» كأنه قيل: ويل يومئذ للذين كذبوا و الذين إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون.

و فى الآيه التفات من الخطاب إلى الغيبه فى قوله: «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ» الخ وجهه الإعراض عن مخاطبتهم بعد تركهم و أنفسهم يفعلون ما يشاءون بقوله: «كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا».

قوله تعالى: «فَبَأَى حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ» أى إذا لم يؤمنوا بالقرآن و هو آيه معجزه إلهيه، و قد بين لهم أن الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له و أن أمامهم يوم الفصل بأوضح البيان و ساطع البرهان فبأى كلام بعد القرآن يؤمنون.

و هذا إثاس من إيمانهم بالله و رسوله و اليوم الآخر و كالتنبيه على أن رفع اليد عن دعوتهم إلى الإيمان بإلقاء قوله: «كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا» إليهم فى محله فليسوا بمؤمنين و لا فائده فى دعوتهم غير أن فيها إتماما للحجه.

فى تفسير القمى، و قوله: «أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ» قال: منتن «فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ» قال: فى الرحم - و أما قوله: «إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ» يقول: منتهى الأجل.

أقول:

و فى أصول الكافى، فى روايه عن أبى الحسن الماضى (ع): تطبيق قوله: «أَلَمْ نُهَبِكِ الْأَوَّلِينَ» على مكذوبى الرسل فى طاعه الأوصياء، و قوله: «ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ» على من أجرم إلى آل محمد (ع). على اضطراب فى متن الخبر، و هو من الجرى دون التفسير.

و فيه: و قوله «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَ أَمْواتًا» قال الكفات المساكن

و قال: نظر أمير المؤمنين (ع) فى رجوعه من صفين إلى المقابر - فقال: هذه كفات الأموات أى مساكنهم - ثم نظر إلى بيوت الكوفه فقال: هذه كفات الأحياء. ثم تلا قوله: «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَ أَمْواتًا».

أقول:

و روى فى المعانى، بإسناده عن حماد عن أبى عبد الله (ع) * أنه نظر إلى المقابر. و ذكر مثل الحديث السابق.

و فيه: و قوله «وَ جَعَلْنَا فِيهَا رِوْاسِيَ شَامِخَاتٍ» قال: جبال مرتفعه.

و فيه: و قوله «إِنظُرُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ» قال فيه ثلاث شعب من النار - و قوله: «إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ» قال: شر النار مثل القصور و الجبال.

و فيه: و قوله «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَ عُيُونٍ» قال: فى ظلال من نور أنور من الشمس.

و فى المجمع، " فى قوله: «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَّا يَزْكُوعُونَ» قال مقاتل: نزلت فى ثقيف حين أمرهم رسول الله ص بالصلاه - فقالوا: لا ننحنى. و الروايه لا نحنى فإن ذلك سبه علينا. فقال (ص): لا خير فى دين ليس فيه ركوع و سجود.

أقول: و فى انطباق القصه - و قد وقعت بعد الهجره - على الآيه خفاء.

و فى تفسير القمى، " فى الآيه السابقه قال: و إذا قيل لهم «تولوا الإمام لم يتولوه».

أقول: و هو من الجرى دون التفسير.

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَسْأَلُونَ (١) عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نُومَكُمْ سِيَّاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦)

[بيان]

تتضمن السورة الإخبار بمجىء يوم الفصل و صفته و الاحتجاج على أنه حق لا ريب فيه، فقد افتتحت بذكر تساؤلهم عن نبئه ثم ذكر في سياق الجواب و لحن التهديد أنهم سيعلمون ثم احتج على ثبوته بالإشارة إلى النظام المشهود في الكون بما فيه من التدبير الحكيم الدال بأوضح الدلالة على أن وراء هذه النشأة المتغيره الدائره نشأه ثابتة باقيه، و أن عقيب هذه الدار التي فيها عمل و لا جزء دارا فيها جزء و لا عمل فهناك يوم يفصح عنه هذا النظام.

ثم تصف اليوم بما يقع فيه من إحضار الناس و حضورهم و انقلاب الطاغين إلى عذاب أليم و المتقين إلى نعيم مقيم و يختم الكلام بكلمه في الإنذار، و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: «عَمَّ يَسْأَلُونَ» «عَمَّ» أصله عما و ما استفهاميه تحذف الألف منها

اطرادا إذا دخل عليها حرف الجر نحو لم و مم و على م و إلى م، و التساؤل سؤال القوم بعضهم بعضا عن أمر أو سؤال بعضهم بعد بعض عن أمر و إن كان المستؤل غيرهم، فهم كان يسأل بعضهم بعضا عن أمر أو كان بعضهم بعد بعض يسأل النبي ص عن أمر و حيث كان سياق السوره سياق جواب يغلب فيه الإنذار و الوعيد تأيد به أن المتسائلين هم كفار مكه من المشركين النافين للنبوه و المعاد دون المؤمنين و دون الكفار و المؤمنين جميعا.

فالتساؤل من المشركين و الإخبار عنه فى صوره الاستفهام للإشعار بهوانه و حقارته لظهور الجواب عنه ظهورا ما كان ينبغى معه أن يتساءلوا عنه.

قوله تعالى: «عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ» جواب عن الاستفهام السابق أى يتساءلون عن النبا العظيم، و لا يخفى ما فى توصيف النبا المتسائل عنه بالعظيم من تعظيمه و تفخيم أمره.

و المراد بالنبا العظيم نبأ البعث و القيامة الذى يهتم به القرآن العظيم فى سوره المكيه و لا سيما فى العتائق النازله فى أوائل البعثه كل الاهتمام.

و يؤيد ذلك سياق آيات السوره بما فيه من الاقتصار على ذكر صفه يوم الفصل و ما تقدم عليها من الحججه على أنه حق واقع.

و قيل: المراد به نبأ القرآن العظيم، و يدفعه كون السياق بحسب مصبه أجنبيا عنه و إن كان الكلام لا يخلو من إشاره إليه استلزاما.

و قيل: النبأ العظيم ما كانوا يختلفون فيه من إثبات الصانع و صفاته و الملائكه و الرسل و البعث و الجنه و النار و غيرها، و كان القائل به اعتبر فيه ما فى السوره من الإشاره إلى حقيه جميع ذلك مما تتضمنه الدعوه الحقه الإسلاميه.

و يدفعه أن الإشاره إلى ذلك كله من لوازم صفه البعث المتضمنه لجزاء الاعتقاد الحق و العمل الصالح و الكفر و الاجرام، و قد دخل فيما فى السوره من صفه يوم الفصل تبعا و بالقصد الثانى.

على أن المراد بهؤلاء المتسائلين - كما تقدم - المشركون و هم يثبتون الصانع و الملائكه و ينفون ما وراء ذلك مما ذكر.

و قوله: «الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ» إنما اختلفوا فى نحو إنكاره و هم متفقون فى نفيه

فمنهم من كان يرى استحالته فينكره كما هو ظاهر قولهم على ما حكاه الله: «هَلْ نَدَلَّكُمْ عَلَيَّ رَجُلٍ يُبَيِّنُكُمْ إِذَا مَرَّكُمْ كُلَّ مَمَزَقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ»: سبأ: ٧، ومنهم من كان يستبعده فينكره و هو قولهم: «أَيَعِدُّكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُرَابًا وَ عِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ»: المؤمنون: ٣٦، و منهم من كان يشك فيه فينكره قال تعالى:

«بَلِ إِذْ أَرَاكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلٌ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا»: النمل ٦٦، و منهم من كان يوقن به لكنه لا يؤمن عنادا فينكره كما كان لا يؤمن بالتوحيد و النبوه و سائر فروع الدين بعد تمام الحجه عنادا قال تعالى: «بَلِ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ»: الملوك: ٢١.

و المحصل من سياق الآيات الثلاث و ما يتلوها أنهم لما سمعوا ما ينذرهم به القرآن من أمر البعث و الجزاء يوم الفصل نقل عليهم ذلك فغدوا يسأل بعضهم بعضا عن شأن هذا النيا العجيب الذي لم يكن مما قرع أسماعهم حتى اليوم، و ربما راجعوا النبي ص و المؤمنين و سألوهم عن صفه اليوم و أنه متى هذا الوعد إن كنتم صادقين و ربما كانوا يراجعون في بعض ما قرع سمعهم من حقائق القرآن و احتوته دعوته الجديده أهل الكتاب و خاصه اليهود و يستمدونهم في فهمه.

و قد أشار تعالى في هذه السوره إلى قصه تساؤلهم في صوره السؤال و الجواب فقال: «عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ» و هو سؤال عما يتساءلون عنه. ثم قال: «عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ» و هو جواب السؤال عما يتساءلون عنه. ثم قال: «كَلَّا سَيَعْلَمُونَ» إلخ، و هو جواب عن تساؤلهم.

و للمفسرين في مفردات الآيات الثلاث و تقرير معانيها و جوه كثيره تركناها لعدم ملاءمتها السياق و الذي أوردناه هو الذي يعطيه السياق.

قوله تعالى: «كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ» ردع عن تساؤلهم عنه بانين ذلك على الاختلاف في النفي أى ليرتدعوا عن التساؤل لأنه سينكشف لهم الأمر بوقوع هذا النيا فيعلمونه، و في هذا التعبير تهديد كما في قوله: «وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» الشعراء: ٢٢٧.

و قوله: «ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ» تأكيد للردع و التهديد السابقين و لحن التهديد هو القرينه على أن المتسائلين هم المشركون النافون للبعث و الجزاء دون المؤمنين و دون المشركين و المؤمنين جميعا.

قوله تعالى: «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا» الآية إلى تمام إحدى عشرة آية مسوق سوق الاحتجاج على ثبوت البعث و الجزاء و تحقق هذا النيا العظيم و لازم ثبوته صحه ما فى قوله:

« سَيَعْلَمُونَ » من الإخبار بأنهم سيشهدونه فيعلمون.

تقرير الحجه: أن العالم المشهود بأرضه و سمائه و ليله و نهاره و البشر المتناسلين و النظام الجارى فيها و التدبير المتقن الدقيق لأمرها من المحال أن يكون لعبا باطلا لا غايه لها ثابتة باقيه فمن الضرورى أن يستعقب هذا النظام المتحول المتغير الدائر إلى عالم ذى نظام ثابت باق، و أن يظهر فيه أثر الصلاح الذى تدعو إليه الفطره الإنسانيه و الفساد الذى ترتدع عنه، و لم يظهر فى هذا العالم المشهود أعنى سعادته المتقين و شقاء المفسدين، و من المحال أن يودع الله الفطره دعوه غريزيه أو ردعا غريزيا بالنسبه إلى ما لا أثر له فى الخارج و لا حظ له من الوقوع فهناك يوم يلقاه الإنسان و يجزى فيه على عمله إن خيرا فخييرا و إن شرا فشرا.

فآيات فى معنى قوله تعالى «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ» :ص: ٢٨.

و بهذا البيان يثبت أن هناك يوما يلقاه الإنسان و يجزى فيه بما عمل إن خيرا فخييرا و إن شرا فشرا فليس للمشركين أن يختلفوا فيه فيشكك فيه بعضهم و يستبعده طائفه، و يحيله قوم، و لا يؤمن به مع العلم به عنادا آخرون، فاليوم ضرورى الوقوع و الجزاء لا ريب فيه.

و يظهر من بعضهم أن الآيات مسوقه لإثبات القدره و أن العود يماثل البدء و القادر على الإبداء قادر على الإعاده، و هذه الحجه و إن كانت تامه و قد وقعت فى كلامه تعالى لكنها حجه على الإيمان دون الوقوع و السياق فيما نحن فيه سياق الوقوع دون الإيمان فالأنسب فى تقريرها ما تقدم.

و كيف كان فقوله: «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا» الاستفهام للإنكار، و المهاد الوطاء و القرار الذى يتصرف فيه، و يطلق على البساط الذى يجلس عليه و المعنى قد جعلنا الأرض قرارا لكم تستقرون عليها و تتصرفون فيها.

قوله تعالى: «وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا» الأوتاد جمع وتد و هو المسمار إلا أنه أغلظ منه كما فى المجمع، و لعل عد الجبال أوتادا مبنى على أن عمده جبال الأرض من عمل البركانات بشق الأرض فتخرج منه مواد أرضيه مذابه تنتصب على فم الشقه متراكمه كهيئه الوتد المنسوب على الأرض تسكن به فوره البركان الذى تحته فيرتفع به ما فى الأرض من الاضطراب و الميدان.

و عن بعضهم: أن المراد بجعل الجبال أوتادا انتظام معاش أهل الأرض بما أودع فيها من المنافع و لولاها لمادت الأرض بهم أى لما تهيأت لانتفاعهم. و فيه أنه صرف اللفظ عن ظاهره من غير ضروره موجه.

قوله تعالى: «وَوَجَّعْنَاكُمْ أَزْوَاجًا» أى زوجا زوجا من ذكر و أنثى لتجرى بينكم سنه التناسل فيدوم بقاء النوع إلى ما شاء الله.

و قيل: المراد به الإشكال أى كل منكم شكل للآخر. و قيل: المراد به الأصناف أى أصنافا مختلفه كالأبيض و الأسود و الأحمر و الأصفر إلى غير ذلك، و قيل: المراد به خلق كل منهم من منيين منى الرجل و منى المرأه و هذه وجوه ضعيفه.

قيل: الالتفات فى الآيه من الغيبه إلى الخطاب للمبالغه فى الإلزام و التبكيث.

قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا» السبات الراحة و الدعه فإن فى المنام سكوتا و راحه للقوى الحيوانيه البدنيه مما اعتراها فى اليقظه من التعب و الكلال بواسطه تصرفات النفس فيها.

و قيل: السبات بمعنى القطع و فى النوم قطع التصرفات النفسانيه فى البدن، و هو قريب من سابقه.

و قيل: المراد بالسبات الموت، و قد عد سبحانه النوم من الموت حيث قال: «وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ» الأنعام: ٦٠ و هو بعيد، و أما الآيه فإنه تعالى عد النوم توفيا و لم يعده موتا بل القرآن يصرح بخلافه قال تعالى: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا» الزمر: ٤٢.

قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا» أى ساترا يستر الأشياء بما فيه من الظلمه ساتره للمبصرات كما يستر اللباس البدن و هذا سبب إلهى يدعو إلى ترك الثقل و الحركة و الميل إلى السكن و الدعه و الرجوع إلى الأهل و المنزل.

و عن بعضهم أن المراد بكون الليل لباسا كونه كاللباس للنهار يسهل إخراجه منه و هو كما ترى.

قوله تعالى: « وَ جَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا » العيش هو الحياه-على ما ذكره الراغب- غير أن العيش يختص بحياه الحيوان فلا يقال: عيشه تعالى و عيش الملائكه و يقال حياته تعالى و حياه الملائكه، و المعاش مصدر ميمى و اسم زمان و اسم مكان، و هو فى الآيه بأحد المعنيين الأخيرين، و المعنى و جعلنا النهار زمانا لحياتكم أو موضعا لحياتكم تبتهون فيه من فضل ربكم، و قيل: المراد به المعنى المصدرى بحذف مضاف، و التقدير و جعلنا النهار طلب معاش أى مبتغى معاش.

قوله تعالى: « وَ بَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا » أى سبع سماوات شديده فى بنائها.

قوله تعالى: « وَ جَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا » الوهاج شديد النور و الحراره و المراد بالسراج الوهاج: الشمس.

قوله تعالى: « وَ أَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَاجًا » المعصرات السحب الماطره و قيل:

الرياح التى تعصر السحب لتمطر و الثجاج الكثير الصب للماء، و الأولى على هذا المعنى أن تكون « مِنْ » بمعنى الباء.

قوله تعالى: « لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَ نَبَاتًا » أى حبا و نباتا يقتات بهما الإنسان و سائر الحيوان.

قوله تعالى: « وَ جَنَّاتٍ أَلْفَافًا » معطوف على قوله: « حَبًّا » و جنات ألفاف أى ملتفه أشجارها بعضها ببعض.

قيل: إن الألفاف جمع لا واحد له من لفظه.

بحث روائى

فى بعض الأخبار: أن النبأ العظيم على (ع) و هو من البطن.

عن الخصال، عن عكرمه عن ابن عباس قال*: قال أبو بكر: يا رسول الله أسرع إليك الشيب. قال: شيبتنى هود و الواقعة و المرسلات و عم يتساءلون.

فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا» قال: يمهد فيها الإنسان- «وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا» أى أوتاد الأرض.

و فى نهج البلاغه، قال (ع): و وتد بالصخور ميدان أرضه.

و فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا» قال: يلبس على النهار.

أقول: و لعل المراد به أنه يخفى ما يظهره النهار و يستر ما يكشفه.

و فيه، "فى قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا سِرَّاجًا وَهَاجًا» قال: الشمس المضئية «وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَبَّاجًا» قال: صبا على صب.

و عن تفسير العياشى، عن أبى عبد الله (ع): «عَامٌ فِيهِ يُعَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ» بالياء يمطرون.

ثم قال: أ ما سمعت قوله: «وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَبَّاجًا».

أقول: المراد أن «يَعْصِرُونَ» بضم الياء بصيغه المجهول و المراد به أنهم يمطرون و استشهاده (ع) بقوله: «وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ» دليل على أنه (ع) أخذ المعصرات بمعنى الممطرات من أعصرت السحابه إذا أمطرت.

و روى العياشى مثل الحديث عن على بن معمر عن أبيه عن أبى عبد الله (ع) و روى القمى فى تفسيره، مثله عن أمير المؤمنين.

[سوره النبأ (٧٨): الآيات ١٧ الى ٤٠]

اشاره

إِنَّ يَوْمَ الْفَصِيلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَابًا (٢٢) لَا يَبِينُ فِيهَا أَهْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَ لَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَ عَسَاقًا (٢٥) جَزَاءً وَفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَزُجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَابًا (٢٨) وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَ أَعْنَابًا (٣٢) وَ كَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَ كَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَ لَا كِذَابًا (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ قَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَأ (٣٩) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَ يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (٤٠)

تصف الآيات يوم الفصل الذى أخبر به إجمالاً- بقوله: «كَلَّا سَيَعْلَمُونَ» ثم تصف ما يجرى فيه على الطاغين و المتقين، و تختتم بكلمه فى الإنذار و هى كالتتيجه.

قوله تعالى: «إِنَّ يَوْمَ الْفُضَيْلِ كَانَ مِيقَاتًا» قال فى المجمع: الميقات منتهى المقدار المضروب لحدوث أمر من الأمور و هو من الوقت كما أن الميعاد من الوعد و المقدار من القدر، انتهى.

شروع فى وصف ما تضمنه النبأ العظيم الذى أخبر بوقوعه و هددهم به فى قوله:

«كَلَّا سَيَعْلَمُونَ» ثم أقام الحجج عليه بقوله: «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا» إلخ، و قد سماه يوم الفصل و نبه به على أنه يوم يفصل فيه القضاء بين الناس فىنال كل طائفه ما يستحقه بعمله فهو ميقات و حد مضروب لفصل القضاء بينهم و التعبير بلفظ «كَانَ» للدلاله على ثبوته و تعيينه فى العلم الإلهى على ما ينطق به الحجج السابقه الذكر، و لذا أكد الجمله يان.

و المعنى: أن يوم فصل القضاء الذى نبأه نبأ عظيم كان فى علم الله يوم خلق السماوات و الأرض و حكم فيها النظام الجارى حدا مضروباً ينتهى إليه هذا العالم فإنه تعالى كان يعلم أن هذه النشأة التى أنشأها لا تتم إلا بالانتهاء إلى يوم يفصل فيه القضاء بينهم.

قوله تعالى: «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا» قد تقدم الكلام فى معنى نفخ الصور كرارا، و الأفواج جمع فوج و هى الجماعة المارة المسرعة على ما ذكره الراغب.

و فى قوله: «فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا» جرى على الخطاب السابق الملتفت إليه قضاء لحق الوعيد الذى يتضمنه قوله: «كَلَّا سَيَعْلَمُونَ» و كان الآيه ناظره إلى قوله تعالى: «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ»: إسرائ: ٧١.

قوله تعالى: «و فَتَحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا» فاتصل به عالم الإنسان بعالم الملائكة.

و قيل: التقدير فكانت ذات أبواب، و قيل: صار فيها طرق و لم يكن كذلك من قبل، و لا يخلو الوجهان من تحكم فليتدبر.

قوله تعالى: «و سَيَّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا» السراب هو الموهوم من الماء اللامع فى المفاوز و يطلق على كل ما يتوهم ذا حقيقته و لا حقيقته له على طريق الاستعارة.

و لعل المراد بالسراب فى الآيه هو المعنى الثانى.

بيان ذلك: أن تسيير الجبال و دكها ينتهى بالطبع إلى تفرق أجزائها و زوال شكلها كما وقع فى مواضع من كلامه تعالى عند وصف زلزله الساعة و آثارها إذ قال: «و تَسَيَّرُ الْجِبَالُ سَيِّرًا»: الطور: ١٠ و قال: «و حَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً» الحاقه: ١٤، و قال: «و كَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيْبًا مَهِيْلًا»: المزمّل ١٤، و قال: «و تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ»: القارعه: ٥، و قال: «و بُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا»: الواقعة: ٥، و قال: «و إِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ»: المرسلات: ١٠.

فتسيير الجبال و دكها ينتهى بها إلى بسها و نسفها و صيرورتها كثيباً مهيلاً- و كالعهن المنفوش كما ذكره الله تعالى و أما صيرورتها سرايا بمعنى ما يتوهم ماء لامعاً فلا نسبه بين التسيير و بين السراب بهذا المعنى.

نعم ينتهى تسييرها إلى انعدامها و بطلان كينوتتها و حقيقتها بمعنى كونها جبلاً فالجبال الراسيات التى كانت ترى حقائق ذوات كينونه قويه لا تحركه العواصف تتبدل بالتسيير

سراباً باطلاً لا- حقيقه له، و نظيره من كلامه تعالى قوله في أقوام أهلكتهم و قطع دابرهم، «فَجَعَلْنَا هُمْ أَحَادِيثَ»: سبأ: ١٩ و قوله: «فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَ جَعَلْنَا هُمْ أَحَادِيثَ» المؤمنون: ٤٤، و قوله في الأصنام «إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ» النجم: ٢٣.

فالآية بوجه كقوله تعالى «وَ تَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ» النمل: ٨٨- بناء على كونه ناظراً إلى صفة زلزاله الساعة-.

قوله تعالى: «إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا» قال في المفردات: الرصد الاستعداد للترقب- إلى أن قال- و المرصد موضع الرصد قال تعالى: «وَ أَقْعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ» و المرصد نحوه لكن يقال للمكان الذي اختص بالرصد قال تعالى: «إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا» تنبيهاً على أن عليها مجاز الناس، و على هذا قوله تعالى: «وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا» انتهى.

قوله تعالى: «لِلطَّاغِينَ مَأْبَأٌ» الطاغون الملتبسون بالطغيان و هو الخروج عن الحد، و المآب اسم مكان من الأوب بمعنى الرجوع، و العناية في عدها مأبأ للطاغين أنهم هيئوها مأوى لأنفسهم و هم في الدنيا ثم إذا انقطعوا عن الدنيا آبوا و رجعوا إليها.

قوله تعالى: «لَا يَبِينُ فِيهَا أَحْقَابٌ» الأحقاب الأزمنة الكثيره و الدهور الطويله من غير تحديد.

و هو جمع اختلفوا في واحده فقيل: واحده حقب بالضم فالسكون أو بضمتين، و قد وقع في قوله تعالى: «أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا» الكهف: ٦٠، و قيل: حقب بالفتح فالسكون و واحد الحقب حقه بالكسر فالسكون قال الراغب: و الحق أن الحقبه مده من الزمان مبهمه. انتهى.

و حد بعضهم الحقب بثمانين سنه أو ببضع و ثمانين سنه و زاد آخرون أن السنه منها ثلاثمائة و ستون يوماً كل يوم يعدل ألف سنه، و عن بعضهم أن الحقب أربعون سنه و عن آخرين أنه سبعون ألف سنه إلى غير ذلك و لا دليل من الكتاب يدل على شيء من هذه التحديدات و لم يثبت من اللغة شيء منها.

و ظاهر الآيه أن المراد بالطاغين المعاندون من الكفار و يؤيده قوله ذيلاً: «إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَابًا».

و قد فسروا «أَحْقَاباً» فى الآيه بالحقب بعد الحقب فالمعنى حال كون الطاعين لابئين فى جهنم حقبا بعد حقب بلا تحديد و لا نهايه فلا تنافى الآيه ما نص عليه القرآن من خلود الكفار فى النار.

و قيل: إن قوله: «لَا يَذُوقُونَ فِيهَا» إلخ صفة «أَحْقَاباً» و المعنى لابئين فيها أحقبا هى على هذه الصفة و هى أنهم لا يذوقون فيها بردا و لا شرابا إلا حميما و غساقا، ثم يكونون على غير هذه الصفة إلى غير النهايه.

و هو حسن لو ساعد السياق.

قوله تعالى: «لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَ لَا شَرَابًا» ظاهر المقابله بين البرد و الشراب أن المراد بالبرد مطلق ما يتبرد به غير الشراب كالظل الذى يستراح إليه بالاستئلال فالمراد بالذوق مطلق النيل و المس.

قوله تعالى: «إِلَّا حَمِيمًا وَ غَسَاقًا» الحميم الماء الحار شديد الحر، و الغساق صديد أهل النار.

قوله تعالى: «جَزَاءً وَفَاقًا» -إلى قوله- «كِتَابًا» المصدر بمعنى اسم الفاعل و المعنى يجوزون جزاء موافقا لما عملوا أو بتقدير مضاف أى جزاء ذا وفاق أو إطلاق الوفاق على الجزاء للمبالغه كزيد عدل.

و قوله: «إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَابًا» أى تكذبا عجيبا يصرون عليه، تعليل يوضح موافقه جزائهم لعملهم، و ذلك أنهم لم يرجوا الحساب يوم الفصل فأيسوا من الحياه الآخره و كذبوا بالآيات الداله عليها فأنكروا التوحيد و النبوه و تعدوا فى أعمالهم طور العبوديه فنسوا الله تعالى فنسيهم و حرم عليهم سعادته الدار الآخره فلم يبق لهم إلا الشقاء و لا يجدون فيها إلا ما يكرهون، و لا يواجهون إلا ما يتعذبون به و هو قوله: «فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا».

و فى الآيه أعنى قوله: «جَزَاءً وَفَاقًا» دلالة على المطابقه التامه بين الجزاء و العمل فالإنسان لا يريد بعمله إلا الجزاء الذى يازائه و التلبس بالجزاء تلبس بالعمل بالحقيقه قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ»: التحريم: ٧.

و قوله: «وَ كُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا» أى كل شىء و منه الأعمال ضبطناه و بيناه فى

كتاب جليل القدر فالآيه فى معنى قوله تعالى: «وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ» :يس: ١٣.

أو المراد و كل شىء حفظناه حال كونه مكتوبا أى فى اللوح المحفوظ أو فى صحائف الأعمال، و جوز أن يكون الإحصاء بمعنى الكتابه أو الكتاب بمعنى الإحصاء فإن الإحصاء و الكتابه يتشاركان فى معنى الضبط و المعنى كل شىء أحصيناه إحصاء أو كل شىء كتبناه كتابا.

و الآيه على أى حال متمم للتعليل السابق، و المعنى الجزاء موافق لأعمالهم لأنهم كانوا على حال كذا و كذا و قد حفظناها عليهم فجزيناهم بها جزاء وفاقا.

قوله تعالى: «فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا» تفريع على ما تقدم من تفصيل عذابهم مسوق لإيئاسهم من أن يرجو نجاه من الشقوه و راحه ينالونها.

و الالتفات إلى خطابهم بقوله: «فَذُوقُوا» تقدير لحضورهم ليخاطبوا بالتوبيخ و التفرير بلا واسطه.

و المراد بقوله: «فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا» أن ما تذوقونه بعد عذاب ذقتموه عذاب آخر فهو عذاب بعد عذاب و عذاب على عذاب فلا تزالون يضاف عذاب جديد إلى عذابكم القديم فاقنطوا من أن تنالوا شيئا مما تطلبون و تحبون.

و الآيه لا تخلو من ظهور فى كون المراد بقوله: «لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَابًا» الخلود دون الانقطاع.

قوله تعالى: «إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا» -إلى قوله- كِدَابًا «الفوز الظفر بالخير مع حصول السلامه-على ما قاله الراغب-فيه معنى النجاه و التخلص من الشر و الحصول على الخير، و المفاز مصدر ميمى أو اسم مكان من الفوز و الآيه تحتل الوجهين جميعا.

و قوله: «حَدَائِقُ وَأَعْنَابًا» الحدائق جمع حديقته و هى البستان المحوط، و الأعناب جمع عنب و هو ثمر شجره الكرم و ربما يطلق على نفس الشجره.

و قوله: «وَ كَوَاعِبَ» جمع كاعب و هى الفتاه التى تكعب ثدياها و استدار مع ارتفاع يسير، و الترائب جمع ترب و هى المماثله لغيرها من اللذات.

و قوله: «وَ كَأْسًا دِهَاقًا» أى ممتلئه شرابا مصدر بمعنى اسم الفاعل.

وقوله: «لَا يَشِيْعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا» أى لا يسمعون فى الجنه لغوا من القول لا يترتب عليه أثر مطلوب ولا تكذيبا من بعضهم لبعضهم فيما قال فقولهم حق له أثره المطلوب وصدق مطابق للواقع.

قوله تعالى: «جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا» أى فعل بالمتقين ما فعل حال كونه جزاء من ربك عطيه محسوبه فقوله: «جَزَاءٌ» حال و كذا «عَطَاءٌ» و«حِسَابًا» بمعنى اسم المفعول صفه لعطاء، و يحتمل أن يكون عطاء تميزا أو مفعولا مطلقا.

قيل: إضافة الجزاء إلى الرب مضافا إلى ضميره (ص) تشریف له، و لم يصف جزاء الطاغين إليه تعالى تنزها منه تعالى فليس يغشاهم شر إلا من عند أنفسهم قال تعالى:

«ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ»: الأنفال: ٥١.

و وقوع لفظ الحساب فى ذيل جزاء الطاغين و المتقين معا لتثيبت ما يلوح إليه يوم الفصل الواقع فى أول الكلام.

قوله تعالى: «رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ» بيان لقوله: «رَبِّكَ» أريد به أن ربوبيته تعالى عامه لكل شىء و أن الرب الذى يتخذة النبى ص ربا و يدعو إليه رب كل شىء لا كما كان يقول المشركون: إن لكل طائفه من الموجودات ربا و الله سبحانه رب الأرباب أو كما كان يقول بعضهم: أنه رب السماء.

و فى توصيف الرب بالرحمن-صيغه مبالغه من الرحمه-إشاره إلى سعه رحمته و أنها سمه ربويه لا يحرم منها شىء إلا أن يمتنع منها شىء بنفسه لقصوره و سوء اختياره فمن شقوه هؤلاء الطاغين أنهم حرموها على أنفسهم بالخروج عن طور العبوديه.

قوله تعالى: «لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صِيْفًا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا» وقوع صدر الآيه فى سياق قوله: «رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ»-و شأن الربويه هو التدبير و شأن الرحمانيه بسط الرحمه- دليل على أن المراد بخطابه تعالى تكليمه فى بعض ما فعل من الفعل بنحو السؤال عن السبب الداعى إلى الفعل كان يقال: لم فعلت هذا؟ و لم لم تفعل كذا؟ كما يسأل الفاعل منا عن فعله فتكون الجملة «لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا» فى معنى قوله تعالى: «لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ»: الأنبياء: ٢٣ و قد تقدم الكلام فى معنى الآيه.

لكن وقوع قوله: «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلَائِكَةُ صَفًّا» بعد قوله: «لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا» الظاهر في اختصاص عدم الملك بيوم الفصل مضافا إلى وقوعه في سياق تفصيل جزاء الطاغين و المتقين منه تعالى يوم الفصل يعطى أن يكون المراد به أنهم لا يملكون أن يخاطبوه فيما يقضى و يفعل بهم باعتراض عليه أو شفاعه فيهم لكن الملائكة-و هم ممن لا يملكون منه خطابا- منزهون عن وصمه الاعتراض عليه تعالى و قد قال فيهم: «عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْتَبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ»: الأنبياء: ٢٧ و كذلك الروح الذى هو (١) كلمته و قوله، و قوله (٢) حق، و هو تعالى (٣) الحق المبين و الحق لا يعارض الحق و لا يناقضه.

و من هنا يظهر أن المراد بالخطاب الذى لا يملكونه هو الشفاعه و ما يجرى مجراها من وسائل التخلص من الشر كالعدل و البيع و الخله و الدعاء و السؤال قال تعالى: «مَنْ قَبِيلٍ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَ لَا خَلَّةٌ وَ لَا شَفَاعَةٌ»: البقره: ٢٥٤، و قال: «وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَ لَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ»: البقره: ١٢٣، و قال: «يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ»: هود: ١٠٥.

و بالجمله قوله: «لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا» ضمير الفاعل فى «لَا يَمْلِكُونَ» لجميع المجموعين ليوم الفصل من الملائكة و الروح و الإنس و الجن كما هو المناسب للسياق الحاكى عن ظهور العظمه و الكبرياء دون خصوص الملائكة و الروح لعدم سبق الذكر و دون خصوص الطاغين كما قيل لكثرة الفصل، و المراد بالخطاب الشفاعه و ما يجرى مجراها كما تقدم.

و قوله: «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلَائِكَةُ صَفًّا» ظرف لقوله: «لَا يَمْلِكُونَ» و قيل:

لقوله: «لَا يَتَكَلَّمُونَ» و هو بعيد مع صلاحيه ظرفيته لما سبقه.

و المراد بالروح المخلوق الأمري الذى يشير إليه قوله تعالى: «قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي»: إسرائ: ٨٥.

و قيل: المراد به أشرف الملائكة، و قيل حفظه الملائكة و قيل: ملك موكل على الأرواح. و لا دليل على شىء من هذه الأقوال.

ص: ١٧١

١- (١) النحل: ٤٠.

٢- (٢) الأنعام: ٧٣.

٣- (٣) النور: ٢٥.

وقيل: المراد به جبريل، وقيل: أرواح الناس وقيامها مع الملائكة صفا إنما هو بين النفختين قبل أن تلج الأجساد، وقيل: القرآن و المراد من قيامه ظهور آثاره يومئذ من سعادته المؤمنين به و شقاوه الكافرين.

و يدفعها أن هذه الثلاثه و إن أطلق على كل منها الروح فى كلامه تعالى لكنه مع التقييد كقوله: «و نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» الحجر: ٢٩، وقوله: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ»: الشعراء: ١٩٣، وقوله: «قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ»: النحل: ١٠٢، وقوله:

«فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا»: مريم: ١٧، وقوله: «وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا» الشورى: ٥٢ و الروح فى الآيه التى نحن فيها مطلق، على أن فى القولين الأخيرين تحكما ظاهرا.

و «صَيْفًا» حال من الروح و الملائكة و هو مصدر أريد به اسم الفاعل أى حال كونهم صافين، و ربما استفيد من مقابله الروح للملائكة أن الروح وحده صف و الملائكة جميعا صف.

وقوله: «لَا يَتَكَلَّمُونَ» بيان لقوله: «لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا» و ضمير الفاعل لأهل الجمع من الروح و الملائكة و الإنس و الجن على ما يفيد السياق.

وقيل: الضمير للروح و الملائكة، وقيل: للناس و وقوع «لَا يَمْلِكُونَ» بما مر من معناه و «لَا يَتَكَلَّمُونَ» فى سياق واحد لا يلائم شيئا من القولين.

وقوله: «إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ» بدل من ضمير الفاعل فى «لَا يَتَكَلَّمُونَ» أريد به بيان من له أن يتكلم منهم يومئذ بإذن الله فالجمله فى معنى قوله: «يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ»: هود: ١٠٥ على ظاهر إطلاقه.

وقوله: «وَقَالَ صَوَابًا» أى قال قولاً صواباً لا يشوبه خطأ و هو الحق الذى لا يداخله باطل، و الجمله فى الحقيقه قيد للإذن كأنه قيل: إلا من أذن له الرحمن و لا يأذن إلا لمن قال صواباً فالآيه فى معنى قوله تعالى: «وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ»: الزخرف: ٨٦.

وقيل: «إِلَّا مَنْ أذِنَ» إلخ استثناء ممن يتكلم فيه و المراد بالصواب التوحيد و قول لا إله إلا الله و المعنى لا يتكلمون فى حق أحد إلا فى حق شخص أذن له الرحمن و قال

ذلك الشخص في الدنيا صوابا أى أقر بالوحدانيه و شهد أن لا- إله إلا الله فالآيه فى معنى قوله تعالى: «وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى»: الأنبياء: ٢٨.

و يدفعه أن العناية الكلاميه فى المقام متعلقه بنفى أصل الخطاب و التكلم يومئذ من كل متكلم لا بنفى التكلم فى كل أحد مع تسليم جواز أصل التكلم فالمستثنون هم المتكلمون المأذون لهم فى أصل التكلم من دون تعرض لمن يتكلم فيه.

كلام فيما هو الروح فى القرآن

تكررت كلمه الروح -و المتبادر منه ما هو مبدأ الحياه- فى كلامه تعالى و لم يقصرها فى الإنسان أو فى الإنسان و الحيوان فحسب بل أثبتها فى غيرهما كما فى قوله:

«فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا»: مريم: ١٧، و قوله: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا»: الشورى: ٥٢ إلى غير ذلك فلروح مصداق فى الإنسان و مصداق فى غيره.

و الذى يصلح أن يكون معرفا لها فى كلامه تعالى ما فى قوله: «يَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي»: إسراء: ٨٥ حيث أطلقها إطلافا و ذكر معرفا لها أنها من أمره و قد عرف أمره بقوله: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسَبِّحَْانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ»: يس: ٨٣ فبين أنه كلمه الإيجاد التى هى الوجود من حيث انتسابه إليه تعالى و قيامه به لا- من حيث انتسابه إلى العلل و الأسباب الظاهريه.

و بهذه العناية عد المسيح(ع) كلمه له و روحا منه إذ قال: «وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ»: النساء: ١٧١ لما وهبه لمريم(ع) من غير الطرق العاديه و يقرب منه فى العناية قوله تعالى: «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»: آل عمران: ٥٩.

و هو تعالى و إن ذكرها فى أغلب كلامه بالإضافه و التقييد كقوله: «وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي»: الحجر ٢٩، و قوله: «وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ»: السجده: ٩، و قوله:

«فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا»: مريم: ١٧، و قوله: «وَ رُوحٌ مِنْهُ»: النساء: ١٧١ و قوله:

«وَ أَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ»: البقره ٨٧ إلى غير ذلك إلا- أنه أوردتها فى بعض كلامه مطلقه من غير تقييد كقوله: «تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَ الرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ»

القدر: ٤: و ظاهر الآيه أنها موجود مستقل و خلق سماوى غير الملائكه، و نظير الآيه بوجه قوله تعالى: «تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»: المعارج: ٤.

و أما الروح المتعلقة بالإنسان فقد عبر عنها بمثل قوله: « وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي » « وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ » و أتى بكلمه « مِنْ » الداله على المبدئيه و سماه نفخا و عبر عن الروح التى خصها بالمؤمنين بمثل قوله: « وَ أَيْدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ »: المجادله: ٢٢ فأتى بالباء الداله على السببيه و سماه تأييدا و تقويه، و عبر عن الروح التى خصها بالأنبياء بمثل قوله:

«وَ أَيْدِنَاهُمْ بِرُوحِ الْقُدُسِ»: البقره: ٨٧ فأضاف الروح إلى القدس و هو النزاهه و الطهاره و سماه أيضا تأييدا.

و بانضمام هذه الآيات إلى مثل آيه سوره القدر يظهر أن نسبه الروح المضافه التى فى هذه الآيات إلى الروح المطلقه المذكوره فى سوره القدر نسبه الإفاضه إلى المفيض و الظل إلى ذى الظل بإذن الله.

و كذلك الروح المتعلقة بالملائكه من إفاضات الروح بإذن الله، و إنما لم يعبر فى روح الملك بالنفخ و التأييد كالإنسان بل سماه روحا كما فى قوله تعالى: «فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا»، و قوله: «قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ»: النحل: ١٠٢، و قوله: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ»: الشعراء: ١٩٣ لأن الملائكه أرواح محضه على اختلاف مراتبهم فى القرب و البعد من ربهم، و ما يترأى من الأجسام لهم تمثلات كما يشير إليه قوله تعالى: «فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا»: مريم: ١٧ و قد تقدم الكلام فى معنى التمثل فى ذيل الآيه بخلاف الإنسان المخلوق مؤلفا من جسم ميت و روح حيه فيناسبه التعبير بالنفخ كما فى قوله «فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي»: الحجر: ٢٩.

و كما أوجب اختلاف الروح فى خلق الملك و الإنسان اختلاف التعبير بالنفخ و عدمه كذلك اختلاف الروح من حيث أثرها و هو الحياه شرفا و خسه أوجب اختلاف التعبير بالنفخ و التأييد و عد الروح ذات مراتب مختلفه باختلاف أثر الحياه.

فمن الروح الروح المنفوخه فى الإنسان قال: « وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ».

و من الروح الروح المؤيد بها المؤمن قال: «أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَ أَيْدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ»: المجادله: ٢٢ و هى أشرف وجودا و أعلى مرتبه و أقوى أثرا من الروح

الإنسانيه العامه كما يفيدده قوله تعالى و هو فى معنى هذه الآيه: «أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَى بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا»: الأنعام: ١٢٢ فقد عد المؤمن حيا ذا نور يمشى به و هو أثر الروح و الكافر ميتا و هو ذو روح منفوخه فللمؤمن روح ليست للكافر ذات أثر ليس فيه.

و من ذلك يظهر أن من مراتب الروح ما هو فى النبات لما فيه من أثر الحياه يدل على ذلك الآيات المتضمنه لإحياء الأرض بعد موتها.

و من الروح الروح المؤيد بها الأنبياء قال: «وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ»: البقره ٨٧ و سياق الآيات يدل على كون هذه الروح أشرف و أعلى مرتبه من غيرها مما فى الإنسان.

و أما قوله: «يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ»: المؤمن:

١٥، و قوله: «وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا»: الشورى ٥٢ فيقبل الانطباق على روح الإيمان و على روح القدس و الله أعلم.

و قد تقدم بعض ما ينفع من الكلام فى المقام فى ذيل هذه الآيات الكريمه.

[بيان]

قوله تعالى: «ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ» إشاره إلى يوم الفصل المذكور فى السوره الموصوف بما مر من الأوصاف و هو فى الحقيقه خاتمه الكلام المنعطفه إلى فاتحه السوره و ما بعده أعنى قوله: «فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَهًا رَبًّا مَابًا» إلخ فضل تفریع على البيان السابق.

و الإشاره إليه بالإشاره البعيده للدلاله على فخامه أمره و المراد بكونه حقا ثبوته حتما مقضيا لا يتخلف عن الوقوع.

قوله تعالى: «فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَهًا رَبًّا مَابًا» أى مرجعا إلى ربه ينال به ثواب المتقين و ينجو به من عذاب الطاغين، و الجملة كما أشرنا إليه تفریع على ما تقدم من الإخبار بيوم الفصل و الاحتجاج عليه و وصفه، و المعنى إذا كان كذلك فمن شاء الرجوع إلى ربه فليرجع.

قوله تعالى: «إِذَا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا» إلخ المراد به عذاب الآخرة، و كونه قريبا لكونه حقا لا ريب فى إتيانه و كل ما هو آت قريب.

على أن الأعمال التى سيجزى بها الإنسان هى معه أقرب ما يكون منه.

و قوله: «يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ» أى ينتظر المرء جزاء أعماله التى قدمتها يداه بالاكْتِسَاب، و قيل: المعنى ينظر المرء إلى ما قدمت يداه من الأعمال لحضورها عنده قال

تعالى: «يَوْمَ تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ»: آل عمران: ٣٠.

و قوله: «و يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا» أى يتمنى من شدة اليوم أن لو كان ترابا فاقدا للشعور و الإرادة فلم يعمل و لم يجز.

بحث روائى

فى تفسير القمى، "و قوله: «و فُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا» قال: تفتح أبواب الجنان، و قوله: «و سُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا» قال: تصير الجبال مثل السراب الذى يلمع فى المفازة.

و فيه، "و قوله: «لَا بَيْتَ فِيهَا أَحْقَابًا» قال: الأحقاب السنين و الحقب سنه-و السنه عددها ثلاثمائه و ستون يوما-و اليوم كآلف سنه مما تعدون.

و فى المجمع، روى نافع عن ابن عمر قال: *قال رسول الله (ص): لا يخرج من النار من دخلها حتى يمكث فيها أحقابا-و الحقب بضع و ستون سنه و السنه ثلاثمائه و ستون يوما- كل يوم كآلف سنه مما تعدون-فلا يتكلن أحد على أن يخرج من النار.

أقول: و أورد الروايه فى الدر المنثور، و فيها ثمانون مكان ستون و لفظ آخرها، قال ابن عمر: فلا يتكلن أحد إلخ،

و أورد أيضا روايه أخرى عنه (ص): أن الحقب أربعون سنه.

و فيه، و روى العياشى بإسناده عن حمران قال: *سألت أبا جعفر (ع) عن هذه الآيه فقال: هذه فى الذين يخرجون من النار، و روى عن الأحول مثله.

و فى تفسير القمى، "و قوله: «إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا» قال: يفوزون، قوله «و كَوَاعِبَ أُنْرَابًا» قال: جوار و أتراب لأهل الجنة،

و فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر (ع) قال: *فى قوله: «إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا» قال: هى الكرامات «و كَوَاعِبَ أُنْرَابًا» أى الفتيات النواهد.

و فى الدر المنثور، أخرج ابن أبى حاتم و أبو الشيخ فى العظمه و ابن مردويه عن ابن عباس أن النبى ص قال: *الروح جند من جنود الله-ليسوا بملائكه لهم رءوس و أيد و أرجل-ثم قرأ: «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلَائِكَةُ صَفًّا» قال: هؤلاء جند و هؤلاء جند.

أقول: و قد تقدمت الروايه فى ذيل الآيات المشتمله على الروح عن أئمه أهل البيت (ع) أن الروح خلق أعظم من جبرائيل و ميكائيل، و تقدمت الروايه أيضا

عن على (ع): أن الروح غير الملائكه-و استدلل (ع) عليه بقوله تعالى: «يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» الآيه.

نعم في روايه القمي عن حمران أنه ملك أعظم من جبرائيل و ميكائيل و كان مع رسول الله ص و هو مع الأئمة (ع)، و لعل المراد بالملك مطلق الموجود السماوي أو هو من وهم بعض الرواه في النقل بالمعنى و لا- دليل على انحصار الموجودات الأمريه السماويه في الملائكه بل الدليل على خلافه كما يستفاد من قوله تعالى لإيليس حين أبى عن السجود لآدم و قد سجد له الملائكه كلهم أجمعون: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبِرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾: ص: ٧٥ و قد تقدمت الإشاره إلى ذلك في تفسير الآيه.

و في أصول الكافي، بإسناده عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الماضي (ع) قال *قلت:

«يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ» الآية- قال نحن و الله المأذون لهم يوم القيامة- و القائلون صوابا. قلت: ما تقولون إذا تكلمتم؟ قال: نمجد ربنا و نصلى على نبينا- و نشفع لشيعتنا و لا يردنا ربنا الحديث..

أقول: و رواه في المجمع، عن العياشي مرفوعا عن معاويه بن عمار عن أبي عبد الله (ع).

و الروايه من قبيل ذكر بعض المصاديق فهناك شفعاء آخر من الملائكه و الأنبياء و المؤمنين مأذون لهم في التكلم، و هناك شهداء من الأمم مأذون لهم في التكلم على ما ينص عليه القرآن و الحديث.

(٧٩) سورة النازعات مكيه و هي ست و أربعون آيه (٤٦)

[سورة النازعات (٧٩): الآيات ١ الى ٤١]

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ النَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَ النَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَ السَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتَشَعَّرُ الْأَعْنَافُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَزْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَبِي (١٨) وَ أَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشِي (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَ عَصَى (٢١) ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٢٦) أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَ أَعْطَشَ لَيْلَهَا وَ أَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَ مَرْعَاهَا (٣١) وَ الْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ (٣٣) فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْأَنْسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَ بُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (٣٦) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مِنْ مَقَامِ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١)

فى السوره أخبار مؤكد بوقوع البعث و القيامه، و احتجاج عليه من طريق التدبير

ص: ١٧٨

الربوبى المنتج أن الناس سينقسمون يومئذ طائفتين أصحاب الجنة و أصحاب الجحيم و تختتم السوره بالإشاره إلى سؤالهم النبى ص عن وقت قيام الساعة و الجواب عنه.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: « وَ النَّازِعَاتِ غَرْقًا وَ النَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَ السَّابِحَاتِ سَبْحًا فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا » اختلف المفسرون فى تفسير هذه الآيات الخمس اختلافا عجيبا مع اتفاقهم على أنها إقسام، و قول أكثرهم بأن جواب القسم محذوف، و التقدير أقسم بكذا و كذا لتبعثن.

فقوله: « وَ النَّازِعَاتِ غَرْقًا » قيل: المراد بها ملائكه الموت تنزع الأرواح من الأجساد، و « غَرْقًا » مصدر مؤكد بحذف الزوائد أى إغراقا و تشديدا فى النزاع.

و قيل: المراد بها الملائكه الذين ينزعون أرواح الكفار من أجسادهم بشده، و قيل:

هو الموت ينزع الأرواح من الأبدان نزعا بالغا.

و قيل: المراد بها النجوم تنزع من أفق لتغيب فى أفق أى تطلع من مطالعها لتغرب فى مغاربها، و قيل: المراد بها القسى تنزع بالسهم أى تمتد بجذب وترها إغراقا فى المد فالإقسام بقسى المجاهدين فى سبيل الله أو بالمجاهدين أنفسهم، و قيل: المراد بها الوحش تنزع إلى الكلا.

و قوله: « وَ النَّاشِطَاتِ نَشْطًا » النشاط الجذب و الخروج و الإخراج برفق و سهوله و حل العقده، قيل: المراد بها الملائكه الذين يخرجون الأرواح من الأجساد، و قيل المراد بها خصوص الملائكه يخرجون أرواح المؤمنين من أجسادهم برفق و سهوله، كما أن المراد بالنازعات غرقا الملائكه الذين ينزعون أرواح الكفار من أجسادهم.

و قيل: هم الملائكه الذين ينشطون أرواح الكفار من أجسادهم، و قيل: المراد بها أرواح المؤمنين أنفسهم، و قيل: هى النجوم تنشط و تذهب من أفق إلى أفق، و قيل:

هى السهام تنشط من قسيها فى الغزوات، و قيل: هو الموت ينشط و يخرج الأرواح من الأجساد، و قيل: هى الوحش تنشط من قطر إلى قطر.

و قوله: « وَ السَّابِحَاتِ سَبْحًا » قيل: المراد بها الملائكه تقبض الأرواح فتسرع بروح المؤمن إلى الجنة و بروح الكافر إلى النار، و السبح الإسراع فى الحركة كما يقال للفرس سابع

إذا أسرع في جريه، وقيل: المراد بها الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلمونها من الأبدان سلا رفيقا ثم يدعونها حتى يستريح كالسباح بالشىء في الماء يرمى، وقيل: هي الملائكة ينزلون من السماء مسرعين، وقيل: هي النجوم تسبح في فلكها كما قال تعالى: «وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ».

وقيل: هي خيل الغزاه تسبح في عدوها و تسرع، وقيل: هي المنايا تسبح في نفوس الحيوان، وقيل: هي السفن تسبح في المياه، وقيل: السحاب، وقيل: دواب البحر.

وقوله: «فَالسَّابِقَاتِ سَبِقًا» قيل المراد بها مطلق الملائكة لأنها سبقت ابن آدم بالخير والإيمان والعمل الصالح، وقيل ملائكة الموت تسبق بروح المؤمن إلى الجنة و بروح الكافر إلى النار، وقيل الملائكة القابضون لروح المؤمن تسبق بها إلى الجنة، وقيل، ملائكة الوحي تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء، وقيل أرواح المؤمنين تسبق إلى الملائكة التي يقبضونها شوقا إلى لقاء الله سبحانه، وقيل هي النجوم تسبق بعضها بعضا في السير، وقيل هي خيل الغزاه تسبق بعضها بعضا في الحرب، وقيل هي المنايا تسبق الآمال.

وقوله: «فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا» قيل: المراد بها مطلق الملائكة المدبرين للأمر، كذا فسر الأكثرون حتى ادعى بعضهم اتفاق المفسرين عليه، وقيل المراد بها الملائكة الأربعة المدبرون لأمر الدنيا: جبرائيل و ميكائيل و عزرائيل و إسرافيل، فجبرائيل يدبر أمر الرياح و الجنود و الوحي، و ميكائيل يدبر أمر القطر و النبات، و عزرائيل موكل بقبض الأرواح، و إسرافيل ينتزل بالأمر عليهم و هو صاحب الصور، وقيل: إنها الأفلاك يقع فيها أمر الله فيجرى بها القضاء في الدنيا.

و هناك قول بأن الإقسام في الآيات بمضاف محذوف و التقدير و رب النازعات نزعا إلخ.

و أنت خبير بأن سياق الآيات الخمس سياق واحد متصل متشابه الأجزاء لا يلائم كثيرا من هذه الأقوال القاضيه باختلاف المعانى المقسم بها ككون المراد بالنازعات الملائكة القابضين لأرواح الكفار، و بالناشطات الوحش، و بالسابحات السفن، و بالسابقات المنايا تسبق الآمال و بالمدبرات الأفلاك.

مضافا إلى أن كثيرا منها لا دليل عليها من جهة السياق إلا مجرد صلاحية اللفظ

بحسب اللغة للاستعمال فيه أعم من الحقيقة و المجاز.

على أن كثيرا منها لا تناسب سياق آيات السوره التي تذكر يوم البعث و تحتج على وقوعه على ما تقدم فى سوره المرسلات من حديث المناسبه بين ما فى كلامه تعالى من الإقسام و جوابه.

و الذى يمكن أن يقال -و الله أعلم- أن ما فى هذه الآيات من الأوصاف المقسم بها يقبل الانطباق على صفات الملائكه فى امثالها للأوامر الصادره عليهم من ساحه العزه المتعلقة بتدبير أمور هذا العالم المشهود ثم قيامهم بالتدبير بإذن الله.

و الآيات شديده الشبه سياقاً بآيات مفتتح سوره الصافات: «وَ الصَّافَاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا» و آيات مفتتح سوره المرسلات: «وَ الْمُزْسِيَّاتِ عُرْفًا فَالعَاصِيَّاتِ عَصِيْفًا وَ النَّاشِرَاتِ نَشْرًا فَالفَارِقَاتِ فَرْقًا فَالمُلْقِيَّاتِ ذِكْرًا» و هى تصف الملائكه فى امثالهم لأمر الله غير أنها تصف ملائكه الوحي، و الآيات فى مفتتح هذه السوره تصف مطلق الملائكه فى تدبيرهم أمر العالم بإذن الله.

ثم إن أظهر الصفات المذكوره فى هذه الآيات الخمس فى الانطباق على الملائكه قوله: «فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا» و قد أطلق التدبير و لم يقيد بشىء دون شىء فالمراد به التدبير العالمى بإطلاقه، و قوله «أَمْرًا» تمييز أو مفعول به للمدبرات و مطلق التدبير شأن مطلق الملائكه فالمراد بالمدبرات مطلق الملائكه.

و إذ كان قوله: «فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا» مفتتحا بفاء التفریع الداله على تفرع صفه التدبير على صفه السبق، و كذا قوله: «فَالسَّابِقَاتِ سَبِقًا» مقرونا بفاء التفریع الداله على تفرع سبق على السبح دل ذلك على مجانسه المعانى المراده بالآيات الثلاث: «وَ السَّابِقَاتِ سَبِحًا فَالسَّابِقَاتِ سَبِقًا فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا» فمدلولها أنهم يدبرون الأمر بعد ما سبقوا إليه و يسبقون إليه بعد ما سبحوا أى أسرعوا إليه عند النزول فالمراد بالسابحات و السابقات هم المدبرات من الملائكه باعتبار نزولهم إلى ما أمروا بتدبيره.

فآيات الثلاث فى معنى قوله تعالى: «لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ»: الرعد: ١١ على ما تقدم من توضيح معناه فالملائكه ينزلون على الأشياء و قد تجمعت عليها الأسباب و تنازعت فيها وجودا و عدما و بقاء و زوالا و فى مختلف أحوالها

فما قضاه الله فيها من الأمر و أبرم قضاءه أسرع إليه الملك الأمور به-بما عين له من المقام-و سبق غيره و تمم السبب الذى يقتضيه فكان ما أَرَادَهُ اللهُ فَافْهَمُ ذَلِكَ.

و إذا كان المراد بالآيات الثلاث الإشارة إلى إسراع الملائكة فى النزول على ما أمروا به من أمر و سبقهم إليه و تدبيره تعين حمل قوله: « وَ النَّازِعَاتِ غَرْقًا وَ النَّاشِطَاتِ نَشْطًا » على انتزاعهم و خروجهم من موقف الخطاب إلى ما أمروا به فنزعهم غرقا شروعهم فى النزول نحو المطلوب بشده و جد، و نشطهم خروجهم من موقفهم نحوه كما أن سبحهم إسرعهم إليه بعد الخروج و يتعقب ذلك سبقهم إليه و تدبير الأمر بإذن الله.

فالآيات الخمس أقسام بما يتلبس به الملائكة من الصفات عند ما يؤمرون بتدبير أمر من أمور هذا العالم المشهود من حين يأخذون فى النزول إليه إلى تمام التدبير.

و فيها إشارة إلى نظام التدبير الملكوتى عند حدوث الحوادث كما أن الآيات التالية أعنى قوله: « هَلْ أَتَاكَ » إلخ إشارة إلى التدبير الربوبى الظاهر فى هذا العالم.

و فى التدبير الملكوتى حجه على البعث و الجزاء كما أن فى التدبير الدنيوى المشهود حجه عليه على ما سيوافيك إن شاء الله بيانه.

هذا ما يعطيه التدبر فى سياق الآيات الكريمة و يؤيده بعض التأييد ما سيأتى من الأخبار فى البحث الروائى الآتى إن شاء الله.

كلام فى أن الملائكة وسائط فى التدبير

الملائكة وسائط بينه تعالى و بين الأشياء بدءا و عودا على ما يعطيه القرآن الكريم بمعنى أنهم أسباب للحوادث فوق الأسباب المادية فى العالم المشهود قبل حلول الموت و الانتقال إلى نشأه الآخرة و بعده.

أما فى العود أعنى حال ظهور آيات الموت و قبض الروح و إجراء السؤال و ثواب القبر و عذابه و إمامته الكلى بنفخ الصور و إحيائهم بذلك و الحشر و إعطاء الكتاب و وضع الموازين و الحساب و السوق إلى الجنة و النار فوساطتهم فيها غنى عن البيان، و الآيات الداله على ذلك كثيرة لا حازه إلى إيراده، و الأخبار المأثوره فيها عن النبى ص

و أئمه أهل البيت (ع) فوق حد الإحصاء.

و كذا وساطتهم فى مرحله التشريع من النزول بالوحى و دفع الشياطين عن المداخله فيه و تسديد النبى و تأييد المؤمنين و تطهيرهم بالاستغفار.

و أما وساطتهم فى تدبير الأمور فى هذه النشأه فيدل عليها ما فى مفتتح هذه السوره من إطلاق قوله: «وَ النَّازِعَاتِ غَرْقًا وَ النَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَ السَّابِحَاتِ سَبْحًا فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا» بما تقدم من البيان.

و كذا قوله تعالى: «جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَ ثُلَاثَ وَ رُبَاعًا» فاطر: ١ الظاهر بإطلاقه-على ما تقدم من تفسيره-فى أنهم خلقوا و شأنهم أن يتوسطوا بينه تعالى و بين خلقه و يرسلوا لإنفاذ أمره الذى يستفاد من قوله تعالى فى صفتهم: «بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» الأنبياء: ٢٧، و قوله: «يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» النحل: ٥٠ و فى جعل الجناح لهم إشاره ذلك.

فلا شغل للملائكه إلا التوسط بينه تعالى و بين خلقه بإنفاذ أمره فيهم و ليس ذلك على سبيل الاتفاق بأن يجرى الله سبحانه أمرا بأيديهم ثم يجرى مثله لا بتوسطهم فلا اختلاف و لا تخلف فى سنته تعالى: «إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ» هود: ٥٦، و قال «فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا» فاطر: ٤٣.

و من الوساطه كون بعضهم فوق بعض مقاما و أمر العالى منهم السافل بشىء من التدبير فإنه فى الحقيقه توسط من المتبوع بينه تعالى و بين تابعه فى إيصال أمر الله تعالى كتوسط ملك الموت فى أمر بعض أعوانه بقبض روح من الأرواح، قال تعالى حاكيا عن الملائكه: «وَ مَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ» الصافات: ١٦٤، و قال: «مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ» التكوير: ٢١، و قال: «حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ» سبأ: ٢٣.

و لا ينافى هذا الذى ذكر من توسطهم بينه تعالى و بين الحوادث أعنى كونهم أسبابا تستند إليها الحوادث استناد الحوادث إلى أسبابها القريبه الماديه فإن السببيه طوليه لا عرضيه أى إن السبب القريب سبب للحدث و السبب البعيد سبب للسبب.

كما لا ينافى توسطهم و استناد الحوادث إليهم استناد الحوادث إليه تعالى و كونه هو السبب الوحيد لها جميعا على ما يقتضيه توحيد الربوبية فإن السبب طوله كما سمعت لا عرضيه و لا يزيد استناد الحوادث إلى الملائكة استنادها إلى أسبابها الطبيعيه القريبه و قد صدق القرآن الكريم استناد الحوادث إلى الحوادث الطبيعيه كما صدق استنادها إلى الملائكة.

و ليس لشيء من الأسباب استقلال قبالة تعالى حتى ينقطع عنه فيمنع ذلك استناد ما استند إليه إلى الله سبحانه على ما يقول به الوثنيه من تفويضه تعالى تدبير الأمر إلى الملائكة المقربين فالتوحيد القرآني ينفى الاستقلال عن كل شيء من كل جهه: لا يملكون لأنفسهم نفعا و لا ضرا و لا موتا و لا حياه و لا نشورا.

فمثل الأشياء في استنادها إلى أسبابها المترتبة القريبه و البعيده و انتهائها إلى الله سبحانه بوجه بعيد كمثل الكتابه يكتبها الإنسان بيده و بالقلم فللكتابه استناد إلى القلم ثم إلى اليد التي توصلت إلى الكتابه بالقلم، و إلى الإنسان الذي توصل إليها باليد و بالقلم، و السبب بحقيقه معناه هو الإنسان المستقل بالسبب من غير أن ينافى سببته استناد الكتابه بوجه إلى اليد و إلى القلم.

و لا- منافاه أيضا بين ما تقدم أن شأن الملائكة هو التوسط في التدبير و بين ما يظهر من كلامه تعالى أن بعضهم أو جميعهم مداومون على عبادته تعالى و تسيحه و السجود له كقوله: «وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ لَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ»: الأنبياء: ٢٠، و قوله: «إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ يُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ يَسْجُدُونَ»: الأعراف: ٢٠٦.

و ذلك لجواز أن تكون عبادتهم و سجودهم و تسيحهم عين عملهم في التدبير و امتثالهم الأمر الصادر عن ساحه العزه بالتوسط كما ربما يومئ إليه قوله تعالى: «وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ هُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ»: النحل: ٤٩.

[بيان]

قوله تعالى: «يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبَعَهَا الرَّادِفَةُ» فسرت الراجفه بالصيحه العظيمه التي فيها تردد و اضطراب و الرادفه بالمتأخره التابعه، و عليه تنطبق الآيتان على نفختي الصور التي يدل عليهما قوله تعالى: «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِيهَا يَنْظُرُونَ»: الزمر: ٦٨.

وقيل:الراجفه بمعنى المحركه تحريكاً شديداً-فإن الرجف يستعمل لازماً بمعنى التحرك الشديد،و متعدياً بمعنى التحريك الشديد-و المراد بها أيضاً النفخه الأولى المحركه للأرض و الجبال،و بالرادفه النفخه الثانيه المتأخره عن الأولى.

وقيل:المراد بالراجفه الأرض و بالرادفه السماوات و الكواكب التى ترجف و تضطرب و تشق،و تتلاشى و الوجهان لا يخلوان من بعد و لا سيما الأخير.

و الأنسب بالسياق على أى حال كون قوله:«يَوْمَ تَرْجُفُ»إلخ ظرفاً لجواب القسم المحذوف للدلاله على فخامته و بلوغه الغايه فى الشده و هو لتبعثن،وقيل:إن «يَوْمَ» منصوب على معنى قلوب يومئذ واجفه يوم ترجف الراجفه،و لا يخلو من بعد.

قوله تعالى:«قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ» تنكير «قُلُوبٌ» للتنويع و هو مبتدأ خبره «وَاجِفَةٌ» و الوجيف الاضطراب،و «يَوْمَئِذٍ» ظرف متعلق بواجفه و الجملة استئناف مبين لصفه اليوم.

و قوله:«أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ» ضمير «أَبْصَارُهَا» للقلوب و نسبه الأبصار و إضافتها إلى القلوب لمكان أن المراد بالقلوب فى أمثال هذه المواضع التى تضاف إليها الصفات الإدراكيه كالعلم و الخوف و الرجاء و ما يشبهها هى النفوس،و قد تقدمت الإشارة إليها.

و نسبه الخشوع إلى الأبصار و هو من أحوال القلب إنما هى لظهور أثره الدال عليه فى الأبصار أقوى من سائر الأعضاء.

قوله تعالى:«يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ»إخبار و حكاية لقولهم فى الدنيا استبعاداً منهم لوقوع البعث و الجزاء و إشاره إلى أن هؤلاء الذين لقلوبهم وجيف و لأبصارهم خشوع يوم القيامة هم الذين ينكرون البعث و هم فى الدنيا و يقولون كذا و كذا.

و الحافره على ما قيل-أول الشىء و مبتداه،و الاستفهام للإنكار استبعاداً، و المعنى يقول:هؤلاء أ إنا لمرودون بعد الموت إلى حالتنا الأولى و هى الحياه.

وقيل:الحافره بمعنى المحفوره و هى أرض القبر،و المعنى أ نرد من قبورنا بعد موتنا أحياء،و هو كما ترى.

وقيل:الآيه تخبر عن اعترافهم بالبعث يوم القيامة،و الكلام كلامهم بعد الإحياء و الاستفهام للاستغراب كأنهم لما بعثوا و شاهدوا ما شاهدوا يستغربون ما شاهدوا

فيستفهمون عن الرد إلى الحياه بعد الموت.

و هو معنى حسن لو لم يخالف ظاهر السياق.

قوله تعالى: ﴿أَ إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ تكرر للاستفهام لتأكيد الاستبعاد فلو كانت الحياه بعد الموت مستبعده فهي مع فرض نخر العظام و تفتت الأجزاء أشد استبعادا، و النخر بفتح الحين البلى و التفتت يقال: نخر العظم ينخر نخرا فهو ناخر و نخر.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَلْمِزُكَ إِذَا كَرَّرْتَ خَاسِرَةً﴾ الإشاره بتلك إلى معنى الرجعه المفهوم من قوله «أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ» و الكره الرجعه و العطفه، و عد الكره خاسره إما مجاز و الخاسر بالحقيقه صاحبها، أو الخاسره بمعنى ذات خسران، و المعنى قالوا:

تلك الرجعه-و هي الرجعه إلى الحياه بعد الموت-رجعه متلبسه بالخسران.

و هذا قول منهم أوردوه استهزاء-على أن يكون قولهم: ﴿أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ﴾ إلخ مما قالوه في الدنيا-و لذا غير السياق و قال «قَالُوا تَلْمِزُكَ إِذَا» إلخ بعد قوله «يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ» إلخ و أما على تقدير أن يكون مما سيقولونه عند البعث فهو قول منهم على سبيل التشؤم و التحسر.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ ضمير «هِيَ» للكروه و قيل: للرادفه و المراد بها النفخه الثانيه، و الزجر طرد بصوت و صياح عبر عن النفخه الثانيه بالزجره لما فيها من نقلهم من نشأه الموت إلى نشأه الحياه و من بطن الأرض إلى ظهرها، و «فَإِذَا» فجائيه، و الساهره الأرض المستويه أو الأرض الخاليه من النبات.

و الآيتان في محل الجواب عما يدل عليه قولهم «أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ» إلخ من استبعاد البعث و استصعابه و المعنى لا يصعب علينا أحيائهم بعد الموت و كرتهم فإنما كرتهم-أو الرادفه التي هي النفخه الثانيه-زجره واحده فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتا في بطنها.

فالآيتان في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾:

النحل: ٧٧.

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ الآية إلى تمام اثنتي عشره آيه إشاره إلى إجمال قصه موسى و رسالته إلى فرعون و رده دعوته إلى أن أخذه الله نكال الآخره و الأولى.

و فيها عظه و إنذار للمشركين المنكرين للبعث و قد توسلوا به إلى رد الدعوه الدينيه إذ لا معنى لتشريع الدين لو لا المعاد، و فيها مع ذلك تسليه للنبي ص من تكذيب

قومه، و تهديد لهم كما يؤيده توجيه الخطاب في قوله: «هَلْ أَتَاكَ».

و في القصة مع ذلك كله حجه على وقوع البعث و الجزاء فإن هلاك فرعون و جنوده تلك الهلكة الهائلة دليل على حقيقه رساله موسى من جانب الله إلى الناس و لا تتم رسالته من جانبه تعالى إلا برؤيته منه تعالى للناس على خلاف ما يزعمه المشركون أن لا برؤيه له تعالى بالنسبه إلى الناس و أن هناك أربابا دونه و أنه سبحانه رب الأرباب لا غير.

ففي قوله «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى» استفهام بداعي ترغيب السامع في استماع الحديث ليتسلى به هو و يكون للمنكرين إنذارا بما فيه من ذكر العذاب و إتماما للحجه كما تقدم.

و لا- ينافي هذا النوع من الاستفهام تقدم علم السامع بالحديث لأن الغرض توجيه نظر السامع إلى الحديث دون السؤال و الاستعلام حقيقه فمن الممكن أن تكون الآيات أول ما يقصه الله من قصه موسى أو تكون مسبوقة بذكر قصته كما في سوره المزمل إجمالا - و هي أقدم نزولا من سوره النازعات- و في سوره الأعراف و طه و غيرهما تفصيلا.

قوله تعالى: «إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِاللَّوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى» ظرف للحديث و هو أول ما أوحى الله إليه فقلده الرساله، و طوى اسم للوادي المقدس.

قوله تعالى: «إِذْ هَبَّ إِلَيَّ فَوْعُونَ إِنَّهُ طَغَى» تفسير للنداء، و قيل: الكلام على تقدير القول أى قائلا اذهب «إِلْخ» أو بتقدير أن المفسره أى أن اذهب «إِلْخ» و فى الوجهين أن التقدير مستغنى عنه، و قوله: «إِنَّهُ طَغَى» تعليل للأمر.

قوله تعالى: «فَقُلْ هَيْلٌ لَّكَ إِلَهِي أَنْ تَزَكَّى» متعلق «إِلَهِي» محذوف و التقدير هل لك ميل إلى أن تزكى أو ما فى معناه، و المراد بالتزكى التطهر من قذاره الطغيان.

قوله تعالى: «وَ أَهْدَيْكَ إِلَهِيَ رَبِّكَ فَتَخَشَى» عطف على قوله: «تَزَكَّى» و المراد بهدايته إياه إلى ربه- كما قيل -تعريفه له و إرشاده إلى معرفته تعالى و ترتب عليه الخشيه منه الرادعه عن الطغيان و تعدى طور العبوديه قال تعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» فاطر: ٢٨.

و المراد بالتزكى إن كان هو التطهر عن الطغيان بالتوبه و الرجوع إلى الله تعالى كانت الخشيه مترتبه عليه و المراد بها الخشيه الملازمه للإيمان الداعيه إلى الطاعه و الرادعه عن المعصيه، و إن كان هو التطهر بالطاعه و تجنب المعصيه كان قوله: «وَ أَهْدَيْكَ إِلَهِيَ رَبِّكَ فَتَخَشَى» مفسرا لما قبله و العطف عطف تفسير.

قوله تعالى: «فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ» الفاء فصيحة و في الكلام حذف و تقدير و الأصل فأتاه و دعاه فأراه «إلخ».

و المراد بالآية الكبرى على ما يظهر من تفصيل القصة آية العصا، و قيل: المراد بها مجموع معجزاته التي أراها فرعون و ملأه و هو بعيد.

قوله تعالى: «فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ» أي كذب موسى فجحد رسالته و سماه ساحرا و عصاه فيما أمره به أو عصى الله.

قوله تعالى: «ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْرِعِي» الإدبار التولى و السعى هو الجد و الاجتهاد أي ثم تولى فرعون يجد و يجتهد في إبطال أمر موسى و معارضته.

قوله تعالى: «فَحَشَرَ فَنَادَىٰ» الحشر جمع الناس بإزعاج و المراد به جمعه الناس من أهل مملكته كما يدل عليه تفریع قوله: «فَنَادَىٰ» فقال أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ «عليه فإن كان يدعى الربوبية لأهل مملكته جميعا لا لطائفه خاصة منهم.

و قيل: المراد بالحشر جمع السحرة لقوله تعالى: «فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ» الشعراء: ٥٣، و قوله: «فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ» طه: ٦٠ و فيه أنه لا دليل على كون المراد بالحشر في هذه الآية هو عين المراد بالحشر و الجمع في تينك الآيتين.

قوله تعالى: «فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ» دعوى الربوبية و ظاهره أنه يدعى أنه أعلى في الربوبية من سائر الأرباب التي كان يقول بها قومه الوثنيون فيفضل نفسه على سائر آلهتهم.

و لعل مراده بهذا التفضيل مع كونه وثنيا يعبد الآلهة كما يدل عليه قوله تعالى حكاية عن ملئه يخاطبونه: «أَتَدْرُؤُا مُوسَىٰ وَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ يَذَرَكَ وَ آلِهَتَكَ» الأعراف: ١٢٧ إنه أقرب الآلهة منهم تجرى بيده أرزاقهم و تصلح بأمره شئون حياتهم و يحفظ بمشيتته شرفهم و سؤددهم، و سائر الآلهة ليسوا على هذه الصفة.

و قيل: مراده بما قال تفضيل نفسه على كل من يلي أمورهم و محصله دعوى الملك و أنه فوق سائر أولياء أمور المملكة من حكام و عمال فيكون في معنى قوله فيما حكاها الله عنه إذ قال: «وَ نَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ» IX الآية X:

الزخرف: ٥١.

ص: ١٨٨.

و هو خلاف ظاهر الكلام و فيما قال قوله لملئه: «يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي» :القصص: ٣٨، و قوله لموسى: «لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ» :الشعراء: ٢٩.

قوله تعالى: «فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى» الأخذ كناية عن التعذيب، و النكال التعذيب الذى يردع من رآه أو سمعه عن تعاطى مثله، و عذاب الآخرة نكال حيث إن من شأنه أن يردع من سمعه عن تعاطى ما يؤدي إليه من المعصية كما أن عذاب الاستئصال فى الدنيا نكال.

و المعنى: فأخذ الله فرعون أى عذبه و نكله نكال الآخرة و الأولى و أما عذاب الدنيا فأغراقه و إغراق جنوده، و أما عذاب الآخرة فعذابه بعد الموت، فالمراد بالأولى و الآخرة الدنيا و الآخرة.

و قيل: المراد بالآخرة كلمته الآخرة، «أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى» و بالأولى كلمته الأولى قالها قبل ذلك «مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي» فأخذه الله بهاتين الكلمتين و نكله نكالهما، و لا يخلو هذا المعنى من خفاء.

و قيل: المراد بالأولى تكذيبه و معصيته المذكوران فى أول القصة و بالآخرى كلمه أنا ربكم الأعلى-المذكوره فى آخرها، و هو كسابقه.

و قيل: الأولى أول معاصيه و الأخرى آخرها و المعنى أخذه الله نكال مجموع معاصيه و لا يخلو أيضا من خفاء.

قوله تعالى: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى» الإشاره إلى حديث موسى، و الظاهر أن مفعول «يَخْشَى» منسى معرض عنه، و المعنى أن فى هذا الحديث-حديث موسى- عبره لمن كان له خشيه و كان من غريزته أن يخشى الشقاء و العذاب و الإنسان من غريزته ذلك ففيه عبره لمن كان إنسانا مستقيما الفطره.

و قيل: المفعول محذوف و التقدير لمن يخشى الله و الوجه السابق أبلغ.

قوله تعالى: «أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا»-إلى قوله- «وَلَا نَعْمِكُمْ» خطاب توبيخى للمشركين المنكرين للبعث المستهزئين به على سبيل العتاب و يتضمن الجواب عن استبعادهم البعث بقولهم: «أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً» بأن

الله خلق ما هو أشد منكم خلقا فهو على خلقكم و إنشائكم النشأه الأخرى لقدير.

و يتضمن أيضا الإشاره إلى الحجه على وقوع البعث حيث يذكر التدبير العام العالمى و ارتباطه بالعالم الإنسانى و لازمه ربوبيته تعالى، و لازم الربوبيه صحه النبوه و جعل التكاليف، و لازم ذلك الجزء الذى موطنه البعث و الحشر، و لذا فرع عليه حديث البعث بقوله: «فإذا جاءت الطامه الكبرى» إلخ.

فقوله: «أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ» استفهام توبيخى بداعى رفع استبعادهم البعث بعد الموت، و الإشاره إلى تفصيل خلق السماء بقوله: «بَنَاهَا» إلخ دليل أن المراد به تقرير كون السماء أشد خلقا.

و قوله: «بَنَاهَا» استئناف و بيان تفصيلى لخلق السماء.

و قوله: «رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا» أى رفع سقفها و ما ارتفع منها، و تسويتها ترتيب أجزائها و تركيبها بوضع كل جزء فى موضعه الذى تقتضيه الحكمة كما فى قوله: «فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي»: الحجر: ٢٩.

و قوله: «وَ أَغْطَشَ لَيْلَهَا وَ أَخْرَجَ ضُحَاهَا» أى أظلم ليلها و أبرز نهارها، و الأصل فى معنى الضحى انبساط الشمس و امتداد النهار أريد به مطلق النهار بقربنه المقابله و نسبه الليل و الضحى إلى السماء لأن السبب الأسمى لها سماوى و هو ظهور الأجرام المظلمه بشروق الأنوار السماويه كنور الشمس و غيره و خفاؤها بالاستتار و لا يختص الليل و النهار بالأرض التى نحن عليها بل يعمان سائر الأجرام المظلمه المستنيره.

و قوله: «وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا» أى بسطها و مدها بعد ما بنى السماء و رفع سمكها و سواها و أغطش ليلها و أخرج ضحاها.

و قيل: المعنى و الأرض مع ذلك دحاها كما فى قوله: «عُتِّلُّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ» و قد تقدم كلام فيما يظهر من كلامه تعالى فى خلق السماء و الأرض فى تفسير سوره الم السجده و ذكر بعضهم أن الدحو بمعنى الدحرجه.

و قوله: «أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَ مَرْعَاهَا» قيل: المرعى يطلق على الرعى بالكسر فالسكون و هو الكلاء كما يجىء مصدرا ميميا، و اسم زمان و مكان، و المراد بإخراج مائها منها تفجير العيون و إجراء الأنهار عليها، و إخراج المرعى إنبات النبات عليها

مما يتغذى به الحيوان والإنسان فالظاهر أن المراد بالمرعى مطلق النبات الذى يتغذى به الحيوان والإنسان كما يشعر به قوله: «مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ» لا ما يختص بالحيوان كما هو الغالب فى استعماله.

وقوله: «وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا» أى أثبتها على الأرض لثلا تميد بكم و ادخر فيها المياه و المعادن كما ينبئ عنه سائر كلامه تعالى.

وقوله: «مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ» أى خلق ما ذكر من السماء و الأرض و دبر ما دبر من أمرهما ليكون متاعا لكم و لأنعامكم التى سخرها لكم تتمتعون به فى حياتكم فهذا الخلق و التدبير الذى فيه تمتيعكم يوجب عليكم معرفه ربكم و خوف مقامه و شكر نعمته فهناك يوم تجزون فيه بما عملتم فى ذلك إن خيرا فخييرا و إن شرا فشرا كما أن هذا الخلق و التدبير أشد من خلقكم فليس لكم أن تستبعدوا خلقكم ثانيا و تستصعبوه عليه تعالى.

قوله تعالى: «فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى» فى المجمع، و الطامه العالیه الغالبه يقال: هذا أطم من هذا أى أعلى منه، و طم الطائر الشجره أى علاها و تسمى الداهيه التى لا يستطيع دفعها طامه. انتهى، فالمراد بالطامه الكبرى القيامه لأنها داهيه تعلو و تغلب كل داهيه هائله، و هذا معنى اتصافها بالكبرى و قد أطلقت إطلاقا.

و تصدير الجمله بفاء التفریع للإشاره إلى أن مضمونها أعنى مجىء القيامه من لوازم خلق السماء و الأرض و جعل التدبير الجارى فيهما المترتبه على ذلك كما تقدمت الإشارة إليه.

قوله تعالى: «يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى» ظرف لمجىء الطامه الكبرى، و السعى هو العمل بجد.

قوله تعالى: «وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى» التبريز الإظهار و مفعول «يَرَى» منسى معرض عنه و المراد بمن يرى من له بصر يرى به، و المعنى و أظهرت الجحيم بكشف الغطاء عنها لكل ذى بصر فيشاهدونها مشاهده عيان.

فالأيه فى معنى قوله تعالى: «لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصُرَكَ الْيَوْمَ حَدِيدًا» :ق: ٢٢ غير أن آيه ق أوسع معنى.

و الآيه ظاهره فى أن الجحيم مخلوقه قبل يوم القيامة و إنما تظهر يومئذ ظهورا بكشف الغطاء عنها.

قوله تعالى: «فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ» تفصيل حال الناس يومئذ فى انقسامهم قسمين أقيم مقام الإجمال الذى هو جواب إذا المحذوف استغناء بالتفصيل عن الإجمال، و التقدير فإذا جاءت الطامه الكبرى انقسم الناس قسمين فأما من طغى إلخ.

و قد قسم تعالى الناس فى الآيات الثلاث إلى أهل الجحيم و أهل الجنة- و قدم صفه أهل الجحيم لأن وجه الكلام إلى المشركين - و عزف أهل الجحيم بما وصفهم به فى قوله: «مَنْ طَغَىٰ وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» و قابل تعريفهم بتعريف أهل الجنة بقوله:

«مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ» و سبيل ما وصف به الطائفتين على أى حال سبيل بيان الضابط.

و إذ كانت الطائفتان متقابلتين بحسب حالهما كان ما بين لكل منهما من الوصف مقابلا- لوصف الآخر فوصف أهل الجنة بالخوف من مقام ربهم- و الخوف تأثر الضعيف المقهور من القوى القاهر و خشوعه و خضوعه له- يقتضى كون طغيان أهل الجحيم- و الطغيان التعدى عن الحد- هو عدم تأثرهم من مقام ربهم بالاستكبار و خروجهم عن زى العبوديه فلا يخشعون و لا يخضعون و لا- يجرون على ما أراده منهم و لا- يختارون ما اختاره لهم من السعاده الخالده بل ما تهواه أنفسهم من زينه الحياه الدنيا.

فمن لوازم طغيانهم اختيارهم الحياه الدنيا و هو الذى وصفهم به بعد وصفهم بالطغيان إذ قال: «وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا».

و إذ كان من لوازم الطغيان رفض الآخره و إثارة الحياه الدنيا و هو اتباع النفس فيما تريده و طاعتها فيما تهواه و مخالفته تعالى فيما يريده كان لما يقابل الطغيان من الوصف و هو الخوف ما يقابل الإيثارة و اتباع هوى النفس و هو قريحه الردع عن الإخلاد إلى الأرض و نهى النفس عن اتباع الهوى و هو قوله فى وصف أهل الجنة بعد وصفهم بالخوف: «وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ».

و إنما أخذ فى وصفه النهى عن الهوى دون ترك اتباعه عملا لأن الإنسان ضعيف ربما

ساقته الجهاله إلى المعصيه من غير استكبار و الله واسع المغفره قال تعالى « وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَتَوْا بِمَا عَمِلُوا وَ يُجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى الَّذِينَ يَجْتَبُونَ كِبَائِرَ الْبِائِثِ وَ الْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ »
النجم: ٣٢، و قال: «إِنْ تَجْتَبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ نُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا»: النساء: ٣١.

و يتحصل معنى الآيات الثلاث فى إعطاء الضابط فى صفه أهل الجحيم و أهل الجنة فى أن أهل الجحيم أهل الكفر و الفسوق و أهل الجنة أهل الإيمان و التقوى، و هناك غير الطائفتين طوائف آخر من المستضعفين و الذين اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا و غيرهم أمرهم إلى الله سبحانه عسى أن يشملهم المغفره بشفاعه و غيرها.

فقوله: «فَأَمَّا مَنْ طَغَى - إلى قوله - هِيَ الْمَأْوَى» أى هى مأواه على أن تكون اللام عوضا عن الضمير أو الضمير محذوف و التقدير هى المأوى له.

و قوله: «وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ» إلخ المقام اسم مكان يراد به المكان الذى يقوم فيه جسم من الأجسام و هو الأصل فى معناه ككونه اسم زمان و مصدرا ميميا لكن ربما يعتبر ما عليه الشىء من الصفات و الأحوال محلا و مستقرا للشىء بنوع من العناية فيطلق عليه المقام كالمنزله كما فى قوله تعالى فى الشهاده: «فَأَخْرَجْنَا يَقُومًا مَقَامَهُمَا»: المائدة: ١٠٧ و قول نوح (ع) لقومه على ما حكاه الله: «إِنَّ كَانَ كَبْرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَ تَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ»: يونس: ٧١، و قول الملائكه على ما حكاه الله: «وَ مَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ»:

الصفات: ١٦٤.

فمقامه تعالى المنسوب إليه بما أنه رب هو صفه ربوبيته بما تستلزمه أو تتوقف عليه من صفاته الكريمة كالعلم و القدره المطلقه و القهر و الغلبه و الرحمه و الغضب و ما يناسبها قال إيدانا به: «وَ لَا تَطْعَمُوا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَ مَنْ يَحِلُّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى وَ إِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى»: طه: ٨٢، و قال: «تَبَّيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ»: الحجر: ٥٠.

فمقامه تعالى الذى يخوف منه عباده مرحله ربوبيته التى هى المبدأ لرحمته و مغفرته لمن آمن و اتقى و لأليم عذابه و شديد عقابه لمن كذب و عصى.

و قيل: المراد بمقام ربه مقامه من ربه يوم القيامة حين يسأله عن أعماله و هو كما ترى.

و قيل: معنى خاف مقام ربه خاف ربه بطريق الإقحام كما قيل فى قوله «أَكْرَمِي مَنَؤَاهُ».

ص: ١٩٣

فى الفقيه، وروى على بن مهزيار قال: قلت لأبى جعفر (ع): قوله عز وجل «وَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَ النَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ» وقوله عز وجل: «وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ» وما أشبه هذا؟ فقال إن لله عز وجل أن يقسم من خلقه بما شاء - وليس لخلقه أن يقسموا إلا به.

أقول: وتقدم فى هذا المعنى روايه الكافى، عن محمد بن مسلم عن الباقر (ع) فى تفسير أول سورة النجم.

وفى الدر المنثور، أخرج سعيد بن المنصور و ابن المنذر عن على * فى قوله: «وَ النَّازِعَاتِ غَرْقًا» قال: هى الملائكة تنزع أرواح الكفار «وَ النَّاشِطَاتِ نَشْطًا» هى الملائكة تنشط أرواح الكفار - ما بين الأظفار و الجلد حتى تخرجها «وَ الشَّابِحَاتِ سَبْحًا» هى الملائكة - تسبح بأرواح المؤمنين بين السماء و الأرض «فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا» هى الملائكة - يسبق بعضها بأرواح المؤمنين إلى الله «فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا» قال هى الملائكة - تدبر أمر العباد من السنه إلى السنه.

أقول: ينبغى أن تحمل الروايه - لو صحت - على ذكر بعض المصاديق، و قوله: «تنشط أرواح الكفار ما بين الأظفار و الجلد حتى تخرجها» ضرب من التمثيل لشده العذاب.

وفيه، أخرج ابن أبى حاتم عن على بن أبى طالب * أن ابن الكواء سأله عن «فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا» قال: الملائكة يدبرون ذكر الرحمن و أمره.

وفى تفسير القمى، " فى قوله تعالى: «يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ» قال:

تنشق الأرض بأهلها و الرادفه الصيحه.

وفيه، " فى قوله: «أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ» قال: قالت قريش: أ نرجع بعد الموت؟ و فيه، " فى قوله: «تَلْسُكُ إِذَا كَرَّهَ حَاسِرَةٌ» قال: قالوا هذه على حد الاستهزاء.

وفيه، فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر (ع) * قوله: «أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ» يقول: فى الخلق الجديد، و أما قوله: «فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ» و الساهره الأرض - كانوا فى القبور فلما سمعوا الزجره خرجوا من قبورهم - فاستوتوا على الأرض.

و فى أصول الكافى، بإسناده إلى داود الرقى عن أبى عبد الله (ع) *فى قول الله عز و جل:

« وَ لَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ، قال: من علم أن الله يراه و يسمع ما يقول-و يعلم ما يعمله من خير أو شر-فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال-فذلك الذى خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى.

أقول: يؤيد الحديث ما تقدم من معنى الخوف من مقامه تعالى.

و فيه، بإسناده عن يحيى بن عقيل قال: *قال أمير المؤمنين (ع): إنما أخاف عليكم الا-ثنين: اتباع الهوى و طول الأمل-أما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق-و أما طول الأمل فينسى الآخرة.

[سوره النازعات (٧٩): الآيات ٤٢ الى ٤٦]

اشاره

يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُسْتَهْزِئًا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا (٤٥) كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوَّبُهَا لَمْ يَلْبُتُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦)

بيان

تعرض لسؤالهم عن وقت قيام الساعة و رد له بأن علمه ليس لأحد إلا الله فقد خصه بنفسه.

قوله تعالى: «يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا» الظاهر أن التعبير يسألونك لإفاده الاستمرار فقد كان المشركون بعد ما سمعوا حديث القيامة يراجعون النبى ص و يسألونه أن يعين لهم وقتها مصرين على ذلك و قد تكرر فى القرآن الكريم الإشاره إلى ذلك.

و المرسى مصدر ميمى بمعنى الإثبات و الإقرار و قوله: «أَيَّانَ مُرْسَاهَا» بيان للسؤال و المعنى يسألك هؤلاء المنكرون للساعة المستهزءون به عن الساعة متى إثباتها و إقرارها؟ أى متى تقوم القيامة؟ قوله تعالى: «فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا» استفهام إنكارى و «فِيمَ أَنْتَ» مبتدأ و خبر، و «مِنْ» لاابتداء الغايه، و الذكرى كثره الذكر و هو أبلغ من الذكر على ما ذكره الراغب.

و المعنى فى أى شىء أنت من كثره ذكر الساعه أى ما ذا يحصل لك من العلم بوقتها من ناحيه كثره ذكرها و بسبب ذلك أى لست تعلمها بكثره ذكرها.

أو الذكري بمعنى حضور حقيقه معنى الشىء فى القلب، و المعنى -على الاستفهام الإنكارى- لست فى شىء من العلم بحقيقتها و ما هى عليه حتى تحيط بوقتها و هو أنسب من المعنى السابق.

و قيل: المعنى ليس ذكرها مما يرتبط ببعثتك إنما بعثت لتنذر من يخشاها.

و قيل: «فِيمَ» إنكار لسؤالهم، و قوله: «أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا» استئناف و تعليل لإنكار سؤالهم، و المعنى فيم هذا السؤال إنما أنت من ذكرى الساعه لاتصال بعثتك بها و أنت خاتم الأنبياء، و هذا المقدار من العلم يكفيهم،

و هو قوله (ص) فيما روى: «بعثت أنا و الساعه كهاتين إن كادت لتسبقنى».

و قيل: الآية من تمام سؤال المشركين خاطبوا به النبى ص و المعنى ما الذى عندك من العلم بها و بوقتها؟ أو ما الذى حصل لك و أنت تكثر ذكرها.

و أنت خبير بأن السياق لا يلائم شيئا من هذه المعانى تلك الملاءمه، على أنها أو أكثرها لا تخلو من تكلف.

قوله تعالى: «إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا» فى مقام التعليل لقوله: «فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا» و المعنى لست تعلم وقتها لأن انتهاءها إلى ربك فلا يعلم حقيقتها و صفاتها و منها تعين الوقت إلا ربك فليس لهم أن يسألوا عن وقتها و ليس فى وسعك أن تجيب عنها.

و ليس من البعيد -و الله أعلم- أن تكون الآية فى مقام التعليل بمعنى آخر و هو أن الساعه تقوم بفناء الأشياء و سقوط الأسباب و ظهور أن لا ملك إلا لله الواحد القهار فلا ينتسب اليوم إلا إليه تعالى من غير أن يتوسط بالحقيقه بينه تعالى و بين اليوم أى سبب مفروض و منه الزمان فليس يقبل اليوم توقيتا بحسب الحقيقه.

و لذا لم يرد فى كلامه تعالى من التحديد إلا تحديد اليوم بانقراض نشأه الدنيا كقوله:

«وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ»: الزمر: ٦٨ و ما فى معناه من الآيات الداله على خراب الدنيا بتبدل الأرض و السماء و انتشار الكواكب و غير ذلك.

و إلا تحديده بنوع من التمثيل و التشبيه كقوله تعالى: «كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا»، و قوله: «كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ»:

الأحقاف: ٣٥، وقوله: «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ» ثم ذكر حق القول في ذلك فقال: «وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ»: الروم: ٥٦.

و يلوح إلى ما مر ما فى مواضع من كلامه أن الساعه لا تأتى إلا بغيته، قال تعالى:

«ثَقُلْتُ فِي السَّمَاءِ آوَاتٍ وَالْأَرْضِ لِأَنَّ تَأْتِيَكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْتُلُونَكُمْ كَمَا نَكَحَتْ حَفِيَّتِي عَنْهَا قُلْتُ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»: الأعراف: ١٨٧ إلى غير ذلك من الآيات.

و هذا وجه عميق يحتاج فى تمامه إلى تدبر واف ليرتفع به ما يتراءى من مخالفته لظواهر عدده من آيات القيامة و عليك بالتدبر فى قوله تعالى: «لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَ كَفَبَصِيرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ»: ق: ٢٢ و ما فى معناه من الآيات و الله المستعان.

قوله تعالى: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا» أى إنما كلفناك بإنذار من يخشى الساعه دون الإخبار بوقت قيام الساعه حتى تجيبهم عن وقتها إذا سألوك عنه فالقصر فى الآيه قصر أفراد بقصر شأنه (ص) فى الإنذار و تنفى عنه العلم بالوقت و تعيينه لمن يسأل عنه. و المراد بالخشيته على ما يناسب المقام الخوف منها إذا ذكر بها أى شأنه الخشيته لا فعليتها قبل الإنذار.

قوله تعالى: «كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا- عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا» بيان لقرب الساعه بحسب التمثيل و التشبيه بأن قرب الساعه من حياتهم الدنيا بحيث مثلهم حين يرونها مثلهم لو لبثوا بعد حياتهم فى الأرض عشيه أو ضحى تلك العشيه أى وقتا نسبته إلى نهار واحد نسبه العشيه إلى ما قبلها منه أو نسبه الضحى إلى ما قبله منه.

و قد ظهر بما تقدم أن المراد باللبث لبث ما بين الحياه الدنيا و البعث أى لبثهم فى القبور لأن الحساب يقع على مجموع الحياه الدنيا.

وقيل: المراد به اللبث بين حين سؤالهم عن وقتها و بين البعث و فيه أنهم إنما يشاهدون لبثهم على هذه الصفه عند البعث و البعث الذى هو الإحياء بعد الموت إنما نسبته إلى الموت الذى قبله دون مجموع الموت و بعض الحياه التى بين زمان السؤال عن الوقت و زمان الموت.

على أنه لا- يلائم ظواهر سائر الآيات المتعرضه للبعث قبل البعث كقوله تعالى «قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ» المؤمنون: ١١٢.

وقيل: المراد باللبث اللبث فى الدنيا و هو سخيّف.

في تفسير القمي، "وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ - فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ" قال: هو العبد إذا وقف على معصية الله - و قدر عليها ثم تركها مخافة الله و نهى الله - و نهى النفس عنها فمكافاته الجنة، قوله «يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا» قال:

متى تقوم؟ فقال الله: «إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا» أي علمها عند الله، قوله «كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُفُونَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا» قال: بعض يوم.

و في الدر المنثور، أخرج ابن أبي حاتم و ابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عباس قال *:

إن مشركي مكة سألو النبي ص فقالوا: متى تقوم الساعة استهزاء منهم - فنزلت «يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا» الآيات.

و فيه، أخرج البزار و ابن جرير و ابن المنذر و الحاكم و صححه و ابن مردويه عن عائشه قالت * : ما زال رسول الله يسأل عن الساعة - حتى أنزل عليه «فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا» إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا» فلم يسأل عنها.

أقول: و رواه أيضا عن عده من أصحاب الكتب عن عروه مرسلًا، و رواه أيضا عن عده منهم عن شهاب بن طارق عن النبي ص: مثله

، و السياق لا يلائم كونه جوابا عن سؤال النبي ص.

و في بعض الروايات: كانت الأعراب إذا قدموا على النبي ص - سألوه عن الساعة - فينظر إلى أحدث إنسان فيهم فيقول: إن يعش هذا قرنا قامت عليكم ساعتكم:

رواها في الدر المنثور، عن ابن مردويه عن عائشه .

و هي من التوقيت الذي يجلب عنه ساحه النبي ص و قد أوحى إليه في كثير من السور القرآنيه سيما المكيه أن علم الساعة يختص به تعالى لا يعلمه إلا هو و أمر أن يجيب من سأله عن وقتها بنفى العلم به عن نفسه.

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَ تَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يَزَكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنْ إِسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّى (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَ هُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦)

بيان

وردت الروايات من طرق أهل السنه أن الآيات نزلت في قصه ابن أم مكتوم الأعمى دخل على النبي ص و عنده قوم من صناديد قريش يناجيهم في أمر الإسلام فعبس النبي عنه فعاتبه الله تعالى بهذه الآيات و في بعض الأخبار من طرق الشيعة إشاره إلى ذلك.

و في بعض روايات الشيعة أن العابس المتولى رجل من بنى أميه كان عند النبي ص فدخل عليه ابن أم مكتوم فعبس الرجل و قبض وجهه فنزلت الآيات: و سيوافيك تفصيل البحث عن ذلك في البحث الروائي التالي إن شاء الله تعالى.

و كيف كان الأمر فغرض السوره عتاب من يقدم الأغنياء و المترفين على الضعفاء و المساكين من المؤمنين فيرفع أهل الدنيا و يضع أهل الآخرة ثم ينجر الكلام إلى الإشاره إلى هوان أمر الإنسان في خلقه و تناهيه في الحاجه إلى تدبير أمره و كفره مع ذلك بنعم ربه و تدبيره العظيم لأمره و تتخلص إلى ذكر بعثه و جزائه إنذارا و السوره مكيه بلا كلام.

قوله تعالى: «عَبَسَ وَ تَوَلَّى» أي بسر و قبض وجهه و أعرض.

قوله تعالى: «أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى» تعليل لما ذكر من العبوس بتقدير لام التعليل.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ حال من فاعل «عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ» والمراد بالتركي التطهر بعمل صالح بعد التذكر الذي هو الاتعاظ و الانتباه للاعتقاد الحق، ونفع الذكرى هو دعوتها إلى التركي بالإيمان والعمل الصالح.

و محصل المعنى: بسر و أعرض عن الأعمى لما جاءه و الحال أنه ليس يدري لعل الأعمى الذي جاءه يتطهر بصالح العمل بعد الإيمان بسبب مجيئه و تعلمه و قد تذكر قبل أو يتذكر بسبب مجيئه و اتعاظه بما يتعلم فتنفعه الذكرى فيتطهر.

و في الآيات الأربع عتاب شديد و يزيد شدة بإتيان الآيتين الأوليين في سياق الغيبة لما فيه من الإعراض عن المشافهه و الدلاله على تشديد الإنكار و إتيان الآيتين الأخيرتين في سياق الخطاب لما فيه من تشديد التوبيخ و إلزام الحجه بسبب مواجهه بعد الإعراض و التقرير من غير واسطه.

و في التعبير عن الجائي بالأعمى مزيد توبيخ لما أن المحتاج الساعى في حاجته إذا كان أعمى فاقدا للبصر و كانت حاجته في دينه دعتة إلى السعى فيها خشيه الله كان من الحرى أن يرحم و يخص بمزيد الإقبال و التعطف لا أن ينقبض و يعرض عنه.

و قيل-بناء على كون المراد بالمعاتب هو النبى ص:- أن في التعبير عنه أولا- بضمير الغيبه إجلالا- له لإيهام أن من صدر عنه العبوس و التولى غيره(ص)لأنه لا يصدر مثله عن مثله،و ثانيا بضمير الخطاب إجلالا له أيضا لما فيه من الإيناس بعد الإيحاش و الإقبال بعد الإعراض.

و فيه أنه لا يلائمه الخطاب في قوله بعد: ﴿أَمَّا مَنْ اسْتِغْنَىٰ فَأَنَّتْ لَهُ تَصَدَّىٰ﴾ إلخ و العتاب و التوبيخ فيه أشد مما في قوله: ﴿عَبَسَ وَ تَوَلَّىٰ﴾ إلخ و لا إيناس فيه قطعا.

قوله تعالى: ﴿أَمَّا مَنْ اسْتِغْنَىٰ فَأَنَّتْ لَهُ تَصَدَّىٰ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ الغنى و الاستغناء و التغنى و التغنى بمعنى على ما ذكره الراغب فالمراد بمن استغنى من تلبس بالغنى و لازمه التقدم و الرئاسه و العظمه في أعين الناس و الاستكبار عن اتباع الحق قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ العلق: ٧ و التصدى التعرض للشىء بالإقبال عليه و الاهتمام بأمره.

و في الآيه إلى تمام ست آيات إشاره إلى تفصيل القول في ملاك ما ذكر من العبوس و التولى فعوتب عليه و محصله أنك تعتنى و تقبل على من استغنى و استكبر عن اتباع الحق

و ما عليك ألا يزكى و تلهى و تعرض عنم يجتهد في التزكى و هو يخشى.

و قوله: «وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزُكِّيَ» قيل: «مَا» نافية و المعنى و ليس عليك بأس أن لا يتركى حتى يبعثك الحرص على إسلامه إلى الإعراض و التلهى عنم أسلم و الإقبال عليه.

و قيل: «مَا» للاستفهام الإنكارى و المعنى و أى شىء يلزمك أن لم يتطهر من الكفر و الفجور فإنما أنت رسول ليس عليك إلا البلاغ.

و قيل: المعنى و لا تبالى بعدم تطهره من دنس الكفر و الفجور و هذا المعنى أنسب لسياق العتاب ثم الذى قبله ثم الذى قبله.

قوله تعالى: «وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ وَهُوَ يَخْشَىٰ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ» السعى الإسراع فى المشى فمعنى قوله: «وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ» بحسب ما يفيد المقام: و أما من جاءك مسرعا ليتذكر و يتركى بما يتعلم من معارف الدين.

و قوله: «وَهُوَ يَخْشَىٰ» أى يخشى الله و الخشية آية التذكر بالقرآن قال تعالى: «مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَىٰ» طه: ٣ و قال: «سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَىٰ»: الأعلى: ١٠.

و قوله: «فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ» أى تلهى و تتشاغل بغيره و تقديم ضمير أنت فى قوله:

«فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ» و قوله: «فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ» و كذا الضميرين «لَهُ» و «عَنْهُ» فى الآيتين لتسجيل العتاب و توبيخه.

قوله تعالى: «كَلَّا إِنَّهَا تَذَكَّرَ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ» كَلَّا ردع عما عوتب عليه من العبوس و التولى و التصدى لمن استغنى و التلهى عنم يخشى.

و الضمير فى «إِنَّهَا تَذَكَّرَ» للآيات القرآنية أو للقرآن و تأنيث الضمير لتأنيث الخبر و المعنى أن الآيات القرآنية أو القرآن تذكره أى موعظه يتعظ بها من اعظ أو مذكر يذكر حق الاعتقاد و العمل.

و قوله: «فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ» جملة معترضه و الضمير للقرآن أو ما يذكر به القرآن من المعارف، و المعنى فمن شاء ذكر القرآن أو ذكر ما يذكر به القرآن و هو الانتقال إلى ما تهدى إليه الفطره مما تحفظه فى لوحها من حق الاعتقاد و العمل.

و فى التعبير بهذا التعبير: «فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ» تلويح إلى أن لا- إكراه فى الدعوه إلى التذكر فلا نفع فيها يعود إلى الداعى و إنما المنتفع بها المتذكر فليختر ما يختاره.

قوله تعالى: «فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ» قال في المجمع: الصحف جمع صحيفه، والعرب تسمى كل مكتوب فيه صحيفه كما تسميه كتابا رقا كان أو غيره انتهى.

و«فِي صُحُفٍ» خبر بعد خبر لأن و ظاهره أنه مكتوب في صحف متعدده بأيدي ملائكه الوحي، وهذا يضعف القول بأن المراد بالصحف اللوح المحفوظ و لم يرد في كلامه تعالى إطلاق الصحف و لا- الكتب و لا- الألواح بصيغه الجمع على اللوح المحفوظ، ونظيره في الضعف القول بأن المراد بالصحف كتب الأنبياء الماضين لعدم ملاءمته لظهور قوله:

«بِأَيْدِي سَفَرَةٍ» إلخ في أنه صفة لصفح.

و قوله: «مُكْرَمَةٍ» أى معظمه، وقوله: «مَرْفُوعَةٍ» أى قدرا عند الله، وقوله:

«مُطَهَّرَةٍ» أى من قذاره الباطل و لغو القول و الشك و التناقض قال تعالى: «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ»: حم السجده: ٤٢، وقال: «إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ وَ مَا هُوَ بِالْهَزْلِ»: الطارق: ١٤ و قال: «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ»: البقره: ٢، وقال: «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا»: النساء: ٨٢.

قوله تعالى: «بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كَرَامٍ بَرَرَةٍ» صفة بعد صفة لصفح، و السفره هم السفراء جمع سفير بمعنى الرسول و «كِرَامٍ» صفة لهم باعتبار ذواتهم و «بَرَرَةٍ» صفة لهم باعتبار عملهم و هو الإحسان فى الفعل.

و معنى الآيات أن القرآن تذكره مكتوبه فى صحف متعدده معظمه مرفوعه قدرا مطهرا من كل دنس و قذاره بأيدي سفراء من الملائكه كرام على ربهم بطهاره ذواتهم برره عنده تعالى بحسن أعمالهم.

و يظهر من الآيات أن للوحى ملائكه يتصدون لحمل الصحف و إحياء ما فيها من القرآن فهم أعوان جبريل و تحت أمره و نسبه إلقاء الوحى إليهم لا- تنافى نسبه إلى جبريل فى مثل قوله: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَيَّ قَلْبِكَ»: الشعراء: ١٩٤ و قد قال تعالى فى صفته:

«إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ»: التكويز: ٢١ فهو مطاع من الملائكه من يصدر عن أمره و يأتى بما يريد و الإحياء الذى هو فعل أعوانه فعله كما أن فعله و فعلهم جميعا فعل الله و ذلك نظير كون التوفى الذى هو فعل أعوان ملك الموت فعله، و فعله و فعلهم جميعا فعل الله تعالى، و قد تقدمت الإشارة إلى هذا البحث مرارا.

و قيل: المراد بالسفره الكتاب من الملائكه، و الذى تقدم من المعنى أجلى و قيل: المراد بهم القراء يكتبونها و يقرءونها و هو كما ترى.

فى المجمع، قيل: "نزلت الآيات فى عبد الله بن أم مكتوم-و هو عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعه الفهرى-من بنى عامر بن لؤى.

و ذلك أنه أتى رسول الله ص-و هو يناجى عتبه بن ربيعه و أبا جهل بن هشام- و العباس بن عبد المطلب و أبا-و أميه بن خلف يدعوهم إلى الله و يرجو إسلامهم-فقال:

يا رسول الله أفرئتى-و علمنى مما علمك الله-فجعل يناديه و يكرر النداء-ولا يدرى أنه مشغل مقبل على غيره-حتى ظهرت الكراهه فى وجه رسول الله ص لقطعه كلامه-و قال فى نفسه:يقول هؤلاء الصناديد-إنما أتباعه العميان و العبيد فأعرض عنه-و أقبل على القوم الذين كان يكلمهم فنزلت الآيات.

و كان رسول الله بعد ذلك يكرمه،و إذا رآه قال:مرحبا بمن عاتبنى فيه ربي، و يقول له:هل لك من حاجه؟و استخلفه على المدينه مرتين فى غزوتين.

أقول:روى السيوطى فى الدر المنثور القصة عن عائشه و أنس و ابن عباس على اختلاف يسير و ما أورده الطبرسى محصل الروايات.

و ليست الآيات ظاهره الدلاله على أن المراد بها هو النبى ص بل خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه بل فيها ما يدل على أن المعنى بها غيره لأن العبوس ليس من صفات النبى ص مع الأعداء المبائين فضلا عن المؤمنين المسترشدين.ثم الوصف بأنه يتصدى للأغنياء و يتلهى عن الفقراء لا يشبه أخلاقه الكريمه كما عن المرتضى رحمه الله.

و قد عظم الله خلقه(ص) إذ قال-و هو قبل نزول هذه السوره:-«وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ» و الآيه واقعه فى سوره«ن»التي اتفقت الروايات المبينه لترتيب نزول السور على أنها نزلت بعد سوره اقرأ باسم ربك،فكيف يعقل أن يعظم الله خلقه فى أول بعثته و يطلق القول فى ذلك ثم يعود فيعاتبه على بعض ما ظهر من أعماله الخلقيه و يذمه بمثل التصدى للأغنياء و إن كفروا و التلهى عن الفقراء و إن آمنوا و استرشدوا.

و قال تعالى أيضا: «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» الشعراء:٢١٥ فأمره بخفض الجناح للمؤمنين و السوره من السور المكيه و الآيه فى سياق قوله:«وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»النازل فى أوائل الدعوه.

و كذا قوله: «لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ» :الحجر: ٨٨ و فى سياق الآيه قوله: «فَاضِدْعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ» :الحجر: ٩٤ النازل فى أول الدعوه العلنيه فكيف يتصور منه(ص)العبوس و الإعراض عن المؤمنين و قد أمر باحترام إيمانهم و خفض الجناح و أن لا يمد عينيه إلى دنيا أهل الدنيا.

على أن قبح ترجيح غنى الغنى-و ليس ملاكا لشيء من الفضل-على كمال الفقير و صلاحه بالعبوس و الإعراض عن الفقير و الإقبال على الغنى لغناه قبح عقلى مناف لكريم الخلق الإنسانى لا يحتاج فى لزوم التجنب عنه إلى نهى لفظى.

و بهذا و ما تقدمه يظهر الجواب عما قيل: إن الله سبحانه لم ينهه(ص)عن هذا الفعل إلا فى هذا الوقت فلا يكون معصيه منه إلا بعده و أما قبل النهى فلا.

و ذلك أن دعوى أنه تعالى لم ينهه إلا فى هذا الوقت تحكم ممنوع، و لو سلم فالعقل حاكم بقبحه و معه ينافى صدوره كريمة الخلق و قد عظم الله خلقه(ص)قبل ذلك إذ قال:

« وَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » و أطلق القول، و الخلق ملكه لا تتخلف عن الفعل المناسب لها.

و عن الصادق(ع)-على ما فى المجمع: -أنها نزلت فى رجل من بنى أميه-كان عند النبى ص فجاء ابن أم مكتوم-فلما رآه تقدر منه و جمع نفسه و عبس-و أعرض بوجهه عنه-فحكى الله سبحانه ذلك و أنكره عليه.

و فى المجمع، و روى عن الصادق(ع)أنه قال: كان رسول الله ص إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم قال: مرحبا مرحبا و الله لا يعاتبني الله فيك أبدا، و كان يصنع به من اللطف-حتى كان يكف عن النبى ص مما يفعل به.

أقول:الكلام فيه كالكلام فيما تقدمه، و معنى قوله:حتى أنه كان يكف«إلخ»أنه كان يكف عن الحضور عند النبى ص لكثرة صنيعه(ص)به انفعالا منه و خجلا.

إشاره

قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَى شَىءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢) فَإِذَا جَاءَتِ الصَّائِحَةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفٰجِرَةُ (٤٢)

بيان

دعاء على الإنسان و تعجيب من مبالغته فى الكفر بربوبيه ربه و إشاره إلى أمره حدوثا و بقاء فإنه لا يملك لنفسه شيئا من خلق و تدبير بل الله سبحانه هو الذى خلقه من نطفه مهينه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره فهو سبحانه ربه الخالق له المدبر لأمره مطلقا و هو فى مدى وجوده لا يقضى ما أمره به ربه و لا يهتدى بهداه.

و لو نظر الإنسان إلى طعامه فقط و هو مظهر واحد من مظاهر تدبيره و غرفه من بحار رحمته رأى من وسيع التدبير و لطيف الصنع ما يبهر عقله و يدهش لبه و وراء ذلك نعم لا تعدو- إن تعدوا نعمه الله لا تحصوها-

فستره تدبير ربه و تركه شكر نعمته عجيب و إن الإنسان لظلوم كفار و سيرون تبعه شكرهم و كفرهم من السرور و الاستبشار أو الكآبه و سواد الوجه.

و الآيات- كما ترى- لا تأبى الاتصال بما قبلها سياقاً واحداً و إن قال بعضهم إنها نزلت لسبب آخر كما سيجىء.

قوله تعالى: «قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ» دعاء على الإنسان لما أن في طبعه التوغل في اتباع الهوى و نسيان ربوبيه ربه و الاستكبار عن اتباع أوامره.

و قوله «مَا أَكْفَرَهُ» تعجب من مبالغه في الكفر و ستر الحق الصريح و هو يرى أنه مدبر بتدبير الله لا يملك شيئاً من تدبير أمره غيره تعالى.

فالمراد بالكفر مطلق ستر الحق و ينطبق على إنكار الربوبيه و ترك العباده و يؤيده ما في ذيل الآيه من الإشاره إلى جهات من التدبير الربوبي المتناسبه مع الكفر بمعنى ستر الحق و ترك العباده، و قد فسر بعضهم الكفر بترك الشكر و كفران النعمه و هو و إن كان معنى صحيحاً في نفسه لكن الأنسب بالنظر إلى السياق هو المعنى المتقدم.

قال في الكشاف: «قَتَلَ الْإِنْسَانَ» دعاء عليه و هي من أشنع دعواتهم لأن القتل قصارى شدائد الدنيا و فظائعها و «مَا أَكْفَرَهُ» تعجب من إفراطه في كفران نعمه الله و لا ترى أسلوباً أغلظ منه، و لا - أخشن مساء، و لا أدل على سخط، و لا أبعد شوطاً في المذمه مع تقارب طرفيه، و لا أجمع للأئمه على قصر متنه، انتهى.

و قيل جملة «مَا أَكْفَرَهُ» استفهاميه و المعنى ما هو الذي جعله كافراً، و الوجه المتقدم أبلغ.

قوله تعالى: «مِنْ أَى شَيْءٍ خَلَقَهُ» معناه على ما يعطيه المقام من أى شىء خلق الله الإنسان حتى يحق له أن يطغى و يستكبر عن الإيمان و الطاعه، و حذف فاعل قوله:

«خَلَقَهُ» و ما بعده من الأفعال للإشعار بظهوره فمن المعلوم بالفطره - و قد اعترف به المشركون - أن لا خالق إلا الله تعالى.

و الاستفهام بداعى تأكيد ما في قوله: «مَا أَكْفَرَهُ» من العجب - و العجب إنما هو فى الحوادث التى لا يظهر لها سبب - فأفيد أولاً: أن من العجب إفراط الإنسان فى كفره ثم سئل ثانياً: هل فى خلقته إذ خلقه الله ما يوجب له الإفراط فى الكفر فأجيب بنفيه و أن لا حجه له يحتج بها و لا عذر يعتذر به فإنه مخلوق من ماء مهين لا يملك شيئاً من خلقته و لا من تدبير أمره فى حياته و مماته و نشره، و بالجملة الاستفهام توطئه للجواب الذى فى قوله: «مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ» إلخ.

قوله تعالى: «مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ» تنكير «نُطْفَةٍ» للتحقير أى من نطفه مهينه حقيره خلقه فلا يحق له و أصله هذا الأصل أن يطغى بكفره و يستكبر عن الطاعه.

و قوله «فَقَدَرَهُ» أى أعطاه القدر فى ذاته و صفاته و أفعاله فليس له أن يتعدى الطور

الذى قدر له و يتجاوز الحد الذى عين له فقد أحاط به التدبير الربوبى من كل جانب ليس له أن يستقل بنيل ما لم يقدر له.

قوله تعالى: «ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ» ظاهر السياق المقصود به نفى العذر من الإنسان فى كفره و استكباره أن المراد بالسبيل -و قد أطلق- السبيل إلى طاعه الله و امتثال أوامره و إن شئت فقل: السبيل إلى الخير و السعادة.

فتكون الآيه فى معنى دفع الدخل فإنه إذا قيل: «مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ» أمكن أن يتوهم السامع أن الخلق و التقدير إذا كانا محيطين بالإنسان من كل جهه كانت أفعال الإنسان لذاته و صفاته مقدره مكتوبه و متعلقه لمشيه الربوبيه التى لا تتخلف فتكون أفعال الإنسان ضروريه الثبوت واجبه التحقق و الإنسان مجبرا عليها فاقدا للاختيار فلا صنع للإنسان فى كفره إذا كفر و لا فى فسقه إذا فسق و لم يقض ما أمره الله به و إنما ذلك بتقديره تعالى و إرادته فلا ذم و لا لائمه على الإنسان و لا دعوه دينيه تتعلق به لأن ذلك كله فرع للاختيار و لا اختيار.

فدفع الشبهه بقوله: «ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ» و محصله أن الخلق و التقدير لا ينافيان كون الإنسان مختارا فيما أمر به من الإيمان و الطاعه له طريق إلى السعادة التى خلق لها فكل ميسر لما خلق له و ذلك أن التقدير واقع على الأفعال الإنسانيه من طريق اختياره، و الإراده الربوبيه متعلقه بأن يفعل الإنسان بإرادته و اختياره كذا و كذا فالفعل صادر عن الإنسان باختياره و هو بما أنه اختيارى متعلق للتقدير.

فالإنسان مختار فى فعله مسئول عنه و إن كان متعلقا للقدر، و قد تقدم البحث عن هذا المعنى كرارا فى ذيل الآيات المناسبه له فى هذا الكتاب.

و قيل: المراد بتيسير السبيل تسهيل خروج الإنسان من بطن أمه و المعنى ثم سهل للإنسان سبيل الخروج و هو جنين مخلوق من نطفه.

و قيل: المراد الهدايه إلى الدين و تبين طريق الخير و الشر كما قال: «وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ» البلد: ١٠ و الوجه المتقدم أوجه.

قوله تعالى: «ثُمَّ أَلَمَّا تَهُ فَاقْبَرَهُ» الإماتة إيقاع الموت على الإنسان، و المراد بالإقبار دفنه فى القبر و إخفاؤه فى بطن الأرض و هذا بالبناء على الغالب الذى جرى عليه ديدن الناس و بهذه المناسبه نسب إليه تعالى لأنه تعالى هو الذى هداهم إلى ذلك و ألهمهم إياه

فللفعل نسبه إليه كما له نسبه إلى الناس.

وقيل: المراد بالإقبار جعله ذا قبر ومعنى جعله ذا قبر أمره تعالى بدفنه تكرمه له لتتوارى جيفته فلا يتأذى بها الناس ولا يتنفروا.

و الوجه المتقدم أنسب لسياق الآيات المسرود لتذكير تدييره تعالى التكويني للإنسان دون التدبير التشريعي الذي عليه بناء هذا الوجه.

قوله تعالى: «ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ» في المجمع: الإنشاز الإحياء للتصرف بعد الموت كنشر الثوب بعد الطي. انتهى، فالمراد به البعث إذا شاء الله، وفيه إشارة إلى كونه بغته لا يعلمه غيره تعالى.

قوله تعالى: «كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ» الذي يعطيه السياق أن «كَلَّا» ردع عن معنى سؤال يستدعيه السياق و يلوح إليه قوله: «لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ» كأنه لما أشير إلى أن الإنسان مخلوق مدبر له تعالى من أول وجوده إلى آخره من خلق و تقدير و تيسير للسبيل و إمامته و إقبار و إنشاز و كل ذلك نعمه منه تعالى سئل فقيل: فما ذا صنع الإنسان و الحال هذه الحال و هل خضع للربوبية أو هل شكر النعمة فأجيب و قيل: كلا، ثم أوضح فقيل:

لما يقض ما أمره الله به بل كفر و عصى.

فقد ظهر مما تقدم أن ضمير «يَقْضِ» للإنسان و المراد بقضائه إتيانه بما أمر الله به، و قيل: الضمير لله تعالى و المعنى لما يقض الله لهذا الكافر أن يأتي بما أمره به من الإيمان و الطاعة بل إنما أمره بما أمر إتماما للحججه، و هو بعيد.

و ظهر أيضا أن ما في الآيات من الالتماس و اللاتمه إنما هو للإنسان بما في طبعه من الإفراط في الكفر كما في قوله: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ»: إبراهيم: ٣٤ فينطبق على من تلبس بالكفر و أفرط فيه بالعناد و منه يظهر عدم استقامه ما نقل عن بعضهم أن الآية على العموم في الكافر و المسلم لم يعبد أحد حق عبادته.

و ذلك أن الضمير للإنسان المذكور في صدر الآيات بما في طبعه من داعيه الإفراط في الكفر و ينطبق على من تلبس به بالفعل.

قوله تعالى: «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ» متفرع على ما تقدم تفرع التفصيل على الإجمال ففيه توجيه نظر الإنسان إلى طعامه الذي يقتات به و يستمد منه لبقائه و هو واحد مما لا يحصى مما هيأه التدبير الربوبي لرفع حوائجه في الحياة حتى يتأمله فيشاهد سعه

التدبير الربوبى التى تدهش لبه و تحير عقله، و تعلق العناية الإلهيه-على دقتها و إحاطتها- بصلاح حاله و استقامه أمره.

و المراد بالإنسان- كما قيل- غير الإنسان المتقدم المذكور فى قوله: «قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ» فإن المراد به خصوص الإنسان المبالغ فى الكفر بخلاف الإنسان المذكور فى هذه الآيه المأمور بالنظر فإنه عام شامل لكل إنسان، و لذلك أظهر و لم يضم.

قوله تعالى: «أَنَا صَيِّبْنَا الْمَاءَ صَيِّبًا» -إلى قوله- «وَلَا تَعْمَأْمِكُمْ» القراءه الدائره «أَنَا» بفتح الهمزه و هو بيان تفصيلى لتدبيره تعالى طعام الإنسان نعم هو مرحله ابتدائيه من التفصيل و أما القول المستوفى لبيان خصوصيات النظام الذى هيا له هذه الأمور و النظام الواسع الجارى فى كل من هذه الأمور و الروابط الكونيه التى بين كل واحد منها و بين الإنسان فمما لا يسعه نطاق البيان عاده.

و بالجملة قوله: «أَنَا صَيِّبْنَا الْمَاءَ صَيِّبًا» الصب إراقه الماء من العلو، و المراد بصب الماء إنزال الأمطار على الأرض لإنبات النبات، و لا يبعد أن يشمل إجراء العيون و الأنهار فإن ما فى بطن الأرض من ذخائر الماء إنما يتكون من الأمطار.

و قوله: «ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا» ظاهره شق الأرض بالنبات الخارج منها و لذا عطف على صب الماء بثم و عطف عليه إنبات الحب بالفاء.

و قوله: «فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا» ضمير «فِيهَا» للأرض، و المراد بالحب جنس الحب الذى يقتات به الإنسان كالحنطه و الشعير و نحوهما و كذا فى العنب و القضب و غيرهما.

و قوله: «وَ عِنَبًا وَقَضْبًا» العنب معروف، و يطلق على شجر الكرم و لعله المراد فى الآيه و نظيره الزيتون.

و القضب هو الغض الرطب من البقول الذى يأكله الإنسان يقضب أى يقطع مره بعد أخرى، و قيل: هو ما يقطع من النبات فتعلف به الدواب.

و قوله: «وَ زَيْتُونًا وَ نَخْلًا» معروفان.

و قوله: «وَ حَدَائِقَ غُلْبًا» الحدائق جمع حديقته و هى على ما فسر البستان المحوط و الغلب جمع غلباء يقال: شجره غلباء أى عظيمه غليظه فالحدائق الغلب البساتين المشتمله على أشجار عظام غلاظ.

وقوله: «وَفَاكِهَةً وَأَبًّا» قيل: الفاكهة مطلق الثمار، وقيل: ما عدا العنب و الرمان. قيل: إن ذكر ما يدخل في الفاكهة أولا كالزيتون و النخل للاعتناء بشأنه و الأب الكلاء و المرعى.

وقوله: «مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ» مفعول له أى أنبتنا ما أنبتنا مما تطعمونه ليكون متميعا لكم و للأنعام التى خصصتموها بأنفسكم.

و الالتفات عن الغيبة إلى الخطاب فى الآيه لتأكيد الامتنان بالتدبير أو بإنعام النعمه.

قوله تعالى: «فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ» إشاره إلى ما ينتهى إليه ما ذكر من التدبير العام الربوبى للإنسان بما أن فيه أمرا ربوبيا إلهيا بالعبودية يقضيه الإنسان أولا يقضيه و هو يوم القيامة الذى يوفى فيه الإنسان جزاء أعماله.

و الصاخه: الصيحة الشديده التى تصم الأسماع من شدتها، و المراد بها نفخه الصور.

قوله تعالى: «يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ وَ صَاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ» إشاره إلى شدة اليوم فالذين عدوا من أقرباء الإنسان و أخصائه هم الذين كان يأوى إليهم و يأنس بهم و يتخذهم أعضادا و أنصارا يلوذ بهم فى الدنيا لكنه يفر منهم يوم القيامة لما أن الشده أحاطت به بحيث لا تدعه يشتغل بغيره و يعتنى بما سواه كائنا من كان فالبلبله إذا عظمت و اشتدت و أطلت على الإنسان جذبته إلى نفسها و صرفته عن كل شىء.

و الدليل على هذا المعنى قوله بعد: «لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» أى يكفيه من أن يشتغل بغيره.

و قيل: فى سبب فرار الإنسان من أقربائه و أخصائه يومئذ ووجه آخر لا دليل عليها أغمضنا عن إيرادها.

قوله تعالى: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ صَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ» بيان لانقسام الناس يومئذ إلى قسمين: أهل السعادة و أهل الشقاء، و إشاره إلى أنهم يعرفون بسيماهم فى وجوههم و إسفار الوجه إشراقه و إضاءته فرحا و سرورا و استبشاره تهلله بمشاهده ما فيه البشرى.

قوله تعالى: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ» هى الغبار و الكدوره و هى سيماء الهم و الغم.

قوله تعالى: «تَرَاهُمْ قَرَّتْ» أى يعلوها و يغشاها سواد و ظلمه، و قد بين حال الطائفتين فى الآيات الأربع بيان حال وجوههما لأن الوجه مرآه القلب فى سروره و مساءته.

قوله تعالى: «أُولَئِكَ هُمُ الْكُفَرَةُ الْفَجَرَةُ» أى الجامعون بين الكفر اعتقادا و الفجور

و هو المعصية الشنيعة عملا- أو الكافرون بنعمه الله الفاجرون، وهذا تعريف للطائفة الثانية و هم أهل الشقاء و لم يأت بمثله فى الطائفة الأولى و هم أهل السعادة لأن الكلام مسوق للإنذار و الاعتناء بشأن أهل الشقاء.

بحث روائى

فى الدر المنثور، أخرج ابن المنذر عن عكرمه " فى قوله: « قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ » قال: نزلت فى عتبه بن أبى لهب حين قال: كفرت برب النجم إذا هوى- فدعا عليه النبى ص فأخذه الأسد بطريق الشام.

و فى الاحتجاج، عن أمير المؤمنين (ع) فى حديث طويل: « قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ » أى لعن الإنسان.

و فى تفسير القمى، " « ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ » قال: يسر له طريق الخير.

أقول: المراد به جعله مختارا فى فعله يسهل به سلوكه سبيل السعادة و وصوله إلى الكمال الذى خلق له. فالخبر منطبق على ما قدمناه من الوجه فى تفسير الآية.

و فيه، " فى قوله: « وَ قَضَبًا » قال: القضب القت.

و فيه، " فى قوله: « وَ فَاكِهَةً وَ أَبًا » قال: الأب الحشيش للبهائم.

و فى الدر المنثور، أخرج أبو عبيد فى فضائله عن إبراهيم التيمى قال " : سئل أبو بكر الصديق عن قوله « وَ أَبًا » فقال: أى سماء تظلنى و أى أرض تقلنى- إذا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم.

و فيه، أخرج سعيد بن منصور و ابن جرير و ابن سعد و عبد بن حميد و ابن المنذر و ابن مردويه و البيهقى فى شعب الإيمان و الخطيب و الحاكم و صححه عن أنس " : أن عمر قرأ على المنبر « فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَ عِنَبًا وَ قَضَبًا »- إلى قوله- « وَ أَبًا » قال: كل هذا قد عرفناه فما الأب؟ ثم رفض عصا كانت فى يده فقال: هذا لعمر الله هو التكلف فما عليك أن لا تدرى ما الأب؟ اتبعوا ما بين لكم هداه من الكتاب فاعملوا به- و ما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه.

و فيه، أخرج عبد بن حميد عن عبد الرحمن بن يزيد " : أن رجلا سأل عمر عن قوله « وَ أَبًا » فلما رآهم يقولون أقبل عليهم بالدره.

أقول: هو مبنى على منعهم عن البحث عن معارف الكتاب حتى تفسير ألفاظه.

و في إرشاد المفيد، و روى: أن أبا بكر سئل عن قول الله تعالى: «وَ فَآكِهَةٌ وَ آبًا» فلم يعرف معنى الأب من القرآن فقال: أي سماء تظلني أم أي أرض تظلني- أم كيف أصنع إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟ أما الفاكهة فنعرفها و أما الأب فالله أعلم.

فبلغ أمير المؤمنين (ع) مقالته في ذلك- فقال: سبحان الله أ ما علم أن الأب هو الكلاء و المرعى؟ و أن قوله تعالى: «وَ فَآكِهَةٌ وَ آبًا» اعتداد من الله- بإنعامه على خلقه فيما غذاهم به و خلقه لهم- و لأنعامهم مما تحيي به أنفسهم و تقوم به أجسادهم.

و في المجمع، و روى عن عطاء بن يسار عن سوده زوج النبي ص قالت: *قال رسول الله ص: يبعث الناس حفاة عراه غرلا (١) يلجمهم العرق و يبلغ شحمه الإذن- قالت:

قلت: يا رسول الله و سواتاه- ينظر بعضنا إلى بعض إذا جاء؟ قال: شغل الناس عن ذلك و تلا رسول الله ص «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ».

و في تفسير القمي، "قوله: «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» قال: شغل يشغله عن غيره.

(٨١) سورة التكوير مكيه و هي تسع و عشرون آيه (٢٩)

[سورة التكوير (٨١): الآيات ١ الى ١٤]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَ إِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَ إِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَ إِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَ إِذَا الْنُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَ إِذَا الْمَوْؤَدَةُ سُيِّلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) وَ إِذَا الْصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَ إِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَ إِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (١٤)

ص: ٢١٢

١- ١) الغرل بالغين المعجمه جمع أغرل و هو الأقلف غير المختون.

تذكر السوره يوم القيامه بذكر بعض أشراتها و ما يقع فيها و تصفه بأنه يوم ينكشف فيه للإنسان ما عمله من عمل ثم تصف القرآن بأنه مما ألقاه إلى النبي ص رسول سماوى و هو ملك الوحي و ليس بإلقاء شيطانى و لا- أن النبي ص مجنون يمسه الشيطان.

و يشبه أن تكون السوره من السور العتائق النازله فى أوائل البعثه كما يشهد به ما فيها من تنزيهه(ص) مما رموه به من الجنون و قد اتهموه به فى أوائل الدعوه و قد اشتملت على تنزيهه منه سوره«ن» و هى من العتائق.

و السوره مكيه بلا كلام.

قوله تعالى: «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» التكوير اللف على طريق الإدارة كلف العمامه على الرأس، و لعل المراد بتكوير الشمس انظلام جرمها على نحو الإحاطه استعاره.

قوله تعالى: «وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ» انكدار الطائر من الهواء انقضاضه نحو الأرض، و عليه فالمراد سقوط النجوم كما يفيد قوله: «وَ إِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ» الانفطار: ٢ و يمكن أن يكون من الانكدار بمعنى التغير و قبول الكدوره فيكون المراد به ذهاب ضوئها.

قوله تعالى: «وَ إِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ» بما يصيبها من زلزه الساعه من التسيير فتندك و تكون هباء منبثا و تصير سرايا على ما ذكره سبحانه فى مواضع من كلامه.

قوله تعالى: «وَ إِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ» قيل: «العشار جمع عشاء كالنفاس جمع نفساء و هى الناقه الحامل التى أتت عليها عشره أشهر فتسمى عشاء حتى تضع حملها و ربما سميت عشاء بعد الوضع أيضا و هى من أنفاس المال عند العرب.

و تعطيل العشار تركها مهمله لا- راعى لها و لا حافظ يحفظها و كان فى الجمله إشاره على نحو الكنايه إلى أن نفائس الأموال التى يتنافس فيها الإنسان تبقى اليوم و لا صاحب لها يملكها و يتصرف فيها لأنهم مشغولون بأنفسهم عن كل شىء كما قال: «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» :عبس: ٣٧.

قوله تعالى: «وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ» الوحوش جمع وحش و هو من الحيوان ما لا يتأنس بالإنسان كالسباع و غيرها.

و ظاهر الآيه من حيث وقوعها فى سياق الآيات الواصفه ليوم القيامة أن الوحوش محشوره كالإنسان، و يؤيده قوله تعالى: ﴿وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾: الأنعام: ٣٨.

و أما تفصيل حالها بعد الحشر و ما يثول إليه أمرها فلم يرد فى كلامه تعالى و لا فيما يعتمد عليه من الأخبار ما يكشف عن ذلك نعم ربما استفيد من قوله فى آيه الأنعام:

« أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ » و قوله: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ بعض ما يتضح به الحال فى الجملة لا يخفى على الناقد المتدبر، و ربما قيل: إن حشر الوحوش من أشراف الساعه لا مما يقع يوم القيامة و المراد به خروجها من غاباتها و أكنانها.

قوله تعالى: ﴿وَ إِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ فسر التسجير بإضرام النار و فسر بالملا و المعنى على الأول و إذا البحار أضرمت نارا، و على الثانى و إذا البحار ملئت.

قوله تعالى: ﴿وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ أما نفوس السعداء فبنساء الجنه قال تعالى:

﴿لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾: النساء: ٥٧، و قال: ﴿وَ زَوْجَانَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾: الدخان: ٥٤ و أما نفوس الأشقياء فبقرناء الشياطين قال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ أَزْوَاجَهُمْ وَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾: الصافات: ٢٢ و قال: ﴿وَ مَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾: الزخرف: ٣٦.

قوله تعالى: ﴿وَ إِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ الموءوده البنت التى تدفن حيه و كانت العرب تئد البنات خوفا من لحوق العار بهم من أجلهن كما يشير إليه قوله تعالى:

﴿وَ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْمَأْنُوثِ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٍ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾: النحل: ٥٩.

و المسئول بالحقيقه عن قتل الموءوده أبوها الوائد لها لينتصف منه و ينتقم لكن عد المسئول فى الآيه هى الموءوده نفسها فسئلت عن سبب قتلها لنوع من التعريض و التوبيخ لقاتلها و توطئه لأن تسأل الله الانتصاف لها من قاتلها حتى يسأل عن قتلها فيؤخذ لها منه، فالكلام نظير قوله تعالى فى عيسى (ع): ﴿وَ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمَّي الْهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: المائدة: ١١٦.

و قيل: إسناد المسئوليه إلى الموءوده من المجاز العقلى و المراد كونها مسئولا عنها نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾: إسراء: ٣٤.

قوله تعالى: «وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ» أى للحساب، و الصحف كتب الأعمال.

قوله تعالى: «وَ إِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ» فى المجمع، الكشط القلع عن شدة التراق فينطبق على طيها كما فى قوله: «وَ السَّمَاءُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ»: الزمر: ٦٧، و قوله:

«وَ يَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالْعُغَمِ وَ نَزَلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا»: الفرقان: ٢٥ و غير ذلك من الآيات المفصحة عن هذا المعنى.

قوله تعالى: «وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ» التسعير تهيج النار حتى تتأجج.

قوله تعالى: «وَ إِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ» الإزلاف التقريب و المراد تقريبها من أهلها للدخول.

قوله تعالى: «عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ» جواب إذا، و المراد بالنفس الجنس و المراد بما أحضرت عملها الذى عملته يقال: أحضرت الشئ أى وجدته حاضرا كما يقال:

أحمدته أى وجدته محمودا.

فالآية فى معنى قوله تعالى: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَ مَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ»: آل عمران: ٣٠.

بحث روائى

فى تفسير القمى،^١: «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» قال: تصير سوداء مظلمه «وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ» قال: يذهب ضوءها «وَ إِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ» قال: تسير كما قال «تَحْسَبُ عَلَيْهَا جَامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ». قوله: «وَ إِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ» قال-الإبل تتعطل إذا مات الخلق- فلا يكون من يحلبها، قوله: «وَ إِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ» قال: تتحول البحار التى حول الدنيا كلها نيرانا «وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ» قال: من الحور العين.

و فيه، فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر (ع) * فى قوله: «وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ» قال: أما أهل الجنة فزوجوا الخيرات الحسان، و أما أهل النار فمع كل إنسان منهم شيطان- يعنى قرنت نفوس الكافرين و المنافقين بالشياطين- فهم قرناؤهم.

أقول: الظاهر أن قوله: يعنى «إلخ» من كلام الراوى.

و فى الدر المنثور، أخرج ابن أبى حاتم و الديلمى عن أبى مريم أن النبى ص قال * فى قوله:

«إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» قال: كورت فى جهنم «وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ» قال: انكدرت فى جهنم، و كل من عبد من دون الله فهو فى جهنم- إلا ما كان من عيسى بن مريم و أمه- و لو

رضيا أن يعبدا لدخلاها.

و في تفسير القمي، "في قوله تعالى: «وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ» قال: صحف الأعمال-قوله:

«وَ إِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ» قال: أبطلت.

و في الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ص يقول*:

«وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ» قال: هما الرجلان يعملان العمل يدخلان الجنة و النار.

[سوره التكوير (٨١): الآيات ١٥ الى ٢٩]

اشاره

فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَ لَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)

بيان

تنزيه للنبي ص من الجنون-وقد اتهموه به-ولما يأتي به-من القرآن-من مداخله الشيطان، وأنه كلامه تعالى يلقيه إليه ملك الوحي الذي لا يخون في رسالته، وأنه ذكر للعالمين هاد يأذن الله لمن اهتدى منهم.

قوله تعالى: «فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ» الخنس جمع خانس كطلب جمع طالب، والخنوس الانقباض والتأخر والاستتار، والجواري جمع جاريه، والجري السير السريع مستعار من جرى الماء، والكنس جمع كانس و الكنوس دخول الوحش كالظبي

ص: ٢١٦

و الطير كناسه أى بيته الذى اتخذه لنفسه و استقراره فيه.

و تعقب قوله: «فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُسِ» الخ بقوله: «و اللَّيْلِ إِذَا عَشَيْتَ وَ الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ» يؤيد كون المراد بالخنس الجوار الكنس الكواكب كلها أو بعضها لكن صفات حركه بعضها أشد مناسبه و أوضح انطباقا على ما ذكر من الصفات المقسم بها: الخنوس و الجرى و الكنوس و هى السيارات الخمس المتحيره: زحل و المشترى و المريخ و الزهره و عطارد فإن لها فى حركاتها على ما تشاهد استقامه و رجعه و إقامه فهى تسير و تجرى حركه متشابهه زمانا و هى الاستقامه و تنقبض و تتأخر و تخنس زمانا و هى الرجعه و تقف عن الحركه استقامه و رجعه زمانا كأنها الوحش تكنس فى كناسها و هى الإقامه.

و قيل: المراد بها مطلق الكواكب و خنوسها استتارها فى النهار تحت ضوء الشمس و جريها سيرها المشهود فى الليل و كنوسها غروبها فى مغربها و تواريتها.

و قيل: المراد بها بقر الوحش أو الظبي و لا يبعد أن يكون ذكر بقر الوحش أو الظبي من باب المثال و المراد مطلق الوحوش.

و كيف كان فأقرب الأقوال أولها و الثانى بعيد و الثالث أبعد.

قوله تعالى: «و اللَّيْلِ إِذَا عَشَيْتَ» عطف على الخنس، و «إِذَا عَشَيْتَ» قيد لليل، و العسسه تطلق على إقبال الليل و على إدباره قال الراغب: «و اللَّيْلِ إِذَا عَشَيْتَ» أى أقبل و أدبر و ذلك فى مبدأ الليل و منتهاه فالعسسه و العساس رقه الظلام و ذلك فى طرفى الليل. انتهى و الأنسب لاتصال الجملة بقوله: «و الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ» أن يراد بها إدبار الليل.

و قيل: المراد بها إقبال الليل: و هو بعيد لما عرفت.

قوله تعالى: «و الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ» عطف على الخنس، و «إِذَا تَنَفَّسَ» قيد للصبح، و عد الصبح متنفسا بسبب انبساط ضوئه على الأفق و دفعه الظلمه التى غشيتها نوع من الاستعاره بتشبيه الصبح و قد طلع بعد غشيان الظلام للأفاق بمن أحاطت به متاعب أعمال شاقه ثم وجد خلاء من الزمان فاستراح فيه و تنفس فعد إضاءته للأفق تنفسا منه كذا يستفاد من بعضهم.

و ذكر الزمخشري فيه وجهها آخر فقال فى الكشف: «فإن قلت: ما معنى تنفس الصبح؟ قلت: إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله روح و نسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز.

انتهى و الوجه المتقدم أقرب إلى الذهن.

قوله تعالى: «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ» جواب القسم، وضمير «إِنَّهُ» للقرآن أو لما تقدم من آيات السورة بما أنها قرآن بدليل قوله:

«لَقَوْلُ رَسُولٍ» إلخ و المراد بالرسول جبريل كما قال تعالى: «مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ» البقره: ۹۷.

و في إضافه القول إليه بما أنه رسول دلالة على أن القول لله سبحانه، و نسبتبه إلى جبريل نسبة الرساله إلى الرسول و قد وصفه الله بصفات ست مدحه بها.

فقوله: «رَسُولٍ» يدل على رسالته و إلقائه وحي القرآن إلى النبي ص، و قوله:

«كَرِيمٍ» أي ذى كرامه و عزه عند الله بإعزازه، و قوله: «ذِي قُوَّةٍ» أي ذى قدره و شده بالغه، و قوله: «عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ» أي صاحب مكانه عند الله و المكانه القرب و المنزله، و قوله: «مُطَاعٍ ثُمَّ» أي مطاع عند الله فهناك ملائكه يأمرهم فيطيعونه، و من هنا يظهر أن له أعوانا من الملائكه يأمرهم فيأتمرون بأمره، و قوله: «أَمِينٍ» أي لا يخون فيما أمر به يبلغ ما حمله من الوحي و الرساله من غير أي تصرف فيه.

و قيل: المراد بالرسول الجارى عليه الصفات هو النبي ص، و هو كما ترى و لا تلائمها الآيات التاليه.

قوله تعالى: «وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ» عطف على قوله: «إِنَّهُ لَقَوْلُ» إلخ ورد لرميهم له (ص) بالجنون.

و فى التعبير عنه (ص) بقوله: «صَاحِبُكُمْ» تكذيب لهم فى رميهم له بالجنون و تنزيه لساحته- كما قيل- ففيه إيماء إلى أنه صاحبكم لبث بينكم معاشرًا لكم طول عمره و أنتم أعرف به قد وجدتموه على كمال من العقل و رزانه من الرأى و صدق من القول و من هذه صفته لا يرمى بالجنون.

و توصيف جبريل بما مر من صفات المدح دون النبي ص لا دلالة فيه على أفضليته من النبي ص لأن الكلام مسوق لبيان أن القرآن كلام الله سبحانه منزل على النبي ص من عنده سبحانه من طريق الوحي لا من أوهام الجنون بإلقاء من شيطان و الذى يفيد فى هذا الغرض بيان سلامه طريق الإنزال و تجليل المنزل- اسم فاعل- بذكر أوصافه الكريمه و المبالغه فى تنزيهه عن الخطأ و الخيانه، و أما المنزل عليه فلا يتعلق به غرض إلا بمقدار الإشاره إلى دفع ما يرتاب فيه من صفته و قد أفيد بنفى الجنون الذى رموه به

و التعبير عنه بقوله: «صَاحِبُكُمْ» كما تقدم توضيحه، كذا قيل.

و فى مطاوى كلامه تعالى من نعوت النبى ص الكريمة ما لا يرتاب معه فى أفضليته (ص) على جميع الملائكة، و قد أسجد الله الملائكة كلهم أجمعين للإنسان الذى هو خليفته فى الأرض.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ» ضمير الفاعل فى «رَأَاهُ» للصاحب و ضمير المفعول للرسول الكريم و هو جبريل.

و الأفق المبين الناحية الظاهره، و الظاهر أنه الذى أشار إليه بقوله: «وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى»: النجم: ٧.

و المعنى و أقسم لقد رأى النبى ص جبريل حال كون جبريل كائنا فى الأفق المبين و هو الأفق الأعلى من سائر الآفاق بما يناسب عالم الملائكة.

و قيل: المعنى لقد رأى (ص) جبريل على صورته الأصلية حيث تطلع الشمس و هو الأفق الأعلى من ناحيه المشرق.

و فيه أن لا- دليل من اللفظ يدل عليه و خاصه فى تعلق الرؤيه بصورته الأصلية و رؤيته فى أى مثال تمثل به رؤيته، و كأنه مأخوذ مما ورد فى بعض الروايات أنه رآه فى أول البعثه و هو بين السماء و الأرض جالس على كرسى، و هو محمول على التمثل.

قوله تعالى: «وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ» الضمير للنبى ص، و المراد بالغيب الوحي النازل عليه، و الضنين صفة مشبهه من الضن بمعنى البخل يعنى أنه (ص) لا يبخل بشىء مما يوحى إليه فلا يكتمه و لا يحبسه و لا يغيره بتبديل بعضه أو كله شيئاً آخر بل يعلم الناس كما علمه الله و يبلغهم ما أمر بتليغه.

قوله تعالى: «وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ» نفى لاستناد القرآن إلى إلقاء شيطان بما هو أعم من طريق الجنون فإن الشيطان بمعنى الشرير و الشيطان الرجيم كما أطلق فى كلامه تعالى على إبليس و ذريته كذلك أطلق على أشرار سائر الجن قال تعالى: «قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ» -ص: ٧٧، و قال: «وَحَفِظْنَاَهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ»: الحجر: ١٧.

فالمعنى أن القرآن ليس بتسويل من إبليس و جنوده و لا بإلقاء من أشرار الجن كما يلقونه على المجانين.

قوله تعالى: «فَأَيْنَ تَذُهِبُونَ» أوضح سبحانه فى الآيات السبع المتقدمه ما هو الحق فى

أمر القرآن دافعا عنه ارتيابهم فيه بما يرمون به الجائي به من الجنون وغيره على إيجاز متون الآيات فيبين أولا- أنه كلام الله و
اتكاء هذه الحقيقة على آيات التحدى، وثانيا أن نزوله برسالة ملك سماوى جليل القدر عظيم المنزله و هو أمين الوحي جبريل
لا- حاجز بينه وبين الله ولا بينه وبين النبي ص، ولا صارف من نفسه أو غيره يصرفه عن أخذه ولا حفظه ولا تبليغه، وثالثا أن
الذى أنزل عليه و هو يتلوه لكم و هو صاحبكم الذى لا يخفى عليكم حاله ليس بمجنون كما يبهتونه به و قد رأى الملك الحامل
للوحي و أخذ عنه و ليس بكاتم لما يوحى إليه و لا بمغير، و رابعا أنه ليس بتسويل من إبليس و جنوده و لا بإلقاء من بعض أشرار
الجن.

و نتيجة هذا البيان أن القرآن كتاب هدى يهتدى به من أراد الاستقامة على الحق و هو قوله: «إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» الخ.

فقوله: «فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ» توطئه و تمهيد لذكر نتيجة البيان السابق، و هو استضلال لهم فيما يرونه فى أمر القرآن الكريم أنه من
طوارى الجنون أو من تسويلات الشيطان الباطله.

فالاستفهام فى الآية توبيخى و المعنى إذا كان الأمر على هذا فأين تذهبون و تتركون الحق وراءكم؟ قوله تعالى: «إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِّلْعَالَمِينَ» أى تذكره لجماعات الناس كائنين من كانوا يمكنهم بها أن يتبصروا للحق، و قد تقدم بعض الكلام فى نظيره الآية.

قوله تعالى: «لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ» بدل من قوله: «لِّلْعَالَمِينَ» مسوق لبيان أن فعلية الانتفاع بهذا الذكر مشروط بأن يشاءوا
الاستقامة على الحق و هو التلبس بالثبات على العبودية و الطاعة.

قوله تعالى: «وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» تقدم الكلام فى معناه فى نظائر الآية.

و الآية بحسب ما يفيد السياق فى معنى دفع الدخل فإن من الممكن أن يتوهموا من قوله: «لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ» أن لهم
الاستقلال فى مشيه الاستقامة إن شاءوا استقاموا و إن لم يشاءوا لم يستقيموا، فله إلهم حاجه فى الاستقامة التى يريدونها منهم.

فدفع ذلك بأن مشيتهم متوقفه على مشيه الله سبحانه فلا يشاءون الاستقامة إلا أن يشاء الله أن يشاءوها، فأفعال الإنسان الإرادية
مراده الله تعالى من طريق إرادته و هو أن

يريد الله أن يفعل الإنسان فعلا كذا و كذا عن إرادته.

بحث روائى

فى الدر المنثور، أخرج سعيد بن منصور و الفاريابى و عبد بن حميد و ابن جرير و ابن أبى حاتم و الحاكم و صححه من طرق عن على * فى قوله: «فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُسِ» قال: هى الكواكب تكنس بالليل و تخنس بالنهار فلا ترى.

و فى تفسير القمى، " فى قوله: «فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُسِ» قال: أى و أقسم بالخنس و هو اسم النجوم. «الْجَوَارِ الْكُنُسِ» قال: النجوم تكنس بالنهار فلا تبين.

و فى المجمع،: «بِالْخُنُسِ» و هى النجوم تخنس بالنهار و تبدو بالليل «و الْجَوَارِ» صفه لها لأنها تجرى فى أفلاكها «الْكُنُسِ» من صفتها أيضا- لأنها تكنس أى تتوارى فى بروجها- كما تتوارى الطباء فى كناسها. و هى خمسة أنجم: زحل و المشترى و المريخ و الزهره و عطارد عن على «و اللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ» أى إذا أدبر بظلامه عن على.

و فى تفسير القمى، " «و اللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ» قال: إذا أظلم «و الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ» قال:

إذا ارتفع.

و فى الدر المنثور، أخرج ابن عساكر عن معاوية بن قره قال: * قال رسول الله ص لجبريل: ما أحسن ما أثنى عليك ربك: ذى قوه عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين- فما كانت قوتك؟ و ما كانت أمانتك؟ قال: أما قوتى فإنى بعثت إلى مدائن لوط- و هى أربع مدائن، و فى كل مدينه أربع مائه ألف مقاتل سوى الذرارى- فحملتهم من الأرض السفلى- حتى سمع أهل السماء أصوات الدجاج و نباح الكلاب- ثم هويت بهم فقتلتهم، و أما أمانتى فلم أوامر بشىء فعدوته إلى غيره.

أقول: و الروايه لا تخلو من شىء و قد ضعفوا ابن عساكر و خاصه فيما تفرد به.

و فى الخصال، عن أبى عبد الله (ع) قال: * من قال فى كل يوم من شعبان سبعين مره:

أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم- الحى القيوم و أتوب إليه، كتب فى الأفق المبين. قال: قلت: و ما الأفق المبين؟ قال: قاع بين يدى العرش فيه أنهار تطرد- و فيه من القدحان عدد النجوم.

و فى تفسير القمى، فى حديث أسنده إلى أبى عبد الله (ع): قوله: «وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ

«قال: يعنى الكهنة الذين كانوا فى قريش- فنسب كلامهم إلى كلام الشياطين الذين كانوا معهم- يتكلمون على ألسنتهم- فقال: «وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ» مثل أولئك.

(٨٢) سورة الانفطار مكيه و هي تسع عشره آيه (١٩)

[سورة الانفطار (٨٢): الآيات ١ الى ١٩]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الذِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الذِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الذِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩)

بيان

تحد السوره يوم القيامه ببعض أشرطه الملازمه له المتصله به و تصفه بما يقع فيه و هو ذكر الإنسان ما قدم و ما أخر من أعماله الحسنه و السيئه-على أنها محفوظه عليه بواسطه حفظه الملائكه الموكلين عليه-و جزاؤه بعمله إن كان برا فبنعيم و إن كان فاجرا مكذبا بيوم الدين فيجحيم يصلها مخلدا فيها.

ثم يستأنف وصف اليوم بأنه يوم لا يملك نفس لنفس شيئا و الأمر يومئذ لله، و هي من غرر الآيات، و السوره مكيه بلا كلام.

قوله تعالى: «إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ» الفطر الشق و الانفطار الانشقاق و الآيه كقوله:

«وَ انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ»: الحاقه: ١٦.

قوله تعالى: «وَ إِذَا الْكُورُكُوبُ انْتَثَرَتْ» أى تفرقت بتركها مواضعها التى ركزت فيها شبهت الكواكب بلاكى منظومه قطع سلكها فانثرت و تفرقت.

قوله تعالى: «وَ إِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ» قال فى المجمع،: التفجير خرق بعض مواضع الماء إلى بعض الكثير، و منه الفجور لانخراق صاحبه بالخروج إلى كثير من الذنوب، و منه الفجر لانفجاره بالضياء، انتهى. و إليه يرجع تفسيرهم لتفجير البحار بفتح بعضها فى بعض حتى يزول الحائل و يختلط العذب منها و المالح و يعود بحرا واحدا، و هذا المعنى يناسب تفسير قوله: «وَ إِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ»: التكوير: ٦ بامتلاء البحار.

قوله تعالى: «وَ إِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ» قال فى المجمع، بعثرت الحوض و بحثرته إذا جعلت أسفله أعلاه، و البعثره و البحثره إثارة الشىء بقلب باطنه إلى ظاهره، انتهى. فالمعنى و إذا قلب تراب القبور و أثير باطنها إلى ظاهرها لإخراج الموتى و بعثهم للجزاء.

قوله تعالى: «عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ» المراد بالعلم علمها التفصيلى بأعمالها التى عملتها فى الدنيا، و هذا غير ما يحصل لها من العلم بنشر كتاب أعمالها لظاهر قوله تعالى: «بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَ لَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ»: القيامة: ١٥ و قوله: «يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَّا سَعَى»: النازعات: ٣٥، و قوله: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَ مَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ»: آل عمران: ٣٠.

و المراد بالنفس جنسها فتفيد الشمول، و المراد بما قدمت و ما أخرت هو ما قدمته مما عملته فى حياتها، و بما أخرت ما سنته من سنه حسنه أو سيئه فعملت بها بعد موتها فتكتب صحيفه عملها قال تعالى: «وَ نَكْتُبُ مَّا قَدَّمُوا وَ آثَرَهُمْ»: يس: ١٢.

و قيل: المراد بما قدمت و أخرت ما عملته فى أول العمر و ما عملته فى آخره فيكون كناية عن الاستقصاء.

و قيل فى معنى التقديم و التأخير وجوه أخر لا يعبا بها المذكوره فى مطولات التفاسير من أراد الوقوف عليها فليراجعها.

و قد تقدم فى تفسير قوله تعالى: «لِيُمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ»: الأنفال: ٣٧، كلام لا يخلو من نفع هاهنا.

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ - إلى قوله - رَكَّبَكَ» عتاب و توبيخ للإنسان، و المراد بهذا الإنسان المكذب ليوم الدين - على ما يفيدته السياق المشتمل على قوله: «بَلْ تُكذِّبُونَ بِالَّذِينَ» و فى تكذيب يوم الدين كفر و إنكار لتشريع الدين و فى إنكاره إنكار لربوبية الرب تعالى، و إنما وجه الخطاب إليه بما أنه إنسان ليكون حجه أو كالحجه لثبوت الخصال التى يذكرها من نعمه عليه المختصه من حيث المجموع بالإنسان.

و قد علق الغرور بصفته ربوبيته و كرمه تعالى ليكون ذلك حجه فى توجه العتاب و التوبيخ فإن تمرد المرئوب و توغله فى معصيه ربه الذى يدبر أمره و يغشيه نعمه ظاهره و باطنه كفران لا ترتاب الفطره السليمه فى قبحه و لا فى استحقاق العقاب عليه و خاصه إذا كان الرب المنعم كريما لا يريد فى نعمه و عطايه نفعا ينتفع به و لا عضوا يقابله به المنعم عليه، و يسامح فى إحسانه و يصفح عما يأتى به المرئوب من الخطيئه و الإثم بجهاله فإن الكفران حينئذ أقبح و أقبح و توجه الدم و اللائمه أشد و أوضح.

فقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ» استفهام توبيخى يوبخ الإنسان بكفران خاص لا عذر له يعتذر به عنه و هو كفران نعمه رب كريم.

و ليس للإنسان أن يجيب فيقول: أى رب غرنى كرمك فقد قضى الله سبحانه فيما قضى و بلغه بلسان أنبيائه: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ» إبراهيم: ٧، و قال: «فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَ آتَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى» النازعات:

٣٩، إلى غير ذلك من الآيات الناصه فى أن لا مخلص للمعاندين من العذاب و أن الكرم لا يشملهم يوم القيامة قال: «وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ»: الأعراف: ١٥٦ و لو كفى الإنسان العاصى قوله: «غرنى كرمك» لصرف العذاب عن الكافر المعاند كما يصرفه عن المؤمن العاصى، و لا عذر بعد البيان.

و من هنا يظهر أن لا محل لقول بعضهم: إن توصيف الرب بالكريم من قبيل تلقين الحجه و هو من الكرم أيضا.

كيف؟ و السياق سياق الوعيد و الكلام ينتهى إلى مثل قوله: «وَ إِنَّ الْفُجَارَ لَفِي

وقوله: «الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ» بيان لربوبيته المتلبسه بالكرم فإن من تديره خلق الإنسان بجمع أجزاء وجوده ثم تسويته بوضع كل عضو فيما يناسبه من الموضع على ما يقتضيه الحكمة ثم عدله بعدل بعض أعضائه وقواه ببعض يجعل التوازن والتعادل بينها فما يضعف عنه عضو يقوى عليه عضو فيتم به فعله كما أن الأكل مثلاً بالالتقام وهو للفم، ويضعف الفم عن قطع اللقمة ونهشها وطحنها فيتم ذلك بمختلف الأسنان، ويحتاج ذلك إلى نقل اللقمة من جانب من الفم إلى آخر وقلبها من حال إلى حال فجعل ذلك للسان ثم الفم يحتاج في فعل الأكل إلى وضع الغذاء فيه فتوصل إلى ذلك باليد وتمم عملها بالكف وعملها بالأصابع على اختلاف منافعها وعملها بالأنامل، وتحتاج اليد في الأخذ والوضع إلى الانتقال المكاني نحو الغذاء وعدل ذلك بالرجل.

وعلى هذا القياس في أعمال سائر الجوارح والقوى وهي ألوف وألوف لا- يحصيها العد، والكل من تديره تعالى وهو المفيض لها من غير أن يريد بذلك انتفاعاً لنفسه ومن غير أن يمنعه من إفاضتها ما يقابله به الإنسان من نسيان الشكر وكفران النعمة فهو تعالى ربه الكريم.

وقوله: «فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ» بيان لقوله: «فَعَدَلَكَ» ولذا لم يعطف على ما تقدمه والصوره ما ينتقش به الأعيان ويتميز به الشيء من غيره و«ما» زائده للتأكيد.

والمعنى: في أي صورته شاء أن يركبك- ولا- يشاء إلا- ما تقتضيه الحكمة-ركبك من ذكر وأنثى وأبيض وأسود وطويل وقصير وسيم ودميم وقوى وضعيف إلى غير ذلك وكذا الأعضاء المشتركة بين أفراد الإنسان المميزه لها من غيرها كاليدين والرجلين والعينين والرأس والبدن واستواء القامة ونحوها فكل ذلك من عدل بعض الأجزاء ببعض في التركيب قال تعالى: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ»: التين: ٤ والجميع ينتهي إلى تدير الرب الكريم لا صنع للإنسان في شيء من ذلك.

وقوله تعالى: «كَلَّا بَلْ تُكذِّبُونَ بِالذِّينِ» «كَلَّا» ردع عن اغترار الإنسان بكرم الله وجعل ذلك ذريعه إلى الكفر والمعصية أي لا تغتروا فلا ينفعكم الاغترار.

وقوله: «بَلْ تُكذِّبُونَ بِالذِّينِ» أي بالجزاء. إضراب عما يفهم من قوله: «مَا عَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ» من غرور الإنسان بربه الكريم على اعتراف منه ولو بالقوه بالجزاء لقضاء

فإذ عاتب الإنسان و وبخه على غروره بربه الكريم و اجترائه على الكفران و المعصيه من غير أن يخاف الجزاء أضرب عنه مخاطبا للإنسان و كل من يشاركه فى كفره و معصيته فقال: بل أنت و من حاله حالك تكذبون بيوم الدين و الجزاء فتجحدونه ملحين عليه.

قوله تعالى: «وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ» إشاره إلى أن أعمال الإنسان حاضره محفوظه يوم القيامه من طريق آخر غير حضورها للإنسان العامل لها من طريق الذكر و ذلك حفظها بكتابه كتاب الأعمال من الملائكه الموكلين بالإنسان فيحاسب عليها كما قال تعالى: «وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا» :إسراء: ١٤.

فقوله: «وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ» أى إن عليكم من قبلنا حافظين يحفظون أعمالكم بالكتابه كما يفيدہ السياق.

و قوله: «كِرَامًا كَاتِبِينَ» أى أولى كرامه و عزه عند الله تعالى و قد تكرر فى القرآن الكريم وصف الملائكه بالكرامه و لا يبعد أن يكون المراد به بإعانه من السياق كونهم بحسب الخلقه مصونين عن الإثم و المعصيه مفظورين على العصمه، و يؤيده قوله: «بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» :الأنبياء: ٢٦ حيث دل على أنهم لا يريدون إلا ما أَرَادَهُ اللهُ و لا يفعلون إلا ما أمرهم به، و كذا قوله: «كِرَامٌ بَرَرَهُ» :عبس ١٦.

و المراد بالكتابه فى قوله: «كَاتِبِينَ» كتابه الأعمال بقريته قوله: «يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ» و قد تقدم فى تفسير قوله: «إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» :الجاثيه: ٢٩ كلام فى معنى كتابه الأعمال فليراجعه من شاء.

و قوله: «يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ» نفى لخطئهم فى تشخيص الخير و الشر و تمييز الحسنه و السيئه كما أن الآيه السابقه متضمنه لتنزيههم عن الإثم و المعصيه فهم محيطون بالأفعال على ما هى عليه من الصفه و حافظون لها على ما هى عليه.

و لا- تعيين فى هذه الآيات لعهده هؤلاء الملائكه الموكلين على كتابه أعمال الإنسان نعم المستفاد من قوله تعالى: «إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ» :ق: ١٧ إن على كل إنسان منهم اثنين عن يمينه و شماله، و قد ورد فى الروايات المأثوره أن الذى على اليمين كاتب الحسنات و الذى على الشمال كاتب السيئات.

و ورد أيضا فى تفسير قوله: «إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا»: إسرء:٧٨ أخبار مستفيضه من طرق الفريقين داله على أن كته الأعمال بالنهار يصعدون بعد غروب الشمس و ينزل آخرون فيكتبون أعمال الليل حتى إذا طلع الفجر صعءوا و نزل ملائكته النهار و هكذا.

و فى الآيه أعنى قوله: «يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ» دلالة على أن الكته عالمون بالنيات إذ لا- طريق إلى العلم بخصوصيات الأفعال و عناوينها و كونها خيرا أو شرا أو حسنه أو سيئه إلا العلم بالنيات فعلهم بالأفعال لا يتم إلا عن العلم بالنيات.

قوله تعالى: «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفَجَارَ لَفِي جَحِيمٍ» استئناف مبين لنتيجة حفظ الأعمال بكتابه الكته و ظهورها يوم القيامة. و الأبرار هم المحسنون عملا، و الفجار هم المنخرقون بالذنوب و الظاهر أن المراد بهم المتهتكون من الكفار إذ لا خلود لمؤمن فى النار، و فى تنكير «نعيم» و «جحيم» إشعار بالتفخيم و التهويل - كما قيل -.

قوله تعالى: «يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ» الضمير للجحيم أى يلزمون يعنى الفجار الجحيم يوم الجزاء و لا يفارقونها.

قوله تعالى: «وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ» عطف تفسيرى على قوله: «يَصْلَوْنَهَا» إلخ يؤكد معنى ملازمتهم للجحيم و خلودهم فى النار، و المراد بغيببتهم عنها خروجهم منها فالآيه فى معنى قوله: «وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ»: البقره:١٦٧.

قوله تعالى: «وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ» تهويل و تفخيم لأمر يوم الدين، و المعنى لا تحيط علما بحقيقه يوم الدين و هذا التعبير كناية عن فخامه أمر الشىء و علوه من أن يناله وصف الواصف، و فى إظهار اليوم -و المحل محل الضمير- تأكيد لأمر التفخيم.

قوله تعالى: «ثُمَّ مَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ» فى تكرار الجملة تأكيد للتفخيم.

قوله تعالى: «يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ» الظرف منصوب بتقدير اذكر و نحوه، و فى الآيه بيان إجمالى لحقيقه يوم الدين بعد ما فى قوله: «وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ» من الحث على معرفته.

و ذلك أن رابطة التأثير و التأثر بين الأسباب الظاهريه و مسبباتها منقطعه زائله يومئذ كما يستفاد من أمثال قوله تعالى: «وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ»: البقره:١٦٦، و قوله:

«وَ لَوْ يَرَى الدِّينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ العَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا»: البقره:١٦٥ فلا تملك نفس

لنفس شيئا فلا تقدر على دفع شر عنها و لا جلب خير لها، و لا ينافي ذلك آيات الشفاعة لأنها بإذن الله فهو المالك لها لا غير.

و قوله: «و الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ» أي هو المالك للأمر ليس لغيره من الأمر شيء. □

و المراد بالأمر كما قيل واحد الأوامر لقوله تعالى: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ» المؤمن: ١٦ و شأن الملك المطاع، الأمر بالمعنى المقابل للنهي، و الأمر بمعنى الشأن لا يلائم المقام تلك الملاءمة.

بحث روائي

في تفسير القمي،^١ في قوله تعالى: «وَ إِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ» قال: تنشق فتخرج الناس منها.

و في الدر المنثور، أخرج الحاكم و صححه عن حذيفة قال: *قال النبي ص: من استن خيرا فاستن به فله أجره- و مثل أجور من اتبعه غير منتقص من أجورهم- و من استن شرا فاستن به فله وزره- و مثل أوزار من اتبعه غير منتقص من أوزارهم، و تلا حذيفة «عَلِمْتُ نَفْسٌ مَا قَدَّمْتُ وَ أَخَّرْتُ».

و فيه، أخرج عبد بن حميد عن صالح بن مسمار قال: *بلغني أن النبي ص تلا هذه الآية «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ» ثم قال: جهله.

و في تفسير القمي،^٢ «فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ» قال: لو شاء ركبك على غير هذه الصورة:.

أقول: و رواه في المجمع، عن الصادق (ع) مرسلا .

و فيه،^٣ «وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ» قال: الملكان الموكلان بالإنسان.

و عن سعد السعود، و في روايه: إنهما- يعني الملكين الموكلين- يأتیان المؤمن عند حضور صلاه الفجر- فإذا هبطا صعد الملكان الموكلان بالليل- فإذا غربت الشمس نزل إليه الموكلان بكتابه الليل، و يصعد الملكان الكاتبان بالنهار- بديوانه إلى الله عز و جل.

فلا يزال ذلك دأبهم إلى وقت حضور أجله- فإذا حضر أجله قالوا للرجل الصالح:

جزاك الله من صاحب عنا خيرا- فكم من عمل صالح أريتناه، و كم من قول حسن أسمعناه، و كم من مجلس خير أحضرناه- فنحن اليوم على ما تحبه و شفعاك إلى ربك، و إن كان عاصيا قالوا له: جزاك الله من صاحب عنا شرا- فلقد كنت تؤذينا فكم من عمل سيء أريتناه، و كم من قول سيء أسمعناه، و [كم] من مجلس سوء أحضرناه- و نحن اليوم لك

على ما تكره، وشهيدان عند ربك.

و في المجمع، في قوله تعالى: « وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ »:

روى عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر (ع) أنه قال: الأمر يومئذ و اليوم كله لله. يا جابر إذا كان يوم القيامة بادت الحكام- فلم يبق حاكم إلا الله.

أقول: مراده (ع) أن كون الأمر لله لا- يختص بيوم القيامة بل الأمر لله دائما، و تخصيصه بيوم القيامة باعتبار ظهوره لا باعتبار أصله فالذى يختص به ظهور هذه الحقيقة ظهور عيان فيسقط اليوم أمر غيره تعالى و حكمه، و نظير الأمر سائر ما عد في كلامه تعالى من مختصات يوم القيامة، فالرواية من غرر الروايات.

(٨٣) سورة المطففين مكيه أو مدنيه و هي ست و ثلاثون آيه (٣٦)

[سورة المطففين (٨٣): الآيات ١ الى ٢١]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَ إِذَا كَالُواهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينَ (٧) وَ مَا أَذْرَاكَ مَا سِجِّينُ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩) وَ يَلُوكَ يُومِئِدِ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَ مَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا- بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَ مَا أَذْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١)

ص: ٢٢٩

تفتتح السوره بوعيد أهل التطفيف فى الكيل و الوزن و تذرهم بأنهم مبعوثون للجزاء فى يوم عظيم و هو يوم القيامه ثم تتخلص لتفصيل ما يجرى يومئذ على الفجار و الأبرار.

و الأنسب بالنظر إلى السياق أن يكون أول السوره المشتمل على وعيد المطففين نازلا بالمدينه و أما ما يتلوه من الآيات إلى آخر السوره فيقبل الانطباق على السياقات المكيه و المدينه.

قوله تعالى: «وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ» دعاء على المطففين و التطفيف نقص المكيال و الميزان، و قد نهى الله تعالى عنه و سماه إفسادا فى الأرض كما فيما حكاه من قول شعيب: «وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» هود: ٨٤، و قد تقدم الكلام فى تفسير الآيه فى معنى كونه إفسادا فى الأرض.

قوله تعالى: «الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ» الاكتيال من الناس الأخذ منهم بالكيل، و تعديته بعلى لإفاده معنى الضرر، و الكيل إعطاؤهم بالمكيال يقال: كاله طعامه و وزنه و كال له طعامه و وزن له و الأول لغه أهل الحجاز و عليه التنزيل و الثانى لغه غيرهم كما فى المجمع، و الاستيفاء أخذ الحق تاما كاملا، و الإخسار الإيقاع فى الخساره.

و المعنى: الذين إذا أخذوا من الناس بالكيل يأخذون حقهم تاما كاملا، و إذا أعطوا الناس بالكيل أو الوزن ينقصون فيوقعونهم فى الخسران.

فمضمون الآيتين جميعا ذم واحد و هو أنهم يراعون الحق لأنفسهم و لا يراعونه لغيرهم و بعبارة أخرى لا يراعون لغيرهم من الحق مثل ما يراعونه لأنفسهم و فيه إفساد الاجتماع الإنسانى المبني على تعادل الحقوق المتقابلة و فى إفساده كل الفساد.

و لم يذكر الا-تزان مع الاكتيال كما ذكر الوزن مع الكيل إذ قال: «وَ إِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ» قيل: لأن المطففين كانوا باعه و هم كانوا فى الأغلب يشترى الكثير من الحبوب و البقول و نحوهما من الأمتعه ثم يكسبون بها فيبيعونها يسيرا يسيرا تدريجا، و كان دأبهم فى الكثير من هذه الأمتعه أن يؤخذ و يعطى بالكيل لا بالوزن فذكر الاكتيال وحده فى الآيه مبني على الغالب.

وقيل: لم يذكر الاتزان لأن الكيل و الوزن بهما البيع و الشراء فذكر أحدهما يدل على الآخر. و فيه أن ما ذكر في الاكتيال جار في الكيل أيضا و قد ذكر معه الوزن فالوجه لا يخلو من تحكم.

وقيل: الآيتان تحاكيان ما كان عليه دأب الذين نزلت فيهم السوره فقد كانوا يشترون بالاكتيال فقط و يبيعون بالكيل و الوزن جميعا، و هذا الوجه دعوى من غير دليل.

إلى غير ذلك مما ذكره في توجيه الاقتصار على ذكر الاكتيال في الآيه، و لا يخلو شيء منها من ضعف.

قوله تعالى: «أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ» الاستفهام للإنكار و التعجيب، و الظن بمعناه المعروف و الإشاره إلى المطففين بأولئك الموضوعه للإشاره البعيده للدلاله على بعدهم من رحمه الله، و اليوم العظيم يوم القيامة الذى يجازون فيه بعملهم.

و الاكتفاء بظن البعث و حسبانته-مع أن من الواجب الاعتقاد العلمى بالمعاد-لأن مجرد حسابان الخطر و الضرر فى عمل يوجب التجنب عنه و التحرز عن اقترافه و إن لم يكن هناك علم فالظن بالبعث ليوم عظيم يؤاخذ الله فيه الناس بما كسبوا من شأنه أن يردعهم عن اقتراف هذا الذنب العظيم الذى يستتبع العذاب الأليم.

وقيل: الظن فى الآيه بمعنى العلم.

قوله تعالى: «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» المراد به قيامهم من قبورهم-كنايه عن تلبسهم بالحياه بعد الممات-لحكمه تعالى و قضائه بينهم.

قوله تعالى: «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» ردع-كما قيل-عما كانوا عليه من التطفيف و الغفله عن البعث و الحساب.

و قوله: «إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ» إلخ الذى يعطيه التدبر فى سياق الآيات الأربع بقياس بعضها إلى بعض و قياس المجموع إلى مجموع قوله: «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنَ» إلى تمام أربع آيات أن المراد بسجين ما يقابل عليين و معناه علو على علو مضاعف ففيه شيء من معنى السفلى و الانحباس فيه كما يشير إليه قوله: «ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ»: التين: ٥ فالأقرب أن يكون مبالغه من السجن بمعنى الحبس كسكير و شريب من السكر و الشرب فمعناه الذى يحبس من دخله على التخليد كما قيل.

و الكتاب بمعنى المكتوب من الكتابه بمعنى القضاء المحتوم و المراد بكتاب الفجار ما قدره الله لهم من الجزاء و أثبتة بقضائه المحتوم.

فمحصل الآيه أن الذى أثبتة الله من جزائهم أو عده لهم لفي سجين الذى هو سجن يحبس من دخله حبا طويلا أو خالدا.

و قوله: «وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَجِينٌ» مسوق للتهويل.

و قوله: «كِتَابٌ مَرْقُومٌ» خبر لمبتدأ محذوف هو ضمير راجع إلى سجين و الجملة بيان لسجين و «كتاب» أيضا بمعنى المكتوب من الكتابه بمعنى القضاء و الإثبات، و «مرقوم» من الرقم، قال الراغب: الرقم الخط الغليظ، و قيل: هو تعجيم الكتاب، و قوله تعالى:

«كِتَابٌ مَرْقُومٌ» حمل على الوجهين. انتهى، و المعنى الثانى أنسب للمقام فيكون إشاره إلى كون ما كتب لهم متبينا لا إبهام فيه أى إن القضاء حتم لا يتخلف.

و المحصل أن سجين مقضى عليهم مثبت لهم متبين متميز لا إبهام فيه.

و لا- ضير فى لزوم كون الكتاب طرفا للكتاب على هذا المعنى لأن ذلك من ظرفيه الكل للجزء و هى مما لا ضير فيه فيكون سجين كتابا جامعا فيه ما قضى على الفجار و غيرهم من مستحقى العذاب.

و قوله: «وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» نعى و دعاء على الفجار و فيه تفسيرهم بالمكذبين، و «يَوْمَئِذٍ» ظرف لقوله: «إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِينٍ» بحسب المعنى أى ليهلك الفجار - و هم المكذبون - يومئذ تحقق ما كتب الله لهم و قضى عليهم من الجزاء و حل بهم ما أعد لهم من العذاب.

هذا ما يفيدته التدبر فى هذه الآيات الأربع، و هى ذات سياق واحد متصل متلائم الأجزاء.

و للقوم فى تفسير مفردات الآيات الأربع و جملها أقوال متفرقة كقولهم: إن الكتاب فى قوله: «إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ» بمعنى المكتوب و المراد به صحيفه أعمالهم، و قيل:

مصدر بمعنى الكتابه و فى الكلام مضاف محذوف و التقدير كتابه عمل الفجار لفي سجين.

و قولهم: إن الفجار أعم من المكذبين فيشمل الكفار و الفسقه جميعا.

و قولهم: إن المراد بسجين الأرض السابعة السفلى يوضع فيها كتاب الفجار و قيل:

واد فى جهنم، و قيل: جب فيها، و قيل: سجين اسم لكتابهم، و قيل: سجين الأول اسم الموضع الذى يوضع فيه كتابهم و الثانى اسم كتابهم، و قيل: هو اسم كتاب جامع

هو ديوان الشر دون فيه أعمال الفجرة من الثقلين، وقيل: المراد به الخسار والهوان فهو كقولهم: بلغ فلان الحضيض إذا صار في غايه الخمول، وقيل: هو السجيل بدل لامة نونا كما يقال جبرين في جبريل إلى غير ذلك مما قيل.

و قولهم: إن قوله: «كِتَابٌ مَّرْقُومٌ» ليس بيانا و تفسيرا لسجين بل تفسير للكتاب المذكور في قوله: «إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ».

و قولهم: إن قوله: «وَيُلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» متصل بقوله: «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» والآيات الثلاث الواقعة بين الآيتين اعتراض.

و أنت إن تأملت هذه الأقاويل وجدت كثيرا منها تحكما محضا لا دليل عليه.

على أنها تقطع ما في الآيات من السياق الواحد المتصل الذى يحاذى به ما فى الآيات الأربع الآتية فى صفة كتاب الأبرار من السياق الواحد المتصل فلا نطيل الكلام بالتعرض لواحد واحد منها و المناقشه فيها.

قوله تعالى: «الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ» تفسير للمكذبين و ظاهر الآيه-و يؤيده الآيات التالیه-أن المراد بالتكذيب هو التكذيب القولى الصريح فيختص الذم بالكفار و لا يشمل الفسقه من أهل الإيمان فلا يشمل مطلق المطففين بل الكفار منهم.

اللهم إلا أن يراد بالتكذيب ما يعم التكذيب العملى كما ربما أيده قوله السابق:

«أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ» فيشمل الفجار من المؤمنين كالكفار.

قوله تعالى: «وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ» المعتدى اسم فاعل من الاعتداء بمعنى التجاوز و المراد به المتجاوز عن حدود العبوديه، و الأثيم كثير الآثام بحيث تراكم بعضها على بعض بانهماكه فى الأهواء.

و من المعلوم أن المانع الوحيد الذى يردع عن المعصيه هو الإيمان بالبعث و الجزاء، و المنهمك فى الأهواء المتعلق قلبه بالاعتداء و الآثم تأبى نفسه التسليم لما يردع عنها و التزهده عن المعاصى و ينتهى إلى تكذيب البعث و الجزاء قال تعالى: «ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُا السُّوَاىَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ كَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤْنَ»: الروم: ١٠.

قوله تعالى: «إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» المراد بالآيات آيات القرآن بقرينه قوله «تُتْلَىٰ» و الأساطير ما سطره و كتبه و المراد بها أباطيل الأمم الماضين و المعنى إذا تتلى عليه آيات القرآن مما يحذرهم المعصيه و ينذرهم بالبعث و الجزاء قال: هى أباطيل.

قوله تعالى: «كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» ردع عما قاله المكذبون:

«أَسَاطِيرِ الْأُولِينَ» قال الراغب: الرين صدا يعلو الشيء الجليل (1) قال تعالى: «بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ» أى صار ذلك كصدء على جلاء قلوبهم فعمى عليهم معرفه الخير من الشر، انتهى. فكون ما كانوا يكسبون و هو الذنوب رينا على قلوبهم هو حيلوله الذنوب بينهم و بين أن يدرکوا الحق على ما هو عليه.

و يظهر من الآيه:

أولاً: أن للأعمال السيئه نقوشا و صوراً فى النفس تنتقش و تتصور بها.

و ثانياً: أن هذه النقوش و الصور تمنع النفس أن تدرك الحق كما هو و تحول بينها و بينه.

و ثالثاً: أن للنفس بحسب طبعها الأولى صفاء و جلاء تدرك به الحق كما هو و تميز بينه و بين الباطل و تفرق بين التقوى و الفجور قال تعالى: «وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا»: الشمس: ٨.

قوله تعالى: «كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ» ردع عن كسب الذنوب الحائله بين القلب و إدراك الحق، و المراد بكونهم محجوبين عن ربهم يوم القيامة حرمانهم من كرامه القرب و المنزله و لعله مراد من قال: إن المراد كونهم محجوبين عن رحمه ربهم.

و أما ارتفاع الحجاب بمعني سقوط الأسباب المتوسطه بينه تعالى و بين خلقه و المعرفه التامه به تعالى فهو حاصل لكل أحد قال تعالى: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ» المؤمن: ١٦ و قال: «وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ»: النور: ٢٥.

قوله تعالى: «ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ» أى داخلون فيها ملازمون لها أو مقاسون حرها على ما فسره بعضهم و «ثُمَّ» فى الآيه و ما بعدها للتراخي بحسب رتبه الكلام.

قوله تعالى: «ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ» هو توبيخ و تقريع و القائل خزنه النار أو أهل الجنه.

قوله تعالى: «كَلَّا- إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَ مَا أَذْرَاكَ مَا عِثْيُونَ كِتَابَ مَرْقُومٍ» ردع فى معنى الردع الذى فى قوله: «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ» و عليون- كما تقدم- علو على علو مضاعف، و ينطبق على الدرجات العاليه و منازل القرب من الله تعالى كما أن السجين بخلافه.

ص: ٢٣٤

و الكلام فى معنى الآيات الثلاث نظير الكلام فى الآيات الثلاث المتقدمه التى تحاذيها من قوله: «إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِّينٍ وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَجِّينُ كِتَابٌ مَرْقُومٌ».

فالمعنى أن الذى كتب للأبرار وقضى جزاء لبرهم لفي عليين و ما أدراك ما عليون هو أمر مكتوب و مقضى قضاء حتما لازما متبين لا إبهام فيه.

و للقوم أقاويل فى هذه الآيات نظير ما لهم فى الآيات السابقه من الأقوال غير أن من أقوالهم فى عليين أنه السماء السابعه تحت العرش فيه أرواح المؤمنين، و قيل سدره المنتهى التى إليها تنتهى الأعمال، و قيل: لوح من زبرجده تحت العرش معلق مكتوب فيه أعمالهم، و قيل: هى مراتب عاليه محفوظه بالجلاله، و الكلام فيها كالكلام فيما تقدم من أقوالهم.

قوله تعالى: «يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ» الأنسب لما تقدم من معنى الآيات السابقه أن يكون «يَشْهَدُهُ» من الشهود بمعنى المعايينه و المقربون قوم من أهل الجنة هم أعلى درجه من عامه الأبرار على ما سيأتى استفادته من قوله: «عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ» فالمراد معاينتهم له بإراءه الله إياه لهم و قد قال الله تعالى فى مثله من أمر الجحيم: «كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ»: التكاثر: ٦ و منه يظهر أن المقربين هم أهل اليقين.

و قيل: الشهاده هى الحضور و المقربون الملائكه، و المراد حضور الملائكه على صحيفه عملهم إذا صعدوا بها إلى الله سبحانه.

و قيل: المقربون هم الأبرار و الملائكه جميعا.

و القولان مبنيان على أن المراد بالكتاب صحيفه الأعمال و قد تقدم ضعفه.

بحث روائى

فى تفسير القمى، و فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر (ع) قال*: نزلت يعنى سورة المطففين على نبي الله ص - حين قدم المدينه و هم يومئذ أسوأ الناس كيلا - فأحسنوا الكيل.

و فى أصول الكافى، بإسناده عن أبى حمزه الثمالى قال*: سمعت أبا جعفر (ع) يقول:

إن الله عز و جل خلقنا من أعلى عليين - و خلق قلوب شيعتنا مما خلقنا منه - و خلق أبدانهم من دون ذلك - فقلوبهم تهوى إلينا لأنها خلقت مما خلقنا - ثم تلا هذه الآية «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِّيْنَ - وَمَا أَذْرَاكَ مَا عَلِّيُونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ».

و خلق قلوب عدونا من سجين - و خلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه - و أبدانهم من دون

ذلك، قلوبهم تهوى إليهم لأنها خلقت مما خلقوا منه- ثم تلا هذه الآية « كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ - وَ مَا أَذْرَاكَ مَا سِجِّينُ كِتَابٌ مَرْقُومٌ - وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ».

أقول: و روى مثله في أصول الكافي، بطريق آخر عن الثمالي عنه (ع)، و رواه في علل الشرائع، بإسناد فيه رفع عن زيد الشحام عن أبي عبد الله (ع): مثله

، و الأحاديث - كما ترى - تؤيد ما قدمناه في معنى الآيات.

و في تفسير القمي، " في قوله تعالى: « كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ » قال: ما كتب الله لهم من العذاب لفي سجين.

و فيه، في روايه أبي الجارود عن أبي جعفر (ع) قال: * السجين الأرض السابعة و عليون السماء السابعة.

أقول: الروايه لو صحت مبنيه على انتساب الجنة و النار إلى جهتي العلو و السفلى بنوع من العناية و لذلك نظائر في الروايات كعد القبر روضه من رياض الجنة أو حفره من حفر النار و عد وادى برهوت مكانا لجهنم.

و في الدر المنثور، أخرج ابن المبارك عن سعيد بن المسيب قال " *: التقى سلمان و عبد الله بن سلام - فقال أحدهما لصاحبه: إن مت قبلي فالقني - فأخبرني بما صنع ربك بك - و إن أنا مت قبلك لقيتك فأخبرتك - فقال عبد الله: كيف يكون هذا؟ قال: نعم إن أرواح المؤمنين تكون في برزخ من الأرض - تذهب حيث شاءت و نفس الكافر في سجين و الله أعلم.

و في أصول الكافي، بإسناده عن زراره عن أبي جعفر (ع) قال: * ما من عبد إلا - و في قلبه نكته بيضاء - فإذا أذنب ذنبا خرج في تلك النكته نكته سوداء - فإن تاب ذهب ذلك السواد، و إن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد - حتى يغطي البياض - فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبدا - و هو قول الله عز و جل: « كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ».

أقول: و روى هذا المعنى في الدر المنثور، عن عدة من أصحاب الجوامع عن أبي هريره عن النبي ص .

و فيه، بإسناده عن عبد الله بن محمد الحجال عن بعض أصحابنا رفعه قال: قال رسول الله ص: تذاكروا و تلاقوا و تحدثوا فإن الحديث جلاء للقلوب - إن القلوب لترين كما يرين السيف و جلاؤه الحديث.

و عن روضه الواعظين، قال الباقر (ع): ما شيء أفسد للقلب من الخطيئه - إن القلب

ليواقع الخطيئه فما تزال به حتى تغلب عليه-فيصير أسفله أعلاه و أعلاه أسفله.

قال رسول الله ص: إن المؤمن إذا أذنب كانت نكته سوداء في قلبه-فإن تاب و نزع و استغفر صقل قلبه منه و إن ازداد زادت-
فذلك الران الذي ذكره الله تعالى في كتابه- « كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ».

[سوره المطففين (٨٣): الآيات ٢٢ الى ٣٦]

اشاره

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَ فِي ذَلِكَ فَلَيْتِنَافْسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَ مِرَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَ إِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَ إِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ (٣٢) وَ مَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ (٣٥) هَلْ تُؤْتَوْنَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)

بيان

بيان فيه بعض التفصيل لجلاله قدر الأبرار و عظم منزلتهم عند الله تعالى و غزاره عيشهم في الجنة، و أنهم على كونهم يستهزئ بهم الكفار و يتغامزون بهم و يضحكون منهم سيضحكون منهم و ينظرون إلى ما ينالهم من العذاب.

قوله تعالى: « إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ » النعيم النعمة الكثيره و في تنكيه دلالة على فخامه قدره، و المعنى أن الأبرار لفي نعمه كثيره لا يحيط بها الوصف.

قوله تعالى: « عَلَى الْأَرَائِكِ يُنْظَرُونَ » الأرائك جمع أريكه و الأريكة السرير فى الجملة و هى البيت المزين للعروس و إطلاق قوله: « يُنْظَرُونَ » من غير تقييد يؤيد أن يكون المراد نظرهم إلى مناظر الجنة البهجة و ما فيها من النعيم المقيم، و قيل: المراد به النظر إلى ما يجزى به الكفار و ليس بذاك.

قوله تعالى: « تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ » النضرة البهجة و الروتق، و الخطاب للنبي ص باعتبار أن له أن ينظر فيعرف بالحكم عام و المعنى كل من نظر إلى وجوههم يعرف فيها بهجة النعيم الذى هم فيه.

قوله تعالى: « يُشِيقُونَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ » الرحيق الشراب الصافى الخالص من الغش، و يناسبه وصفه بأنه مختوم فإنه إنما يختم على الشئ النفيس الخالص ليسلم من الغش و الخلط و إدخال ما يفسده فيه.

قوله تعالى: « خِتَامُهُ مِسْكٌ وَ فِي ذَلِكَ فَلَيْتِنَافِسِ الْمُتَنَافِسُونَ » قيل الختام بمعنى ما يختم به أى إن الذى يختم به مسك بدلا من الطين و نحوه الذى يختم به فى الدنيا، و قيل:

أى آخر طعمه الذى يجده شاربه رائحه المسك.

و قوله: « وَ فِي ذَلِكَ فَلَيْتِنَافِسِ الْمُتَنَافِسُونَ » التنافس التغالب على الشئ و يفيد بحسب المقام معنى التسابق قال تعالى: « سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ »: الحديد: ٢١، و قال: « فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ »: المائدة: ٤٨، ففيه ترغيب إلى ما وصف من الرحيق المختوم.

و استشكل فى الآيه بأن فيها دخول العاطف على العاطف إذ التقدير فليتنافس فى ذلك إلخ و أوجب بأن الكلام على تقدير حرف الشرط و الفاء واقعه فى جوابه و قدم الظرف ليكون عوضا عن الشرط و التقدير و إن أريد تنافس فليتنافس فى ذلك المتنافسون.

و يمكن أن يقال: إن قوله: « وَ فِي ذَلِكَ » معطوف على ظرف آخر محذوف متعلق بقوله: « فَلَيْتِنَافِسِ » يدل عليه المقام فإن الكلام فى وصف نعيم الجنة فيفيد قوله: « وَ فِي ذَلِكَ » ترغيبا مؤكدا بتخصيص الحكم بعد التعميم، و المعنى فليتنافس المتنافسون فى نعيم الجنة عامه و فى الرحيق المختوم الذى يسقونه خاصة فهو كقولنا: أكرم المؤمنين و الصالحين منهم خاصة، و لا تكن عيابا و للعلماء خاصة.

قوله تعالى: « وَ مَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ » المزاج ما يمزج به، و التسنيم على ما تفسره الآيه التاليه عين فى الجنة سماه الله تسنيما و فى لفظه معنى الرفع و الملء يقال: سنمه أى رفعه

و منه سنام الإبل، و يقال: سنام الإبل أى ملاء.

قوله تعالى: «عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ» يقال: شربه و شرب به بمعنى و «عَيْنًا» منصوب على المدح أو الاختصاص و «يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ» وصف لها و المجموع تفسير للتسليم.

و مفاد الآيه أن المقربين يشربون التسليم صرفا كما أن مفاد قوله: «وَ مِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ» أنه يمزج بها ما فى كأس الأبرار من الرحيق المختوم، و يدل ذلك أولا على أن التسليم أفضل من الرحيق المختوم الذى يزيد لذه بمزجها، و ثانيا أن المقربين أعلى درجه من الأبرار الذين يصفهم الآيات.

قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ» يعطى السياق أن المراد بالذين آمنوا هم الأبرار الموصوفون فى الآيات و إنما عبر عنهم بالذين آمنوا لأن سبب ضحك الكفار منهم و استهزائهم بهم إنما هو إيمانهم كما أن التعبير عن الكفار بالذين أجروا للدلالة على أنهم بذلك من المجرمين.

قوله تعالى: «وَ إِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ» عطف على قوله: «يَضْحَكُونَ» أى كانوا إذا مروا بالذين آمنوا يغمز بعضهم بعضا و يشيرون بأعينهم استهزاء بهم.

قوله تعالى: «وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ» الفكه بالفتح فالكسر المرح البطر، و المعنى و كانوا إذا انقلبوا و صاروا إلى أهلهم عن ضحكهم و تغامزهم انقلبوا ملتذين فرحين بما فعلوا أو هو من الفكاهه بمعنى حديث ذوى الإنس و المعنى انقلبوا و هم يحدثون بما فعلوا تفكها.

قوله تعالى: «وَ إِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ» على سبيل الشهاده عليهم بالضلال أو القضاء عليهم و الثانى أقرب.

قوله تعالى: «وَ مَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ» أى و ما أرسل هؤلاء الذين أجروا حافظين على المؤمنين يقضون فى حقهم بما شاءوا أو يشهدون عليهم بما هووا، و هذا تهكم بالمستهزئين.

قوله تعالى: «فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ» المراد باليوم يوم الجزاء، و التعبير عن الذين أجروا بالكفار رجوع إلى حقيقه صفتهم. قيل: تقديم الجار و المجرور على الفعل أعنى «مِنَ الْكُفَّارِ» على «يَضْحَكُونَ» لإفاده قصر القلب، و المعنى فالיום الذين آمنوا يضحكون من الكفار لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون فى الدنيا.

قوله تعالى: «عَلَىٰ الْأَرْأَيْكَ يَنْظُرُونَ هَلْ تُؤْتَىٰ بِكُفَّارًا مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ» الثواب فى

الأصل مطلق الجزاء و إن غلب استعماله في الخير، و قوله «عَلَى الْأَرْضِ نَكِّ» خبر بعد خبر للذين آمنوا و «يَنْظُرُونَ» خبر آخر، و قوله: «هَلْ تُؤْتَبُ» إلخ متعلق بقوله:

«يَنْظُرُونَ» قائم مقام المفعول.

و المعنى:الذين آمنوا على سرر في الحجال ينظرون إلى جزاء الكفار بأفعالهم التي كانوا يفعلونها في الدنيا من أنواع الأجرام و منها ضحكهم من المؤمنين و تغامزهم إذا مروا بهم و انقلبهم إلى أهلهم فكهين و قولهم:إن هؤلاء لضالون.

بحث روائى

في تفسير القمى، "في قوله تعالى: «وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسِ الْمُتَنَفِّسُونَ» قال:فيما ذكرناه من الثواب الذى يطلبه المؤمن.

و فى المجمع، "فى قوله تعالى: «وَ إِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ» قيل نزلت فى على بن أبى طالب (ع) -و ذلك أنه كان فى نفر من المسلمين جاءوا إلى النبى ص -فسخر منهم المنافقون و ضحكوا و تغامزوا- ثم رجعوا إلى أصحابهم فقالوا: رأينا اليوم الأصلح فضحكنا منه -فنزلت الآية قبل أن يصل على و أصحابه إلى النبى ص "عن مقاتل و الكلبي.

أقول:وقد أورده فى الكشف،.

و فيه ذكر الحاكم أبو القاسم الحسكاني فى كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفصيل بإسناده عن أبى صالح عن ابن عباس قال "»: «إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا» منافقو قريش -و«الَّذِينَ آمَنُوا» على بن أبى طالب و أصحابه.

و فى تفسير القمى، "»: «إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا» -إلى قوله- فَكِهِينَ «قال:يسخرون.

(٨٤) سورة الانشقاق مكيه و هى خمس و عشرون آيه (٢٥)

[سورة الانشقاق (٨٤): الآيات ١ الى ٢٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) وَ أَدْنَتْ لِرَبِّهَا وَ حُجَّتْ (٢) وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَ أَلْقَتْ مَا فِيهَا وَ تَخَلَّتْ (٤) وَ أَدْنَتْ لِرَبِّهَا وَ حُجَّتْ (٥) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَ يَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَ أَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا (١١) وَ يَصِلَىٰ سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤) بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥) فَلَا أُفْسِمُ بِالسَّفَقِ (١٦) وَ اللَّيْلِ وَ مَا وَسَقَ (١٧) وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَمُرَّكَ بِهِنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ (١٩) فَهَلْ لَهُمْ لَا- يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا- يَسْمَعُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا- يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُمْ بَعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إِلَّا- الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ

(٢٥)

ص: ٢٤٠

تشير السوره إلى قيام الساعة، و تذكر أن للإنسان سيرا إلى ربه حتى يلاقيه فيحاسب على ما يقتضيه كتابه و تؤكد القول في ذلك و الغلبه فيها للإنذار على التبشير. و سياق آياتها سياق مكى.

قوله تعالى: «إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ» شرط جزاؤه محذوف يدل عليه قوله: «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ» و التقدير: لاقى الإنسان ربه فحاسبه و جازاه على ما عمل.

و انشقاق السماء و هو تصدعه و انفراجه من أشرط الساعه كمد الأرض و سائر ما ذكر فى مواضع من كلامه تعالى من تكوير الشمس و اجتماع الشمس و القمر و انتشار الكواكب و نحوها.

قوله تعالى: « وَ أَذِنَتْ لِرَبِّهَا ۖ وَ حُقَّتْ » الإذن الاستماع و منه الأذن لجارحه السمع و هو مجاز عن الانقياد و الطاعه، و « حُقَّتْ » أى جعلت حقيقه و جديره بأن تسمع، و المعنى و أطاعت و انقادت لربها و كانت حقيقه و جديره بأن تستمع و تطيع.

قوله تعالى: « وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ » الظاهر أن المراد به اتساع الأرض، و قد قال تعالى: « يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ »: إبراهيم: ٤٨.

قوله تعالى: « وَ أَلْقَتْ مَا فِيهَا وَ تَخَلَّتْ » أى ألقى الأرض ما فى جوفها من الموتى و بالغت فى الخلو مما فيها منهم.

و قيل: المراد إلقائها الموتى و الكنوز كما قال تعالى: « وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا »: الزلزال: ٢ و قيل: المعنى ألقى ما فى بطنها و تخلت مما على ظهرها من الجبال و البحار، و لعل أول الوجوه أقربها.

قوله تعالى: « وَ أَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَ حُقَّتْ » ضمائر التأنيث للأرض كما أنها فى نظيرتها المتقدمه للسماء، و قد تقدم معنى الآيه.

قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ » قال الراغب:

الكدح السعى و العناء. انتهى. ففیه معنى السير، و قيل: الكدح جهد النفس فى العمل حتى يؤثر فيها انتهى. و على هذا فهو مضمن معنى السير بدليل تعديه بإلى ففى الكدح معنى السير على أى حال.

و قوله: « فَمُلَاقِيهِ » عطف على « كَادِحٌ » و قد بين به أن غايه هذا السير و السعى و العناء هو الله سبحانه بما أن له الربوبيه أى إن الإنسان بما أنه عبد مربوب و مملوك مدبر ساع إلى الله سبحانه بما أنه ربه و مالكة المدبر لأمره فإن العبد لا يملك لنفسه إرادته و لا عملا فعليه أن يريد و لا يعمل إلا ما أَرَادَهُ ربه و مولاه و أمره به فهو مسئول عن إرادته و عمله.

و من هنا يظهر أولا- أن قوله: « إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ » يتضمن حجه على المعاد لما عرفت أن الربوبيه لا تتم إلا مع عبوديه و لا تتم العبوديه إلا مع مسئوليه و لا تتم مسئوليه إلا برجوع و حساب على الأعمال و لا يتم حساب إلا بجزاء.

و ثانياً: أن المراد بملاقاته انتهاؤه إلى حيث لا حكم إلا حكمه من غير أن يحجبه عن ربه حاجب.

و ثالثاً: أن المخاطب في الآية هو الإنسان بما أنه إنسان فالمراد به الجنس و ذلك أن الربوبية عامه لكل إنسان.

قوله تعالى: «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ» تفصيل مترتب على ما يلوح إليه قوله:

«إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ» أن هناك رجوعاً و سؤالاً عن الأعمال و حساباً، و المراد بالكتاب صحيفه الأعمال بقرينه ذكر الحساب، و قد تقدم الكلام في معنى إعطاء الكتاب باليمين في سورتي الإسراء و الحاقه.

قوله تعالى: «فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا» الحساب اليسير ما سوهل فيه و خلا عن المناقشه.

قوله تعالى: «وَيُنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا» المراد بالأهل من أعده الله له في الجنة من الحور و الغلمان و غيرهم و هذا هو الذى يفيد السياق، و قيل: المراد به عشيرته المؤمنون ممن يدخل الجنة، و قيل المراد فريق المؤمنين و إن لم يكونوا من عشيرته فالمؤمنون إخوه.

و الوجهان لا يخلوان من بعد.

قوله تعالى: «وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ» الظرف منصوب بنزع الخافض و التقدير من وراء ظهره، و لعلمهم إنما يؤتون كتبهم من وراء ظهورهم لرد وجوههم على أديبارهم كما قال تعالى: «مَنْ قَبِلَ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا» النساء: ٤٧.

و لا منافاه بين إيتاء كتبهم من وراء ظهورهم و بين إيتائهم بشمالهم كما وقع في قوله تعالى: «وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَرْجِعُونَ» الحاقه: ٢٥ و سيأتى في البحث الروائى التالى ما ورد في الروايات من معنى إيتاء الكتاب من وراء ظهورهم.

قوله تعالى: «فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا» الثبور كالويل الهلاك و دعاؤهم الثبور قولهم: وا ثبوراه.

قوله تعالى: «وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا» أى يدخل ناراً مؤججه لا يوصف عذابها، أو يقاسى حرها.

قوله تعالى: «إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا» يسره ما يناله من متاع الدنيا و تنجذب نفسه إلى زينتها و ينسيه ذلك أمر الآخره و قد ذم تعالى فرح الإنسان بما يناله من خير الدنيا و سماه فرحاً بغير حق قال تعالى بعد ذكر النار و عذابها: «ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ» المؤمن: ٧٥.

قوله تعالى: «إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ» أى لن يرجع و المراد الرجوع إلى ربه للحساب

و الجزاء، و لا سبب يوجبهم عليهم إلا التوغل في الذنوب و الآثام الصارفة عن الآخره الداعيه إلى استبعاد البعث.

قوله تعالى: «بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا» رد لظنه أى ليس الأمر كما ظنه بل يحور و يرجع، و قوله: «إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا» تعليل للرد المذكور فإن الله سبحانه كان ربه المالِك له المدبر لأمره و كان يحيط به علما و يرى ما كان من أعماله و قد كلفه بما كلف و لأعماله جزاء خيرا أو شرا فلا بد أن يرجع إليه و يجزى بما يستحقه بعمله.

و بذلك يظهر أن قوله: «إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا» من إعطاء الحجه على وجوب المعاد نظير ما تقدم فى قوله: «إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ» الآية.

و يظهر أيضا من مجموع هذه الآيات التسع أن إيتاء الكتب و نشر الصحف قبل الحساب كما يدل عليه أيضا قوله تعالى: «وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا» :إسراء: ١٤.

ثم الآيات كما ترى تخص إيتاء الكتاب من وراء الظهر بالكفار فيقع الكلام فى عصاه المؤمنين من أصحاب الكبائر ممن يدخل النار فيمكث فيها برهه ثم يخرج منها بالشفاعه على ما فى الأخبار من طرق الفريقين فهؤلاء لا يؤتون كتابهم من وراء ظهورهم لاختصاص ذلك بالكفار و لا يمينهم لظهور الآيات فى أن أصحاب اليمين يحاسبون حسابا يسيرا و يدخلون الجنة، و لا سبيل إلى القول بأنهم لا يؤتون كتابا لمكان قوله تعالى: «وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ» الآية المفيد للعموم.

و قد تخلص بعضهم عن الإشكال بأنهم يؤتون كتابهم باليمين بعد الخروج من النار.

و فيه أن ظاهر الآيات إن لم يكن صريحها أن دخول النار أو الجنة فرع مترتب على القضاء المترتب على الحساب المترتب على إيتاء الكتب و نشر الصحف فلا معنى لإيتاء الكتاب بعد الخروج من النار.

و احتمال بعضهم أن يؤتوا كتابهم بشمالهم و يكون الإيتاء من وراء الظهر مخصوصا بالكفار كما تفيده الآيات.

و فيه أن الآيات التى تذكر إيتاء الكتاب بالشمال -و هى التى فى سوره الواقعه و الحاقه و فى معناها ما فى سوره الإسراء أيضا- تخص إيتاء الكتاب بالشمال بالكفار و يظهر من مجموع الآيات أن الذين يؤتون كتابهم بشمالهم هم الذين يؤتونه من وراء ظهورهم.

و قال بعضهم من الممكن أن يؤتوا كتابهم من وراء ظهورهم و يكون قوله: «فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا» من قبيل وصف الكل بصفه بعض أجزائه.

و فيه أن المقام لا يساعد على هذا التجوز فإن المقام مقام تمييز السعداء من الأشقياء و تشخيص كل جزائه الخاص به فلا مجوز لإدغام جمع من أهل العذاب فى أهل الجنة.

على أن قوله: «فَسَوْفَ يُحَاسَبُ» إلخ وعد جميل إلهى و لا معنى لشموله لغير مستحقه و لو بظاهر من القول.

نعم يمكن أن يقال: إن اليسر و العسر معنيان إضافيان و حساب العصاة من أهل الإيمان يسير بالإضافة إلى حساب الكفار المخلدين فى النار و لو كان عسيرا بالإضافة إلى حساب المتقين.

و يمكن أيضا أن يقال إن قسمه أهل الجمع إلى أصحاب اليمين و أصحاب الشمال غير حاصره كما يدل عليه قوله تعالى: «وَ كُنْتُمْ أَرْوَاجًا ثَلَاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» الواقعة: ١١ فمدلول الآيات خروج المقربين من الفريقين، و مثلهم المستضعفون كما ربما يستفاد من قوله تعالى: «وَ آخِرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَ إِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ» التوبة: ١٠٦.

فمن الجائز أن لا يكون تقسيم أهل الجمع إلى أصحاب اليمين و أصحاب الشمال تقسيما حاصرا لجميعهم بل تخصيصا لأهل الجنة من المتقين و أهل الخلود فى النار بالذكر بتوصيفهم بإيتاء الكتاب باليمين و بالشمال لمكان الدعوه إلى الإيمان و التقوى و نظير ذلك ما فى سورة المرسلات من ذكر يوم الفصل ثم بيان حال المتقين و المكذبين فحسب و ليس ينحصر الناس فى القبيلين، و نظيره ما فى سورة النبأ و النازعات و عبس و الانفطار، و المطففين و غيرها فالغرض فيها ذكر أنموذج من أهل الإيمان و الطاعة و أهل الكفر و التكذيب و السكوت عن سواهم ليتذكر أن السعادة فى جانب التقوى و الشقاء فى جانب التمرد و الطغوى.

قوله تعالى: «فَلَا أُفْسِمُ بِالشَّفَقِ» الشفق الحمرة ثم الصفرة ثم البياض التى تحدث بالمغرب أول الليل.

قوله تعالى: «وَ اللَّيْلِ وَ مَا وَسَقَ» أى ضم و جمع ما تفرق و انتشر فى النهار من الإنسان و الحيوان فإنها تتفرق و تنتشر بالطبع فى النهار و ترجع إلى مأواها فى الليل فتسكن.

و فسر بعضهم «وسق» بمعنى طرد أى طرد الكواكب من الخفاء إلى الظهور.

قوله تعالى: «وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ» أى اجتمع و انضم بعض نوره إلى بعض فاكمل

قوله تعالى: «لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ» جواب القسم و الخطاب للناس و الطبق هو الشيء أو الحال الذى يطابق آخر سواء كان أحدهما فوق الآخر أم لا- و المراد به كيف كان المرحلة بعد المرحلة يقطعها الإنسان فى كدحه إلى ربه من الحياه الدنيا ثم الموت ثم الحياه البرزخيه ثم الانتقال إلى الآخره ثم الحياه الآخره ثم الحساب و الجزاء.

و فى هذا الإقسام- كما ترى- تأكيد لما فى قوله: «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ» الآية و ما بعده من نيا البعث و توطئه و تمهيد لما فى قوله: «فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» من التعجيب و التوبيخ و ما فى قوله: «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ» إلخ من الإنذار و التبشير.

و فى الآية إشارة إلى أن المراحل التى يقطعها الإنسان فى مسيره إلى ربه مترتبه متطابقه.

قوله تعالى: «فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ» الاستفهام للتعجيب و التوبيخ و لذا ناسب الالتفات الذى فيه من الخطاب إلى الغيبه كأنه لما رأى أنهم لا يتذكرون بتذكيره و لا يتعظون بعظته أعرض عنهم إلى النبى ص فخاطبه بقوله: «فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» إلخ.

قوله تعالى: «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ» «يُكَذِّبُونَ» يفيد الاستمرار، و التعبير عنهم بالذين كفروا للدلاله على عله التكذيب، و الإيعاء كما قيل جعل الشيء فى وعاء.

و المعنى: أنهم لم يتركوا الإيمان لقصور فى البيان أو لانقطاع من البرهان لكنهم اتبعوا أسلافهم و رؤساءهم فرسخوا فى الكفر و استمروا على التكذيب و الله يعلم بما جمعوا فى صدورهم و أضمروا فى قلوبهم من الكفر و الشرك.

و قيل: المراد بقوله: «وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ» أن لهم وراء التكذيب مضمرة فى قلوبهم لا يحيط بها عبارته و لا يعلمها إلا الله، و هو بعيد من السياق.

قوله تعالى: «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» التعبير عن الإخبار بالعذاب بالتبشير مبنى على التهكم، و الجملة متفرعه على التكذيب.

قوله تعالى: «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» استثناء منقطع من ضمير «فَبَشِّرْهُمْ» و المراد بكون أجرهم غير ممنون خلوه من قول يثقل على المأجور.

بحث روائى

فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ» قال: يوم القيامة.

و فى الدر المنثور، أخرج ابن أبى حاتم عن على قال *تنشق السماء من المجره.

و فى تفسير القمى، "فى قوله: «وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَ أَلْقَتْ مَا فِيهَا وَ تَخَلَّتْ» قال: تمد الأرض فتنتشق فيخرج الناس منها.

و فى الدر المنثور، أخرج الحاكم بسند جيد عن جابر عن النبي ص قال: * تمد الأرض يوم القيامة مد الأديم- ثم لا يكون لابن آدم منها إلا موضع قدميه.

و فى الاحتجاج، عن على (ع) فى حديث قال * و الناس يومئذ على صفات و منازل- فمنهم من يحاسب حساباً يسيراً و ينقلب إلى أهله مسروراً، و منهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب- لأنهم لم يلبثوا من أمر الدنيا بشيء- و إنما الحساب هناك على من يلبس بها هاهنا، و منهم من يحاسب على النقيير و القطمير- و يصير إلى عذاب السعير.

و فى المعانى، بإسناده عن ابن سنان عن أبى جعفر (ع) قال: * قال رسول الله ص:

كل محاسب معذب فقال له قائل: يا رسول الله فأين قول الله عز و جل: «فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا» قال: ذلك العرض يعنى التصفح.

أقول: و روى فى الدر المنثور، عن البخارى و مسلم و الترمذى و غيرهم عن عائشه: مثله .

و فى تفسير القمى، و فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر (ع) * فى قوله: «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ» فهو أبو سلمه عبد الله بن عبد الأسود بن هلال المخزومى- و هو من بنى مخزوم، «وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ» فهو أخوه الأسود بن عبد الأسود المخزومى- فقتله حمزه بن عبد المطلب يوم بدر.

و فى المجمع: فى قوله تعالى: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» و قيل:

معناه شده بعد شده- حياه ثم موت ثم بعث ثم جزاء: و روى ذلك مرفوعاً .

و عن جوامع الجامع، فى الآيه عن أبى عبيده: لتركبن سنن من كان قبلكم من الأولين و أحوالهم: و روى ذلك عن الصادق (ع) .

(٨٥) سورة البروج مكيه و هى اثنتان و عشرون آيه (٢٢)

[سورة البروج (٨٥): الآيات ١ الى ٢٢]

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَ الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَ شَاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَ هُمْ عَلَى مَا يُفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَ مَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَ لَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَزَاءٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ

رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ
حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنُ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ
(٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)

سوره إنذار و تبشير فيها وعيد شديد للذين يفتنون المؤمنين و المؤمنات لإيمانهم بالله كما كان المشركون من أهل مكة يفعلون ذلك بالذين آمنوا بالنبى ص فيعدونهم ليرجعوا إلى شركهم السابق فمنهم من كان يصبر ولا يرجع بل بلغ الأمر ما بلغ، و منهم من رجع و ارتد و هم ضعفاء الإيمان كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾: العنكبوت: ١٠، و قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْتِيدُ اللَّهُ عَلَىٰ حَزْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾: الحج: ١١.

و قد قدم سبحانه على ذلك الإشارة إلى قصه أصحاب الأخدود، وفيه تحريض المؤمنين على الصبر في جنب الله تعالى، و أتبعها بالإشارة إلى حديث الجنود فرعون و ثمود و فيه تطيب لنفس النبي ص بوعده النصر و تهديد للمشركين.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: «وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ» البروج جمع برج و هو الأمر الظاهر و يغلب استعماله في القصر العالى لظهوره على الناظرين و يسمى البناء المعمول على سور البلد للدفاع برجا و هو المراد في الآيه لقوله تعالى: «وَ لَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَ زِينَةً لِلنَّاظِرِينَ وَ حَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ» الحجر: ١٧، فالمراد بالبروج مواضع الكواكب من السماء.

و بذلك يظهر أن تفسير البروج بالبروج الاثني عشر المصطلح عليها في علم النجوم غير سديد و في الآيه إقسام بالسماء المحفوظه بالبروج، و لا يخفى مناسبه لما سيشار إليه من القصه ثم الوعيد و الوعد و سنشير إليه.

قوله تعالى: «وَ الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ» عطف على السماء و إقسام باليوم الموعود و هو يوم القيامة الذي وعد الله القضاء فيه بين عباده.

قوله تعالى: «وَ شَاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ» معطوفان على السماء و الجميع قسم بعد قسم على ما أريد بيانه في السوره و هو- كما تقدمت الإشارة إليه- الوعيد الشديد لمن يفتن المؤمنين و المؤمنات لإيمانهم و الوعد الجميل لمن آمن و عمل صالحا.

فكأنه قيل: أقسم بالسماء ذات البروج التي يدفع الله بها عنها الشياطين أن الله يدفع عن إيمان المؤمنين كيد الشياطين و أوليائهم من الكافرين، و أقسم باليوم الموعود الذي يجزى فيه الناس بأعمالهم، و أقسم بشاهد يشهد و يعاين أعمال أولئك الكفار و ما يفعلونه بالمؤمنين لإيمانهم بالله و أقسم بمشهود سيشهده الكل و يعاينونه إن الذين فتنوا المؤمنين و المؤمنات، إلى آخر الآيتين.

و من هنا يظهر أن الشهاده في «شَاهِدٍ» و «مَشْهُودٍ» بمعنى واحد و هو المعاينه بالحضور، على أنها لو كانت بمعنى تأديه الشهاده لكان حق التعبير «و مشهود عليه» لأنها بهذا المعنى إنما تتعدى بعلى.

و على هذا يقبل «شَاهِدٍ» الانطباق على النبي ص لشهادته أعمال أمته ثم يشهد عليها يوم القيامة، و يقبل «مَشْهُودٍ» الانطباق على تعذيب الكفار لهؤلاء المؤمنين و ما فعلوا

بهم من الفتنة و إن شئت فقل: على جزائه و إن شئت فقل على ما يقع يوم القيامة من العقاب و الثواب لهؤلاء الظالمين و المظلومين، و تنكير « مَشْهُودٍ » و « شَاهِدٍ » على أى حال للتفخيم.

و لهم فى تفسير شاهد و مشهود أقاويل كثيرة أنهاها بعضهم إلى ثلاثين كقول بعضهم إن الشاهد يوم الجمعة و المشهود يوم عرفه، و القول بأن الشاهد يوم النحر و المشهود يوم عرفه، و القول بأن الشاهد يوم عرفه و المشهود يوم القيامة، و القول بأن الشاهد الملك يشهد على بنى آدم و المشهود يوم القيامة، و القول بأن الشاهد الذين يشهدون على الناس و المشهود الذين يشهد عليهم.

و القول بأن الشاهد هذه الأمه و المشهود سائر الأمم، و القول بأن الشاهد أعضاء بنى آدم و المشهود أنفسهم و القول بأن الشاهد الحجر الأسود و المشهود الحاج و القول بأن الشاهد الأيام و الليالى و المشهود بنو آدم، و القول بأن الشاهد الأنبياء و المشهود محمد ص، و القول بأن الشاهد هو الله و المشهود لا إله إلا الله.

و القول بأن الشاهد الخلق و المشهود الحق، و القول بأن الشاهد هو الله و المشهود يوم القيامة، و القول بأن الشاهد آدم و ذريته و المشهود يوم القيامة، و القول بأن الشاهد يوم الترويه و المشهود يوم عرفه، و القول بأنها يوم الإثنين و يوم الجمعة، و القول بأن الشاهد:

المقربون و المشهود عليون، و القول بأن الشاهد هو الطفل الذى قال لأمه فى قصه الأخدود:

اصبرى فإنك على الحق و المشهود الواقعه، و القول بأن الشاهد الملائكة المتعاقبون لكتابه الأعمال و المشهود قرآن الفجر إلى غير ذلك من أقوالهم.

و أكثر هذه الأقوال - كما ترى - مبنى على أخذ الشهاده بمعنى أداء ما حمل من الشهاده و بعضها على تفريق بين الشاهد و المشهود فى معنى الشهاده و قد عرفت ضعفه، و أن الأنسب للسياق أخذها بمعنى المعايته و إن استلزم الشهاده بمعنى الأداء يوم القيامة، و أن الشاهد يقبل الانطباق على النبى ص.

كيف لا؟ و قد سماه الله تعالى شاهداً إذ قال: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً» : الأحزاب: ٤٥، و سماه شهيداً إذ قال: «لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ» : الحج- ٧٨، و قد عرفت معنى شهادة الأعمال من شهادتها فيما مر.

ثم إن جواب القسم محذوف يدل عليه قوله: «إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ» إلى تمام آيتين، و يشعر به أيضا قوله: «قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ» إلخ و هو وعيد الفاتنين و وعد المؤمنين الصالحين و أن الله يوفقهم على الصبر و يؤيدهم على حفظ إيمانهم من كيد الكائدين أن أخلصوا كما فعل بالمؤمنين فى قصه الأخدود.

قوله تعالى: «قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ» إشاره إلى قصة الأخدود لتكون توطئه و تمهيدا لما سيحيى من قوله: «إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا» إلخ و ليس جوابا للقسم البتة.

و الأخدود الشق العظيم فى الأرض، و أصحاب الأخدود هم الجبابره الذين خدوا أخدودا و أضرموا فيها النار و أمروا المؤمنين بدخولها فأحرقوهم عن آخرهم نقما منهم لإيمانهم فقوله: «قُتِلَ» إلخ دعاء عليهم و المراد بالقتل اللعن و الطرد.

و قيل: المراد بأصحاب الأخدود المؤمنون و المؤمنات الذين أحرقوا فيه، و قوله:

«قُتِلَ» إخبار عن قتلهم بالإحراق و ليس من الدعاء فى شىء. و يضعفه ظهور رجوع الضمائر فى قوله: «إِذْ هُمْ عَلَيْهَا» و «هُم عَلَى مَا يَفْعَلُونَ» و «مَا نَقَمُوا» إلى أصحاب الأخدود، و المراد بها و خاصه بالثانى و الثالث الجبابره الناقمون دون المؤمنين المعذبين.

قوله تعالى: «الَّتَارِ ذَاتِ الْوُقُودِ» بدل من الأخدود، و الوقود ما يشعل به النار من حطب و غيره، و فى توصيف النار بذات الوقود إشاره إلى عظمه أمر هذه النار و شدة اشتعالها و أجيحها.

قوله تعالى: «إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ» أى فى حال أولئك الجبابره قاعدون فى أطراف النار المشرفه عليها.

قوله تعالى: «وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ» أى حضور ينظرون و يشاهدون إحراقهم و احتراقهم.

قوله تعالى: «وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ» النقم بفتح الحاء الكراهه الشديده أى ما كرهوا من أولئك المؤمنين إلا إيمانهم بالله فأحرقوهم لأجل إيمانهم.

قوله تعالى: «الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» أو صاف جاريه على اسم الجلاله تشير إلى الحججه على أن أولئك المؤمنين كانوا على الحق فى إيمانهم مظلومين فيما فعل بهم لا يخفى حالهم على الله و سيجزيهم خير الجزاء، و على أن أولئك الجبابره كانوا على الباطل مجترين على الله ظالمين فيما فعلوا و سيدوقون وبال أمرهم و ذلك أنه تعالى هو الله العزيز الحميد أى الغالب غير المغلوب على الإطلاق و الجميل فى فعله على الإطلاق فله وحده كل الجلال و الجمال فمن الواجب أن يخضع له و أن لا يتعرض لجانبه، و إذ كان له ملك السماوات و الأرض فهو المليك على الإطلاق له الأمر و له الحكم فهو رب العالمين فمن الواجب أن يتخذ إليها معبودا و لا يشرك به أحد فالؤمنون به على الحق و الكافرون فى ضلال.

ثم إن الله- وهو الموجد لكل شىء- على كل شىء شهيد لا يخفى عليه شىء من خلقه ولا عمل من أعمال خلقه ولا يحتجب عنه إحسان محسن ولا إساءة مسيء فسيجزى كلا بما عمل.

و بالجمله إذ كان تعالى هو الله المتصف بهذه الصفات الكريمة كان على هؤلاء المؤمنين أن يؤمنوا به و لم يكن لأولئك الجبابره أن يتعرضوا لحالهم و لا أن يمسههم بسوء.

و قال بعض المفسرين فى توجيه إجراء الصفات فى الآيه: إن القوم إن كانوا مشركين فالذى كانوا ينقمونه من المؤمنين و ينكرونه عليهم لم يكن هو الإيمان بالله تعالى بل نفى ما سواه من معبوداتهم الباطله، و إن كانوا معطله فالمنكر عندهم ليس إلا إثبات معبود غير معهود لهم لكن لما كان مآل الأمرين إنكار المعبود الحق الموصوف بصفات الجلال و الإكرام عبر بما عبر بإجراء الصفات عليه تعالى.

و فيه غفله عن أن المشركين و هم الوثنيه ما كانوا ينسبون إلى الله تعالى إلا الصنع و الإيجاد.

و أما الربوبية التى تستتبع التدبير و الألوهية التى تستوجب العباده فكانوا يقصرونها فى أربابهم و آلهتهم فيعبدونها دون الله سبحانه، فليس له تعالى عندهم إلا أنه رب الأرباب و إله الآلهه لا غير.

قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَ لَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ» الفتنة المحنه و التعذيب، و الَّذِينَ فَتَنُوا «إلخ» عام يشمل أصحاب الأخدود و مشركى قريش الذين كانوا يفتنون من آمن بالنبي ص من المؤمنين و المؤمنات بأنواع من العذاب ليرجعوا عن دينهم.

قال فى المجمع: يسأل فيقال: كيف فصل بين عذاب جهنم و عذاب الحريق و هما واحد؟ أجيب عن ذلك بأن المراد لهم أنواع العذاب فى جهنم سوى الإحراق مثل الزقوم و الغسلين و المقامع و لهم مع ذلك الإحراق بالنار انتهى.

قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ» وعد جميل للمؤمنين يطيب به نفوسهم كما أن ما قبله وعيد شديد للكفار الفاتنين المعذبين.

قوله تعالى: «إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ» الآية إلى تمام سبع آيات تحقيق و تأكيد لما تقدم من الوعيد و الوعد، و البطش - كما ذكره الراغب- تناول الشىء بصوله.

و فى إضافه البطش إلى الرب و إضافه الرب إلى الكاف تطيب لفس النبى ص بالتأيد و النصر، و إشاره إلى أن لجابره أمته نصيبا من الوعيد المتقدم.

قوله تعالى: «إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ» المقابله بين المبدئ و المعيد يعطى أن المراد بالإبداء البدء، و الافتتاح بالشىء، قالوا: و لم يسمع من العرب الإبداء لكن القراءه ذلك و فى بعض القراءات الشاذه يبدأ بفتح الياء و الدال.

و على أى حال فالآيه تحليل لشده بطشه تعالى و ذلك أنه تعالى مبدئى يوجد ما يريد من شىء إيجادا ابتداءيا من غير أن يستمد على ذلك من شىء غير نفسه، و هو تعالى يعيد كل ما كان إلى ما كان و كل حال فاتته إلى ما كانت عليه قبل الفوت فهو تعالى لا يمتنع عليه ما أراد و لا يفوته فائت زائل و إذ كان كذلك فهو القادر على أن يحمل على العبد المتعدى حده، من العذاب ما هو فوق حده و وراء طاقته و يحفظه على ما هو عليه ليدوق العذاب قال تعالى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا» فاطر: ٣٦.

و هو القادر على أن يعيد ما أفسده العذاب إلى حالته الأولى ليدوق المجرم بذلك العذاب من غير انقطاع قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ» النساء: ٥٦.

و بهذا البيان يتضح:

أولاً: أن سياق قوله: «إِنَّهُ هُوَ» إلخ يفيد القصر أى إن إبداع الوجود و إعادته لله سبحانه وحده إذ الصنع و الإيجاد ينتهى إليه تعالى وحده.

و ثانياً: أن حدود الأشياء إليه تعالى و لو شاء أن لا يحد لم يحد و بدل حدا من آخر فهو الذى حد العذاب و الفتنه فى الدنيا بالموت و الزوال و لو لم يشأ لم يحد كما فى عذاب الآخرة.

و ثالثاً: أن المراد من شده البطش - هو الأخذ بعنف - أن لا دافع لأخذه و لا راد لحكمه كيفما حكم إلا أن يحول بين حكمه و متعلقه حكم آخر منه يقيد الأول.

قوله تعالى: «وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ» أى كثير المغفره و الموده ناظر إلى وعد المؤمنين كما أن قوله: «إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ» إلخ ناظر إلى وعيد الكافرين.

قوله تعالى: «ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَلَّ لِمَا يُرِيدُ» العرش عرش الملك، و ذو العرش كناية عن الملك أى هو ملك له أن يتصرف فى مملكته كيفما تصرف و يحكم بما شاء و المجيد

صفه من المجد و هو العظمه المعنويه و هى كمال الذات و الصفات، و قوله: «فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ» أى لا يصرفه عما أراده صارف لا من داخل لضجر و كسل و ملل و تغير إرادته و غيرها و لا من خارج لمانع يحول بينه و بين ما أراد.

فله تعالى أن يوعد الذين فتنوا المؤمنين و المؤمنات بالنار و يعد الذين آمنوا و عملوا الصالحات بالجنة لأنه ذو العرش المجيد و لن يخلف وعده لأنه فعال لما يريد.

قوله تعالى: «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَ ثَمُودَ» تقرير لما تقدم من شدة بطشه تعالى و كونه ملكا مجيدا فعلا لما يريد، و فيه تسليه للنبي ص و تطيب لنفسه الشريفه بالإشارة إلى حديثهم، و معنى الآيتين ظاهر.

قوله تعالى: «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ» لا يبعد أن يستفاد من السياق كون المراد بالذين كفروا هم قوم النبي ص.

و فى الآيه إضراب عما تقدم من الموعظه و الحججه من حيث الأثر، و المعنى لا ينبغى أن يرجى منهم الإيمان بهذه الآيات البينات فإن الذين كفروا مصرون على تكذيبهم لا ينتفعون بموعظه أو حججه.

و من هنا ظهر أن المراد بكون الذين كفروا فى تكذيب أى بظرفيه التكذيب لهم إصرارهم عليه.

قوله تعالى: «وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ» وراء الشىء الجهات الخارجه منه المحيطه به. إشاره إلى أنهم غير معجزين لله سبحانه فهو محيط بهم قادر عليهم من كل جهه، و فيه أيضا تطيب لنفس النبي ص.

و عن بعضهم أن فى قوله: «مِنْ وَرَائِهِمْ» تلويحا إلى أنهم اتخذوا الله وراءهم ظهريا، و هو مبنى على أخذ وراء بمعنى خلف.

قوله تعالى: «بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ» إضراب عن إصرارهم على تكذيب القرآن، و المعنى ليس الأمر كما يدعون بل القرآن كتاب مقرو عظيم فى معناه غزير فى معارفه فى لوح محفوظ عن الكذب و الباطل مصون من مس الشياطين.

بحث روائى

فى الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله * أن النبي ص سئل عن

«السَّمَاءُ ذَاتُ الْجُرُوجِ» فقال: الكواكب، و سئل عن «الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا» فقال: الكواكب. قيل: ف«بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ» فقال: قصور.

وفيه، أخرج عبد بن حميد و الترمذى و ابن أبى الدنيا فى الأصول و ابن جرير و ابن المنذر و ابن حاتم و ابن مردويه و البيهقى فى سننه عن أبى هريره قال: *قال رسول الله ص:

اليوم الموعود يوم القيامة-و اليوم المشهود يوم عرفه-و الشاهد يوم الجمعة. الحديث.

أقول: و روى مثله بطرق أخرى عن أبى مالك و سعيد بن المسيب و جبير بن مطعم عنه (ص)، و لفظ الأخير: الشاهد يوم الجمعة و المشهود يوم عرفه:.

و روى هذا اللفظ عن عبد الرزاق و الفاريابى و عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر عن على بن أبى طالب .

وفيه، أخرج عبد بن حميد و ابن المنذر عن على قال: *اليوم الموعود يوم القيامة، و الشاهد يوم الجمعة، و المشهود يوم النحر.

و فى المجمع، روى: أن رجلا دخل مسجد رسول الله ص- فإذا رجل يحدث عن رسول الله ص.

قال: فسألته عن الشاهد و المشهود فقال: نعم الشاهد يوم الجمعة و المشهود يوم عرفه، فجزته إلى آخر يحدث عن رسول الله ص- فسألته عن ذلك فقال: أما الشاهد فيوم الجمعة و أما المشهود فيوم النحر.

فجزتها إلى غلام كان وجهه الدينار-و هو يحدث عن رسول الله ص- فقلت: أخبرنى عن شاهد و مشهود فقال: نعم أما الشاهد فمحمد و أما المشهود فيوم القيامة-أما سمعت الله سبحانه يقول: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا» و قال: «ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ».

فسألت عن الأول فقالوا: ابن عباس، و سألت عن الثانى فقالوا: ابن عمرو، و سألت عن الثالث فقالوا: الحسن بن على.

أقول: و الحديث مروى بطرق مختلفه و ألفاظ متقاربه و قد تقدم فى تفسير الآيه أن ما ذكره (ع) أظهر بالنظر إلى سياق الآيات، و إن كان لفظ الشاهد و المشهود لا يأبى الانطباق على غيره أيضا بوجه.

و فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ» قال: كان سببه أن الذى

هيج الحبشه-على غزوه اليمن ذو نواس-و هو آخر من ملك من حمير-تهود و اجتمعت معه حمير على اليهوديه-و سمي نفسه يوسف و أقام على ذلك حيناً من الدهر.

ثم أخبر أن بنجران بقايا قوم على دين النصرانيه-و كانوا على دين عيسى و حكم الإنجيل، و رأس ذلك الدين عبد الله بن بريامن-فحمله أهل دينه على أن يسير إليهم-و يحملهم على اليهوديه و يدخلهم فيها-فسار حتى قدم نجران-فجمع من كان بها على دين النصرانيه-ثم عرض عليهم دين اليهوديه و الدخول فيها-فأبوا عليه فجادلهم و عرض عليهم-و حرص الحرص كله فأبوا عليه-و امتنعوا من اليهوديه و الدخول فيها و اختاروا القتل.

فاتخذ لهم أخذودا و جمع فيه الحطب-و أشعل فيه النار فمنهم من أحرق بالنار-و منهم من قتل بالسيف و مثل بهم كل مثله-فبلغ عدد من قتل و أحرق بالنار عشرين ألفا-و أفلت منهم رجل يدعى دوش ذو ثعلبان على فرس له ركضه، و اتبعوه حتى أعجزهم في الرمل، و رجع ذو نواس إلى صنيعه في جنوده فقال الله: «قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ -إلى قوله- الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ».

و في المجمع، و روى سعيد بن جبیر قال: "لما انهزم أهل إسفندهان قال عمر بن الخطاب:

ما هم يهود و لا نصارى و لا لهم كتاب و كانوا مجوسا-فقال على بن أبى طالب: بلى قد كان لهم كتاب رفع.

و ذلك أن ملكا لهم سكر فوقع على ابنته-أو قال: على أخته-فلما أفاق قال لها:

كيف المخرج مما وقعت فيه؟ قالت: تجمع أهل مملكتك-و تخبرهم أنك ترى نكاح البنات و تأمرهم أن يحلوه-فجمعهم فأخبرهم فأبوا أن يتابعوه-فخذ لهم أخذودا فى الأرض، و أوقد فيه النيران و عرضهم عليها-فمن أبى قبول ذلك قذفه فى النار، و من أجاب خلى سبيله:.

أقول: و روى هذا المعنى فى الدر المنثور، عن عبد بن حميد عنه(ع) .

و عن تفسير العياشى، بإسناده عن جابر عن أبى جعفر(ع)قال*: أرسل على(ع) إلى أسقف نجران يسأله عن أصحاب الأخدود- فأخبره بشيء فقال(ع): ليس كما ذكرت-و لكن سأخبرك عنهم:

إن الله بعث رجلا حبشيا نبيا و هم حبشيه-فكذبوه فقاتلهم فقتلوا أصحابه فأسروه و أسروا أصحابه-ثم بنوا له حيرا ثم ملئوه نارا ثم جمعوا الناس-فقالوا: من كان على ديننا و أمرنا فليعتزل، و من كان على دين هؤلاء فليرم نفسه فى النار-فجعل أصحابه يتهافتون فى

النار-فجاءت امرأه معها صبي لها ابن شهر-فلما هجمت هابت و رقت على ابنها فنادى الصبي: لا تهابي و ارميني و نفسك في النار-فإن هذا و الله في الله قليل، فرمت بنفسها في النار و صبيها، و كان ممن تكلم في المهدي.

أقول: و روى هذا المعنى في الدر المنثور، عن ابن مردويه عن عبد الله بن نجى عنه (ع)، و روى أيضا عن ابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن نجى عنه (ع) قال*:

كان نبي أصحاب الأخدود حبشيا.

و روى أيضا عن ابن أبي حاتم و ابن المنذر من طريق الحسن عنه (ع) *في قوله تعالى:

« أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ » قال: هم الحبشه.

و لا يبعد أن يستفاد أن حديث أصحاب الأخدود وقائع متعددة وقعت بالحبشه و اليمن و العجم و الإشاره في الآيه إلى جميعها و هناك روايات تقص القصه مع السكوت عن محل وقوعها.

و في تفسير القمي، "في قوله تعالى: « يَلْهُو قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ » قال: اللوح المحفوظ له طرفان طرف على يمين العرش-على جبين إسرافيل- فإذا تكلم الرب جل ذكره بالوحي-ضرب اللوح جبين إسرافيل فنظر في اللوح-فيوحي بما في اللوح إلى جبرئيل.

و في الدر المنثور، أخرج أبو الشيخ و ابن مردويه عن ابن عباس قال* قال رسول الله ص: خلق الله لوحا من دره بيضاء دفتاه من زبرجده خضراء- كتابه من نور يلحظ إليه في كل يوم ثلاث مائه و ستين لحظه- يحيى و يميت و يخلق و يرزق و يعز و يذل و يفعل ما يشاء.

أقول: و الروايات في صفه اللوح كثيره مختلفه و هي على نوع من التمثيل.

(٨٦) سورة الطارق مكيه و هي سبع عشره آيه (١٧)

[سورة الطارق (٨٦): الآيات ١ الى ١٧]

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ السَّمَاءِ وَ الطَّارِقِ (١) وَ مَا أَذْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنَّ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥)
خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلِيٌّ رَجِعَهُ لِقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَ لَا نَاصِرٍ
(١٠) وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَ الْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ (١٣) وَ مَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥)
وَ أَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهْلِكِ الْكَافِرِينَ أَهْمِلَهُمْ رُوَيْدًا (١٧)

فى السوره إنذار بالمعاد و تستدل عليه بإطلاق القدره و تؤكد القول فى ذلك، و فيها إشاره إلى حقيقه اليوم، و تختتم بوعيد الكفار.

و السوره ذات سياق مكى.

قوله تعالى: « وَ السَّمَاءِ وَ الطَّارِقِ وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ » الطرق فى الأصل على ما قيل هو الضرب بشده يسمع له صوت و منه المطرقه و الطريق لأن السابله تطرقها بأقدامها ثم شاع استعماله فى سلوك الطريق ثم اختص بالإتيان ليلا لأن الآتى بالليل فى الغالب يجد الأبواب مغلقة فيطرقها و يدقها ثم شاع الطارق فى كل ما يظهر ليلا، و المراد بالطارق فى الآيه النجم الذى يطلع بالليل.

و الثقب فى الأصل بمعنى الخرق ثم صار بمعنى النير المضىء لأنه يثقب الظلام بنوره و يأتى بمعنى العلو و الارتفاع و منه ثقب الطائر أى ارتفع و علا كأنه يثقب الجو بطيرانه.

فقوله: « وَ السَّمَاءِ وَ الطَّارِقِ » إقسام بالسماء و بالنجم الطالع ليلا، و قوله: « وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ » تفخيم لشأن المقسم به و هو الطارق، و قوله: « النَّجْمُ الثَّاقِبُ » بيان للطارق و الجملة فى معنى جواب استفهام مقدر كأنه لما قيل: و ما أدراك ما الطارق؟ سئل فقيل: فما هو الطارق؟ فأجيب، و قيل: النجم الثاقب.

قوله تعالى: « إِنَّ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ » جواب للقسم و لما بمعنى إلا و المعنى ما من نفس إلا عليها حافظ، و المراد من قيام الحافظ على حفظها كتابه أعمالها الحسنه و السيئه

على ما صدرت منها ليحاسب عليها يوم القيامة و يجزى بها فالحافظ هو الملك و المحفوظ العمل كما قال تعالى: «وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ»: الانفطار: ١٢.

و لا- يبعد أن يكون المراد من حفظ النفس حفظ ذاتها و أعمالها، و المراد بالحافظ جنسه فتفيد أن النفوس محفوظه لا تبطل بالموت و لا تفسد حتى إذا أحيأ الله الأبدان أرجع النفوس إليها فكان الإنسان هو الإنسان الدنيوى بعينه و شخصه ثم يجزى به بما يقتضيه أعماله المحفوظه عليه من خير أو شر.

و يؤيد ذلك كثير من الآيات الداله على حفظ الأشياء كقوله تعالى: «فَلْيَتَوَفَّأَكُم مَلَكُ الْمَيِّتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ»: الم السجده: ١١، و قوله: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ»: الزمر: ٤٢.

و لا ينافى هذا الوجه ظاهر آيه الانفطار السابقه من أن حفظ الملائكه هو الكتابه فإن حفظ نفس الإنسان أيضا من الكتابه على ما يستفاد من قوله: «إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»: الجاثيه: ٢٩ و قد تقدمت الإشارة إليه.

و يندفع بهذا الوجه الاعتراض على ما استدل به على المعاد من إطلاق القدره كما سيجيء، و محصله أن إطلاق القدره إنما ينفع فيما كان ممكنا لكن إعادته الإنسان بعينه محال فإن الإنسان المخلوق ثانيا مثل الإنسان الدنيوى المخلوق أولا لا شخصه الذى خلق أولا و مثل الشئ غير الشئ لا عينه.

وجه الاندفاع أن شخصيه الشخص من الإنسان بنفسه لا- يبدنه و النفس محفوظه فإذا خلق البدن و تعلقت به النفس كان هو الإنسان الدنيوى بشخصه و إن كان البدن بالقياس إلى البدن مع الغض عن النفس، مثلا لا عينا.

قوله تعالى: «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ» أى ما هو مبدأ خلقه؟ و ما هو الذى صيره الله إنسانا؟ و الجمله متفرعه على الآيه السابقه و ما تدل عليه بفحواها بحسب السياق و محصل المعنى و إذ كانت كل نفس محفوظه بذاتها و عملها من غير أن تفنى أو ينسى عملها فليدعن الإنسان أن سيرجع إلى ربه و يجزى بما عمل و لا يستبعد ذلك و لينظر لتحصيل هذا الإذعان إلى مبدأ خلقه و يتذكر أنه خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب و الترائب.

فالذى بدأ خلقه من ماء هذه صفته يقدر على رجعه و إحيائه بعد الموت.

و فى الإتيان بقوله: «خُلِقَ» مبنيًا للمفعول و ترك ذكر الفاعل و هو الله سبحانه إيماء إلى ظهور أمره، و نظيره قوله: «خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ الْخ.»

قوله تعالى: «خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ» الدفق تصبب الماء و سيلانه بدفع و سرعه و الماء الدافق هو المنى و الجملة جواب عن استفهام مقدر يهذى إليه قوله: «مِمَّ خُلِقَ.»

قوله تعالى: «يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرَائِبِ» الصلب الظهر، و الترائب جمع تريبه و هى عظم الصدر.

و قد اختلفت كلماتهم فى الآيه و ما قبلها اختلافًا عجيبًا، و الظاهر أن المراد بقوله:

«بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرَائِبِ» البعض المحصور من البدن بين جدارى عظام الظهر و عظام الصدر (١).

قوله تعالى: «إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ» الرجع الإعادة، و ضمير «إِنَّهُ» له تعالى و اكتفى بالإضمار مع أن المقام مقام الإظهار لظهوره نظير قوله: «خُلِقَ» مبنيًا للمفعول.

و المعنى أن الذى خلق الإنسان من ماء صفته تلك الصفه، على إعادته و إحيائه بعد الموت—و إعادته مثل بدئه—لقادر لأن قدره على الشئ قدره على مثله إذ حكم الأمثال فيما يجوز و فيما لا يجوز واحد.

قوله تعالى: «يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ» ظرف للرجع، و السريره ما أسره الإنسان و أخفاه فى نفسه، و البلاء الاختبار و التعرف و التصفح.

فالمعنى يوم يختبر ما أخفاه الإنسان و أسره من العقائد و آثار الأعمال خيرها و شرها فيميز خيرها من شرها و يجرى الإنسان به فالآيه فى معنى قوله تعالى: «إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ» البقره: ٢٨٤.

قوله تعالى: «فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَ لَا نَاصِرٍ» أى لا قدره له فى نفسه يمتنع بها من عذاب الله و لا ناصر له يدفع عنه ذلك أى لا قدره هناك يدفع عنه الشر لا من نفسه و لا من غيره.

قوله تعالى: «وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَ الْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ» إقسام بعد إقسام لتأكيد أمر القيامة و الرجوع إلى الله.

و المراد بكون السماء ذات رجع ما يظهر للحس من سيرها بطلوع الكواكب بعد

ص: ٢٦٠

١- (١) و قد أورد المراغى فى تفسيره فى ذيل الآيه عن بعض الأطباء توجيهًا دقيقًا علميًا لهذه الآيه من أراده فليراجعه.

غروبها و غروبها بعد طلوعها، و قيل: رجعتها أمطارها، و المراد بكون الأرض ذات صدع تصدعها و انشقاقها بالنبات، و مناسبه القسمين لما أقسم عليه من الرجوع بعد الموت و الخروج من القبور ظاهره.

قوله تعالى: «إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصِيلٍ وَمِمَّا هُوَ بِالْهَزْلِ» الفصل إبانة أحد الشئيين من الآخر حتى يكون بينهما فرجه، و التعبير بالفصل - و المراد الفاصل - للمبالغه كزيد عدل و الهزل خلاف الجد.

و الآيتان جواب القسم، و ضمير «إِنَّهُ» للقرآن و المعنى أقسم بكذا و كذا أن القرآن لقول فاصل بين الحق و الباطل و ليس هو كلاما لا جد فيه فما يحقه حق لا ريب فيه و ما يبطله باطل لا ريب فيه فما أخبركم به من البعث و الرجوع حق لا ريب فيه.

و قيل: الضمير لما تقدم من خبر الرجوع و المعاد، و الوجه السابق أوجه.

قوله تعالى: «إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا» أى الكفار يحتالون بكفرهم و إنكارهم المعاد احتيالا يريدون به إطفاء نور الله و إبطال دعوتك، و احتال عليهم بعين أعمالهم بالاستدراج و الإملاء و الإضلال بالطبع على قلوبهم و جعل الغشاوه على سمعهم و أبصارهم احتيالا أسوقهم به إلى عذاب يوم القيامة.

قوله تعالى: «فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا» التمهيل و الإمهال بمعنى واحد غير أن باب التفعيل يفيد التدرج و الإفعال يفيد الدفعه، و الرويد القليل.

و المعنى: إذا كان منهم كيد و منى كيد عليهم بعين ما يكيدون به و الله غالب على أمره، فانتظر بهم و لا تعاجلهم انتظر بهم قليلا فسيأتيهم ما أوعدهم به فكل ما هو آت قريب.

و فى التعبير أولا بمهل الظاهر فى التدرج و ثانيا مع التقييد برويدا بأمهل الظاهر فى الدفعه لطف ظاهر.

بحث روائى

فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ» قال: الملائكه.

و فيه، "فى قوله تعالى: «خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ» قال: النطفه التى تخرج بقوه.

و فيه، "فى قوله تعالى: «يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرَائِبِ» قال: الصلب الرجل و الترائب المرأه، و هو صدرها.

أقول: الروايه على إضمارها و إرسالها لا تخلو من شيء.

و فيه، "في قوله تعالى: «يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ» قال: يكشف عنها.

و في المجمع، روى مرفوعا عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ص: ضمن الله خلقه أربع خصال: الصلاة، و الزكاه، و صوم شهر رمضان، و الغسل من الجنابه، و هي السرائر التي قال الله تعالى: يوم تبلى السرائر.

أقول: و لعله من قبيل ذكر بعض المصاديق كما تؤيده الروايه التاليه.

و فيه، عن معاذ بن جبل قال: سألت رسول الله ص: ما هذه السرائر- التي ابتلى الله بها العباد في الآخرة؟ فقال: سرائركم هي أعمالكم من الصلاة و الصيام- و الزكاه و الوضوء و الغسل من الجنابه و كل مفروض- لأن الأعمال كلها سرائر خفيه فإن شاء الرجل قال: صليت و لم يصل و إن شاء قال: توضيت و لم يتوض- فذلك قوله: «يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ».

و في تفسير القمي، "في قوله تعالى: «فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَ لَا نَاصِرٍ» قال: ما له من قوه يهوى بها على خالقه، و لا ناصر من الله ينصره إن أراد به سوء.

و فيه، "في قوله تعالى: «وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ» قال: ذات المطر «وَ الْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ» أي ذات النبات.

و في المجمع: «إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضِيلٍ» يعنى أن القرآن يفصل بين الحق و الباطل- بالبيان عن كل واحد منهما: و روى ذلك عن الصادق (ع).

و في الدر المنثور، أخرج ابن أبي شيبه و الدارمي و الترمذي و محمد بن نصر و ابن الأنباري في المصاحف عن الحارث الأعور قال: * دخلت المسجد فإذا الناس قد وقعوا في الأحاديث- فأثيت عليا فأخبرته فقال: أ و قد فعلوها؟ سمعت رسول الله ص يقول: إنها ستكون فتنه. قلت: فما المخرج منها يا رسول الله- قال: كتاب الله فيه نأ من قبلكم و خبر من بعدكم، و حكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، من ابتغى الهوى في غيره أضله الله، و هو جبل الله المتين، و هو الذكر الحكيم، و هو الصراط المستقيم، هو الذي لا- تزيغ به الأهواء، و لا يشبع منه العلماء، و لا تلبس منه الألسن، و لا يخلق من الرد، و لا تنقضى عجائبه- هو الذي لم ينته الجن إذ سمعته حتى قالوا- إنا سيمعنا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ. من قال به صدق، و من حكم به عدل، و من عمل به أجر، و من دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم.

أقول: و روى ما يقرب منه عن معاذ بن جبل عنه (ص)، و رواه مختصرا عن ابن مردويه عن علي (ع) .

(٨٧) سورة الأعلى مكيه و هي تسع عشره آيه (١٩)

[سورة الأعلى (٨٧): الآيات ١ الى ١٩]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥)
سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (٨) فَذَكَرْ إِنَّ نَفْعَ الذُّكْرِى (٩) سَيَذَكِّرُ
مَنْ يَخْشَى (١٠) وَتَجَنَّبْهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤)
وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ
إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩)

بيان

أمر بتوحيده تعالى على ما يليق بساحته المقدسه و تنزيه ذاته المتعاليه من أن يذكر مع اسمه اسم غيره أو يسند إلى غيره ما يجب أن يسند إليه كالخلق و التدبير و الرزق و وعد له (ص) بتأييده بالعلم و الحفظ و تمكينه من الطريقه التي هي أسهل و أيسر للتبليغ و أنسب للدعوه.

ص: ٢٦٣

و سياق الآيات في صدر السوره سياق مكى و أما ذيلها أعنى قوله: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى» إلخ فقد ورد من طرق أئمه أهل البيت (ع) و كذا من طريق أهل السنه أن المراد به زكاه الفطره و صلاه العيد و من المعلوم أن الصوم و ما يتبعه من زكاه الفطره و صلاه العيد إنما شرعت بالمدينه بعد الهجره فتكون آيات الذيل نازله بالمدينه.

فالسوره صدرها مكى و ذيلها مدنى، و لا ينافى ذلك ما جاء فى الآثار أن السوره مكيه فإنه لا يأبى الحمل على صدر السوره.

قوله تعالى: «سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» أمر بتنزيه اسمه تعالى و تقديسه، و إذ علق التنزيه على الاسم - و ظاهر اللفظ الدال على المسمى - و الاسم إنما يقع فى القول فتنزيهه أن لا يذكر معه ما هو تعالى منزه عنه كذكر الآلهه و الشركاء و الشفعاء و نسبه الربوبيه إليهم و كذكر بعض ما يختص به تعالى كالخلق و الإيجاد و الرزق و الإحياء و الإماتة و نحوها و نسبه إلى غيره تعالى أو كذكر بعض ما لا - يليق بساحه قدسه تعالى من الأفعال كالعجز و الجهل و الظلم و الغفله و ما يشبهها من صفات النقص و الشين و نسبه إليه تعالى.

و بالجمله تنزيه اسمه تعالى أن يجرد القول عن ذكر ما لا - يناسب ذكره ذكر اسمه تعالى و هو تنزيهه تعالى فى مرحله القول الموافق لتنزيهه فى مرحله الفعل.

و هو يلزم التوحيد الكامل بنفى الشرك الجلى كما فى قوله: «وَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ إِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ» : الزمر ٢٥ و قوله: «وَ إِذَا ذُكِرَتْ رَبُّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحِيدَهُ وَلَوْ أَعْلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا» : إسراء ٤٦.

و فى إضافه الاسم إلى الرب و الرب إلى ضمير الخطاب تأييد لما قدمناه فإن المعنى سبح اسم ربك الذى اتخذته ربا و أنت تدعو إلى أنه الرب الإله فلا يقعن فى كلامك مع ذكر اسمه بالربوبيه ذكر من غيره بحيث ينافى تسميه بالربوبيه على ما عرف نفسه لك.

و قوله: «الْأَعْلَى» و هو الذى يعلو كل عال و يقهر كل شىء صفة «رَبُّكَ» دون الاسم و يعلل بمعناه الحكم أى سبح اسمه لأنه أعلى.

و قيل: معنى «سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» قل: سبحان ربى الأعلى كما عن ابن عباس و نسب إليه أيضا أن المعنى صل.

و قيل: المراد بالاسم المسمى و المعنى نزهه تعالى عن كل ما لا يليق بساحه قدسه من الصفات و الأفعال.

وقيل: إنه ذكر الاسم و المراد به تعظيم المسمى و استشهاد عليه بقول لبيد، إلى الحول ثم اسم السلام عليكما. فالمعنى سبح ربك الأعلى.

وقيل: المراد تنزيه أسمائه تعالى عما لا يليق بأن لا يثول مما ورد منها اسم من غير مقتض، و لا يبقى على ظاهره إذا كان ما وضع له لا- يصح له تعالى، و لا يطلقه على غيره تعالى إذا كان مختصا كاسم الجلاله و لا يتلفظ به فى محل لا يناسبه كبيت الخلاء، و على هذا القياس و ما قدمناه من المعنى أوسع و أشمل و أنسب لسياق قوله الآتى « سُنُقِرْتُكَ فَلَا تَنْسَى » « وَ يُسْرُكَ لِلْيُسْرَى فَذَكْرُ » فإن السياق سياق البعث إلى التذكرة و التبليغ فبدأ أولا بإصلاح كلامه (ص) و تجريده عن كل ما يشعر بجلى الشرك و خفيه بأمره بتنزيه اسم ربه، و وعد ثانيا بإقراءه بحيث لا ينسى شيئا مما أوحى إليه و تسهيل طريقه التبليغ عليه ثم أمر بالتذكير و التبليغ فافهم.

قوله تعالى: « الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى » خلق الشيء جمع أجزائه، و تسويته جعلها متساويه بحيث يوضع كل فى موضعه الذى يليق به و يعطى حقه كوضع كل عضو من أعضاء الإنسان فيما يناسبه من الموضع.

و الخلق و التسويه و إن كانا مطلقين لكنهما إنما يشملان ما فيه تركيب أو شائبه تركيب من المخلوقات.

و الآيه إلى تمام أربع آيات تصف التدبير الإلهى و هى برهان على ربوبيته تعالى المطلقة.

قوله تعالى: « وَ الَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى » أى جعل الأشياء التى خلقها على مقادير مخصوصه و حدود معينه فى ذواتها و صفاتها و أفعالها لا تتعداها و جهزها بما يناسب ما قدر لها فهداها إلى ما قدر فكل يسلك نحو ما قدر له بهدايه ربانيه تكوينيه كالطفل يهتدى إلى ثدى أمه و الفرخ إلى زق أمه و أبيه، و الذكر إلى الأنثى و ذى النفع إلى نفعه و على هذا القياس.

قال تعالى: « وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ »: الحجر:

٢١، و قال: « تُمَّ السَّبِيلَ يَبْسُرُهُ »: عبس: ٢٠ و قال: « لِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّئُهَا » البقره: ١٤٨.

قوله تعالى: « وَ الَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى » المرعى ما ترعاه الدواب فالله تعالى هو الذى أخرجها أى أنبتها.

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾ الغطاء ما يقذفه السيل على جانب الوادى من الحشيش و النبات، و المراد هنا- كما قيل- اليابس من النبات، و الأحوى الأسود.

و إخراج المرعى لتغذى الحيوان ثم جعله غطاءً أحوى من مصاديق التدبير الربوبى و دلالته كما أن الخلق و التسويه و التقدير و الهدايه كذلك.

قوله تعالى: ﴿سَيُنْفِرُكَ فَلَا تَنْسَىٰ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ قال فى المفردات: و القراءه ضم الحروف و الكلمات بعضها إلى بعض فى الترتيل، و ليس يقال ذلك لكل جمع لا يقال: قرأت القوم إذا جمعهم، و يدل على ذلك أنه لا يقال للحرف الواحد إذا تفوه به قراءه، انتهى، و قال فى المجمع: و الإقراء أخذ القراءه على القارئ بالاستماع لتقويم الزلل، و القارئ التالى. انتهى.

و ليس إقراؤه تعالى نبيه ص القرآن مثل إقراء بعضنا بعضا باستماع المقرئ لما يقرؤه القارئ و إصلاح ما لا يحسنه أو يغلط فيه فلم يعهد من النبى ص أن يقرأ شيئاً من القرآن فلا يحسنه أو يغلط فيه عن نسيان للوحى ثم يقرأ فيصلح بل المراد تمكينه من قراءه القرآن كما أنزل من غير أن يغيره بزياده أو نقص أو تحريف بسبب النسيان.

فقوله: ﴿سَيُنْفِرُكَ فَلَا تَنْسَىٰ﴾ و وعد منه لنبيه(ص) أن يمكنه من العلم بالقرآن و حفظه على ما أنزل بحيث يرتفع عنه النسيان فيقرؤه كما أنزل و هو الملاك فى تبليغ الوحى كما أوحى إليه.

و قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ استثناء مفيد لبقاء القدره الإلهيه على إطلاقها و أن هذه العطيه و هى الإقراء بحيث لا تنسى لا ينقطع عنه سبحانه بالإعطاء بحيث لا يقدر بعد على إنسائك بل هو باق على إطلاق قدرته له أن يشاء إن شاء ك متى شاء و إن كان لا يشاء ذلك فهو نظير الاستثناء الذى فى قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾: هود: ١٠٨ و قد تقدم توضيحه.

و ليس المراد بالاستثناء إخراج بعض أفراد النسيان من عموم النفى و المعنى سنقرئك فلا تنسى شيئاً إلا ما شاء الله أن تنساه و ذلك أن كل إنسان على هذه الحال يحفظ أشياء و ينسى أشياء فلا معنى لاختصاصه بالنبى ص بلحن الامتنان مع كونه مشتركاً بينه و بين غيره فالوجه ما قدمناه.

و الآيه بسياقها لا تخلو من تأييد لما قيل: إنه كان النبى ص إذا نزل عليه جبريل

بالوحي يقرؤه مخافه أن ينساه فكان لا يفرغ جبريل من آخر الوحي حتى يتكلم هو بأوله فلما نزلت هذه الآية لم ينس بعده شيئا.

و يقرب من الاعتبار أن تكون هذه الآية أعنى قوله: «سَيُنْفِرُكَ فَلَا تَنْسَى» نازله أولا ثم قوله: «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ»: القيامة: ١٩ ثم قوله: «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا»: طه: ١١٤.

و قوله: «إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى» الجهر كمال ظهور الشيء لحاسه البصر كقوله.

«فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً»: النساء: ١٥٣، أو لحاسه السمع كقوله: «إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ»: الأنبياء: ١١٠، والمراد بالجهر الظاهر للإدراك بقرينه مقابلته لقوله: «وَمَا يَخْفَى» من غير تقييده بسمع أو بصر.

و الجملة فى مقام التعليل لقوله: «سَيُنْفِرُكَ فَلَا تَنْسَى» والمعنى سنصلح لك بالك فى تلقى الوحي و حفظه لأننا نعلم ظاهر الأشياء و باطنها فنعلم ظاهر حالك و باطنها و ما أنت عليه من الاهتمام بأمر الوحي و الحرص على طاعته فيما أمر به.

و فى قوله: «إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ» إلخ التفات من التكلم مع الغير إلى الغيبه و النكته فيه الإشاره إلى حجه الاستثناء فإفاضه العلم و الحفظ للنبي ص إنما لا يسلب القدره على خلافه و لا يحدها منه تعالى لأنه الله المستجمع لجميع صفات الكمال و منها القدره المطلقه ثم جرى الالتفات فى قوله: «إِنَّهُ يَعْلَمُ» إلخ لمثل النكته.

قوله تعالى: «وَيُسِّرُكَ لِلْيُسْرَى» اليسرى - مؤنث أيسر - هو وصف قائم مقام موصوفه المحذوف أى الطريقه اليسرى و التيسير التسهيل أى و نجعلك بحيث تتخذ دائما أسهل الطرق للدعوه و التبليغ قولا و فعلا فتهدى قوما و تتم الحجه على آخرين و تصبر على أذاهم.

و كان مقتضى الظاهر أن يقال: و يسر لك اليسرى كما قال: «وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي»: طه: ٢٦ و إنما عدل عن ذلك إلى قوله: «وَيُسِّرُكَ لِلْيُسْرَى» لأن الكلام فى تجهيزه تعالى نفس النبي الشريفه و جعله إياها صالحه لتأديه الرساله و نشر الدعوه. على ما فى نيسر اليسرى من إيهام تحصيل الحاصل.

فالمراد جعله (ص) صافى الفطره حقيقا على اختيار الطريقه اليسرى التى هى طريقه

الفطره فالآيه فى معنى قوله حكايه عن موسى: «حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ» الأعراف: ١٠٥.

قوله تعالى: «فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى» تفریع على ما تقدم من أمره (ص) بتنزيه اسم ربه و وعده إقراء الوحي بحيث لا ينسى و تيسيره لليسرى و هى الشرائط الضرورية التى يتوقف عليها نجاح الدعوه الدينيه.

و المعنى إذ تم لك الأمر بامثال ما أمرناك به و إقرائك فلا تنسى و تيسيرك لليسرى فذكر إن نفعت الذكرى.

و قد اشترط فى الأمر بالتذكرة أن تكون نافعه و هو شرط على حقيقته فإنها إذا لم تنفع كانت لغوا و هو تعالى يجعل عن أن يأمر باللغو فالتذكرة لمن يخشى لأول مره تفيد ميلا من نفسه إلى الحق و هو نفعها و كذا التذكرة بعد التذكرة كما قال: «سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى» و التذكرة للأشقى الذى لا خشيه فى قلبه لأول مره تفيد تمام الحجه عليه و هو نفعها و يلازمها تجنبه و توليه عن الحق كما قال: «وَيَتَجَبَّبُهَا الْأَشْقَى» و التذكرة بعد التذكرة له لا تنفع شيئا و لذا أمر بالإعراض عن ذلك قال تعالى: «فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا»: النجم: ٢٩.

و قيل: الشرط شرط صورى غير حقيقى و إنما هو إخبار عن أن الذكرى نافعه لا محاله فى زياده الطاعه و الانتهاء عن المعصيه كما يقال: سله إن نفع السؤال و لذا قال بعضهم «إن» «إن» فى الآيه بمعنى قد، و قال آخرون: إنها بمعنى إذ.

و فيه أن كون الذكرى نافعه مفيده دائما حتى فيمن يعاند الحق -و قد تمت عليه الحجه- ممنوع كيف؟ و قد قيل فيهم: «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ»: البقره: ٧.

و قيل: إن فى الكلام إيجازا بالحذف، و التقدير فذكر إن نفعت الذكرى و إن لم تنفع و ذلك لأنه (ص) بأس للتذكرة و الإعذار فعليه أن يذكر نفع أو لم ينفع فالآيه من قبيل قوله: «وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ»: النحل: ٨١ أى و البرد.

و فيه أن وجوب التذكرة عليه (ص) حتى فيما لا يترتب عليها أثرا أصلا ممنوع.

و قيل: إن الشرط مسوق للإشاره إلى استبعاد النفع فى تذكرة هؤلاء المذكورين

نعيا عليهم كأنه قيل: افعل ما أمرت به لتوخر و إن لم ينتفعوا به.

و فيه أنه يردده قوله تعالى بعده بلا فصل: «سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى».

قوله تعالى: «سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى» أي سيتذكر و يتعظ بالقرآن من في قلبه شيء من خشية الله و خوف عقابه.

قوله تعالى: «وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى» الضمير للذكرى و المراد بالأشقى بقرينه المقابلة من ليس في قلبه شيء من خشية الله تعالى، و تجنب الشيء التباعده عنه، و المعنى و سيتباعده عن الذكرى من لا يخشى الله.

قوله تعالى: «الَّذِي يَصِلَى النَّارَ الْكُبْرَى» الظاهر أن المراد بالنار الكبرى نار جهنم و هي نار كبرى بالقياس إلى نار الدنيا، و قيل: المراد بها أسفل درجات جهنم و هي أشدها عذابا.

قوله تعالى: «ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا» و «لَا يَحْيَى» ثم للتراخي بحسب رتبه الكلام، و المراد من نفى الموت و الحياه عنه معا نفى النجاه نفيا مؤبدا فإن النجاه بمعنى انقطاع العذاب بأحد أمرين إما بالموت حتى ينقطع عنه العذاب بانقطاع وجوده و إما يتبدل صفه الحياه من الشقاء إلى السعاده و من العذاب إلى الراحة فالمراد بالحياه في الآيه الحياه الطيبه على حد قولهم في الحرض: لا حي فيرجى و لا ميت فينسى.

قوله تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى» التزكى هو التطهر و المراد به التطهر من ألوات التعلقات الدنيويه الصارفه عن الآخره بدليل قوله بعد: «بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» إلخ، و الرجوع إلى الله بالتوجه إليه تطهر من الإخلاق إلى الأرض، و الإنفاق في سبيل الله تطهر من لوث التعلق المالى حتى أن وضوء الصلاه تمثيل للتطهر عما كسبته الوجوه و الأيدي و الأقدام.

و قوله: «وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى» الظاهر أن المراد بالذكر اللفظى، و بالصلاه التوجه الخاص المشروع في الإسلام.

و الآيتان بحسب ظاهر مدلولهما على العموم لكن ورد في المأثور عن أئمه أهل البيت (ع) أنهما نزلتا في زكاه الفطر و صلاه العيد و كذا من طرق أهل السنه.

قوله تعالى: «يَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» إضراب بالخطاب لعامه الناس على ما يدعو إليه طبعهم البشرى من التعلق التام بالدنيا و الاشتغال بتعميرها، و الإيثار

الاختيار، و قيل: الخطاب للكفار، و الكلام على أى حال مسوق للعتاب و الالتفات لتأكيدِه.

قوله تعالى: «وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقَى» عد الآخرة أبقي بالنسبه إلى الدنيا مع أنها باقيه أبدية في نفسها لأن المقام مقام الترجيح بين الدنيا و الآخرة و يكفى في الترجيح مجرد كون الآخرة خيرا و أبقي بالنسبه إلى الدنيا و إن قطع النظر عن كونها باقيه أبدية.

قوله تعالى: «إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صِيحْفٍ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَىٰ» الإشاره بهذا إلى ما بين في قوله: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى» إلى تمام أربع آيات، و قيل: هذا إشاره إلى مضمون قوله: «وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقَى».

قيل: و في إبهام الصحف و وصفها بالتقدم أولا ثم بيانها و تفسيرها بصحف إبراهيم و موسى ثانيا ما لا يخفى من تفخيم شأنها و تعظيم أمرها.

بحث روائى

في تفسير العياشى، عن عقبه بن عامر الجهنى قال: * لما نزلت: «فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ» قال رسول الله ص: اجعلوها في ركوعكم، و لما نزل «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ» قال: اجعلوها في سجودكم:.

أقول: و رواه أيضا في الدر المنثور، عن أحمد و أبى داود و ابن ماجه و ابن المنذر و ابن مردويه عن عقبه عنه (ص).

و في تفسير القمى، " «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ» قال: قل سبحان ربي الأعلى «الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَ الَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ» قال: قدر الأشياء بالتقدير الأول ثم هدى إليها من يشاء.

و فيه، " في قوله تعالى: «وَ الَّذِي أَخْرَجَ الْمُرْعَىٰ» قال: أى النبات. و في قوله:

«غَنَاءٌ أَحْوَىٰ» قال: يصير هشيمًا بعد بلوغه و يسود.

و في الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: * كان النبى ص يستذكر القرآن مخافه أن ينساه-ف قيل له: كفييناك ذلك و نزلت: «سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَىٰ».

و في الفقيه، و سئل الصادق (ع) عن قول الله عز و جل: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى» قال قال:

من أخرج الفطره- قيل له: و «ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ» قال: خرج إلى الجبانه (1) فصلى:.

ص: ٢٧٠

أقول: وروى هذا المعنى أيضا عن حماد عن جرير عن أبي بصير و زراره عنه (ع) و رواه القمى فى تفسيره، مرسلا مضمرا .

و فى الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى قال*: كان رسول الله ص يقول: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى - وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى» ثم يقسم الفطره قبل أن يغدو إلى المصلى يوم الفطر.

أقول: وروى أيضا نزول الآيتين فى زكاه الفطره و صلاه العيد بطريقين عن أبى سعيد موقوفا، و كذا بطريقين عن ابن عمر و بطريق عن نائله بن الأصقع و بطريقين عن أبى العالىه و بطريق عن عطاء و بطريق عن محمد بن سيرين و بطريق عن إبراهيم النخعى و كذا عن عمرو بن عوف عن النبى ص.

و فى الخصال، عن عتبه بن عمرو الليثى عن أبى ذر فى حديث* قلت: يا رسول الله فما فى الدنيا مما أنزل الله عليك - شىء مما كان فى صحف إبراهيم و موسى؟ قال: يا أبا ذر اقرأ «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى - وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا - وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقَى - إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى».

أقول: يؤيد الحديث كون الإشاره بهذا إلى مجموع الآيات الأربع كما تقدم.

و فى البصائر، بإسناده عن أبى بصير قال*: قال أبو عبد الله (ع): عندنا الصحف التى قال الله: «صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى» قلت: الصحف هى الألواح؟ قال: نعم:.

أقول: ورواه أيضا بطريق آخر عن أبى بصير عنه (ع)

و الظاهر أن المراد بكون الصحف هى الألواح كونها هى التوراه المعبر عنها فى مواضع من القرآن بالألواح كقوله تعالى: «وَ كَتَبْنَا لَهُ فِى الْأَلْوَابِحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»: الأعراف: ١٤٥ و قوله: «وَ أَلْقَى الْأَلْوَابِحِ»: الأعراف: ١٥٠ و قوله: «أَخَذَ الْأَلْوَابِحِ»: الأعراف: ١٥٤.

و فى المجمع، روى عن أبى ذر أنه قال: قلت: يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: مائه ألف نبى و أربعة و عشرون ألفا - قلت: يا رسول الله كم المرسلون منهم؟ قال: ثلاث مائه و ثلاثه عشر و بقيتهم أنبياء. قلت: كان آدم نبيا؟ قال: نعم كلمه الله و خلقه بيده.

يا أبا ذر أربعة من الأنبياء عرب: هود و صالح و شعيب و نبيك.

قلت: يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب؟ قال: مائه و أربعة كتب أنزل منها على آدم عشره صحف، و على شيث خمسين صحيفه، و على أخنوخ و هو إدريس ثلاثين صحيفه - و هو

أول من خط بالقلم و على إبراهيم عشر صحائف-و التوراه و الإنجيل و الزبور و الفرقان.

أقول: و روى ذلك فى الدر المنثور، عن عبد بن حميد و ابن مردويه و ابن عساكر عن أبى ذر* غير أنه لم يذكر صحف آدم- و ذكر لموسى عشر صحف قبل التوراه .

(٨٨) سورة الغاشيه مكيه و هى ست و عشرون آيه (٢٦)

[سورة الغاشيه (٨٨): الآيات ١ الى ٢٦]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُشْقَى مِنْ عَيْنِ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ (٦) لَا يُشِيمُنْ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسْعِيهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَعْيُنِنَا (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَ أَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَ نَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَ زُرَابِيٌّ مُبْتُوَتَةٌ (١٦) أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَ إِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَ إِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَ إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ (٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَ كَفَرَ (٢٣) فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٢٦)

بيان

سوره إنذار و تبشير تصف الغاشيه و هى يوم القيامة الذى يحيط بالناس تصفه بحال

ص: ٢٧٢

الناس فيه من حيث انقسامهم فريقين: السعداء والأشقياء و استقرارهم فيما أعد لهم من الجنة و النار و تنتهى إلى أمره (ص) أن يذكر الناس بفنون من التدبير الربوبى فى العالم الداله على ربوبيته تعالى لهم و رجوعهم إليه لحساب أعمالهم.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: « هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ » استفهام بداعى التفخيم و الإعظام، و المراد بالغاشيه يوم القيامه سميت بذلك لأنها تغشى الناس و تحيط بهم كما قال: « وَ حَشَرْنَا لَهُمْ فَلَمَّ نَغَارٌ مِنْهُمْ أَحَدًا »: الكهف: ٤٧، أو لأنها تغشى الناس بأهوالها بغته كما قيل، أو لأنها تغشى وجوه الكفار بالعذاب.

قوله تعالى: « وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ » أى مذلله بالغم و العذاب يغشاها، و الخشوع إنما هو لأرباب الوجوه و إنما نسب إلى الوجوه لأن الخشوع و المذله يظهر فيها.

قوله تعالى: « عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ » النصب التعب و « عَامِلَةٌ » خبر بعد خبر لوجوه، و كذا قوله: « نَاصِبَةٌ » و « تَصَلِيٌّ » و « تُشْقَى » و « لَيْسَ لَهُمْ » و المراد من عملها و نصبها بقرينه مقابلهما فى صفه أهل الجنة الآتية بقوله: « لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ » عملها فى الدنيا و نصبها فى الآخره فإن الإنسان إنما يعمل ما يعمل فى الدنيا ليسعد به و يظفر بالمطلوب لكن عملهم خبط باطل لا ينفعهم شيئاً كما قال تعالى: « وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا » الفرقان: ٢٣ فلا- يعود إليهم من عملهم إلا- النصب و التعب بخلاف أهل الجنة فإنهم لسعيهم الذى سعوه فى الدنيا راضون لما ساقهم إلى الجنة و الراحة.

و قيل: المراد أنها عامله فى النار ناصبه فيها فهى تعالج أنواع العذاب الذى تعذب به و تتعب لذلك.

و قيل: المراد أنها عامله فى الدنيا بالمعاصى ناصبه فى النار يوم القيامه.

قوله تعالى: « تَصَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً » أى تلزم نارا فى نهايه الحراره.

قوله تعالى: « تُشْقَىٰ مِنْ عَيْنِ آيَةٍ » أى حاره بالغه فى حرارتها.

قوله تعالى: « لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيْعٍ لَا يُشْبِهُنَّ وَلَا يُغْنِي عَنْهُنَّ مِنْ جُوعٍ » قيل: الضريع نوع من الشوك يقال له: الشبرق و أهل الحجاز يسمونه الضريع إذا يبس و هو أحبث طعام و أبشعه لا ترعاه دابه، و لعل تسميه ما فى النار به لمجرد المشابهه شكلا و خاصه.

قوله تعالى: «وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ» من النعومه فيكون كناية عن البهجه و السرور الظاهر على البشره كما قال: «تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ»: المطففين: ٢٤، أو من النعمه أى متنعمه. قيل: و لم يعطف على قوله: «وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ» إشاره إلى كمال بينونه بين حالى الفريقين.

قوله تعالى: «لَسِ عِيَاهُ رَاضِيَةٌ» اللام للتقويه، و المراد بالسعى سعيها فى الدنيا بالعمل الصالح، و المعنى رضيت سعيها و هو عملها الصالح حيث جوزيت به جزاء حسنا.

قوله تعالى: «فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ» - إلى قوله - «وَزَّرَابِيٌّ مَبْتُوثَةٌ» المراد بعلوها ارتفاع درجاتها و شرفها و جلالتها و غزاره عيشها فإن فيها حياه لا موت معها، و لذه لا ألم يشوبها و سرورا لا غم و لا حزن يداخله لهم فيها فوق ما يشاءون.

و قوله: «لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَغْيَةٍ» أى لا تسمع تلك الوجوه فى الجنه كلمه ساقطه لا فائده فيها.

و قوله: «فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ» المراد بالعين جنسها فقد عد تعالى فيها عيونا فى كلامه كالسلسيل و الشراب الطهور و غيرهما.

و قوله: «فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ» السرر جمع سرير و فى ارتفاعها جلاله القاعد عليها، «وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ» الأكواب جمع كوب و هو الإبريق لا خرطوم له و لا عروه يتخذ فيه الشراب «وَنَمَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ» النمارق جمع نمرقه و هى الوساده و كونها مصفوفه وضعها فى المجلس بحيث يتصل بعضها ببعض على هيئه المجالس الفاخره فى الدنيا «وَزَّرَابِيٌّ مَبْتُوثَةٌ» الزرابى جمع زريبه مثلته الزاى و هى البساط الفاخر و بثها بسطها للقعود عليها.

قوله تعالى: «أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ» بعد ما فرغ من وصف الغاشيه و بيان حال الفريقين، المؤمنين و الكفار عقبه بإشاره إجماليه إلى التدبير الربوبى الذى يفصح عن ربوبيته تعالى المقتضيه لوجوب عبادته و لازم ذلك حساب الأعمال و جزاء المؤمن بإيمانه و الكافر بكفره و الظرف الذى فيه ذلك هو الغاشيه.

و قد دعاهم أولا- أن ينظروا إلى الإبل كيف خلقت؟ و كيف صور الله سبحانه أرضا عادمه للحياه فاقدته للشعور بهذه الصوره العجيبه فى أعضائها و قواها و أفاعيلها فسخرها لهم ينتفعون من ركوبها و حملها و لحمها و ضرعها و جلدها و وبرها حتى بولها و بعرتها فهل هذا كله توافق اتفاقى غير مطلوب بحياله؟ و تخصيص الإبل بالذكر من جهه أن السوره مكيه و أول من تتلى عليهم الإعراب

و اتخاذ الآبال من أركان عيشتهم.

قوله تعالى: «وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ» و زينت بالشمس و القمر و سائر النجوم الزواهر بما فيها من المنافع لأهل الأرض و قد جعل دونها الهواء الذى يضطر إليه الحيوان فى تنفسه.

قوله تعالى: «وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ» و هى أوتاد الأرض المانعه من مورها و مخازن الماء التى تتفجر منها العيون و الأنهار و محافظ للمعادن.

قوله تعالى: «وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ» أى بسطت و سويت فصلحت لسكنى الإنسان و سهل فيها النقل و الانتقال و أغلب التصرفات الصناعيه التى للإنسان.

فهذه تدبيرات كليه مستنده إليه تعالى بلا ريب فيه فهو رب السماء و الأرض ما بينهما فهو رب العالم الإنسانى يجب عليهم أن يتخذوه ربا و يوحده و يعبدوه و أمامهم الغاشيه و هو يوم الحساب و الجزاء.

قوله تعالى: «فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ» تفریع على ما تقدم و المعنى إذا كان الله سبحانه هو ربهم لا رب سواه و أمامهم يوم الحساب و الجزاء لمن آمن منهم أو كفر فذكرهم بذلك.

و قوله: «إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ» بيان أن وظيفته-و هو رسول-التذكير رجاء أن يستجيبوا و يؤمنوا من غير إكراه و إلقاء.

قوله تعالى: «لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ» المصيطر - أصله المسيطر-المتسلط، و الجملة بيان و تفسير لقوله: «إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ».

قوله تعالى: «إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَ كَفَرَ» استثناء من المفعول المحذوف لقوله السابق: «فَذَكِّرْ» و التقدير فذكر الناس إلا من تولى منهم عن التذكرة و كفر إذ تذكرته لغو لا فائده فيها، و معلوم أن التولى و الكفر إنما يكون بعد التذكرة فالمنفى بالاستثناء هو التذكرة بعد التذكرة كأنه قيل: ذكرهم و أدم التذكرة إلا لمن ذكرته فتولى عنها و كفر، فليس عليك إدامه تذكرته بل أعرض عنه فيعذبه الله العذاب الأكبر.

فقوله: «فَذَكِّرْ» -إلى أن قال- «إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَ كَفَرَ فَيَعِذُّهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ» فى معنى قوله: «فَذَكِّرْ» إِنَّ نَفَعَتِ الذُّكْرَى X-إلى أن قال- X وَ يَنْجِبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصَلَّى النَّارَ الْكُبْرَى» الأعلى: ١٢ و قد تقدم بيانه.

وقيل: الاستثناء من ضمير «عَلَيْهِمْ» في قوله: «لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ» والمعنى لست عليهم بمتسلط إلا- على من تولى منهم عن التذكرة و أقام على الكفر فسيسلطك الله عليه و يأمرك بالجهاد فتقاتله فتقتله.

وقيل: الاستثناء منقطع و المعنى لست عليهم بمتسلط لكن من تولى و كفر منهم يعذبه الله العذاب الأكبر، و ما قدمناه من الوجه أرجح و أقرب.

قوله تعالى: «فَيَعِذُّهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْمَكْبَرِ» هو عذاب جهنم فالآية كما تقدم محاذيه لقوله في سورة الأعلى «الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى».

قوله تعالى: «إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ» الإياب الرجوع و «إِلَيْنَا» خبر إن و إنما قدم للتأكيد و لرعايه الفواصل دون الحصر إذ لا قائل برجوع الناس إلى غير الله سبحانه و الآية في مقام التعليل للتعذيب المذكور في الآية السابقة.

قوله تعالى: «ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ» الكلام فيه كالكلام في الآية السابقة.

بحث روائي

في المجمع، و قال أبو عبد الله (ع): كل ناصب و إن تعبد و اجتهد يصير إلى هذه الآية- «عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصَلِّي نَارًا حَامِيَةً».

أقول: و رواه في ثواب الأعمال، مسندا و لفظه: كل ناصب و إن تعبد و اجتهد يصير إلى هذه الغاية «عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصَلِّي نَارًا حَامِيَةً».

و فيه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ص: الضريع شيء في النار يشبه الشوك- أمر من الصبر و أنتن من الجيفة- و أشد حرا من النار سماه الله الضريع.

و في تفسير القمي، "في قوله تعالى: «لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاحَةً» قال: الهزل و الكذب.

و فيه، "في قوله تعالى: «لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ» قال: بحافظ و لا كاتب عليهم.

و في الدر المنثور، أخرج ابن أبي شيبة و أحمد و عبد بن حميد و مسلم و الترمذي و النسائي و ابن ماجه و ابن جرير و الحاكم و ابن مردويه و البيهقي في الأسماء و الصفات عن جابر قال*:

قال رسول الله ص: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا- إله إلا الله- فإذا قالوها عصموا مني دماءهم و أموالهم إلا- بحقها- و حسابهم على الله ثم قرأ «فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ».

أقول: لا دلالة في الرواية على كون الاستثناء من ضمير «عَلَيْهِمْ» وهو ظاهر.

وفيه، وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (ع): في قوله تعالى: «إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ» يريد من لم يتعظ ولم يصدقك - ووجد ربوبيتى و كفر نعمتى «فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ» يريد الغليظ الشديد الدائم «إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ» يريد مصيرهم «ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ» يريد جزاءهم.

وفي النهج: و سئل (ع): كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم؟ قال: كما يرزقهم على كثرتهم. قيل: فكيف يحاسبهم ولا يرونه؟ قال: كما يرزقهم ولا يرونه.

وفيه، قال الصادق (ع): كل أمه يحاسبها إمام زمانها، ويعرف الأئمة أولياءهم وأعداءهم بسيماهم وهو قوله: «وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلًّا بِسِيمَاهُمْ» الحديث.

أقول: قد تقدم توضيح معنى الحديث في تفسير الآيه من سورة الأعراف، و روى هذا المعنى في البصائر، عن الصادق (ع) مسندا و في الكافي، عن الباقر و الكاظم (ع) و في الفقيه، عن الهادي (ع) في الزياره الجامعه.

(٨٩) سورة الفجر مكيه و هي ثلاثون آيه (٣٠)

[سورة الفجر (٨٩): الآيات ١ الى ٣٠]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الْفَجْرِ (١) وَ لَيْلِ عَشْرِ (٢) وَ الشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ (٣) وَ اللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرِ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَ ثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَعَنُوا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبَالِغُ صَادٍ (١٤) فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَيَّأَ إِثْلَاقَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَ أَمَّا إِذَا مَيَّأَ إِثْلَاقَهُ فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا - بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَ لَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ (١٨) وَ تَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَ تَحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ السَّائِزُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَ جِءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَ أَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَ لَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦) يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَ ادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)

فى السوره ذم التعلق بالدنيا المتعقب للطغيان و الكفران و إبعاد أهله بأشد عذاب الله فى الدنيا و الآخرة فتيين أن الإنسان لقصور نظره و سوء فكره يرى أن ما آتاه الله من نعمه من كرامته على الله و أن ما يتلبس به من الفقر و العدم من هوانه فيطغى و يفسد فى الأرض إذا وجد و يكفر إذا فقد و قد اشتبه عليه الأمر فما يصيبه من القدره و الثروه و من الفقر و ضيق المعاش امتحان و ابتلاء إلهى ليظهر به ما ذا يقدم من دنياه لأخراه.

فليس الأمر على ما يتوهمه الإنسان و يقوله بل الأمر كما سيتذكره إذا وقع الحساب و حضر العذاب أن ما أصابه من فقر أو غنى أو قوه أو ضعف كان امتحانا إلهيا و كان يمكنه أن يقدم من يومه لغده فلم يفعل و آثر العقاب على الثواب فليس ينال الحياه السعيده فى الآخرة إلا النفس المطمئنه إلى ربها المسلمه لأمره التى لا تتزلزل بعواصف الابتلاءات و لا يطغيه الوجدان و لا يكفره الفقدان.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: «وَ الْفَجْرِ وَ لَيَالٍ عَشْرٍ وَ الشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ وَ اللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ

« الفجر الصبح و الشفع الزوج، قال الراغب: الشفع ضم الشيء إلى مثله و يقال للمشفوع شفع. انتهى. و سرى الليل مضيه و إداره، و الحجر العقل فقوله: « وَ الْفَجْرِ » إقسام بالصبح و كذا الحال فيما عطف عليه من ليال و الشفع و الوتر و الليل.

و لعل ظاهر قوله: « وَ الْفَجْرِ » أن المراد به مطلق الفجر و لا يبعد أيضا أن يراد به فجر يوم النحر و هو عاشر ذى الحجة.

و قيل: المراد فجر ذى الحجة، و قيل: فجر المحرم أول السنة و قيل: فجر يوم الجمعة، و قيل فجر ليله جمع، و قيل: المراد به صلاة الفجر، و قيل: النهار كله و قيل:

فجر العيون من الصخور و غيرها و هى وجوه رديه.

و قوله: « وَ لِيَالٍ عَشْرٍ » لعل المراد بها الليالى العشر من أول ذى الحجة إلى عاشرها و التنكير للتفخيم.

و قيل: المراد بها الليالى العشر من آخر شهر رمضان، و قيل: الليالى العشر من أوله، و قيل الليالى العشر من أول المحرم، و قيل: المراد عباده ليال عشر على تقدير أن يراد بالفجر صلاة الفجر.

و قوله « وَ الشَّفْعِ وَ الوُتْرِ » يقبل الانطباق على يوم الترويه و يوم عرفه و هو الأنسب على تقدير أن يراد بالفجر و ليال عشر فجر ذى الحجة و العشر الأول من لياليها.

و قيل: المراد صلاتا الشفع و الوتر فى آخر الليل، و قيل: مطلق الصلاة فمنها شفع و منها وتر، و قيل: الشفع يوم النحر و الوتر يوم عرفه، و قيل: الشفع جميع الخلق لأنه قال: « وَ خَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا »: النبأ: ٨ و الوتر هو الله تعالى، و على هذه الأقوال روايات ستوافيك فى البحث الروائى الآتى إن شاء الله.

و قيل: المراد الزوج و الفرد من العدد، و فى الإقسام بهما تذكير بالعدد لما فى ضبط المقادير به من عظيم النعمه من الله سبحانه، و قيل: الشفع و الوتر جميع المخلوقات لأن الأشياء إما زوج و إما فرد، و قيل: الوتر آدم شفع بزوجه، و قيل: الشفع الأيام و الليالى و الوتر اليوم الذى لا- ليل بعده و هو يوم القيامة، و قيل: الشفع الصفا و المروه و الوتر البيت الحرام، و قيل: الشفع أيام عاد و الوتر لياليها، و قيل: الشفع أبواب الجنة و هى ثمانيه و الوتر أبواب جهنم و هى سبعة إلى غير ذلك و هى كثيره أنهاها بعضهم إلى ستة و ثلاثين قولاً و لا يخلو أكثرها من تحكم.

وقوله: «وَ اللَّيْلُ إِذَا يَسِيرٍ» أى يمضى فهو كقوله: «وَ اللَّيْلُ إِذْ أَدْبَرَ»: المدثر: ٣٣ و ظاهره أن اللام للجنس فالمراد به مطلق آخر الليل، وقيل: المراد به ليله المزدلفه و هى ليله النحر التى يسرى فيها الحاج من عرفات إلى المزدلفه فيجتمع فيها على طاعة الله ثم يغدوا منها إلى منى و هو كما ترى و خاصه على القول بكون المراد بليال عشر هو الليالى العشر الأوائل منها.

وقوله: «هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِإِذَى حَجْرٍ» الإشارة بذلك إلى ما تقدم من القسم، و الاستفهام للتقرير، و المعنى أن فى ذلك الذى قدمناه قسما كافيا لمن له عقل يفقه به القول و يميز الحق من الباطل، و إذا أقسم الله سبحانه بأمر-و لا يقسم إلا بما له شرف و منزله- كان من القول الحق المؤكد الذى لا ريب فى صدقه.

و جواب الأقسام المذكوره محذوف يدل عليه ما سيذكر من عذاب أهل الطغيان و الكفران فى الدنيا و الآخرة و ثواب النفوس المطمئنه، و أن إنعامه تعالى على من أنعم عليه و إمساكه عنه فيمن أمسك إنما هو ابتلاء و امتحان.

و حذف الجواب و الإشارة إليه على طريق التكنيه أوقع و أكد فى باب الإنذار و التبشير.

قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَّ رَبُّكَ بِعَادٍ» هم عاد الأولى قوم هود تكررت قصتهم فى القرآن الكريم و أشير إلى أنهم كانوا بالأحقاف، و قد قدمنا ما يتحصل من قصصهم فى القرآن الكريم فى تفسير سوره هود.

قوله تعالى: «إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ» العمداد و جمعه عمد ما يعتمد عليه الأبنيه، و ظاهر الآيتين أن إرم كانت مدينه لهم معموره عديمه النظير ذات قصور عاليه و عمد ممدده، و قد انقطعت أخبار القوم عهدهم و انمحت آثارهم، فلا سبيل إلى الحصول على تفصيل حالهم تطمئن إليها النفس إلا ما قصه القرآن الكريم من إجمال قصتهم أنهم كانوا بعد قوم نوح قاطنين بالأحقاف و كانوا ذوى بسطه فى الخلق أولى قوه و بطش شديد، و كان لهم تقدم و رقى فى المدنيه و الحضاره لهم بلاد عامره و أراض خصبه ذات جنات و نخيل و زروع و مقام كريم و قد تقدمت القصه.

وقيل: المراد بإرم قوم عاد-و هو فى الأصل اسم أبيهم سموا باسم أبيهم كما يقال:

قريش و يراد به القرشيون و يطلق إسرائيل و يراد به بنو إسرائيل-و المراد بكونهم

ذات عماد كونهم أولى قوه و سطوه.

و المعنى: أ لم تر كيف فعل ربك بقوم عاد الذين هم قوم إرم ذوو القوه و الشده الذين لم يخلق مثلهم فى بسطه الجسم و القوه و البطش فى البلاد أو فى أقطار الأرض و لا يخلو من بعد من ظاهر اللفظ.

و أبعد منه ما قيل: إن المراد بكونهم ذات العماد أنهم كانوا أهل عمد سياره فى الربيع فإذا هاج النبات رجعوا إلى منازلهم.

و من الأساطير قصه جنه إرم المشهوره المرويه عن وهب بن منبه و كعب الأحبار.

قوله تعالى: « وَ تَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ » الجوب القطع أى قطعوا صخر الجبال بنحتها بيوتا فهو فى معنى قوله: « وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا »: الشعراء: ١٤٩.

قوله تعالى: « وَ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ » هو فرعون موسى، و سمي ذا الأوتاد- على ما فى بعض الروايات- لأنه كان إذا أراد أن يعذب رجلا بسطه على الأرض و وتد يديه و رجليه بأربعة أوتاد فى الأرض و ربما بسطه على خشب و فعل به ذلك، و يؤيده ما حكاه الله من قوله يهدد السحره إذ آمنوا بموسى: « وَ لَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ » طه: ٧١ فإنهم كانوا يوتدون يدي المصلوب و رجليه على خشبه الصليب.

قوله تعالى: « الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ » صفة للمذكورين من عاد و ثمود و فرعون، و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: « فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ » صب الماء معروف و صب سوط العذاب كناية عن التعذيب المتتابع المتواتر الشديد، و تنكير عذاب للتفخيم.

و المعنى فأنزل ربك على كل من هؤلاء الطاغين المكثرين للفساد إثر طغيانهم و إكثارهم الفساد عذابا شديدا متتابعًا متواليًا لا يوصف.

قوله تعالى: « إِنَّ رَبَّكَ لَبَالْمُرْصَادِ » المرصاد المكان الذى يرصد منه و يرقب و كونه تعالى على المرصاد استعاره تمثليه شبه فيها حفظه تعالى لأعمال عباده بمن يقعد على المرصاد يرقب من يراد رقوبه فيأخذه حين يمر به و هو لا يشعر فالله سبحانه رقيب يرقب أعمال عباده حتى إذا طغوا و أكثروا الفساد أخذهم بأشد العذاب.

و فى الآيه تعليل ما تقدم من حديث تعذيب الطغاه المكثرين للفساد من الماضين و فى قوله: « رَبُّكَ » بإضافه الرب إلى ضمير الخطاب تلويح إلى أن سنه العذاب جاريه فى أمته

(ص) على ما جرت عليه في الأمم الماضين.

قوله تعالى: «فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ » متفرع على ما قبله، فيه تفصيل حال الإنسان إذا أوتى من نعم الدنيا أو حرم كأنه قيل:

إن الإنسان تحت رقوب إلهي يرصده ربه هل يصلح أو يفسد؟ و يبتليه و يمتحنه فيما آتاه من نعمه أو حرمه هذا هو الأمر في نفسه و أما الإنسان فإنه إذا أنعم الله عليه بنعمه حسب أن ذلك إكرام إلهي له أن يفعل بها ما يشاء فيطغى و يكثر الفساد، و إذا أمسك و قدر عليه رزقه حسب أنه إهانة إلهيه فيكفر و يجزع.

فقوله: «فَأَمَّا الْإِنْسَانُ» المراد به النوع بحسب الطبع الأولى فاللام للجنس دون الاستغراق.

و قوله: «إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ» أي امتحنه و اختبره، و العامل في الظرف محذوف تقديره كائنا إذا «إلخ» و قيل: العامل فيه «فَيَقُولُ».

و قوله: «فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ» تفسير للابتلاء، و المراد بالإكرام و التنعيم الصوريان و إن شئت فقل: الإكرام و التنعيم حدوثا لا بقاء أي أنه تعالى أكرمه و آتاه النعمة ليشكره و يعبده لكنه جعلها نعمة على نفسه تستتبع العذاب.

و قوله: «فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ» أي جعلني على كرامه منه بالنعم التي آتانيها و إن شئت فقل: القدره و الجده الموهوبتان إكرام و تنعيم حدوثا و بقاء فلي أن أفعل ما أشاء.

و الجملة أعنى قوله: «فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ» حكاية ما يراه الإنسان بحسب الطبع، و قول الإنسان:

« رَبِّي أَكْرَمَنِ » الظاهر في نسبه التدبير إلى الله سبحانه - و لا يقول به الوثنيه و المنكرون للصانع - مبني على اعترافه بحسب الفطره به تعالى و إن استنكف عنه لسانا، و أيضا لرعايه المقابله مع قوله: «إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ».

قوله تعالى: « وَ أَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ » أي و أما إذا ما امتحنه و اختبره فضيق عليه رزقه فيقول ربي أذلني و استخف بي.

و يظهر من مجموع الآيتين أولا- حيث كرر الابتلاء و أثبتته في صورتى التنعيم و الإمساك عنه أن إيتاء النعم و الإمساك عنه جميعا من الابتلاء و الامتحان الإلهي كما قال: « وَ نَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً »: الأنبياء: ٣٥ لا كما يراه الإنسان.

و ثانيا أن إيتاء النعم بما أنه فضل و رحمه إكرام إن لم يبدلها الإنسان نقما على نفسه.

و ثالثاً أن الآيتين معا تفيدان أن الإنسان يرى سعادته فى الحياه هى التمتع فى الدنيا بنعم الله تعالى و هو الكرامه عنده و الحرمان منه شقاء عنده و الحال أن الكرامه هى فى التقرب إليه تعالى بالإيمان و العمل الصالح سواء فى ذلك الغنى و الفقر و أى وجدان و فقدان فإنما ذلك بلاء و امتحان.

و لهم فى معنى الآيتين وجوه آخر تركنا التعرض لها لقله الجدوى.

قوله تعالى: «كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَ لَا تَحَاضُّونَ عَلَيَّ طَعَامِ الْمَسْكِينِ» ردع لقولهم:

إن الكرامه هى فى الغنى و التمتع، و فى الفقر و فقدان هوان و مذلته، و المعنى ليس كما تقولون و إنما إيتاؤه تعالى النعمه و إمساكه عنه كل ذلك ابتلاء و امتحان يختبر به حال الإنسان من حيث عبوديته.

و فى قوله: «بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ» إلخ إضراب يؤكد الردع بذكر بعض التمتع الذى لا يجمع الكرامه البته كعدم إكرامهم اليتيم بأكل تراثه و منعه منه و عدم التحريض على إطعام المسكين حبا للمال فالفطره الإنسانيه لا يرتاب فى أن لا كرامه فى غنى هذا شأنه.

و فى الإضراب مضافا إلى أصل الردع تقريع و لتشديد هذا التقريع وقع الالتفات من الغيبه إلى الخطاب.

فقوله: «بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ» عدم إكرامه حرمانه من تراث أبيه- كما كانوا يحرمون صغار الأولاد من الإرث- و تركه صفر الكف بلغ به الجهد ما بلغ كما تؤيده الآيه التاليه « وَ تَأْكُلُونَ التُّرَاثَ » إلخ.

و قوله: «وَ لَا تَحَاضُّونَ عَلَيَّ طَعَامِ الْمَسْكِينِ» أصله و لا- تتحاضون، و هو تحريض بعضهم بعضا على التصدق على المساكين المعدمين، و منشؤه حب المال كما فى الآيه الآتية « وَ تُحِبُّونَ الْمَالَ » إلخ.

قوله تعالى: « وَ تَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا » اللم أكل الإنسان نصيب نفسه و غيره و أكله ما يجده من دون أن يميز الطيب من الخبيث، و الآيه تفسير لعدم إكرامهم اليتيم كما تقدم.

قوله تعالى: « وَ تُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا » الجم الكثير العظيم، و الآيه تفسر عدم تحاضهم على طعام المسكين كما تقدم.

قوله تعالى: « كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا » الدك هو الدق الشديد، و المراد بالظرف حضور يوم القيامة.

ردع ثان عما يقوله الإنسان في حالي الغنى و الفقر، و قوله: «إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ» إلخ في مقام التعليل للردع، و محصل المعنى ليس كما يقوله الإنسان فإنه سيتذكر إذا قامت القيامة إن الحياه الدنيا و ما فيها من الغنى و الفقر و أضرابهما لم تكن مقصوده بالذات بل كانت ابتلاء و امتحانا من الله تعالى يميز به السعيد من الشقى و يهيئ الإنسان فيها ما يعيش به في الآخرة و قد التبس عليه الأمر فحسبها كرامه مقصوده بالذات فاشتغل بها و لم يقدم لحياته الآخرة شيئا فيتمنى عند ذلك و يقول: يا ليتنى قدمت لحياتي و لن يصرف التمنى عنه شيئا من العذاب.

قوله تعالى: «وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صِفًّا صَفًّا» نسبه المجرى إليه تعالى من المتشابه الذى يحكمه قوله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» الشورى: ١١ و ما ورد في آيات القيامة من خواص اليوم كتقطع الأسباب و ارتفاع الحجب عنهم و ظهور أن الله هو الحق المبين.

و إلى ذلك يرجع ما ورد في الروايات أن المراد بمجيئه تعالى مجيء أمره قال تعالى:

«وَ الْأَمْرُ يُؤَمَّرُ لِلَّهِ» الانفطار: ١٩، و يؤيد هذا الوجه بعض التأييد قوله تعالى «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ» البقره: ٢١٠ إذا انضم إلى قوله: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ» النحل: ٣٣ و عليه فهناك مضاف محذوف و التقدير جاء أمر ربك أو نسبه المجرى إليه تعالى من المجاز العقلى.

و الكلام في نسبه المجرى إلى الملائكه و كونهم صفا صفا كما مر.

قوله تعالى: «وَ جِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ» إلى آخر الآيه لا- يبعد أن يكون المراد بالمجرىء بجهنم إبرازها لهم كما في قوله تعالى: «وَ بُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى» النازعات: ٣٦ و قوله:

«وَ بُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ» الشعراء: ٩١، و قوله: «لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَ كَفَبَصْرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» ق: ٢٢.

و قوله: «يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ» أى يتذكر أجلى التذكر أن ما كان يؤتاه في الحياه الدنيا من خير أو شر كان من ابتلاء الله و امتحانه و أنه قصر في أمره، هذا ما يفيد السباق.

و قوله: «وَ أَنَّى لَهُ الذُّكْرَى» أى و من أين له الذكرى كناية عن عدم انتفاعه بها فإن الذكرى إنما تنفع فيما أمكنه أن يتدارك ما فرط فيه بتوبه و عمل صالح و اليوم يوم الجزاء لا يوم الرجوع و العمل.

قوله تعالى: «يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي» أى لحياتي هذه و هى الحياه الآخرة أو المراد الحياه الحقيقه و هى الحياه الآخرة على ما نبه تعالى عليه بقوله: «وَ مَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا»

إِلَّا لَهُمْ وَ لِعَبِّ وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» :العنكبوت: ٦٤.

و المراد بالتقديم للحياه تقديم العمل الصالح للحياه الآخره و ما فى الآيه تمن يتمناه الإنسان عند ما يتذكر يوم القيامه و يشاهد أنه لا ينفعه.

قوله تعالى: «فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَ لَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ» ضميرا عذابه و وثاقه لله تعالى و المعنى فيومئذ لا يعذب عذاب الله أحد من الخلق و لا- يوثق وثاق الله أحد من الخلق أى إن عذابه و وثاقه تعالى يومئذ فوق عذاب الخلق و وثاقهم، تشديد فى الوعيد.

و قرئ «لَا يُعَذِّبُ» بفتح الذال و «وَ لَا يُوثِقُ» بفتح الثاء بالبناء للمفعول و ضميرا عذابه و وثاقه على هذا للإنسان و المعنى لا يعذب أحد يومئذ مثل عذاب الإنسان و لا يوثق أحد يومئذ مثل وثاقه.

قوله تعالى: «يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ» الذى يعطيه سياق المقابلة بين هذه النفس بما ذكر لها من الأوصاف و عين لها من حسن المنقلب و بين الإنسان المذكور قبل بما ذكر له من وصف التعلق بالدنيا و الطغيان و الفساد و الكفران، و ما أوعد من سوء المصير هو أن النفس المطمئنه هى التى تسكن إلى ربها و ترضى بما رضى به فترى نفسها عبدا لا يملك لنفسه شيئا من خير أو شر أو نفع أو ضرر و يرى الدنيا دار مجاز و ما يستقبله فيها من غنى أو فقر أو أى نفع و ضرر ابتلاء و امتحانا إلهيا فلا يدعوه تواتر النعم عليه إلى الطغيان و إكثار الفساد و العلو و الاستكبار، و لا يوقعه الفقر و فقدان فى الكفر و ترك الشكر بل هو فى مستقر من العبوديه لا ينحرف عن مستقيم صراطه بإفراط أو تفريط.

قوله تعالى: «إِذْ جِئِىْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً» خطاب ظرفه جميع يوم القيامه من لدن إحيائها إلى استقرارها فى الجنة بل من حين نزول الموت إلى دخول جنة الخلد و ليس خطابا واقعا بعد الحساب كما ذكره بعضهم.

و توصيفها بالراضيه لأن اطمئنانها إلى ربها يستلزم رضاها بما قدر و قضى تكويننا أو حكم به تشريعا فلا تسخطها سانحه و لا تزيغها معصيه، و إذا رضى العبد من ربه رضى الرب منه إذ لا- يسخطه تعالى إلا خروج العبد من زى العبوديه فإذا لزم طريق العبوديه استوجب ذلك رضى ربه و لذا عقب قوله «رَاضِيَةً» بقوله «مَرْضِيَّةً».

قوله تعالى: «فَإِذْ خُلِيْ فِي عِبَادِيْ وَ ادْخُلِيْ جَنَّتِيْ» تفريع على قوله «إِذْ جِئِىْ إِلَىٰ رَبِّكَ» و فيه دلالة على أن صاحب النفس المطمئنه فى زمره عباد الله حائز مقام العبوديه.

و ذلك أنه لما اطمأن إلى ربه انقطع عن دعوى الاستقلال و رضى بما هو الحق من ربه فرأى ذاته و صفاته و أفعاله ملكا طلقا لربه فلم يرد فيما قدر و قضى و لا فيما أمر و نهى إلا ما أَرَادَهُ ربه، و هذا ظهور العبودية التامه فى العبد ففى قوله: «فَادْخُلِي فِي عِبَادِي» تقرير لمقام عبوديتها.

و فى قوله: «وَ ادْخُلِي جَنَّتِي» تعيين لمستقرها، و فى إضافه الجنه إلى ضمير التكلم تشرىف خاص، و لا- يوجد فى كلامه تعالى إضافه الجنه إلى نفسه تعالى و تقدس إلا فى هذه الآيه.

بحث روائى

فى المجمع: فى قوله تعالى: «وَ الشَّفْعِ وَ الوَتْرِ»، و قيل: الشفع الخلق لأنه قال:

«وَ خَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا» و الوتر الله تعالى:، عن عطيه العوفى و أبى صالح و ابن عباس و مجاهد و هى روايه أبى سعيد الخدرى عن النبى ص، و قيل:

الشفع و الوتر الصلاة منها شفع و منها وتر: و هى روايه عن ابن حصين عن النبى ص، و قيل:

الشفع يوم النحر و الوتر يوم عرفه: عن ابن عباس و عكرمه و الضحاك، و هى روايه جابر عن النبى ص و الوجه فيه أن يوم النحر يشفع بيوم نفر بعده و يتفرد يوم عرفه بالموقف، و قيل:

الشفع يوم الترويه و الوتر يوم عرفه: و روى ذلك عن أبى جعفر و أبى عبد الله (ع).

أقول: الروايات الثلاث المشار إليها مرويه عن النبى ص من طرق أهل السنه و يمكن الجمع بينها بأن المراد مطلق الشفع و الوتر و الروايات من قبيل الإشاره إلى بعض المصاديق.

و فى تفسير القمى، "«وَ لِيَالِ عَشْرِ» قال: عشر ذى الحجه «وَ الشَّفْعِ وَ الوَتْرِ» قال:

الشفع ركعتان و الوتر ركعه،

و فى حديث: الشفع الحسن و الحسين- و الوتر أمير المؤمنين (ع) «وَ اللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ» قال: هى ليله جمع.

و فيه، فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر (ع) * فى قوله: «لِذَى حِجْرٍ» يقول: لذى عقل.

و فى العلل، بإسناده إلى أبان الأحمر قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله عز و جل: «وَ فِرْعَوْنَ ذَى الْأَوْتَادِ» لأى شىء سُمى ذا الأوتاد؟ فقال: لأنه كان إذا عذب رجلا- بسطه على الأرض على وجهه و مديديه و رجله- فأوتدها بأربعة أوتاد فى الأرض.

و ربما بسطه على خشب منبسط- فوتد رجله و يديه بأربعة أوتاد- ثم تركه على حاله حتى يموت- فسماه الله عز و جل فرعون ذا الأوتاد.

و في المجمع، في قوله تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ» و

روى عن علي (ع) أنه قال:

إن معناه إن ربك قادر أن يجزى أهل المعاصي جزاءهم.

أقول: بناء الرواية على أخذ الجملة استعاره تمثيلية.

و فيه، عن الصادق (ع) أنه قال: المرصاد قنطره على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمه عبد.

و عن الغوالي، عن الصادق (ع) في حديث * في تفسير قوله تعالى: «وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا - فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ» إنما ظن بمعنى استيقن إن الله تعالى لن يضيق عليه رزقه - أ لا تسمع قول الله تعالى: «وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ» أي ضيق عليه.

و في تفسير القمي، في روايه أبي الجارود عن أبي جعفر (ع) * في قوله: «كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا» قال: هي الزلزله.

و في الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن علي بن أبي طالب قال * قال رسول الله ص:

هل تدرون ما تفسير هذه الآية «كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ - إِلَى قَوْلِهِ - وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ» قال: إذا كان يوم القيامة تقاد جهنم بسبعين ألف زمام - بيد سبعين ألف ملك فتشرد شرده - لو لا أن الله حبسها لأحرقت السماوات و الأرض:.

أقول: و هو مروى أيضا عن أبي سعيد و ابن مسعود و من طرق الشيعة في أمالي الشيخ، بإسناده عن داود بن سليمان عن الرضا عن آبائه عن علي (ع) عن النبي ص .

و في العيون، في باب ما جاء عن الرضا من أخبار التوحيد بإسناده عن علي بن فضال عن أبيه قال * : سألت الرضا (ع) عن قول الله عز و جل: «وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَيِّفًا صَيِّفًا» فقال: إن الله سبحانه لا يوصف بالمجىء و الذهاب - تعالى عن الانتقال إنما يعنى بذلك و جاء أمر ربك.

و في الكافي، بإسناده عن سدير الصيرفي قال * : قلت لأبي عبد الله (ع): جعلت فداك يا ابن رسول الله - هل يكره المؤمن على قبض روحه؟ قال: لا و الله إنه إذا أتاه ملك الموت ليقبض روحه - جزع عند ذلك فيقول ملك الموت: يا ولي الله لا تجزع فوالذي بعث محمدا لأنى أبر بك - و أشفق عليك من والد رحيم لو حضرك، افتح عينيك فانظر.

قال: و يمثل له رسول الله ص و أمير المؤمنين - و فاطمه و الحسن و الحسين و الأئمة من

ذريتهم(ع)-فيقال له:هذا رسول الله و أمير المؤمنين-و فاطمه و الحسن و الحسين- و الأئمه(ع)رفقاؤك.

قال:فيفتح عينيه فينظر-فينادى روحه مناد من قبل رب العزه-فيقول:يا أيتها النفس المطمئنه إلى محمد و أهل بيته-ارجعي إلى ربك راضيه بالولايه مرضيه بالثواب-فادخلي في عبادى يعنى محمدا و أهل بيته-و ادخلي جنتى-فما من شىء أحب إليه من استلال روحه و اللحوق بالمنادى.

أقول:و روى هذا المعنى القمى فى تفسيره و البرقى فى المحاسن،.

(٩٠) سورة البلد مكيه و هى عشرون آيه(٢٠)

[سورة البلد (٩٠): الآيات ١ الى ٢٠]

أشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَ وَالِدٍ وَ مَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (٦) أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَ لِسَانًا وَ شَفَتَيْنِ (٩) وَ هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَ تَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ (٢٠)

تذكر السوره أن خلقه الإنسان مبنية على التعب و المشقه فلا تجد شأنا من شئون الحياه إلا مقرونا بمراره الكد و التعب من حين يلج في جثمانه الروح إلى أن يموت فلا- راحه له عاريه من التعب و المشقه و لا سعادته له خالصه من الشقاء و المشأمه إلا في الدار الآخره عند الله.

فليتحمل ثقل التكليف الإلهيه بالصبر على الطاعه و عن المعصيه و ليجد في نشر الرحمه على المبتلين بنواب الدهر كاليتيم و الفقر و المرض و أضرابها حتى يكون من أصحاب الميمنه و إلا فأخرته كأولاه و هو من أصحاب المشأمه عليهم نار مؤصده.

و سياق آيات السوره، يشبه السياق المكي فيؤيد به كون السوره مكيه و قد ادعى بعضهم عليه الإجماع، و قيل: السوره مدنيه و السياق لا يساعد عليه، و قيل: مدنيه إلا أربع آيات من أولها و سيأتى في البحث الروائى التالى إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: «لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ» ذكروا أن المراد بهذا البلد مكه و تؤيده مكيه سياق السوره و قوله: «وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ» خاصه بناء على كون المراد بوالد هو إبراهيم (ع) على ما سيجىء.

قوله تعالى: «وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ» حال من هذا البلد، و وضع الظاهر موضع الضمير فى قوله: «بِهَذَا الْبَلَدِ» للدلاله على عظم شأنه و الاعتناء بأمره و هو البلد الحرام، و الحل مصدر كالحلول بمعنى الإقامه و الاستقرار فى مكان و المصدر بمعنى الفاعل.

و المعنى أقسم بهذا البلد و الحال أنك حال به مقيم فيه و فى ذلك تنبيه على تشرف مكه بحلوله (ص) فيها و كونها مولده و مقامه.

و قيل: الجمله معترضه بين القسم و المقسم به و المراد بالحل المستحل الذى لا حرمه له قال فى الكشاف: و اعترض بين القسم و المقسم عليه بقوله: «وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ» يعنى و من المكابده أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد فى غير الحرم- عن شرحيل- يحرمون أن يقتلوا بها صيدا و يعضدوا (1) بها شجره و يستحلون إخراجك و قتلك، و فيه تثبيت من رسول الله ص و بعث على

احتمال ما كان يكابد من أهل مكة و تعجيب من حالهم فى عداوته انتهى.

ثم قال: أو سلى رسول الله ص بالقسم ببلده أن الإنسان لا يخلو من مقاساه الشدائد و اعترض بأن وعده فتح مكة تتيما للتسليه و التنفيس عنه فقال: « وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ » يعنى و أنت حل به فى المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل و الأسر إلى آخر ما قال، و محصله تفسير الحل بمعنى المحل ضد المحرم، و المعنى و سنحل لك يوم فتح مكة حيناً فنقاتل و تقتل فيه من شئت.

قوله تعالى: « وَ وَالِدٍ وَ مَا وَلَدٌ » لزوم نوع من التناسب و الارتباط بين القسم و المقسم عليه يستدعى أن يكون المراد بوالد و ما ولد من بينه و بين البلد المقسم به نسبه ظاهره و ينطبق على إبراهيم و ولده إسماعيل (ع) و هما السببان الأصليان لبناء بلده مكة و البانيان للبيت الحرام قال تعالى: « وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمَاعِيلُ »: البقره: ١٢٧ و إبراهيم (ع) هو الذى سأل الله أن يجعل مكة بلداً آمناً قال تعالى:

«وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا»: إبراهيم: ٣٥. و تنكير « وَالِدٍ » للتعظيم و التفضيم، و التعبير بقوله « وَ مَا وَلَدٌ » دون أن يقال: و من ولد، للدلاله على التعجيب من أمره مدحا كما فى قوله: « وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ »: آل عمران: ٣٦.

و المعنى و أقسم بوالد عظيم الشأن هو إبراهيم و ما ولد من ولد عجيب أمره مبارك أثره و هو إسماعيل ابنه و هما البانيان لهذا البلد فمفاد الآيات الثلاث الإقسام بمكة المشرفه و بالنبي ص الذى هو حل فيها و بإبراهيم و إسماعيل اللذين بناهاها.

و قيل: المراد بالوالد إبراهيم و بما ولد جميع أولاده من العرب.

و فيه أن من البعيد أن يقارن الله سبحانه بين النبي ص و إبراهيم (ع) و بين أمثال أبى لهب و أبى جهل و غيرهم من أئمه الكفر فيقسم بهم جميعاً فى سياق، و قد تبرأ إبراهيم (ع) ممن لم يتبعه من بنيه على التوحيد إذ قال فيما حكاه الله: « وَ اجْتَبَيْتَنِي وَ بَنَيْتُ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَ مَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ »: إبراهيم: ٣٦.

فعلى من يفسر ما ولد بأولاد إبراهيم أن يخصهم بالمسلمين من ذريته كما فى دعاء إبراهيم و إسماعيل عند بنائهما الكعبه على ما حكاه الله: « رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَ ارِنَا مَنَاسِكَنَا وَ تُبَّ عَلَيْنَا »: البقره: ١٢٨.

وقيل: المراد بوالد و ما ولد، آدم(ع) وذريته جميعا بتقريب أن المقسم عليه بهذه الأقسام خلق الإنسان في كبد و قد سن الله في خلق هذا النوع و إبقاء وجوده سنه الولادة فقد أقسم في هذه الآيات بمحصول هذه السنه و هو الوالد و ما ولد على أن الإنسان في كد و تعب بحسب نوع خلقته من حين يحيى إلى حين يموت.

و هذا الوجه في نفسه لا بأس به لكن يبقى عليه بيان المناسبه بين بلده مكه و بين والد و كل مولود في الجمع بينهما في الأقسام.

وقيل: المراد بهما آدم و الصالحون من ذريته، و كان الوجه فيه تنزيهه تعالى من أن يقسم بأعدائه الطغاه و المفسدين من الكفار و الفساق.

وقيل: المراد بهما كل والد و كل مولود و قيل: من يلد و من لا يلد منهم بأخذ «ما» في «مَا وَ لَدَّ» نافية لا موصوله.

وقيل: المراد بوالد هو النبي ص و بما ولد أمته لأنه بمنزله الأب لأمته و هي وجوه بعيدة.

قوله تعالى: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ» الكبد الكد و التعب، و الجملة جواب القسم فاشتمال الكبد على خلق الإنسان و إحاطه الكد و التعب به في جميع شئون حياته مما لا يخفى على ذى لب فليس يقصد نعمه من نعم الدنيا إلا خالصه في طيبها محضه في هنائها و لا ينال شيئا منها إلا مشوبه بما ينغص العيش مقرونه بمقاساه و مكابده مضافا إلى ما يصيبه من نوائب الدهر و يفاجئه من طوارق الحدثان.

قوله تعالى: «أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ» بمنزله النتيجة لحجه الآيه السابقه تقريرها أن الإنسان لما كانت خلقته مبنيه على كبد مظروفه له لا ينال قط شيئا مما يريد إلا دون ما يريد أو غير ما يريد فهو محاط في خلقه مغلوب في إرادته مقهور فيما قدر له من الأمر و الذى يغلبه في إرادته و يقهره على التلبس بما قدر له و هو الله سبحانه يقدر عليه من كل جهه فله أن يتصرف فيه بما شاء و يأخذه إذا أراد.

فليس للإنسان أن يحسب أن لن يقدر عليه أحد فيدعوه ذلك إلى أن يعلو على الله و يستكبر عن عبادته أو يعطيه في بعض ما أمر به كالإنفاق في سبيله فيستكثره و يمتن به على الله أو يمكر به تعالى بعد ما عمله رياء و سمعه عملا- لوجه الكريم فيقول: أهلكت مالا لبدأ.

قوله تعالى: «يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا» اللبد الكثير، سياق الآيه و ما يتلوها من الآيات إلى آخر السوره مشعر بأنه كان هناك بعض من أظهر الإسلام أو مال إليه فقد أنفق

بعض ماله و امتن به مستكثرا له بقوله: «أَهْلَكْتُ مَالاً لِيَدًا» فنزلت الآيات و رد الله عليه بأن الفوز بيمينه الحياه لا يتم إلا باقتحام عقبه الإنفاق فى سبيل الله و الدخول فى زمره الذين آمنوا و تواصلوا بالصبر و المرحمه، و يتأيد به ما سيأتى فى البحث الروائى إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: «أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ» إنكار لما هو لازم قول الإنسان «أَهْلَكْتُ مَالاً لِيَدًا» على طريق التكنيه و محصل المعنى أن لازم إخبار الإنسان بإهلاكه مالا لبدا أنه يحسب أنا فى غفله و جهل بما أنفق و قد أخطأ فى ذلك فالله سبحانه بصير بما أنفق لكن هذا المقدار لا يكفى فى الفوز بيمينه الحياه بل لا بد له من أن يتحمل ما هو أزيد من ذلك من مشاق العبوديه فيقتحم العقبه و يكون مع المؤمنين فى جميع ما هم فيه.

قوله تعالى: «أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَ لِسَانًا وَ شَفَتَيْنِ وَ هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ» النجد الطريق المرتفع، و المراد بالنجدين طريق الخير و طريق الشر و سميا النجدين لما فى سلوك كل منهما من الجهد و الكدح، و فسرا بتديى الأم و هو بعيد.

و قوله: «أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ» أى جهزناه فى بدنه بما يبصر به فيحصل له العلم بالمرئيات على سعه نطاقها، و قوله: «وَ لِسَانًا وَ شَفَتَيْنِ» أى أ و لم نجعل له لسانا و شفيتين يستعين بها على التكلم و الدلاله على ما فى ضميره من العلم و يهتدى بذلك غيره على العلم بالأمر الغائبه عن البصر.

و قوله: «وَ هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ» أى علمناه طريق الخير و طريق الشر بإلهام منا فهو يعرف الخير و يميزه من الشر فالآيه فى معنى قوله تعالى: «وَ نَفْسٍ وَ مَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا»: الشمس: ٨.

و فى الآيات الثلاث حجه على قوله: «أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ» أى على أنه تعالى يرى أعمال عباده و يعلم ما فى ضمائرهم من وجوه الأعمال و يميز الخير من الشر و الحسنه من السيئه.

محصلها أن الله سبحانه هو الذى يعرف المرئيات للإنسان بوسيله عينيه و كيف يتصور أن يعرفه أمرا و هو لا يعرفه؟ و هو الذى يدل الإنسان على ما فى الضمير بواسطه الكلام و هل يعقل أن يكشف له عما هو فى حجاب عنه؟ و هو الذى يعلم الإنسان و يميز له الخير و الشر بالإلهام و هل يمكن معه أن يكون هو نفسه لا يعلم به و لا يميزه؟ فهو تعالى يرى ما عمله الإنسان و يعلم ما ينويه بعمله و يميز كونه خيرا أو شرا و حسنه أو سيئه.

قوله تعالى: «فَلَا أَقْتَحِمَ الْعُقَبَةَ» الاقتحام الدخول بسرعه و ضغط و شده، و العقبه الطريق الصعب الوعر الذى فيه صعود من الجبل، و اقتحام العقبه إشاره إلى الإنفاق الذى

يشق على منفقه كما سيصرح به.

وقيل: الجمله دعاء على الإنسان القائل: أهلكت مالا لبدأ، وليس بشيء.

قوله تعالى: «وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ» تفخيم لشأنها كما مر في نظائره.

قوله تعالى: «فَكَرَّ رَقَبَهُ» أى عتقها و تحريرها أو التقدير هى أى العقبة فك رقبه فالمراد بالعقبه نفس الفك الذى هو العمل و اقتحامه الإتيان به، والإتيان بالعمل نفس العمل.

و به يظهر فساد قول بعضهم إن فك رقبه اقتحام للعقبه لا نفس العقبة فهناك مضاف محذوف يعود إليه الضمير و التقدير و ما أدراك ما اقتحام العقبة هو- أى الاقتحام- فك رقبه.

و ما ذكر فى بيان العقبة من فك الرقبه و الإطعام فى يوم ذى مسغبه من مصاديق نشر الرحمه خص بالذكر لمكان الأهميه، و قدم فك الرقبه و ابتدئ به لكمال عنايه الدين بفك الرقاب.

قوله تعالى: «أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْجَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ» المسغبه المجاعه، و المقربه القرابه بالنسب، و المتربه من التراب و معناها الالتصاق بالتراب من شده الفقر، و المعنى أو إطعام فى يوم المجاعه يتيما من ذى القربى أو مسكينا شديد الفقر.

قوله تعالى: «ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَ تَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ» المرحمه مصدر ميمي من الرحمه، و التواصى بالصبر وصيه بعضهم بعضا بالصبر على طاعه الله و التواصى بالمرحمه وصيه بعضهم بعضا بالرحمه على ذوى الفقر و الفاقه و المسكنه.

و الجمله أعنى قوله: «ثُمَّ كَانَ» إلخ معطوفه على قول: «إِقْتَحَمَ» و التقدير فلا اقتحم العقبة و لا كان من الذين آمنوا «إلخ» و قيل فيها غير ذلك مما لا جدوى فيه.

قوله تعالى: «أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» بمعنى اليمن مقابل الشؤم، و الإشاره بأولئك إلى ما يدل عليه السياق السابق أى الذين اقتحموا العقبة و كانوا من الذين آمنوا و تواصوا بالصبر و المرحمه أصحاب اليمن لا- يرون مما قدموه من الإيمان و عملهم الصالح إلا أمرا مباركا جميلا مرضيا.

وقيل: المراد بالميمنه جهه اليمين و أصحاب الميمنه هم الذين يؤتون كتابهم بيمينهم، و مقابله الميمنه بالمشأمه لا تلائم.

قوله تعالى: «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ» الآيات الآفاقه و الأنفسيه آيات و أدله عليه تعالى تدل على توحده فى الربوبيه و الألوهيه و سائر ما يتفرع عليه و ردها كفر بها و الكفر بها كفر بالله و كذا القرآن الكريم و آياته، و كذا ما نزل و بلغ من

و الظاهر أن المراد بالآيات مطلقها، و المشأمة خلاف الميمنه.

قوله تعالى: «عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ» أى مطبقة.

بحث روائى

فى المجمع، "فى قوله: «وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ» قيل: معناه و أنت محل بهذا البلد و هو ضد المحرم، و المراد أنت حلال لك قتل من رأيت من الكفار، و ذلك حين أمر بالقتال يوم فتح مكة- فأحلها الله له حتى قاتل و قتل، و قد قال (ص): لم يحل لأحد قبلى و لا يحل لأحد بعدى- و لم يحل لى إلا ساعه من نهار".: عن ابن عباس و مجاهد و عطاء.

و فيه: فى الآيه و قيل: لا- أقسم بهذا البلد- و أنت حلال منتهك الحرمه مستباح العرض لا تحترم- فلا تبقى للبلد حرمه حيث هتكت: عن أبى مسلم و هو المروى عن أبى عبد الله (ع).

قال: كانت قريش تعظم البلد و تستحل محمدا فيه فقال: «لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ» يريد أنهم استحلوك فيه و كذبوه و شتموك، و كانوا لا يأخذ الرجل منهم فيه قاتل أبيه- و يتقلدون لحاء شجر الحرم- فيأمنون بتقلدهم إياه- فاستحلوا من رسول الله ص ما لم يستحلوه من غيره- فعاب الله ذلك عليهم.

و فيه: فى قوله تعالى: «وَالِدٌ وَمَا وُلِدَ» قيل: آدم و ما ولد من الأنبياء و الأوصياء و أتباعهم.: عن أبى عبد الله (ع).

أقول: و المعانى السابقة مرويه من طرق أهل السنه فى أحاديث موقوفه، و روى القمى فى تفسيره الأخيرتين بالإرسال و الإضمار.

و فى تفسير القمى، "«يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا» قال: اللبد المجتمع و

فى المجمع، "فى الآيه قيل: هو الحارث بن نوفل بن عبد مناف- و ذلك أنه أذنب ذنبا فاستفتى رسول الله ص- فأمره أن يكفر فقال: لقد ذهب مالى فى الكفارات و النفقات- منذ دخلت فى دين محمد":، عن مقاتل.

و فى المجمع: أنه قيل لأمير المؤمنين (ع): إن أناسا يقولون فى قوله: «وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ»: أنهما الثديان- فقال: لا، هما الخير و الشر.

و فى أصول الكافى، بإسناده عن حمزه بن محمد عن أبى عبد الله (ع) قال*: سألته عن قول الله تعالى: « وَ هَدَيْتَنَاهُ النَّجْدَيْنِ » قال: نجد الخير و الشر:.

أقول: و روى فى الدر المنثور، هذا المعنى بطرق عن على (ع) و أنس و أبى أمامه و غيرهم عن النبى ص و رواه القمى فى تفسيره، مرسلا مضمرا .

و فى الكافى، بإسناده عن جعفر بن خلاد قال*: كان أبو الحسن الرضا (ع) إذا أكل أتى بصحفه فتوضع قرب مائدته - فيعمد إلى أطيب الطعام مما يؤتى به - فيأخذ من كل شىء شيئا فيضع فى تلك الصحفه - ثم يأمر بها للمساكين - ثم يتلو هذه الآية « فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ». .

ثم يقول: علم الله عز و جل - أنه ليس كل إنسان يقدر على عتق رقبه - فجعل لهم السبيل إلى الجنة.

و فى المجمع، و روى مرفوعا عن البراء بن عازب قال*: جاء أعرابى إلى النبى ص فقال: يا رسول الله - علمنى عملا يدخلنى الجنة - قال: إن كنت أقصرت الخطبه لقد أعرضت المسأله، أعتق النسمه و فك الرقبه، فقال أ و ليسا واحدا؟ قال: لا، عتق الرقبه أن يتفرد بعقتها - و فك الرقبه أن يعين فى ثمنها، و الفىء على ذى الرحم الظالم.

فإن لم يكن ذلك فأطعم الجائع و اسق الظمان - و أمر بالمعروف و أنه عن المنكر - فإن لم تنطق ذلك فكف لسانك إلا من خير.

و فى تفسير القمى، " فى قوله تعالى: « أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ » قال: لا يقيه من التراب شىء .

(٩١) سورة الشمس مكيه و هى خمس عشره آيه (١٥)

[سورة الشمس (٩١): الآيات ١ الى ١٥]

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الشَّمْسِ وَ ضُحَاهَا (١) وَ اللَّيْلِ إِذَا تَجَلَّىٰهَا (٢) وَ النَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا (٣) وَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا (٤) وَ السَّمَاءِ وَ مَا بَنَىٰهَا (٥) وَ الْأَرْضِ وَ مَا
طَحَّىٰهَا (٦) وَ النَّفْسِ وَ مَا سَوَّىٰهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَىٰهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّىٰهَا (٩) وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّىٰهَا (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بَطْعَوَىٰهَا (١١) إِذِ ابْتِغَتْ أَشْقَىٰهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ
فَسَوَّىٰهَا (١٤) وَ لَا يَخَافُ عُقْبَىٰهَا (١٥)

تذكر السوره أن فلاح الإنسان-و هو يعرف التقوى و الفجور بتعريف إلهى و إلهام باطنى-أن يزكى نفسه و ينميها إنماء صالحا بتحليلتها بالتقوى و تطهيرها من الفجور، و الخيبة و الحرمان من السعاده لمن يدسيها،و يستشهد لذلك بما جرى على ثمود من عذاب الاستئصال لما كذبوا رسولهم صالحا و عقروا الناقه،و فى ذلك تعريض لأهل مكه، و السوره مكيه بشهاده من سياقها.

قوله تعالى: « وَ الشَّمْسِ وَ ضُجَاهَا » فى المفردات،: الضحى انبساط الشمس و امتداد النهار و سمي الوقت به انتهى. و الضمير للشمس، و فى الآيه إقسام بالشمس و انبساط ضوءها على الأرض.

قوله تعالى: « وَ القَمَرِ إِذَا تَلَّهَا » عطف على الشمس و الضمير لها و إقسام بالقمر حال كونه تاليا للشمس، و المراد بتلوه لها إن كان كسبه النور منها فالحال حال دائمه و إن كان طلوعه بعد غروبها فالإقسام به من حال كونه هلالا إلى حال تبدره.

قوله تعالى: « وَ النَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا » التجليه الإظهار و الإبراز، و ضمير التأنيث للأرض، و المعنى و أقسم بالنهار إذا أظهر الأرض للأبصار.

و قيل: ضمير الفاعل فى « جَلَّهَا » للنهار و ضمير المفعول للشمس، و المراد الإقسام بحال إظهار النهار للشمس فإنها تنجلي و تظهر إذا انبسط النهار، و فيه أنه لا يلائم ما تقدمه فإن الشمس هى المظهره للنهار دون العكس.

و قيل: الضمير المؤنث للدنيا، و قيل: للظلمه، و قيل: ضمير الفاعل لله تعالى و ضمير المفعول للشمس، و المعنى و أقسم بالنهار إذا أظهر الله الشمس، و هى وجوه بعيده.

قوله تعالى: « وَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا » أى يغطى الأرض، فالضمير للأرض كما فى « جَلَّهَا »

وقيل: للشمس و هو بعيد فالليل لا يغطي الشمس و إنما يغطي الأرض و ما عليها.

و التعبير عن غشيان الليل الأرض بالمضارع بخلاف تجليه النهار لها حيث قيل: « وَ النَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا وَ اللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا » للدلالة على الحال ليكون فيه إيحاء إلى غشيان الفجور الأرض فى الزمن الحاضر الذى هو أوائل ظهور الدعوه الإسلاميه لما تقدم أن بين هذه الأقسام و بين المقسم بها نوع اتصال و ارتباط، هذا مضافا إلى رعايه الفواصل.

قوله تعالى: « وَ السَّمَاءِ وَ مَا بَنَاهَا وَ الْأَرْضِ وَ مَا طَحَاهَا » طحو الأرض و دحوها بسطها، و « ما » فى « وَ مَا بَنَاهَا » و « مَا طَحَاهَا » موصوله، و الذى بناها و طحاها هو الله تعالى و التعبير عنه تعالى بما دون من لا يثار الإبهام المفيد للتفخيم و التعجيب فالمعنى و أقسم بالسماء و الشىء القوى العجيب الذى بناها و أقسم بالأرض و الشىء القوى العجيب الذى بسطها.

وقيل: ما مصدرية و المعنى و أقسم بالسماء و بنائها و الأرض و طحوها، و السياق - و فيه قوله: « وَ نَفْسٍ وَ مَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا » إلخ - لا يساعده.

قوله تعالى: « وَ نَفْسٍ وَ مَا سَوَّاهَا » أى و أقسم بنفس و الشىء ذى القدره و العلم و الحكمة الذى سواها و رتب خلقتها و نظم أعضائها و عدل بين قواها.

و تنكير « نَفْسٍ » قيل: للتنكير، و قيل: للتفخيم و لا يبعد أن يكون التنكير للإشارة إلى أن لها وصفا و أن لها نبأ.

و المراد بالنفس النفس الإنسانيه مطلقا و قيل: المراد بها نفس آدم (ع) و لا يلائمه السياق و خاصه قوله: « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا » إلا بالاستخدام على أنه لا موجب للتخصيص.

قوله تعالى: « فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا » الفجور - على ما ذكره الراغب - شق ستر الديانه فالنهي الإلهي عن فعل أو عن ترك حجاب مضروب دونه حائل بين الإنسان و بينه و اقتراف المنهى عنه شق للستر و خرق للحجاب.

و التقوى - على ما ذكره الراغب - جعل النفس فى وقايه مما يخاف، و المراد بها بقرينه المقابله فى الآيه بينها و بين الفجور التجنب عن الفجور و التحرز عن المنافى و قد فسرت فى الروايه بأنها الورع عن محارم الله.

و الإلهام الإلقاء فى الروح و هو إفاضته تعالى الصور العمليه من تصور أو تصديق على النفس.

و تعليق الإلهام على عنوانى فجور النفس و تقواها للدلالة على أن المراد تعريفه تعالى للإنسان صفة فعله من تقوى أو فجور وراء تعريفه متن الفعل بعنوانه الأولى المشترك بين التقوى و الفجور كأكل المال مثلا المشترك بين أكل مال اليتيم الذى هو فجور و بين أكل مال نفسه الذى هو من التقوى، و المباشرة المشتركة بين الزنا و هو فجور و النكاح و هو من التقوى و بالجمله المراد أنه تعالى عرف الإنسان كون ما يأتى به من فعل فجورا أو تقوى و ميز له ما هو تقوى مما هو فجور.

و تفريع الإلهام على التسويه فى قوله: «وَمَا سَوَّاهَا فَالْتَّهَمَهَا» إلتخ للإشارة إلى أن إلهام الفجور و التقوى و هو العقل العملى من تكميل تسويه النفس فهو من نعوت خلقتها كما قال تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ»: الروم: ٣٠.

و إضافة الفجور و التقوى إلى ضمير النفس للإشارة إلى أن المراد بالفجور و التقوى الملهمين الفجور و التقوى المختصين بهذه النفس المذكوره و هى النفس الإنسانية و نفوس الجن على ما يظهر من الكتاب العزيز من كونهم مكلفين بالإيمان و العمل الصالح.

قوله تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا» الفلاح هو الظفر بالمطلوب و إدراك البغية، و الخيبة خلافه، و الزكاه نمو النبات نموا صالحا ذا بركه و التزكيه إنمائه كذلك، و التدسى - و هو من الدس بقلب إحدى السينين ياء- إدخال الشىء فى الشىء بضرب من الإخفاء، و المراد بها بقرينه مقابله التزكيه: الإنماء على غير ما يقتضيه طبعها و ركبت عليه نفسها.

و الآيه أعنى قوله: «قَدْ أَفْلَحَ» إلتخ جواب القسم، و قوله: «وَ قَدْ خَابَ» إلتخ معطوف عليه.

و التعبير بالتزكيه و التدسى عن إصلاح النفس و إفسادها مبتن على ما يدل عليه قوله:

«فَالْتَّهَمَهَا فَجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا» على أن من كمال النفس الإنسانية أنها ملهمه مميزه- بحسب فطرتها- للفجور من التقوى أى إن الدين و هو الإسلام لله فيما يريده فطرى للنفس فتحليه النفس بالتقوى تزكيه و إنماء صالح و تزويد لها بما يمدها فى بقائها قال تعالى:

«وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَ اتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ»: البقره: ١٩٧ و أمرها فى الفجور على خلاف التقوى.

قوله تعالى: «كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا» الطغوى مصدر كالطغيان، والباء للسببيه.

و الآية و ما يتلوها إلى آخر السوره استشهد و تقرير لما تقدم من قوله «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا» إلخ.

قوله تعالى: «إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا» ظرف لقوله: «كَذَّبَتْ» أو لقوله: «بَطَغْوَاهَا» و المراد بأشقى ثمود هو الذى عقر الناقه و اسمه على ما فى الروايات قدار بن سالف و قد كان انبعثه ببعث القوم كما تدل عليه الآيات التالیه بما فيها من ضمائر الجمع.

قوله تعالى: «فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا» المراد برسول الله صالح (ع) نبي ثمود، و قوله: «نَاقَةَ اللَّهِ» منصوب على التحذير، و قوله: «و سُقْيَاهَا» معطوف عليه.

و المعنى فقال لهم صالح برساله من الله: احذروا ناقه الله و سقياها و لا تتعرضوا لها بقتلها أو منعها عن نوبتها فى شرب الماء، و قد فصل الله القصه فى سوره هود و غيرها.

قوله تعالى: «فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهُ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا» العقر إصابه أصل الشىء و يطلق على نحر البعير و القتل، و الدمدمه على الشىء الإطباق عليه يقال:

دمدم عليه القبر أى أطبقه عليه و المراد شمولهم بعذاب يقطع دابرهم و يمحو أثرهم بسبب ذنبهم.

و قوله: «فَسَوَّاهَا» الظاهر أن الضمير لثمود باعتبار أنهم قبيله أى فسواها بالأرض أو هو تسويه الأرض بمعنى تسطيحها و إعفاء ما فيها من ارتفاع و انخفاض.

و قيل: الضمير للدمدمه المفهومه من قوله: «فَدَمْدَمَ» و المعنى فسوى الدمدمه بينهم فلم يفلت منهم قوى و لا ضعيف و لا كبير و لا صغير.

قوله تعالى: «وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا» الضمير للدمدمه أو التسويه، و الواو للاستئناف أو الحال.

و المعنى: و لا يخاف ربهم عاقبه الدمدمه عليهم و تسويتهم كما يخاف الملوک و الأقوياء عاقبه عقاب أعدائهم و تبعته، لأن عواقب الأمور هى ما يريد و على وفق ما يأذن فيه فالآيه قريبه المعنى من قوله تعالى: «لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ» الأنبياء: ٢٣.

و قيل: ضمير «لَا يَخَافُ» للأشقى، و المعنى و لا يخاف عاقر الناقه عقبى ما صنع بها.

و قيل: ضمير «لَا يَخَافُ» لصالح و ضمير «عُقْبَاهَا» للدمدمه و المعنى و لا يخاف صالح عقبى الدمدمه عليهم لثقتة بالنجاه و ضعف الوجهين ظاهر.

فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا» قال: خلقها و صورها.

وفى المجمع، و روى زراره و حمران و محمد بن مسلم عن أبى جعفر و أبى عبد الله (ع) * فى قوله تعالى: «فَالَهُمْهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا» قال: بين لها ما يأتى و ما يترك، و فى قوله تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا» قال: قد أفلح من أطاع «وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا» قال: قد خاب من عصى.

وفى الدر المنثور، أخرج أحمد و مسلم و ابن جرير و ابن المنذر و ابن مردويه عن عمران بن حصين * أن رجلا قال: يا رسول الله - أ رأيت ما يعمل الناس اليوم - و يكدحون فيه شىء قد قضى عليهم - و مضى عليهم فى قدر قد سبق؟ أو فيما يستقبلون به نبيهم و اتخذت عليهم به الحجة؟ قال: بل شىء قضى عليهم.

قال: فلم يعملون إذا؟ قال: من كان الله خلقه لواحد من المنزلتين هياه لعملها - و تصديق ذلك فى كتاب الله «وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَالَهُمْهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا».

أقول: قوله: أو فيما يستقبلون إلخ الظاهر أن الهمزه فيه للاستفهام و الواو للعطف و المعنى و هل فى طاعتهم لنبيهم قضاء من الله و قدر قد سبق؟ و قوله: فلم يعملون إذا، أى فما معنى عملهم و استناد الفعل إليهم؟ و قوله (ص): من كان الله إلخ معناه أن وجوب صدور الفعل حسنه أو سيئه منهم بالنظر إلى القضاء و القدر السابقين لا ينافى إمكان صدوره بالنظر إلى الإنسان و اختياره، و قد اتضح ذلك فى الأبحاث السابقه من الكتاب مرارا.

وفيه، أخرج ابن أبى حاتم و أبو الشيخ و ابن مردويه و الديلمى عن جوير عن الضحاک عن ابن عباس: سمعت رسول الله ص يقول: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا» الآية أفلحت نفس زكاهها الله - و خابت نفس خبيها الله من كل خير.

أقول: انتساب التزكية و التخييب إليه تعالى بوجه لا ينافى انتسابهما بالطاعة و المعصية إلى الإنسان.

و إنما ينتسب إلى الله سبحانه من الإضلال ما كان على طريق المجازاه كما قال: «وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ» البقره: ٢٦.

و فى المجمع، و قد صحت الروايه بالإسناد عن عثمان بن صهيب عن أبيه قال: قال رسول الله ص لعلى بن أبى طالب: من أشقى الأولين؟ قال: عاقر الناقه. قال: صدقت - فمن أشقى الآخرين؟ قال: قلت: لا أعلم يا رسول الله. قال: الذى يضربك على هذه فأشار إلى يافوخه:.

أقول: و روى فيه هذا المعنى أيضا عن عمار بن ياسر .

و فى تفسير البرهان،: و روى الثعلبى و الواحدى بإسنادهما عن عمار و عن عثمان بن صهيب و عن الضحاك و روى ابن مردويه بإسناده عن جابر بن سمره و عن عمار و عن ابن عدى أو عن الضحاك و روى الخطيب فى التاريخ، عن جابر بن سمره و روى الطبرى و الموصلى و روى أحمد عن الضحاك عن عمار أنه قال: قال النبى ص: يا على أشقى الأولين عاقر الناقه - و أشقى الآخرين قاتلك، و فى روايه من يخضب هذه من هذا.

(٩٢) سورة الليل مكيه و هى إحدى و عشرون آيه (٢١)

[سورة الليل (٩٢): الآيات ١ الى ٢١]

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَ النَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَ مَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْأُنثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَى (٤) فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَ اتَّقَى (٥) وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنَى (٨) وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) وَ مَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢) وَ إِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَ الْأُولَى (١٣) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤) لَا يَصْرِفُهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلَّى (١٦) وَ سَيَجْزِيهَا الْآتِقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَ مَا لِاحِدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا إِتْيَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَ لَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)

ص: ٣٠١

غرض السورة الإنذار و تسلك إليه بالإشارة إلى اختلاف مساعى الناس و أن منهم من أنفق و اتقى و صدق بالحسنى فسيمكنه الله من حياه خالده سعيده و منهم من بخل و استغنى و كذب بالحسنى فسيسلك الله به إلى شقاء العاقبه، و فى السوره اهتمام و عنايه خاصه بأمر الإنفاق المالى.

و السوره تحتل المكيه و المدينه بحسب سياقها.

قوله تعالى: « وَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ » أقسام بالليل إذا يغشى النهار على حد قوله تعالى:

«يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ»: الأعراف: ٥٤، و يحتمل أن يكون المراد غشيانه الأرض أو الشمس.

قوله تعالى: « وَ النَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ » عطف على الليل، و التجلى ظهور الشىء بعد خفائه، و التعبير عن صفه الليل بالمضارع و عن صفه النهار بالماضى حيث قيل: «يَغْشَىٰ» و «تَجَلَّىٰ» تقدم فيه وجه فى تفسير أول السوره السابقه.

قوله تعالى: « وَ مِمَّا خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْأُنثَىٰ » عطف على الليل كسابقه، و «مِمَّا» موصوله و المراد به الله سبحانه و إنما عبر بما، دون من، إيثارا للإبهام المشعر بالتعظيم و التفخيم و المعنى و أقسم بالشىء العجيب الذى أوجد الذكر و الأنثى المختلفين على كونهما من نوع واحد.

وقيل: ما مصدرية و المعنى و أقسم بخلق الذكر و الأنثى و هو ضعيف.

و المراد بالذكر و الأنثى مطلق الذكر و الأنثى أينما تحققا، و قيل: الذكر و الأنثى من الإنسان، و قيل: المراد بهما آدم و زوجته حواء، و أوجه الوجوه أولها.

قوله تعالى: « إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ » السعى هو المشى السريع، و المراد به العمل من حيث يهتم به، و هو فى معنى الجمع، و شتى جمع شتيت بمعنى المتفرق كمرضى جمع مريض.

و الجمله جواب القسم و المعنى أقسم بهذه المتفرقات خلقا و أثرا أن مساعىكم لمتفرقات فى نفسها و آثارها فمنها إعطاء و تقوى و تصديق و لها أثر خاص بها، و منها بخل و استغناء و تكذيب و لها أثر خاص بها.

قوله تعالى: « فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَ اتَّقَىٰ وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ » تفصيل تفرق مساعىهم و اختلاف آثارها.

و المراد بالإعطاء إنفاق المال لوجه الله بقرينه مقابلته للبخل الظاهر فى الإمساك عن

إنفاق المال و قوله بعد: «وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى».

و قوله: «وَأَتَّقِي» كالمفسر للإعطاء يفيد أن المراد هو الإعطاء على سبيل التقوى الدينيه.

و قوله: «وَصَدَقَ بِالْحُسْنِي» الحسنى صفه قائمه مقام الموصوف و الظاهر أن التقدير بالعهده الحسنى و هى ما وعد الله من الثواب على الإنفاق لوجهه الكريم و هو تصديق البعث و الإيمان به و لازمه الإيمان بوحدانته تعالى فى الربوبيه و الألوهيه، و كذا الإيمان بالرساله فإنها طريق بلوغ وعده تعالى للثواب.

و محصل الآيتين أن يكون مؤمنا بالله و رسوله و اليوم الآخر و ينفق المال لوجه الله و ابتغاء ثوابه الذى وعده بلسان رسوله.

و قوله: «فَسَيُيسِّرُهُ لِلْيُسْرَى» التيسير التهيئه و الإعداد و اليسرى الخصله التى فيها يسر من غير عسر، و توصيفها باليسر بنوع من التجوز فالمراد من تيسيره لليسرى توفيقه للأعمال الصالحه بتسهيلها عليه من غير تعسير أو جعله مستعدا للحياه السعيده عند ربه و دخول الجنه بسبب الأعمال الصالحه التى يأتى بها، و الوجه الثانى أقرب و أوضح انطباقا على ما هو المعهود من مواعد القرآن.

قوله تعالى: «وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنِي فَسَيُيسِّرُهُ لِلْعُسْرَى وَ مَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى» البخل مقابل الإعطاء، و الاستغناء طلب الغنى و الثروه بالإمساك و الجمع، و المراد بالتكذيب بالحسنى الكفر بالعهده الحسنى و ثواب الله الذى بلغه الأنبياء و الرسل و يرجع إلى إنكار البعث.

و المراد بتيسيره للعسرى خذلانه بعدم توفيقه للأعمال الصالحه، بتثقلها عليه و عدم شرح صدره للإيمان أو إعداده للعباد.

و قوله: «وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى» التردى هو السقوط من مكان عال و يطلق على الهلاك فالمراد سقوطه فى حفرة القبر أو فى جهنم أو هلاكه.

و «مَا» استفهاميه أو نافية أى شىء يغنيه ماله إذا مات و هلك أو ليس يغنى عنه ماله إذا مات و هلك.

قوله تعالى: «إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ» تعليق لما تقدم من حديث تيسيره لليسرى و للعسرى أو الإخبار به بأوجز بيان، محصله أنا إنما نفعل هذا التيسير أو نبين هذا البيان لأنه من الهدى و الهدى علينا لا يزاحمنا فى ذلك شىء و لا يمنعنا عنه مانع.

ف قوله: «إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ» يفيد أن هدى الناس مما قضى سبحانه به و أوجه على نفسه بمقتضى الحكمة و ذلك أنه خلقهم ليعبدوه كما قال: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»: الذاريات: ٥٦ فجعل عبادته غاية لخلقهم و جعلها صراطا مستقيما إليه كما قال: «إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعِذُّوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ»: آل عمران: ٥١، و قال: «وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ»: الشورى: ٥٣ و قضى على نفسه أن يبين لهم سبيله و يهديهم إليه بمعنى إراءه الطريق سواء سلكوها أم تركوها كما قال: «وَ عَلَى اللَّهِ قَضُ السَّبِيلِ وَ مِنْهَا جَائِزٌ»: النحل: ٩، و قال: «وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ»: الأحزاب: ٤ و قال:

«إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا»: الإنسان: ٣ و لا ينافى ذلك قيام غيره تعالى بأمر هذا المعنى من الهدى بإذنه كالأنبياء كما قال تعالى: «وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»: الشورى: ٥٢، و قال: «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي»: يوسف: ١٠٨.

و قد تقدم لهذه المسألة بيان عقلي في مباحث النبوه في الجزء الثاني من الكتاب.

هذا في الهدايه بمعنى إراءه الطريق و أما الهدايه بمعنى الإيصال إلى المطلوب -و المطلوب في المقام الآثار الحسنه التي تترتب على الاهتداء بهدى الله و التلبس بالعبوديه كالحياه الطيبه المعجله في الدنيا و الحياه السعيده الأبدية في الآخره- فمن البين أنه من قبيل الصنع و الإيجاد الذي يختص به تعالى فهو مما قضى به الله و أوجه على نفسه و سجله بوعدده الحق قال تعالى:

«فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَ لَا يَشْتَقِي»: طه: ١٢٣، و قال: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»: النحل: ٩٧، و قال: «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا»: النساء: ١٢٢.

و لا ينافى انتساب هذا المعنى من الهدايه إليه تعالى بنحو الأصاله انتسابه إلى غيره تعالى بنحو التبع بتخلل الأسباب بينه تعالى و بين ما ينسب إليه من الأثر بإذنه.

و معنى الآيه- إن كان المراد بالهدى إراءه الطريق- أنا إنما نبين لكم ما نبين لأنه من إراءه طريق العبوديه و إراءه الطريق علينا، و إن كان المراد به الإيصال إلى المطلوب أنا إنما نيسر هؤلاء ليسرى من الأعمال الصالحه أو من الحياه السهله الأبدية و دخول الجنه لأنه من إيصال الأشياء إلى غاياتها و علينا ذلك.

و أما التيسير للعسرى فهو مما يتوقف عليه التيسير ليسرى «لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ

الطَّيِّبِ وَ يَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ» : الأنفال: ٣٧ وقد قال سبحانه في القرآن الذي هو هدى للعالمين: «وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَ لَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا» :إسراء: ٨٢.

و يمكن أن يكون المراد به مطلق الهدايه أعم من الهدايه التكوينية الحقيقية و التشريعيه الاعتباريه-على ما هو ظاهر إطلاق اللفظ-فهو تعالى الهدايه الحقيقيه كما قال: «الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ» : طه: ٥٠، و الهدايه الاعتباريه كما قال: «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا» :الإنسان: ٣.

و قوله: «وَ إِنَّا لَنَّا لِلْآخِرَةِ وَ الْأُولَىٰ» أى عالم البدء و عالم العود فكل ما يصدق عليه أنه شىء فهو مملوك له تعالى بحقيقه الملك الذى هو قيام وجوده بربه القيوم و يتفرع عليه الملك الاعتبارى الذى من آثاره جواز التصرفات.

فهو تعالى يملك كل شىء من كل جهه فلا يملك شىء منه شيئاً فلا معارض يعارضه و لا مانع يمنعه و لا شىء يغلبه كما قال: «وَ اللَّهُ يَحْكُمُ لَمْ يُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ» :الرعد: ٤١ و قال:

«وَ اللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ» : يوسف: ٢١، و قال: «وَ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ» :إبراهيم: ٢٧.

قوله تعالى: «فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى لَا يَصِيْلُهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلَّى» تفرع على ما تقدم أى إذا كان الهدى علينا فأندرتكم نار جهنم و بذلك يوجه ما فى قوله:

«فَأَنذَرْتُكُمْ» من الالتفات عن التكلم مع الغير إلى التكلم وحده أى إذا كان الهدى مقصيه محتومه فالمنذر بالأصالة هو الله و إن كان بلسان رسوله.

و تلظى النار تلهبها و توهجها، و المراد بالنار التى تتلظى جهنم كما قال تعالى: «كَأَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ» :المعارج: ١٥.

و المراد بالأشقى مطلق الكافر الذى يكفر بالتكذيب و التولى فإنه أشقى من سائر من شقى فى دنياه فمن ابتلى فى بدنه شقى و من أصيب فى ماله أو ولده مثلاً شقى و من خسر فى أمر آخرته شقى و الشقى فى أمر آخرته أشقى من غيره لكون شقوته أبديه لا مطمع فى التخلص منها بخلاف الشقوه فى شأن من شئون الدنيا فإنها مقطوعه لا محاله مرجوه الزوال عاجلاً.

فالمراد بالأشقى هو الكافر المكذب بالدعوه الحقه المعرض عنها على ما يدل عليه توصيفه بقوله: «الَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلَّى» و يؤيده إطلاق الإنذار، و أما الأشقى بمعنى أشقى

الناس كلهم فمما لا يساعد عليه السياق البته.

و المراد بصلى النار اتباعها و لزومها فيفيد معنى الخلود و هو مما قضى الله به فى حق الكافر، قال تعالى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» البقره: ٣٩.

و بذلك يندفع ما قيل: إن قوله: «لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى» ينفى عذاب النار عن فساق المؤمنين على ما هو لازم القصر فى الآيه، وجه الاندفاع أن الآيه إنما تنفى عن غير الكافر الخلود فيها دون أصل الدخول.

قوله تعالى: «وَسَيَجْزِيَنَّ اللَّهُ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ» التجنيز التبعيد، و ضمير «سَيَجْزِيَنَّهَا» للنار، و المعنى سيبعد عن النار الأتقى.

و المراد بالأتقى من هو أتقى من غيره ممن يتقى المخاطر فهناك من يتقى ضيعه النفوس كالموت و القتل و من يتقى فساد الأموال و من يتقى العدم و الفقر فيمسك عن بذل المال و هكذا و منهم من يتقى الله فيبذل المال، و أتقى هؤلاء الطوائف من يتقى الله فيبذل المال لوجهه و إن شئت فقل يتقى خسران الآخره فيتزكى بالإعطاء.

فالمفضل عليه للأتقى هو من لا يتقى بإعطاء المال و إن اتقى سائر المخاطر الدنيويه أو اتقى الله بسائر الأعمال الصالحه.

فالأيه عامه بحسب مدلولها غير خاصه و يدل عليه توصيف الأتقى بقوله: «الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ» إلخ و هو وصف عام و كذا ما يتلوه، و لا ينافى ذلك كون الآيات أو جميع السوره نازله لسبب خاص كما ورد فى أسباب النزول.

و أما إطلاق المفضل عليه بحيث يشمل جميع الناس من طالح أو صالح و لازمه انحصار المفضل فى واحد مطلقا أو واحد فى كل عصر، و يكون المعنى و سيجنبها من هو أتقى الناس كلهم و كذا المعنى فى نظيره: لا- يصلها إلا أشقى الناس كلهم فلا يساعد عليه سياق آيات صدر السوره، و كذا الإنذار العام الذى فى قوله: «فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلْتَظِي» فلا معنى لأن يقال: أنذرتكم جميعا نارا لا يخلد فيها إلا واحد منكم جميعا و لا ينجو منها إلا واحد منكم جميعا.

و قوله: «الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ» صفه للأتقى أى الذى يعطى و ينفق ماله يطلب بذلك أن ينمو نماء صالحا.

و قوله: «وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ» تقرير لمضمون الآية السابقة أى ليس لأحد عنده من نعمه تجزى تلك النعمة بما يؤتية من المال و تكافأ و إنما يؤتية لوجه الله و يؤيد هذا المعنى تعقيبه بقوله: «إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ».

فالتقدير من نعمه تجزى به، و إنما حذف الظرف رعايه للفواصل، و يندفع بذلك ما قيل: إن بناء «تُجْزَىٰ» للمفعول لأن القصد ليس لفاعل معين.

قوله تعالى: «إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ» استثناء منقطع و المعنى و لكنه يؤتى ماله طلبا لوجه ربه الأعلى و قد تقدم كلام فى معنى وجه الله تعالى و فى معنى الاسم الأعلى.

قوله تعالى: «وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ» أى و لسوف يرضى هذا الأتقى بما يؤتية ربه الأعلى من الأجر الجزيل و الجزاء الحسن الجميل.

و فى ذكر صفتى الرب و الأعلى إشعار بأن ما يؤتاه من الجزاء أنعم الجزاء و أعلاه و هو المناسب لربوبيته تعالى و علوه، و من هنا يظهر وجه الالتفات فى الآية السابقة فى قوله:

«وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ» من سياق التكلم وحده إلى الغيبة بالإشارة إلى الوصفين: ربه الأعلى.

بحث روائى

فى الكافى، بإسناده عن محمد بن مسلم قال*: قلت لأبى جعفر (ع): قول الله عز و جل - «وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ» و «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ» و ما أشبه ذلك؟ فقال: إن لله عز و جل أن يقسم من خلقه بما شاء، و ليس لخلقه أن يقسموا إلا به:.

أقول: و رواه فى الفقيه، بإسناده عن على بن مهزيار عن أبى جعفر الثانى (ع):.

و فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ» قال: حين يغشى النهار و هو قسم.

و عن الحميرى فى قرب الإسناد، عن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبى نصر عن أبى الحسن الرضا (ع) قال*: سمعته يقول: فى تفسير «وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ» إن رجلا كان لرجل فى حائطه نخلة فكان يضر به - فشكا ذلك إلى رسول الله ص فدعاه - فقال: أعطنى نخلتك بنخلة فى الجنة فأبى - فسمع ذلك رجل من الأنصار يكنى أبا الدحداح - فجاء إلى صاحب النخلة فقال: بعنى نخلتك بحائطى فباعه فجاءه إلى رسول الله ص - فقال: يا رسول الله قد اشتريت نخلة فلان بحائطى - فقال رسول الله: لك بدلها نخلة فى الجنة.

فأنزل الله تعالى على نبيه «وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْأُنثَىٰ - إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ فَمَا

«يعنى النخلة» وَ اتَّقَى وَ صَدَقَ بِالْحُسْنَى «هو ما عند رسول الله ص - فَسَيُسِّرُهُ لِلْيَسْرَى - إلى قوله - تَرَدَّى» .:

أقول: ورواه القمى فى تفسيره،مرسلا مضمرا:

، وقوله:الزوجين تفسير منه(ع) للذكر و الأنثى.

و فى تفسير القمى، " فى قوله تعالى: « وَ سَيَجْبِئُهَا اتَّقَى » قال:أبو الدحداح.

أقول:هذا ما من طرق الشيعة عن أئمة أهل البيت(ع).

و روى الطبرسى فى مجمع البيان،القصه عن الواحدى بإسناده عن عكرمه عن ابن عباس و فيه " *أن الأنصارى ساوم صاحب النخلة فى نخله فى نخلته-ثم اشتراها منه بأربعين نخله ثم وهبها للنبي ص-فوهبها النبي لصاحب الدار،ثم روى الطبرسى عن عطاء أن اسم الرجل أبو الدحداح" ، و روى السيوطى فى الدر المنثور،القصه عن ابن أبى حاتم عن ابن عباس و ضعفه .

و قد ورد من طرق أهل السنه أن السوره نزلت فى أبى بكر قال الرازى فى التفسير الكبير:أجمع المفسرون منا على أن المراد منه-يعنى من الأتقى-أبو بكر،و اعلم أن الشيعة بأسرهم ينكرون هذه الروايه،و يقولون إنما نزلت فى حق على بن أبى طالب و الدليل عليه قوله تعالى: « وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ » فقولهم: « أَلَمْ آتَقَى الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّى » إشاره إلى ما فى تلك الآيه من قوله: « وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ » ثم أخذ الأتقى بمعنى أفضل الخلق أى أتقى الناس جميعا و قد تقدم الكلام فيه.

أما ما نسب إلى الشيعة بأسرهم من القول فالمعتمد عليه من طرقهم صحيح الحميرى المتقدم و ما فى معناه من الروايات الداله على نزولها فى أبى الدحداح الأنصارى.

نعم ورد فى

روايه ضعيفه عن البرقى عن إسماعيل بن مهران عن أيمن بن محرز عن أبى بصير عن أبى عبد الله(ع) و فيها، *و أما قوله: « وَ سَيَجْبِئُهَا اتَّقَى » قال رسول الله ص و من تبعه،و « الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّى » قال:ذاك أمير المؤمنين(ع) و هو قوله:

« وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ » و قوله: « وَ مَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى » فهو رسول الله الذى ليس لأحد عنده من نعمه تجزى- و نعمته جاريه على جميع الخلق(ص).

و الروايه على ضعف (1)سندها من قبيل الجرى و التطبيق دون التفسير و من واضح الدليل عليه تطبيقه الموصوف على رسول الله ص و الوصف على(ع) ثم الآيه

١-١) أئمن بن محرز مجهول.

التاليه على النبي ص و لو كانت من التفسير لفسد بذلك النظم قطعاً. هذا لو كانت الواو في قوله: «وَالَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى» من الروايه و لو فرضت من الآيه كانت الروايه من روايات التحريف المردوده.

و عن الحميرى عن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي نصر عن أبي الحسن الرضا (ع) قال، *قلت: قول الله تبارك و تعالى « إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ » قال: إن الله يهدى من يشاء و يضل من يشاء.

فقلت له: أصلحك الله إن قوما من أصحابنا يزعمون- أن المعرفة مكتسبه-و أنهم إن ينظروا من وجه النظر أدر كوه.

فأنكر ذلك و قال: ما لهؤلاء القوم لا يكتسبون الخير لأنفسهم؟ ليس أحد من الناس- إلا و يجب أن يكون خيراً ممن هو خير منه- هؤلاء بنو هاشم موضعهم موضعهم و قرابتهم قرابتهم-و هم أحق بهذا الأمر منكم- أفترى أنهم لا ينظرون لأنفسهم؟ و قد عرفتم و لم يعرفوا.

قال أبو جعفر: لو استطاع الناس لأحبونا.

أقول: أما الهدايه -و المراد بها الإيصال إلى المطلوب- فهي لله تعالى لأنها من شئون الربوبيه، و أما الإضلال و المراد به الإضلال على سبيل المجازاه دون الإضلال الابتدائي الذي لا- يضاف إليه تعالى فهو الله أيضاً لكونه إمساكاً عن إنزال الرحمه و عدما للهدايه و إذا كانت الهدايه له فالإمساك عنه أيضاً منسوب إليه تعالى.

(٩٣) سورة الضحى مكيه أو مدنيه و هى إحدى عشره آيه (١١)

[سورة الضحى (٩٣): الآيات ١ الى ١١]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا دَعَاكَ رَبُّكَ وَمَا قَالَىٰ (٣) وَاللَّآخِرَهُ خَيْرٌ لِّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَ وَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)

ص: ٣٠٩

قيل: انقطع الوحي عن النبي ص أياما حتى قالوا: إن ربه ودعه فنزلت السوره فطيب الله بها نفسه، و السوره تحتل المكيه و المدنيه.

قوله تعالى: « وَ الضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ » إقسام، و الضحى -على ما فى المفردات،- انبساط الشمس و امتداد النهار و سمي الوقت به، و سجو الليل سكونه و هو غشيان ظلمته.

قوله تعالى: « مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مَا قَلَىٰ » التوديع الترك، و القلى بكسر القاف البغض أو شدته، و الآيه جواب القسم، و مناسبه نور النهار و ظلمه الليل لنزول الوحي و انقطاعه ظاهره.

قوله تعالى: « وَ لِلآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ » فى معنى الترقى بالنسبه إلى ما تفيده الآيه السابقه من كونه (ص) على ما هو عليه من موقف الكرامه و العنايه الإلهيه كأنه قيل: أنت على ما كنت عليه من الفضل و الرحمه ما دمت حيا فى الدنيا و حياتك الآخره خير لك من حياتك الدنيا.

قوله تعالى: « وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ » تقرير و تثبيت لقوله: « وَ لِلآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ » و قد اشتمل الوعد على عطاء مطلق يتبعه رضى مطلق.

و قيل: الآيه ناظره إلى الحياتين جميعا دون الحياه الآخره فقط.

قوله تعالى: « أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ » الآيه و ما يتلوها من الآيتين إشاره إلى بعض نعمه تعالى العظام عليه (ص) فقد مات أبوه و هو فى بطن أمه ثم مات أمه و هو ابن سنتين ثم مات جده الكفيل له و هو ابن ثمان سنين فكفله عمه و رباه.

و قيل: المراد باليتيم الوحيد الذى لا- نظير له فى الناس كما يقال: در يتيم، و المعنى أ لم يجدك وحيدا بين الناس فأوى الناس إليك و جمعهم حولك.

قوله تعالى: « وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ » المراد بالضلال عدم الهدايه و المراد بكونه (ص) ضالا حاله فى نفسه مع قطع النظر عن هدايته تعالى فلا هدى له (ص) و لا لأحد من الخلق إلا بالله سبحانه فقد كانت نفسه فى نفسها ضاله و إن كانت الهدايه الإلهيه ملازمه لها منذ وجدت فالآيه فى معنى قوله تعالى: « مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ »

الشورى: ٥٢، و من هذا الباب قول موسى على ما حكى الله عنه: «فَعَلَّتْهَا إِذَا وَ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ»: الشعراء: ٢٠ أى لم أهد بهدى الرسالة بعد.

و يقرب منه ما قيل: إن المراد بالضلال الذهاب من العلم كما فى قوله: «أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى»: البقره: ٢٨٢، و يؤيده قوله: «وَ إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ»: يوسف: ٣.

و قيل المعنى وجدك ضالا بين الناس لا يعرفون حقك فهداهم إليك و دلهم عليك.

و قيل: إنه إشاره إلى ضلاله فى طريق مكه حينما كانت تجىء به حلیمه بنت أبى ذؤيب من البدو إلى جده عبد المطلب على ما روى.

و قيل: إشاره إلى ما روى من ضلاله فى شعاب مكه صغيرا.

و قيل: إشاره إلى ما روى من ضلاله فى مسيره إلى الشام مع عمه أبى طالب فى قافله ميسره غلام خديجه.

و قيل: غير ذلك و هى وجوه ضعيفه ظاهره الضعف.

قوله تعالى: «وَ وَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى» العائل الفقير الذى لا مال له و قد كان (ص) فقيرا لا مال له فأغناه الله بعد ما تزوج بخديجه بنت خويلد (ع) فوهبت له مالها و كان لها مال كثير، و قيل المراد بالإغناء استجابته دعوته.

قوله تعالى: «فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ» قال الراغب: القهر الغلبه و التذليل معا و يستعمل فى كل واحد منهما، انتهى.

قوله تعالى: «وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ» النهر هو الزجر و الرد بغلظه.

قوله تعالى: «وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» التحديث بالنعمة ذكرها قولا و إظهارها فعلا و ذلك شكرها، و هذه الأوامر عامه للناس و إن كانت موجهه إلى النبى ص.

و الآيات الثلاث متفرعه على الآيات الثلاث التى تسبقها و تذكر نعمه تعالى عليه كأنه قيل: فقد وجدت ما يجده اليتيم من ذله اليتيم و انكساره فلا تقهر اليتيم باستدلاله فى نفسه أو ماله، و وجدت مراره حاجه الضال إلى الهدى و العائل إلى الغنى فلا تزجر سائلا يسألك رفع حاجته إلى هدى أو معاش، و وجدت أن ما عندك نعمه أنعمها عليك ربك بجوده و كرمه و رحمته فاشكر نعمته بالتحديث بها و لا تسترها.

فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «وَالضُّحَىٰ» قال: إذا ارتفعت الشمس «وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ» قال: إذا أظلم. وفيه، "فى قوله تعالى «وَمَا قَلْبِي» قال: لم يبغضك.

و فى الدر المنثور، فى قوله تعالى: «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ»:

أخرج ابن أبى شيبه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ص: إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا- «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ».

وفيه، أخرج العسكرى فى المواعظ و ابن لآل و ابن النجار عن جابر بن عبد الله قال*:

دخل رسول الله ص على فاطمه- وهى تطحن بالرحى و عليها كساء من حله الإبل- فلما نظر إليها قال: يا فاطمه تعجلى- فتجرعى مراره الدنيا لنعيم الآخرة غدا- فأنزل الله «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ».

أقول: تحتل الروايه نزول الآيه وحدها بعد نزول بقيه آيات السوره قبلها ثم الإلحاق و تحتل نزولها وحدها ثانيا.

وفيه، أخرج ابن المنذر و ابن مردويه و أبو نعيم فى الحليه من طريق حرب بن شريح قال*:

قلت لأبى جعفر محمد بن على بن الحسين: أ رأيت هذه الشفاعه التى يتحدث بها أهل العراق أ حق هى؟ قال: إى و الله حدثنى عمى محمد بن الحنفية- عن على أن رسول الله ص قال: أشفع لأمتى حتى ينادينى ربى: أ رضيت يا محمد؟ فأقول: نعم يا رب رضيت.

ثم أقبل على فقال: إنكم تقولون يا معشر أهل العراق، إن أرجى آيه فى كتاب الله:

«يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ- لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ- إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا» قلت: إنا لنقول ذلك، قال: فكلنا أهل البيت نقول: إن أرجى آيه فى كتاب الله- «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ» الشفاعه.

و فى تفسير البرهان، عن ابن بابويه بإسناده عن ابن الجهم عن الرضا(ع) *فى مجلس المأمون قال: قال الله تعالى لنبىه محمد ص: «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ» يقول: أ لم يجدك وحيدا فأوى إليك الناس؟ «وَوَجَدَكَ ضَالًّا» يعنى عند قومك «فَهَدَىٰ» أى هداهم إلى معرفتك؟ «وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ» يقول: أغناك بأن جعل دعاءك مستجابا؟ فقال

المؤمنون: بارك الله فيك يا ابن رسول الله.

وفيه، عن البرقي بإسناده عن عمرو بن أبي نصر قال: *حدثني رجل من أهل البصره قال: رأيت الحسين بن علي (ع) و عبد الله بن عمر -يطوفان بالبيت- فسألت ابن عمر فقلت: قول الله تعالى: « وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ » قال: أمره أن يحدث بما أنعم الله عليه.

ثم إنى قلت للحسين بن علي (ع): قول الله تعالى: « وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ » قال: أمره أن يحدث بما أنعم الله عليه من دينه.

وفى الدر المنثور، عن البيهقي عن الحسن بن علي *فى قوله: « وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ » قال: إذا أصبت خيراً فحدث إخوانك.

وفيه، أخرج أبو داود عن جابر بن عبد الله عن النبي ص قال: * من أبلى بلاء فذكره فقد شكره -و من كتّمه فقد كفره، و من تحلى بما لم يعط فإنه كلابس ثوب زور.

(٩٤) سورة ألم نشرح مكيه أو مدنيه و هي ثمان آيات (٨)

[سورة الشرح (٩٤): الآيات ١ الى ٨]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَ وَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَ رَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)

بيان

أمر بالنصب فى الله و الرغبة إليه توصل إليه بتقديم الامتتان و السوره تحتمل المكيه و المدنيه و سياق آياتها أوفق للمدنيه.

وفى بعض الروايات عن أئمه أهل البيت (ع) أن الضحى و ألم نشرح سوره

ص: ٣١٣

واحد، و يروى ذلك أيضا عن طاووس و عمر بن عبد العزيز قال الرازى فى التفسير الكبير بعد نقله عنهما و الذى دعاهما إلى ذلك هو أن قوله تعالى: «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ» كالعطف على قوله: «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا» و ليس كذلك لأن الأول كان نزوله حال اغتمام الرسول ص من إيذاء الكفار فكانت حال محنه و ضيق صدره، و الثانى يقتضى أن يكون حال النزول منشرح الصدر طيب القلب فأنى يجتمعان انتهى.

و فيه أن المراد بشرح صدره (ص) فى الآية جعله بحيث يسع ما يلقى إليه من الحقائق و لا يضيق بما ينزل عليه من المعارف و ما يصيبه من أذى الناس فى تبليغها كما سيجىء لا طيب القلب و السرور كما فسره.

و يدل على ذلك

ما رواه ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: *قال رسول الله ص: لقد سألت ربي مسأله وددت أنى لم أسأله- قلت: أى رب أنه قد كان أنبياء قبلى منهم- من سخرت له الريح- و منهم من كان يحيى الموتى. قال: فقال: أ لم أجدك يتيما فأويتك؟ قال: قلت: بلى- قال: أ لم أجدك ضالا فهديتك؟ قال: قلت:

بلى أى رب. قال: أ لم أشرح لك صدرك و وضعت عنك وزرك؟ قال: قلت: بلى أى رب ، و للكلام تتمه ستوافيك فى تفسير سورة الإيلاف إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ» قال الراغب: أصل الشرح بسط اللحم و نحوه يقال: شرحت اللحم و شرحته و منه شرح الصدر أى بسطته بنور إلهى و سكينه من جهه الله و روح منه قال تعالى: «رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي» «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ» «فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ» انتهى.

و ترتب الآيات الثلاث الأول فى مضامينها ثم تعليلها بقوله: «فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» الظاهر فى الانطباق على حاله (ص) فى أوائل دعوته و أواسطها و أواخرها ثم تكرار التعليل ثم تفریع آيتى آخر السوره كل ذلك يشهد على كون المراد بشرح صدره (ص) بسطه بحيث يسع ما يلقى إليه من الوحي و يؤمر بتبليغه و ما يصيبه من المكاره و الأذى فى الله، و بعبارة أخرى جعل نفسه المقدسه مستعده تامه الاستعداد لقبول ما يفاض عليها من جانب الله تعالى.

قوله تعالى: «وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ» الوزر الحمل الثقيل، و إنقاض الظهر كسره بحيث يسمع له صوت كما يسمع من السرير و نحوه عند استقرار شىء ثقيل

عليه، والمراد به ظهور ثقل الوزر عليه ظهوراً بالغاً.

و وضع الوزر إذهاب ما يحس من ثقله و جملة: « وَ وَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ » معطوفه على قوله: « أَلَمْ نَشْرَحْ » إلخ لما أن معناه قد شرحنا لك صدرك.

و المراد بوضع وزره (ص) على ما يفيدده السياق- وقد أشرنا إليه- إنفاذ دعوته و إمضاء مجاهدته في الله بتوفيق الأسباب فإن الرسالة و الدعوه و ما يتفرع على ذلك هي الثقل الذي حمله إثر شرح صدره.

و قيل: وضع الوزر إشارة إلى ما وردت به الرواية أن ملكين نزلا- عليه و فلقا صدره و أخرجا قلبه و طهراه ثم رداه إلى محله و ستوافيك روايته.

و قيل: المراد بالوزر ما صدر عنه (ص) قبل البعثة، و قيل: غفلته عن الشرائع و نحوها مما يتوقف على الوحي مع تطلبه، و قيل: حيرته في بعض الأمور كأداء حق الرسالة، و قيل: الوحي و ثقله عليه في بادئ أمره، و قيل: ما كان يرى من ضلال قومه و عنادهم مع عجزه عن إرشادهم، و قيل: ما كان يرى من تعديهم و مبالغتهم في إيذائه، و قيل: هممه لوفاه عمه أبي طالب و زوجه خديجه، و قيل: الوزر المعصية و رفع الوزر عصمته، و قيل: الوزر ذنب أمته و وضعه غفرانه.

و هذه الوجوه بعضها سخييف و بعضها ضعيف لا يلائم السياق، و هي بين ما قيل به و بين ما احتمل احتمالاً.

قوله تعالى: « وَ رَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ » رفع الذكر إعلاؤه عن مستوى ذكر غيره من الناس و قد فعل سبحانه به ذلك، و من رفع ذكره أن قرن الله اسمه (ص) باسمه فاسمه قرين اسم ربه في الشهادتين اللتين هما أساس دين الله، و على كل مسلم أن يذكره مع ربه كل يوم في الصلوات الخمس المفروضة، و من اللطف و قوع الرفع بعد الوضع في الآيتين.

قوله تعالى: « فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا » لا يبعد أن يكون تعليلاً لما تقدم من وضع الوزر و رفع الذكر فما حمله الله من الرسالة و أمر به من الدعوه- و ذلك أثقل ما يمكن لبشر أن يحمله- كان قد اشتد عليه الأمر بذلك، و كذا تكذيب قومه دعوته و استخفافهم به و إصرارهم على إمحاء ذكره كان قد اشتد عليه فوضع الله وزره الذي حمله بتوفيق الناس لإجابه دعوته و رفع ذكره الذي كانوا يريدون إمحاءه و كان ذلك جرياً على سنته تعالى في الكون من الإتيان باليسر بعد العسر فعلم رفع الشده عنه (ص) بما أشار إليه من

سنته، و على هذا فاللام في «العسر» للجنس دون الاستغراق و لعل السنه سنه تحول الحوادث و تقلب الأحوال و عدم دوامها.

و عن الزمخشري في الكشاف، أن الفاء في « فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ إِلْحَافٌ فَصِيحُهُ وَ الْكَلَامُ مَسْوُوقٌ لِتَسْلِيَتِهِ (ص) بِالْوَعْدِ الْجَمِيلِ.

قال: كان المشركون يعيرون رسول الله ص و المؤمنين بالفقر و الضيقه حتى سبق إلى ذهنه الشريف أنهم رغبوا عن الإسلام لافتقار أهله و احتقارهم فذكره سبحانه ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال: إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا كَأَنَّهُ قَالَ: خَوْلْنَاكَ مَا خَوْلْنَاكَ فَلَا تَيَاسُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ يَسْرًا.

و ظاهره أن اللام في العسر للعهد دون الجنس و أن المراد باليسر ما رزقه الله المؤمنين بعد من الغنائم الكثيره.

و هو ممنوع فذهنه الشريف (ص) أجل من أن يخفى عليه حالهم و أنهم إنما يرغبون عن دعوته استكبارا على الحق و استعلاء على الله على أن القوم لم يرغبوا في الإسلام حتى بعد ظهور شوكته و إثراء المؤمنين و قد أيأس الله نبيه من إيمان أكثرهم حيث قال: «لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ X- إلى أن قال- X وَ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» :يس: ١٠ و الآيات مكيه و قال: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» :البقره: ٦ و الآيه مدنيه.

و لو حمل اليسر بعد العسر على شوكة الإسلام و رفعته بعد وضعته مع أخذ السوره مكيه لم يكن به كثير بأس.

قوله تعالى: «إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» تكرر للتأكيد و التثبيت و قيل: استئناف و ذكروا أن في الآيتين دلالة على أن مع العسر الواحد يسران بناء على أن المعرفه إذا أعيدت ثانيه في الكلام كان المراد بها عين الأولى بخلاف النكره كما أنه لو قيل: إذا اكتسبت الدرهم أو درهما فأنفق الدرهم كان المراد بالثاني هو الأول بخلاف ما لو قيل:

إذا اكتسبت درهما فأنفق درهما و ليست القاعده بمطرده.

و التوين في «يُسْرًا» للتنويع لا للتفخيم كما ذكره بعضهم، و المعيه معيه التوالى دون المعيه بمعنى التحقق في زمان واحد.

قوله تعالى: «فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْجِعْ» خطاب للنبي ص متفرع

على ما بين قبل من تحميلة الرساله و الدعوه و منه تعالى عليه بما من من شرح الصدر و وضع الوزر و رفع الذكر و كل ذلك من اليسر بعد العسر.

و عليه فالمعنى إذا كان العسر يأتى بعده اليسر و الأمر فيه إلى الله لا غير فإذا فرغت مما فرض عليك فأتعب نفسك فى الله- بعبادته و دعائه- و اربغ فيه ليمن عليك بما لهذا التعب من الراحة و لهذا العسر من اليسر.

و قيل: المراد إذا فرغت من الفرائض فانصب فى النوافل، و قيل: إذا فرغت من الصلاه فانصب فى الدعاء، و ما يتضمنه القولان بعض المصاديق.

و قيل: المعنى إذا فرغت من الغزو فاجتهد فى العباده و قيل: المراد إذا فرغت من دنياك فانصب فى آخرتك و قيل غير ذلك و هى وجوه ضعيفه.

بحث روائى

فى الدر المثور، أخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد عن أبى بن كعب * أن أبا هريره قال: يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوه؟ فاستوى رسول الله ص جالسا و قال: لقد سألت أبا هريره- إنى لفى صحراء ابن عشرين سنه و أشهر- إذا بكلام فوق رأسى و إذا رجل يقول لرجل: أ هو هو؟ فاستقبلانى بوجه لم أرها لخلق قط، و أرواح لم أجدها فى خلق قط- و ثياب لم أجدها على أحد قط- فأقبلا إلى يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدى- لا أجد لأحدهما مسا.

فقال أحدهما لصاحبه: أضجعه فأضجعتى بلا قصر و لا هصر- فقال أحدهما: أفلق صدره فحوى أحدهما إلى صدرى- ففلقه فيما أرى بلا دم و لا وجع- فقال له: أخرج الغل و الحسد- فأخرج شيئا كهينه العلقه ثم نبذها فطرحها- فقال له: أدخل الرأفه و الرحمه- فإذا مثل الذى أخرج شبه الفضة- ثم هز إبهام رجلى اليمنى و قال: اغد و أسلم- فرجعت بها أغدو بها رقه على الصغير و رحمه للكبير.

أقول: و فى نقل بعضهم- كما فى روح المعانى،- ابن عشر حجج مكان قوله: ابن عشرين سنه و أشهر، و فى بعض الروايات نقل القصة عند نزول سوره اقرأ باسم ربك و فى بعضها كما فى صحيح البخارى و مسلم و الترمذى و النسائى نقل القصة عند إسراء النبى.

و القصة على أى حال من قبيل التمثل بلا إشكال، و قد أطالوا البحث فى توجيه ما

تتضمنه على أنها واقعه ماديه فتمحلوا بوجوه لا جدوى فى التعرض لها بعد فساد أصلها.

وفيه، أخرج أبو يعلى و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و ابن حبان و ابن مردويه و أبو نعيم فى الدلائل عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ص قال*: أتانى جبرئيل فقال:

إن ربك يقول: تدرى كيف رفعت ذكرك؟ قلت: الله أعلم-قال: إذا ذكرت ذكرت معى.

وفيه، أخرج عبد الرزاق و ابن جرير و الحاكم و البيهقى عن الحسن قال*: خرج النبى ص يوما مسرورا و هو يضحك و يقول: لن يغلب عسر يسرين « فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ».

و فى المجمع: فى قوله تعالى: « فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ » معناه فإذا فرغت من الصلاه المكتوبه-فانصب إلى ربك فى الدعاء و ارغب إليه فى المسأله: قال:

و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (ع).

(٩٥) سورة التين مكيه و هى ثمان آيات (٨)

[سورة التين (٩٥): الآيات ١ الى ٨]

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَلَمَّا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ (٨)

بيان

تذكر السوره البعث و الجزاء و تسلك إليه من طريق خلق الإنسان فى أحسن تقويم ثم اختلافهم بالبقاء على الفطره الأولى و خروجهم منها بالانحطاط إلى أسفل سافلين و وجوب التمييز بين الطائفتين جزاء باقتضاء الحكمة.

و السوره مكيه و تحتل المدنيه و يؤيد نزولها بمكه قوله: « وَ هَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ » و ليس بصريح فيه لاحتمال نزولها بعد الهجره و هو(ص) بمكه.

قوله تعالى: « وَ التَّيْنِ وَ الزَّيْتُونِ وَ طُورِ سِينِينَ وَ هَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ » قيل: المراد بالتين و الزيتون الفاكهتان المعروفتان أقسم الله بهما لما فيهما من الفوائد الجمه و الخواص النافعه، و قيل المراد بهما شجرتا التين و الزيتون، و قيل: المراد بالتين الجبل الذى عليه دمشق و بالزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس، و لعل إطلاق اسم الفاكهتين على الجبلين لكونهما منبئيهما و لعل الإقسام بهما لكونهما مبعثى جم غفير من الأنبياء و قيل غير ذلك.

و المراد بطور سينين الجبل الذى كلم الله تعالى فيه موسى بن عمران(ع)، و يسمى أيضا طور سيناء.

و المراد بهذا البلد الأمين مكه المشرفه لأن الأمن خاصه مشرعه للحرم و هى فيه قال تعالى: « أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا » العنكبوت: ٦٧ و فى دعاء إبراهيم(ع) على ما حكى الله عنه: « رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا »: البقره: ١٢٦، و فى دعائه ثانيا: « رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا »: إبراهيم: ٣٥.

و فى الإشاره بهذا إلى البلد تثبيت التشريف عليه بالتشخيص و توصيفه بالأمين إما لكونه فعلا بمعنى الفاعل و يفيد معنى النسبه و المعنى ذى الأمن كاللابن و التامر و إما لكونه فعلا بمعنى المفعول و المراد البلد الذى يؤمن الناس فيه أى لا يخاف فيه من غوائلهم ففى نسبه الأمن إلى البلد نوع تجوز.

قوله تعالى: « لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ » جواب للقسم و المراد بكون خلقه فى أحسن تقويم اشتمال التقويم عليه فى جميع شئونه و جهات وجوده، و التقويم جعل الشىء ذا قوام و قوام الشىء ما يقوم به و يثبت فالإنسان و المراد به الجنس ذو أحسن قوام بحسب الخلقه.

و معنى كونه ذا أحسن قوام بحسب الخلقه على ما يستفاد من قوله بعد: « ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ إِخْلَصُوا لِحُجَّتِهِمْ » الخ صلوحه بحسب الخلقه للعروج إلى الرفيع الأعلى و الفوز بحياه خالده عند ربه سعيده لا شقوه معها، و ذلك بما جهزه الله به من العلم النافع و مكنه منه من العمل الصالح قال تعالى: « وَ نَفْسٍ وَ مَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا »: الشمس: ٨ فإذا آمن بما علم و زاول صالح العمل رفعه الله إليه كما قال: « إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ »: فاطر: ١٠، و قال: « وَ لَكِنْ يَدَّأُلُّهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ »: الحج: ٣٧.

وقال: «يَزِفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ»: المجادلة: ١١ و قال:

«فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ»: طه: ٧٥ إلى غير ذلك من الآيات الداله على ارتفاع مقام الإنسان و ارتفاعه بالإيمان و العمل الصالح عطاء من الله غير مجذوذ، و قد سماه تعالى أجرا كما يشير إليه قوله الآتى: «فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ».

قوله تعالى: «ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ» ظاهر الرد أن يكون بمعناه المعروف فأسفل منصوب بنزع الخافض، و المراد بأسفل سافلين مقام منحط هو أسفل من سفلى من أهل الشقوه و الخسران و المعنى ثم رددنا الإنسان إلى أسفل من سفلى من أهل العذاب.

و احتمال أن يكون الرد بمعنى الجعل أى جعلناه أسفل سافلين، و أن يكون بمعنى التغيير و المعنى ثم غيرناه حال كونه أسفل جمع سافلين، و المراد بالسفاله على أى حال الشقاء و العذاب.

و قيل: المراد بخلق الإنسان فى أحسن تقويم ما عليه وجوده أو ان الشباب من استقامه القوى و كمال الصورة و جمال الهيئه، و برده إلى أسفل سافلين رده إلى الهرم بتضعيف قواه الظاهره و الباطنه و نكس خلقته فتكون الآيه فى معنى قوله تعالى: «وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ»: يس: ٦٨.

و فيه أنه لا- يلائمه ما فى قوله: «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» من الاستثناء الظاهر فى المتصل فإن حكم الخلق عام فى المؤمن و الكافر و الصالح و الطالح و دعوى أن المؤمن أو المؤمن الصالح مصون من ذلك مجازفه.

و كذا القول بأن المراد بالإنسان هو الكافر و المراد بالرد رده إلى جهنم أو إلى نكس الخلق و الاستثناء منقطع.

قوله تعالى: «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» أى غير مقطوع استثناء متصل من جنس الإنسان، و تفرع قوله: «فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» عليه يؤيد كون المراد من رده إلى أسفل سافلين رده إلى الشقاء و العذاب.

قوله تعالى: «فَلَمَّا يَكْذِبْكَ بَعْدُ بِالْذِّينِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ» الخطاب للإنسان باعتبار الجنس، و قيل للنبي ص و المراد غيره، و «فَلَمَّا» استفهاميه توبيخيه، و «بِالذِّينِ» متعلق بيكذبك، و الدين الجزاء و المعنى على ما قيل- ما الذى يجعلك مكذبا بالجزاء يوم القيامة بعد ما جعلنا الإنسان طائفتين طائفه مردوده إلى أسفل سافلين و طائفه مأجوره أجرا غير ممنون.

وقوله: «أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ» الاستفهام للتقرير و كونه تعالى أحكم الحاكمين هو كونه فوق كل حاكم في إتقان الحكم و حقيقته و نفوذه من غير اضطراب و وهن و بطلان فهو تعالى يحكم في خلقه و تدبيره بما من الواجب في الحكمه أن يحكم به الناس من حيث الإتقان و الحسن و النفوذ و إذا كان الله تعالى أحكم الحاكمين و الناس طائفتان مختلفتان اعتقادا و عملا فمن الواجب في الحكمه أن يميز بينهم بالجزاء في حياتهم الباقية و هو البعث.

فالتفريع في قوله: «فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ» من قبيل تفريع النتيجة على الحجج و قوله: «أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ» تميم للحجج المشار إليها بما يتوقف عليه تمامها.

و المحصل أنه إذا كان الناس خلقوا في أحسن تقويم ثم اختلفوا فطائفه خرجت عن تقويمها الأحسن و ردت إلى أسفل سافلين و طائفه بقيت في تقويمها الأحسن و على فطرتها الأولى و الله المدبر لأمرهم أحكم الحاكمين، و من الواجب في الحكمه أن تختلف الطائفتان جزاء، فهناك يوم تجزى فيه كل طائفه بما عملت و لا مسوغ للتكذيب به.

فآيات- كما ترى- في معنى قوله تعالى: «أَمْ نَجْعِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعِلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ» -ص: ٢٨، و قوله: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَخْلِبُهُمْ وَ مَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» الجاثية: ٢١.

و بعض من جعل الخطاب في قوله: «فَمَا يُكَذِّبُكَ» للنبي ص جعل «ما» بمعنى من و الحكم بمعنى القضاء، و عليه فالمعنى إذا كان الناس مختلفين و لازم ذلك اختلاف جزائهم في يوم معد للجزاء فمن الذي ينسبك إلى الكذب بالجزاء أليس الله بأقضى القاضين فهو يقضى بينك و بين المكذبين لك بالدين.

و أنت خبير بأن فيه تكلفا من غير موجب.

بحث روائي

في تفسير القمي،^١ في قوله تعالى: «وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ - وَ طُورِ سِينِينَ وَ هَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ» التين المدينة و الزيتون بيت المقدس - و طور سينين الكوفة و هذا البلد الأمين مكة.

أقول: وقد ورد هذا المعنى في بعض الروايات عن موسى بن جعفر عن آبائه (ع)

عن النبي ص و لا يخلو من شيء،

و في بعضها: أن التين و الزيتون الحسن و الحسين و الطور على- و البلد الأمين النبي ص و ليس من التفسير في شيء.

و في الدر المشهور، أخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله * أن خزيمة بن ثابت و ليس بالأنصاري سأل النبي ص- عن البلد الأمين فقال: مكة.

(٩٦) سورة العلق مكيه و هي تسع عشره آيه (١٩)

[سورة العلق (٩٦): الآيات ١ الى ١٩]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)
كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْجَلٍ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَ (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ
كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّىٰ (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤) كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا
بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَ أُسْجِدْ وَ اقْتَرِبْ (١٩)

بيان

أمر للنبي ص بتلقى القرآن بالوحى منه تعالى و هي أول سورة نزلت من القرآن، و سياق آياتها لا يأبى نزولها دفعه واحده كما سنشير إليه، و هي مكيه قطعا.

قوله تعالى: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ» قال الراغب:

و القراءه ضم الحروف و الكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، و ليس يقال ذلك لكل

ص: ٣٢٢

جمع لا يقال: قرأت القوم إذا جمعهم، ويدل على ذلك أنه لا يقال: للحرف الواحد إذا تفوه به: قراءه انتهى.

و على أى حال، يقال: قرأت الكتاب إذا جمعت ما فيه من الحروف والكلمات بضم بعضها إلى بعض فى الذهن و إن لم تتلفظ بها، و يقال: قرأته إذا جمعت الحروف والكلمات بضم بعضها إلى بعض فى التلفظ، و يقال قرأته عليه إذا جمعت بين حروفه و كلماته فى سمعه و يطلق عليها بهذا المعنى التلاوه أيضا قال تعالى: «رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً»: البينه: ٢.

و ظاهر إطلاق قوله: «إِقْرَأْ» المعنى الأول و المراد به الأمر بتلقى ما يوحىه إليه ملك الوحي من القرآن فالجمله أمر بقراءه الكتاب و هى من الكتاب كقول القائل فى مفتتح كتابه لمن أرسله إليه: اقرأ كتابى هذا و اعمل به فقوله هذا أمر بقراءه الكتاب و هو من الكتاب.

و هذا السياق يؤيد أولا ما ورد أن الآيات أول ما نزل من القرآن على النبي ص.

و ثانيا أن التقدير اقرأ القرآن أو ما فى معناه، و ليس المراد مطلق القراءه باستعمال «اقرأ» استعمال الفعل اللازم بالإعراض عن المفعول، و لا- المراد القراءه على الناس بحذف المتعلق و إن كان ذلك من أغراض النزول كما قال: «وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا»: إسراء: ١٠٦، و لا أن قوله: «بِاسْمِ رَبِّكَ» مفعول «إِقْرَأْ» و الباء زائده و التقدير اقرأ اسم ربك أى بسم.

و قوله: «بِاسْمِ رَبِّكَ» متعلق بمقدر نحو مفتحا و مبتدئا أو باقرا و الباء للملابسه و لا ينافى ذلك كون البسملة المبتدأه بها السوره جزء من السوره فهى من كلام الله افتتح سبحانه بها و أمر أن يقرأ مبتدئا بها كما أمر أن يقرأ قوله: «إِقْرَأْ بِاسْمِ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ» بالعلم نظير الأمر بالاستثناء فى قوله: «وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ» الكهف: ٢٤ فافهم ذلك.

و فى: قوله «رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» إشاره إلى قصر الربوبيه فى الله عز اسمه و هو توحيد الربوبيه المقتضيه لقصر العباده فيه فإن المشركين كانوا يقولون: إن الله سبحانه ليس له إلا- الخلق و الإيجاد و أما الربوبيه و هى الملك و التدبير فلمقربى خلقه من الملائكه و الجن و الإنس فدفعه الله بقوله: «رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» الناص على أن الربوبيه و الخلق له وحده.

و قوله: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ» المراد جنس الإنسان المتناسل و العلق الدم المنجمد

و المراد به ما يستحيل إليه النطفه فى الرحم.

ففى الآيه إشاره إلى التدبير الإلهى الوارد على الإنسان من حين كان علقه إلى حين يصير إنسانا تاما كاملا- له من أعاجيب الصفات و الأفعال ما تتحير فيه العقول فلم يتم الإنسان إنسانا و لم يكمل إلا بتدبير متعاقب منه تعالى و هو بعينه خلق بعد خلق فهو تعالى رب مدبر لأمر الإنسان بعين أنه خالق له فليس للإنسان إلا- أن يتخذة وحده ربا ففى الكلام احتجاج على توحيد الربوبية.

قوله تعالى: «إِقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» أمر بالقراءة ثانيا تأكيداً للأمر الأول على ما هو ظاهر سياق الإطلاق.

و قيل: المراد به الأمر بالقراءة على الناس و هو التبليغ بخلاف الأمر الأول فالمراد به الأمر بالقراءة لنفسه، كما قيل: إن المراد بالأمرين جميعاً الأمر بالقراءة على الناس، و الوجهان غير ظاهرين.

و قوله: «وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ» أى الذى يفوق عطاؤه عطاء ما سواه فهو تعالى يعطى لا عن استحقاق و ما من نعمه إلا و ينتهى إيتاؤها إليه تعالى.

و قوله: «الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ» الباء للسببيه أى علم القراءة أو الكتابه و القراءة بواسطة القلم و الجملة حاله أو استثنافيه، و الكلام مسوق لتقويه نفس النبى ص و إزاله القلق و الاضطراب عنها حيث أمر بالقراءة و هو أسمى لا يكتب و لا يقرأ كأنه قيل: اقرأ كتاب ربك الذى يوحيه إليك و لا تخف و الحال أن ربك الأكرم الذى علم الإنسان القراءة بواسطة القلم الذى يخط به فهو قادر على أن يعلمك قراءه كتابه و أنت أسمى و قد أمرك بالقراءة و لو لم يقدرك عليها لم يأمرك بها.

ثم عمم سبحانه النعمه فذكر تعليمه للإنسان ما لم يعلم فقال: «عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» و فيه مزيد تقويه لقلب النبى ص و تطيب لنفسه.

و المراد بالإنسان الجنس كما هو ظاهر السياق و قيل: المراد به آدم(ع)، و قيل:

إدريس(ع) لأنه أول من خط بالقلم، و قيل: كل نبى كان يكتب و هى وجوه ضعيفه بعيده عن الفهم.

قوله تعالى: «كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ» ردع عما يستفاد من الآيات السابقه أنه تعالى أنعم على الإنسان بعظائم نعم مثل التعليم بالقلم و سائر ما علم و التعليم

من طريق الوحي فعلى الإنسان أن يشكره على ذلك لكنه يكفر بنعمته تعالى و يطغى.

و قوله: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ» أن يتعدى طوره، و هو إخبار بما فى طبع الإنسان ذلك كقوله: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ» إبراهيم: ٣٤.

و قوله: «أَنْ رَأَىٰ شَيْئًا يَتَخَفَىٰ» من الرأى دون الرؤيه البصريه، و فاعل «رَأَىٰ» و مفعوله الإنسان. و جمله «أَنْ رَأَىٰ شَيْئًا يَتَخَفَىٰ» فى مقام التعليل أى ليطغى لأنه يعتقد نفسه مستغنيا عن ربه المنعم عليه فيكفر به، و ذلك أنه يشتغل بنفسه و الأسباب الظاهرية التى يتوصل بها إلى مقاصده فيغفل عن ربه من غير أن يرى حاجه منه إليه تبعثه إلى ذكره و شكره على نعمه فينساها و يطغى.

قوله تعالى: «إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ» الرجعى هو الرجوع و الظاهر من سياق الوعيد الآتى أنه وعيد و تهديد بالموت و البعث، و الخطاب للنبي ص، و قيل: الخطاب للإنسان بطريق الالتفات للتشديد، و الأول أظهر.

قوله تعالى: «أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَىٰ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّىٰ أَلَمْ يَعْلَم بِمَاَنَّ اللَّهُ يَرَىٰ» بمنزله ذكر بعض المصاديق للإنسان الطاغى و هو كالتوطئه لوعيده بتصريح العقاب و النهى عن طاعته و الأمر بعبادته تعالى، و المراد بالعبد الذى كان يصلى هو النبي ص على ما يستفاد من آخر الآيات حيث ينهاه (ص) عن طاعه ذلك الناهى و يأمره بالسجود و الاقتراب.

و سياق الآيات-على تقدير كون السوره أول ما نزل من القرآن و نزولها دفعه واحده- يدل على صلاه النبي ص قبل نزول القرآن و فيه دلالة على نبوته قبل رسالته بالقرآن.

و أما ما ذكره بعضهم أنه لم يكن الصلاه مفروضه فى أول البعثه و إنما شرعت ليله المعراج على ما فى الأخبار و هو قوله تعالى: «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ» :إسراء: ٧٨.

ففيه أن المسلم من دلالتها أن الصلوات الخمس اليوميه إنما فرضت بهيئتها الخاصه ركعتين ركعتين ليله المعراج و لا دلالة فيها على عدم تشريعها قبل و قد ورد فى كثير من السور المكيه و منها النازله قبل سوره الإسراء كالمدثر و المزمل و غيرهما ذكر الصلاه بتعابير مختلفه و إن لم يظهر فيها من كیفيتها إلا أنها كانت مشتمله على تلاوه شىء من القرآن و السجود.

وقد ورد في بعض الروايات صلاة النبي ص مع خديجه و على في أوائل البعثه و إن لم يذكر كيفيه صلاتهم.

و بالجملة قوله: «أَرَأَيْتَ» بمعنى أخبرني، و الاستفهام للتعجب، و المفعول الأول لقوله:

«أَرَأَيْتَ» الأول قوله: «الَّذِي يَنْهَى» و لأرأيت الثالث ضمير عائد إلى الموصول، و لأرأيت الثاني ضمير عائد إلى قوله: «عَبْدًا» و المفعول الثاني لأرأيت في المواضع الثلاث قوله:

«أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى».

و محصل معنى الآيات أخبرني عن الذي ينهى عبدا إذا صلى و عبد الله الناهي يعلم أن الله يرى ما يفعله كيف يكون حاله. أخبرني عن هذا الناهي إن كان ذاك العبد المصلي على الهدى أو أمر بالتقوى كيف يكون حال هذا الناهي و هو يعلم أن الله يرى.

أخبرني عن هذا الناهي أن تلبس بالتكذيب للحق و التولى عن الإيمان به و نهى العبد المصلي عن الصلاة و هو يعلم أن الله يرى؟ هل يستحق إلا العذاب.؟ و قيل: المفعول الأول لأرأيت في جميع المواضع الثلاث هو الموصول أو الضمير العائد إليه تحرزا عن التفكيك بين الضمائر.

و الأولى على هذا أن يجعل معنى قوله: «أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ» أخبرني عن هذا الناهي إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى و هو يعلم أن الله يرى ما ذا كان يجب عليه أن يفعله و يأمر به؟ و كيف يكون حاله و قد نهى عن عباده الله سبحانه؟ و هو مع ذلك معنى بعيد و لا بأس بالتفكيك بين الضمائر مع مساعده السياق و إعانه القرائن.

و قوله: «أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى» المراد به العلم على طريق الاستلزام فإن لازم الاعتقاد بأن الله خالق كل شيء هو الاعتقاد بأن له علما بكل شيء و إن غفل عنه و قد كان الناهي وثنيا مشركا و الوثنيه معترفون بأن الله هو خالق كل شيء و يتزهونه عن صفات النقص فيرون أنه تعالى لا يجهل شيئا و لا يعجز عن شيء و هكذا.

قوله تعالى: «كَأَلَّا لِيْنُ لَمْ يَنْتَه لَسْفَعًا بِالنَّاصِيَه نَاصِيَه كَازِبِه خَاطِئِه» قال في المجمع:

و السفع الجذب الشديد يقال: سفعت بالشيء إذا قبضت عليه و جذبته جذبا شديدا.

انتهى، و في توصيف الناصيه بالكذب و الخطا و هما وصفا صاحب الناصيه مجاز.

و في الكلام ردع و تهديد شديد، و المعنى ليس الأمر كما يقول و يريد أو ليس له ذلك.

أقسم لئن لم يكف عن نهييه و لم ينصرف لناخذن بناصيته أخذ الذليل المهان و نجذبنيه إلى العذاب تلك الناصيه التي صاحبها كاذب فيما يقول خاطئ فيما يفعل، و قيل: المعنى لنسمن ناصيته بالنار و نسودنها.

قوله تعالى: «فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَدَّ الذُّبَابِ» «النادى المجلس و كان المراد به أهل المجلس أى الجمع الذين يجتمع بهم، و قيل: المجلس، و الزبانيه الملائكه الموكلون بالنار، و قيل:

الزبانيه فى كلامهم الشرط، و الأمر تعجيزى أشير به إلى شده الأخذ و المعنى فليدع هذا الناهى جمعه لينجوه منا سندع الزبانيه الغلاظ الشداد الذين لا ينفع معهم نصر ناصر.

قوله تعالى: «كَأَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَ اسْتَجِدُّ وَ اقْتَرَبْ» تكرر الردع للتأكيد، و قوله: «لَا تُطَعُّهُ» أى لا تطعه فى النهى عن الصلاه و هى القرينه على أن المراد بالسجود الصلاه، و لعل الصلاه التى كان (ص) يأتى بها يومئذ كانت تسيحه تعالى و السجود له و قيل: المراد به السجود لقراءه هذه السوره التى هى إحدى العزائم الأربع فى القرآن.

و الاقتراب التقرب إلى الله، و قيل: الاقتراب من ثواب الله تعالى.

بحث روائى

فى الدر المنثور، أخرج عبد الرزاق و أحمد و عبد بن حميد و البخارى و مسلم و ابن جرير و ابن الأنبارى فى المصاحف و ابن مردويه و البيهقى من طريق ابن شهاب عن عروه بن الزبير عن عائشه أم المؤمنين أنها قالت*: أول ما بدئ به رسول الله ص من الوحي-الرؤيا الصالحه فى النوم-فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

ثم حبب إليه الخلاء و كان يخلو بغار حراء-فيتحنث فيه و هو التعبد الليلالى ذوات العدد- قبل أن ينزع إلى أهله و يتزود لذلك- ثم يرجع إلى خديجه فيتزود لمثلها-حتى جاءه الحق و هو فى غار حراء-فجاءه الملك فقال: اقرأ قال: قلت: ما أنا بقارئ. قال:

فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ-قال:

فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد-ثم أرسلنى فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ- فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد- ثم أرسلنى فقال: «إِقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ - خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ - اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ الْآيَه.

فرجع بها رسول الله ص يرجف فؤاده-فدخل على خديجه بنت خويلد فقال: زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروح-فقال لخديجه و أخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي فقالت خديجه: كلا ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم-و تحمل الكل و تكسب (١)المعدوم و تقرى الضيف-و تعين على نوائب الحق (٢).

فانطلقت به خديجه-حتى أتت ورقه بن نوفل بن أسد بن عبد العزى-ابن عم خديجه و كان امرأ قد تنصر فى الجاهليه،و كان يكتب الكتاب العبرانى-فيكتب من الإنجيل بالعبرانيه ما شاء الله أن يكتب،و كان شيخا كبيرا قد عمى-فقالت له خديجه: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك.

فقال له ورقه: يا ابن أخى ما ذا ترى؟ فأخبره رسول الله ص خبر ما رأى-فقال له ورقه: هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى! يا ليتنى أكون فيها جذعا-يا ليتنى أكون فيها حيا إذ يخرجك قومك-فقال رسول الله ص: أ و مخرجى هم؟ قال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى، و إن يدركنى يومك أنصرك نصرًا مؤزرا-ثم لم ينشب ورقه أن توفى و فتر الوحى.

قال ابن شهاب: و أخبرنى أبو سلمه بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصارى قال و هو يحدث عن فتره الوحى فقال فى حديثه*: بينما أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء- فرفعت بصرى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء-جالس على كرسي بين السماء و الأرض- فرعبت منه فرجعت فقلت: زملونى زملونى-فأنزل الله: **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَ رَبِّكَ فَكَبِّرْ- وَ لِيَا بَكَ فَطَهِّرْ وَ الرَّجْزَ فَاهْجُرْ** فحمى الوحى و تتابع.

و فيه، أخرج ابن أبى شيبه و ابن جرير و أبو نعيم فى الدلائل عن عبد الله بن شداد قال*:

أتى جبريل محمدا ص فقال: يا محمد اقرأ. قال: و ما أقرأ فضمه ثم قال: يا محمد اقرأ. قال: و ما أقرأ. قال: اقرأ باسم ربك الذى خلق حتى بلغ « **مَا لَمْ يَعْلَمْ**».

فجاء إلى خديجه فقال: يا خديجه- ما أراه إلا قد عرض لى- قالت: كلا و الله ما كان ربك يفعل ذلك بك- و ما أتيت فاحشه قط- فأنت خديجه ورقه فأخبرته الخبر قال: لئن كنت صادقه إن زوجك لنبى- و ليلقين من أمته شدة و لئن أدركته لأومنن به.

قال: ثم أبطأ عليه جبريل فقالت خديجه: ما أرى ربك إلا قد فلاك فأنزل الله-

ص: ٣٢٨

١- (١) تكسى ط.

٢- (٢) الخلق ط.

« وَ الضَّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ».

أقول: وفي روايه: أن الذي ألقاه جبريل سورة الحمد.

و القصة لا تخلو من شيء و أهون ما فيها من الإشكال شك النبي ص في كون ما شاهده وحيا إلهيا من ملك سماوى ألقى إليه كلام الله و تردده بل ظنه أنه من مس الشياطين بالجنون، و أشكل منه سكون نفسه في كونه نبوه إلى قول رجل نصرانى مترهب و قد قال تعالى: «قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي»: الأنعام: ٥٧ و أى حجه بينه في قول ورقه؟ و قال تعالى: «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي» فهل بصيرته (ص) هي سكون نفسه إلى قول ورقه؟ و بصيره من اتبعه سكون أنفسهم إلى سكون نفسه إلى ما لا- حجه فيه قاطعه؟ و قال تعالى: «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَلِمًا أَوْحَيْنَا إِلَيْ نُوْحٍ وَ النَّبِيِّنَ مِّن بَعْدِهِ»: النساء: ١٦٣ فهل كان اعتمادهم في نبوتهم على مثل ما تقصه هذه القصة؟ و الحق أن وحى النبوه و الرساله يلازم اليقين من النبي و الرسول بكونه من الله تعالى على ما ورد عن أئمه أهل البيت (ع).

و في المجمع،": في قوله: «أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ» الآية- أن أبا جهل قال: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم. قال: فبالذي يحلف به- لئن رأيتَه يفعل ذلك لأطأن رقبتَه- فقيل له: ها هو ذلك يصلى فانطلق ليطأ على رقبتَه- فما فجأهم إلا و هو ينكص على عقبه و يتقى يديه- فقالوا: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: إن بيني و بينه خندقا من نار و هؤلأء أجنحه، و قال نبى الله: و الذى نفسى بيده- لو دنا منى لاختطفته الملائكه عضوا عضوا- فأنزل الله «أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ» إلى آخر السوره":. رواه مسلم فى الصحيح .

و فى تفسير القمى،": فى الآية: كان الوليد بن المغيرة ينهى الناس عن الصلاة- و أن يطاع الله و رسوله فقال الله: «أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ».

أقول: مفاده لا يلائم ظهور سياق الآيات فى كون المصلى هو النبى ص.

و فى المجمع، فى الحديث عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ص قال*: أقرب ما يكون العبد من الله إذا كان ساجدا.

و فى الكافى، بإسناده إلى الوشاء قال: سمعت الرضا (ع) يقول: أقرب ما يكون العبد من الله و هو ساجد- و ذلك قوله: «وَ اسْتَجِدُّ وَ اقْتَرِبْ».

و فى المجمع، روى عبد الله بن سنان عن أبى عبد الله (ع) قال*: العزائم الم التنزيل و حم السجده و النجم إذا هوى- و اقرأ باسم ربك، و ما عداها فى جميع القرآن مسنون و ليس بمفروض.

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ (٥)

بيان

تذكر السوره إنزال القرآن في ليله القدر و تعظم الليله بتفضيلها على ألف شهر و تنزل الملائكه و الروح فيها، و السوره تحتل المكيه و المدنيه و لا يخلو بعض (١) ما روى في سبب نزولها عن أئمه أهل البيت (ع) و غيرهم من تأييد لكونها مدنيه.

قوله تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» ضمير «أَنْزَلْنَاهُ» للقرآن و ظاهره جمله الكتاب العزيز لا بعض آياته و يؤيده التعبير بالإنزال الظاهر في اعتبار الدفعه دون التنزيل الظاهر في التدرج.

و في معنى الآية قوله تعالى: «وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ»: الدخان: ٣ و ظاهره الإقسام بجمله الكتاب المبين ثم الإخبار عن إنزال ما أقسم به جمله.

فمدلول الآيات أن للقرآن نزولا جمليا على النبي ص غير نزوله التدريجي الذي تم في مده ثلاث و عشرين سنه كما يشير إليه قوله: «وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكُتِّبٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا»: إسرء: ١٠٦ و قوله: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا»: الفرقان: ٣٢.

فلا يعبا بما قيل: إن معنى قوله: «أَنْزَلْنَاهُ» ابتدأنا بإنزاله و المراد إنزال بعض القرآن.

و ليس فى كلامه تعالى ما بيبين أن الليله آيه ليله هى غير ما فى قوله تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ»: البقره: ١٨٥ فإن الآيه بانضمامها إلى آيه القدر تدل على أن الليله من ليالى شهر رمضان. و أما تعيينها أزيد من ذلك فمستفاد من الأخبار و سيجىء بعض ما يتعلق به فى البحث الروائى التالى إن شاء الله.

و قد سماها الله تعالى ليله القدر، و الظاهر أن المراد بالقدر التقدير فهى ليله التقدير يقدر الله فيها حوادث السنه من الليله إلى مثلها من قابل من حياه و موت و رزق و سعادته و شقاء و غير ذلك كما يدل عليه قوله فى سوره الدخان فى صفه الليله: «فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ»: الدخان: ٤ فليس فرق الأمر الحكيم إلا- أحكام الحادثه الواقعه بخصوصياتها بالتقدير.

و يستفاد من ذلك أن الليله متكرره بتكرر السنين ففى شهر رمضان من كل سنه قمريه ليله تقدر فيها أمور السنه من الليله إلى مثلها من قابل إذ لا معنى لفرض ليله واحده بعينها أو ليالى معدوده فى طول الزمان تقدر فيها الحوادث الواقعه التى قبلها و التى بعدها و إن صح فرض واحده من ليالى القدر المتكرره ينزل فيها القرآن جملة واحده.

على أن قوله: «يُفْرَقُ» -و هو فعل مضارع- ظاهر فى الاستمرار، و قوله: «خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ» و «تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ» الخ يؤيد ذلك.

فلا وجه لما قيل: إنها كانت ليله واحده بعينها نزل فيها القرآن من غير أن يتكرر، و كذا ما قيل: إنها كانت تتكرر بتكرر السنين فى زمن النبى ص ثم رفعها الله، و كذا ما قيل: إنها واحده بعينها فى جميع السنه و كذا ما قيل: إنها فى جميع السنه غير أنها تتبدل بتكرر السنين فسنه فى شهر رمضان و سنه فى شعبان و سنه فى غيرهما.

و قيل: القدر بمعنى المنزله و إنما سميت ليله القدر للاهتمام بمنزلتها أو منزله المتعبدين فيها، و قيل: القدر بمعنى الضيق و سميت ليله القدر لضيق الأرض فيها بنزول الملائكه. و الوجهان كما ترى.

فمحصل الآيات- كما ترى- أنها ليله بعينها من شهر رمضان من كل سنه فيها أحكام الأمور بحسب التقدير، و لا ينافى ذلك وقوع التغير فيها بحسب التحقق فى ظرف السنه فإن التغير فى كيفية تحقق المقدر أمر و التغير فى التقدير أمر آخر كما أن إمكان التغير فى

الحوادث الكونية بحسب المشيه الإلهيه لا ينافى تعينها في اللوح المحفوظ قال تعالى:

«وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» الرعد: ٣٩.

على أن لاستحكام الأمور بحسب تحققها مراتب من حيث حضور أسبابها و شرائطها تامه و ناقصه و من المحتمل أن تقع في ليله القدر بعض مراتب الأحكام و يتأخر تمام الأحكام إلى وقت آخر لكن الروايات كما ستأتى لا تلائم هذا الوجه.

قوله تعالى: «وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ» كناية عن جلاله قدر الليله و عظم منزلتها و يؤكد ذلك إظهار الاسم مره بعد مره حيث قيل: «مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ» و لم يقل: و ما أدراك ما هي هي خير.

قوله تعالى: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» بيان إجمالى لما أشير إليه بقوله: «وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ» من فخامه أمر الليله.

و المراد بكونها خيرا من ألف شهر خيريتها منها من حيث فضيله العباده على ما فسره المفسرون و هو المناسب لغرض القرآن و عنايته بتقريب الناس إلى الله فأجياؤها بالعباده خير من عباده ألف شهر، و يمكن أن يستفاد ذلك من المباركه المذكوره في سورة الدخان في قوله: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ» و هناك معنى آخر سيأتى فى البحث الروائى التالى إن شاء الله.

قوله تعالى: «تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَ الرُّوحِ فِيهَا يَأْذِنُ رَبُّهُمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» تنزل أصله تنزل، و الظاهر من الروح هو الروح الذى من الأمر قال تعالى: «قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» إسرائ: ٨٥ و الإذن فى الشىء الرخصه فيه و هو إعلام عدم المانع منه.

و «مِنْ» فى قوله: «مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» قيل: بمعنى الباء و قيل: لابتداء الغايه و تفيد السببيه أى بسبب كل أمر إلهى، و قيل: للتعليل بالغايه أى لأجل تدبير كل أمر من الأمور و الحق أن المراد بالأمر إن كان هو الأمر الإلهى المفسر بقوله «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ» يس: ٨٢ فمن للابتلاء و تفيد السببيه و المعنى تنزل الملائكه و الروح فى ليله القدر بإذن ربهم مبتدأ تنزلهم و صادرا من كل أمر إلهى.

و إن كان هو الأمر من الأمور الكونيه و الحوادث الواقعه فمن بمعنى اللام التعليليه و المعنى تنزل الملائكه و الروح فى الليله بإذن ربهم لأجل تدبير كل أمر من الأمور الكونيه.

قوله تعالى: «سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ» قال فى المفردات: السلام و السلامه التعرى

من الآفات الظاهره و الباطنه انتهى فيكون قوله: «سَيِّئَةٌ هِيَ» إشارة إلى العناية الإلهيه بشمول الرحمه لعباده المقبلين إليه و سد باب نقمه جديده تختص بالليله و يلزمه بالطبع و هن كيد الشياطين كما أشير إليه في بعض الروايات.

و قيل: المراد به أن الملائكه يسلمون على من مروا به من المؤمنين المتعبدين و مرجعه إلى ما تقدم.

و الآيتان أعنى قوله: «تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ» إلى آخر السوره في معنى التفسير لقوله:

«لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ».

بحث روائى

في تفسير البرهان، عن الشيخ الطوسى عن أبى ذر قال*: قلت يا رسول الله القدر شىء يكون على عهد الأنبياء- ينزل عليهم فيها الأمر فإذا مضوا رفعت؟ قال:

لا بل هى إلى يوم القيامة.

أقول: و فى معناه غير واحد من الروايات من طرق أهل السنه.

و فى المجمع، و عن حماد بن عثمان عن حسان بن أبى على قال*: سألت أبا عبد الله (ع) عن ليله القدر- قال: اطلبها فى تسع عشره- و إحدى و عشرين و ثلاث و عشرين.

أقول: و فى معناه غيرها، و فى بعض الأخبار الترديد بين ليلتين الإحدى و العشرين و الثلاث و العشرين كروايه العياشى عن عبد الواحد عن الباقر (ع) و يستفاد من روايات أنها ليله ثلاث و عشرين و إنما لم يعين تعظيماً لأمرها أن لا يستهان بها بارتكاب المعاصى.

و فيه، أيضاً فى روايه عبد الله بن بكير عن زراره عن أحدهما (ع) قال*: ليله ثلاث و عشرين هى ليله الجهنى، و حديثه أنه قال لرسول الله ص. إن منزلى نائى عن المدينه فمرنى بليله أدخل فيها- فأمره بليله ثلاث و عشرين.

أقول: و حديث الجهنى و اسمه عبد الله بن أنيس الأنصارى مروى من طرق أهل السنه أيضاً أورده فى الدر المنثور، عن مالك و البيهقى.

و فى الكافى، بإسناده عن زراره قال*: قال أبو عبد الله (ع): التقدير فى تسع عشره، و الإبرام فى ليله إحدى و عشرين، و الإمضاء فى ليله ثلاث و عشرين.

أقول: و فى معناها روايات أخر.

فقد اتفقت أخبار أهل البيت (ع) أنها باقيه متكرره كل سنه، و أنها ليله من ليالى شهر رمضان و أنها إحدى الليالى الثلاث.

و أما من طرق أهل السنه فقد اختلفت الروايات اختلافا عجيبا يكاد لا يضبط و المعروف عندهم أنها ليله سبع و عشرون فيها نزل القرآن، و من أراد الحصول عليها فليراجع الدر المنثور و سائر الجوامع.

و فى الدر المنثور، أخرج الخطيب عن ابن المسيب قال: *قال رسول الله ص: رأيت بنى أميه يصعدون منبرى فشق ذلك على - فأنزل الله إنا أنزلناه فى ليله القدر:.

أقول: و روى أيضا مثله عن الخطيب فى تاريخه، عن ابن عباس

، و أيضا ما فى معناه عن الترمذى و ابن جرير و الطبرانى و ابن مردويه و البيهقى عن الحسن بن على و هناك روايات كثيره فى هذا المعنى من طرق الشيعة عن أئمة أهل البيت (ع) و فيها أن الله تعالى سلا نبيه ص بإعطاء ليله القدر و جعلها خيرا من ألف شهر و هى مده ملك بنى أميه.

و فى الكافى، بإسناده عن ابن أبى عمير عن غير واحد عن أبى عبد الله (ع) *قال له بعض أصحابنا و لا- أعلمه إلا- سعيد السمان: كيف تكون ليله القدر خيرا من ألف شهر؟ قال: العمل فيها خير من العمل فى ألف شهر- ليس فيها ليله القدر.

و فيه، بإسناده عن الفضيل و زراره و محمد بن مسلم عن حمران *أنه سأل أبا جعفر (ع) عن قول الله عز و جل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلِهِ مُبَارَكَةٍ﴾ قال: نعم ليله القدر و هى فى كل سنه فى شهر رمضان- فى العشر الأواخر- فلم ينزل القرآن إلا فى ليله القدر- قال الله عز و جل:

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾.

قال: يقدر فى ليله القدر كل شىء- يكون فى تلك السنه إلى مثلها من قابل: خير و شر طاعه و معصيه و مولود و أجل أو رزق- فما قدر فى تلك الليله و قضى فهو المحتوم- و لله عز و جل فيه المشيه.

قال: قلت: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أى شىء عنى بذلك؟ فقال: و العمل الصالح فيها من الصلاه و الزكاه- و أنواع الخير خير من العمل فى ألف شهر- ليس فيها ليله القدر، و لو لا ما يضاعف الله تبارك و تعالى للمؤمنين ما بلغوا- و لكن الله يضاعف لهم الحسنات.

أقول: و قوله: و لله فيه المشيه يريد به إطلاق قدرته تعالى فله أن يشاء ما يشاء

و إن حتم فإن إيجابه الأمر لا يفيد قدره المطلقه فله أن ينقض القضاء المحتوم و إن كان لا يشاء ذلك أبدا.

و فى المجمع، روى ابن عباس عن النبى ص أنه قال*: إذا كان ليله القدر تنزل الملائكه- الذين هم سكان صدره المنتهى و منهم جبرائيل- فينزل جبرائيل و معه ألويه- ينصب لواء منها على قبرى و لواء على بيت المقدس- و لواء فى المسجد الحرام و لواء على طور سيناء- و لا يدع فيها مؤمنا و لا مؤمنة إلا سلم عليه- إلا مدمن خمر و آكل لحم الخنزير (1) و المتضمن بالزعفران.

و فى تفسير البرهان، عن سعد بن عبد الله بإسناده عن أبى بصير قال*: كنت مع أبى عبد الله (ع) فذكر شيئا من أمر الإمام إذا ولد- فقال: استوجب زياده الروح فى ليله القدر- فقلت: جعلت فداك أ ليس الروح هو جبرئيل؟ فقال: جبرئيل من الملائكه و الروح أعظم من الملائكه- أ ليس أن الله عز و جل يقول: «تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ».

أقول: و الروايات فى ليله القدر و فضلها كثيره جدا، و قد ذكرت فى بعضها لها علامات ليست بدائمه و لا أكثره كطولع الشمس صبيحتها و لا شعاع لها و اعتدال الهواء فيها أغمضنا عنها.

(٩٨) سورة البينه مدنيه و هى ثمان آيات (٨)

[سورة البينه (٩٨): الآيات ١ الى ٨]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صِدْقًا مُطَهَّرًا (٢) فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ (٣) وَ مَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ (٤) وَ مَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَ يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَ ذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)

ص: ٣٣٥

(١-١) تضمخ بالطيب تلتخ به.

تسجل السوره رساله محمد ص لعامه أهل الكتاب و المشركين و بعباره أخرى للملئين و غيرهم و هم عامه البشر فتفيد عموم الرساله و أنها مما كانت تقتضيه السنه الإلهيه -سنه الهدايه- التي تشير إليها أمثال قوله تعالى: «إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا»: الإنسان: ٣، و قوله: «وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ»: فاطر: ٢٤، و تحتج على عموم دعوته (ص) بأنها لا تتضمن إلا ما يصلح المجتمع الإنساني من الاعتقاد و العمل على ما سيتضح إن شاء الله.

و السوره تحتل المكيه و المدنيه و إن كان سياقها بالمدينه أشبه.

قوله تعالى: «لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ» ظاهر الآيات -وهي في سياق يشير إلى قيام الحججه على الذين كفروا بالدعوه الإسلاميه من أهل الكتاب و المشركين و على الذين أتوا الكتاب حينما بدا فيهم الاختلاف- أن المراد هو الإشاره إلى أن الرسول ص من مصاديق الحججه البينه القائمه على الناس التي تقتضى قيامها السنه الإلهيه الجاربه في عباده فقد كانت توجب مجيء البينه إليهم كما أوجبه من قبل ما تفرقوا في دينهم.

و على هذا فالمراد بالذين كفروا في الآيه هم الكافرون بالدعوه النبويه الإسلاميه من أهل الكتاب و المشركين، و «مِنْ» في قوله: «مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» للتبعيض لا للتبيين، و قوله:

«وَالْمُشْرِكِينَ» عطف على «أَهْلِ الْكِتَابِ» و المراد بهم غير أهل الكتاب من عبده الأصنام و غيرهم.

وقوله: «مُنْفَكِينَ» من الانفكاك وهو الانفصال عن شدة اتصال، والمراد به-على ما يستفاد من قوله: «حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْمَيِّنَةُ»- انفكاكهم عما تقتضى سنه الهدايه و البيان كان السنه الإلهيه كانت قد أخذتهم و لم تكن تتركهم حتى تأتيهم البيئه و لما أتتهم البيئه تركتهم و شأنهم كما قال تعالى: (وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ) :التوبه: ١١٥.

وقوله: «حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ» على ظاهره من الاستقبال و البيئه هى الحجه الظاهره و المعنى لم يكن الذين كفروا برسالة النبى ص أو بدعوته أو بالقرآن لينفكوا حتى تأتيهم البيئه و البيئه هى محمد ص.

و للقوم اختلاف عجيب فى تفسير الآيه و معانى مفرداتها حتى قال بعضهم-على ما نقل:- إن الآيه من أصعب الآيات القرآنيه نظما و تفسيرا. انتهى، و الذى أوردناه من المعنى هو الذى يلائمه سياقها من غير تناقض بين الآيات و تدافع بين الجمل و المفردات، و من أراد الاطلاع على تفصيل ما قيل و يقال فعليه أن يراجع المطولات.

قوله تعالى: «رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ» بيان للبيئه و المراد به محمد رسول الله ص قطعاً على ما يعطيه السياق.

و الصحف جمع صحيفه و هى ما يكتب فيها، و المراد بها أجزاء القرآن النازل و قد تكرر فى كلامه تعالى إطلاق الصحف على أجزاء الكتب السماويه و منها القرآن الكريم قال تعالى: «فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ» :عبس: ١٦.

و المراد بكون الصحف مطهره تقدسها من قذاره الباطل بمس الشياطين، و قد تكرر منه تعالى أنه حق مصون من مداخله الشياطين و قال: «لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» :الواقعه: ٧٩.

وقوله: «فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ» الكتب جمع كتاب و معناه المكتوب و يطلق على اللوح و القرطاس و نحوهما المنقوشه فيها الألفاظ و على نفس الألفاظ التى تحكى عنها النقوش، و ربما يطلق على المعانى بما أنها محكيه بالألفاظ، و يطلق أيضا على الحكم و القضاء يقال كتب عليه كذا أى قضى أن يفعل كذا قال تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ» :البقره: ١٨٣ و قال: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ» :البقره: ٢١٦.

و الظاهر أن المراد بالكتب التى فى الصحف الأحكام و القضايا الإلهيه المتعلقة بالاعتقاد

و العمل، و من الدليل عليه توصيفها بالقيامه فإنها من القيام بالشيء بمعنى حفظه و مراعاة مصلحته و ضمان سعادته قال تعالى: «أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكِ الدِّينُ الْقَيِّمُ» يوسف: ٤٠، و معلوم أن الصحف السماويه إنما تقوم بأمر المجتمع الإنساني و تحفظ مصلحته بما فيها من الأحكام و القضايا المتعلقة بالاعتقاد و العمل.

فمعنى الآيتين: الحجة البينه التي أتتهم رسول من الله يقرأ صحائف سماويه مطهره من دنس الباطل في تلك الصحائف أحكام و قضايا قائمه بأمر المجتمع الإنساني حافظه لمصالحه.

قوله تعالى: «وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ» كانت الآيه الأولى «لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» إلخ تشير إلى كفرهم بالنبي ص و كتابه المتضمن للدعوه الحقه و هذه الآيه تشير إلى اختلافهم السابق على الدعوه الإسلاميه و قد أشير إلى ذلك في مواضع من القرآن الكريم كما قال تعالى: «وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ» آل عمران: ١٩ إلى غير ذلك من الآيات.

و مجيء البينه لهم هو البيان النبوي الذي تبين لهم في كتابهم أو أوضحه لهم أنبياءهم قال تعالى: «وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَ لِتُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ اللَّهُ هُوَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ» الزخرف: ٦٥.

فإن قلت: ما باله تعرض لاختلاف أهل الكتاب و تفرقهم في مذاهبهم و لم يتعرض لتفرق المشركين و إعراضهم عن دين التوحيد و إنكارهم الرساله.

قلت: لا- يبعد أن يكون قوله: «وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» إلخ شاملا للمشركين كما هو شامل لأهل الكتاب فقد بدل أهل الكتاب- و هم في عرف القرآن اليهود و النصارى و الصابئون و المجوس أو اليهود و النصارى- من الذين أوتوا الكتاب، و التعبيران متغايران، و قد صرح تعالى بأنه أنزل الكتاب- و هو الشريعه المفروضه عليهم الحاكمه في اختلافاتهم في أمور الحياه- أول ما بدا الاختلافات الحيويه بينهم ثم اختلفوا في الدين بعد تبين الحق لهم و قيام الحجة عليهم فعامه البشر آتاهم الله كتابا ثم اختلفوا فيه فمنهم من نسي ما أوتيته، و منهم من أخذ به محرفا و منهم من حفظه و آمن به، قال تعالى: «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفوا فيه وَ مَا اختلف فيه إِلَّا الَّذِينَ أوتوه

مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ» البقرة: ٢١٣ و قد مر تفسير الآيه.

و فى هذا المعنى قوله تعالى: «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَى أَنْ قَالَ -X- وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَّ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَ لَكِنْ اِخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ» البقرة: ٢٥٣.

و بالجمله فالذين أوتوا الكتاب أعم من أهل الكتاب فقوله: «وَ مَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» إلخ يشمل المشركين كما يشمل أهل الكتاب.

قوله تعالى: «وَ مَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً» إلخ ضمير «أُمِرُوا» للذين كفروا من أهل الكتاب و المشركين أى لم يتضمن رساله الرسول ص و الكتب القيمه التى فى صحف الوحى إلا أمرهم بعباده الله تعالى بقيد الإخلاص فى الدين فلا يشركوا به شيئا.

و قوله: «حُنَفَاءً» حال من ضمير الجمع و هو جمع حنيف من الحنف و هو الميل عن جانبي الإفراط و التفريط إلى حاق وسط الاعتدال و قد سمي الله تعالى الإسلام دينا حنيفا لأنه يأمر فى جميع الأمور بلزوم الاعتدال و التحرز عن الإفراط و تفريط.

و قوله: «وَ يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكَاةَ» من قبيل ذكر الخاص بعد العام أو الجزء بعد الكل اهتماما بأمره فالصلاه و الزكاه على أركان الإسلام و هما التوجه العبودى الخاص إلى الله و إنفاق المال فى الله.

و قوله: «وَ ذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ» أى دين الكتب القيمه على ما فسروا، و المراد بالكتب القيمه إن كان جميع الكتب السماويه أعنى كتاب نوح و من دونه من الأنبياء (ع) فالمعنى أن هذا الذى أمروا به و دعوا إليه فى الدعوه المحمديه هو الدين الذى كلفوا به فى كتبهم القيمه و ليس بأمر بدع فدين الله واحد و عليهم أن يدينوا به لأنه القيم.

و إن كان المراد به ما كان يتلوه النبى ص من الكتب القيمه التى فى الصحف المطهره فالمعنى أنهم لم يؤمروا فى الدعوه الإسلاميه إلا بأحكام و قضايا هى القيمه الحافظه لمصالح المجتمع الإنسانى فلا يسعهم إلا أن يؤمنوا بها و يتدينوا.

فالآيه على أى حال تشير إلى كون دين التوحيد الذى يتضمنه القرآن الكريم المصدق لما بين يديه من الكتاب و المهيمن (١) عليه فيما يأمر المجتمع البشرى قائما بأمرهم حافظا

ص: ٣٣٩

لمصالح حياتهم كما بيّنه بأوفى البيان قوله تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ»: الروم: ٣٠.

و بهذه الآيه يكمل بيان عموم رساله النبي ص و شمول الدعوه الإسلاميه لعامه البشر فقوله: «لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِينَ» إلخ يشير إلى أنه كان من الواجب فى سنه الهدايه الإلهيه أن تتم الحججه على من كفر بالدعوه من أهل الكتاب و المشركين، و هؤلاء و إن كانوا بعض أهل الكتاب و المشركين لكن من الضرورى أن لا فرق بين البعض و البعض فى تعلق الدعوه فتعلقها بالبعض لا ينفك عن تعلقها بالكل.

و قوله: «رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ» إلخ يشير إلى أن تلك البينه محمد ص، و قوله «وَمَا تَفَرَّقَ» إلخ يشير إلى أن تفرقهم و كفرهم السابق بالحق أيضا كان بعد مجيء البينه.

و قوله: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهَ» إلخ يفيد أن الذى دعوا إليه و أمروا به دين قيم حافظ لمصالح المجتمع البشرى فعليهم جميعا أن يؤمنوا به و لا يكفروا.

قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ» لما فرغ من الإشاره إلى كفرهم بالبينه التى كانت توجهها سنه الهدايه الإلهيه و ما كانت تدعو إليه من الدين القيم أخذ فى الإنذار و التبشير بوعيد الكفار و وعد المؤمنين، و البريه الخلق، و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» فيه قصر الخيره فى المؤمنين الصالحين كما أن فى الآيه السابقه قصر الشريه فى الكفار.

قوله تعالى: «جَزَاءُ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ - إلى قوله - ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ» العدن الاستقرار و الثبات فجنات عدن جنات خلود و دوام و توصيفها بقوله: «خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا» تأكيد بما يدل عليه الاسم.

و قوله: «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» الرضى منه تعالى صفه فعل و مصداقه الثواب الذى أعطاهموه جزاء لإيمانهم و عملهم الصالح.

و قوله: «ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ» علامه مضروبه لسعاده الدار الآخره و قد قال تعالى:

«إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»: فاطر: ٢٨ فالعلم بالله يستتبع الخشيه منه، و الخشيه منه تستتبع الإيمان به بمعنى الالتزام القلبى بربوبيته و ألوهيته ثم العمل الصالح.

و اعلم أن لهم فى تفسير مفردات هذه الآيات اختلافا شديدا و أقوالا كثيره لا جدوى فى التعرض لها من أراد الوقوف عليها فليراجع المطولات.

فى تفسير القمى، فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر (ع) قال*: البينه محمد رسول الله ص.

وفى الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن عائشه قالت*: قلت: يا رسول الله من أكرم الخلق على الله؟ قال: يا عائشه أ ما تقرئين؟ «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ - أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ»؟

وفيه، أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال*: كنا عند النبي ص فأقبل على - فقال النبي ص: والذى نفسى بيده - إن هذا و شيعته لهم الفائزون يوم القيامة - ونزلت «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ - أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» فكان أصحاب النبي ص إذا أقبل على قالوا: جاء خير البريه.

أقول: و روى هذا المعنى أيضا عن ابن عدى عن ابن عباس، و أيضا عن ابن مردويه عن على (ع) و رواه أيضا فى البرهان، عن الموفق بن أحمد فى كتاب المناقب عن يزيد بن شراحيل الأنصارى كاتب على عنه، و كذا فى المجمع، عن كتاب شواهد التنزيل للحاكم عن يزيد بن شراحيل عنه، و لفظه: سمعت عليا يقول: قبض رسول الله ص - و أنا مسنده إلى صدرى فقال: يا على ألم تسمع قول الله: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ - أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» هم شيعتك و موعدى و موعدكم الحوض - إذا اجتمع الأمم للحساب يدعون غرا محجلين.

و فى المجمع، عن مقاتل بن سليمان عن الضحاک عن ابن عباس* فى قوله: «هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» قال: نزلت فى على و أهل بيته.

(٩٩) سورة الزلزال مدنيه و هى ثمان آيات (٨)

[سورة الزلزاله (٩٩): الآيات ١ الى ٨]

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَ قَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)

ص: ٣٤١

ذكر للقيامه و صدور الناس للجزاء و إشاره إلى بعض أشراتها و هى زلزاله الأرض و تحديثها أخبارها. و السوره تحتمل المكيه و المدنيه.

قوله تعالى: «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا» الزلزال مصدر كالزلزله، و إضافته إلى ضمير الأرض تفيد الاختصاص، و المعنى إذا زلزلت الأرض زلزلتها الخاصه بها فتفيد التعظيم و التفخيم أى أنها منتهيه فى الشده و الهول.

قوله تعالى: «وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» الأثقال جمع ثقل بفتحتين بمعنى المتاع أو خصوص متاع المسافر أو جمع ثقل بالكسر فالسكون بمعنى الحمل، و على أى حال المراد بأثقالها التى تخرجها، الموتى على ما قيل أو الكنوز و المعادن التى فى بطنها أو الجميع و لكل قائل و أول الوجوه أقربها ثم الثالث لتكون الآيه إشاره إلى خروجهم للحساب، و قوله: «يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ» إشاره إلى انصرافهم إلى الجزاء.

قوله تعالى: «وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا» أى يقول مدهوشا متعجبا من تلك الزلزاله الشديده الهائله: ما للأرض تتزلزل هذا الزلزال، و قيل: المراد بالإنسان الكافر غير المؤمن بالبعث، و قيل غير ذلك كما سيجىء.

قوله تعالى: «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا» فتشهد على أعمال بنى آدم كما تشهد بها أعضاؤهم و كتاب الأعمال من الملائكه و شهداء الأعمال من البشر و غيرهم.

و قوله: «بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا» اللام بمعنى إلى لأن الإيحاء يتعدى إلى والمعنى تحدث أخبارها بسبب أن ربك أوحى إليها أن تحدث فهى شاعره بما يقع فيها من الأعمال خيرا و شرها متحمله لها يؤذن لها يوم القيامه بالوحى أن تحدث أخبارها و تشهد بما تحملت، و قد تقدم فى تفسير قوله تعالى: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ»: إسرائ: ٤٤، و قوله: «قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ» حم السجده: ٢١ أن المستفاد من كلامه سبحانه أن الحياه و الشعور ساريان فى الأشياء

و إن كنا فى غفله من ذلك.

و قد اشدت الخلاف بينهم فى معنى تحديث الأرض بالوحى أ هو بإعطاء الحياه و الشعور للأرض الميتة حتى تخبر بما وقع فيها أو بخلق صوت عندها و عد ذلك تكلمنا منها أو دلالتها بلسان الحال بما وقع فيها من الأعمال، و لا محل لهذا الاختلاف بعد ما سمعت و لا أن الحجة تتم على أحد بهذا النوع من الشهاده.

قوله تعالى: «يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ» الصدور انصراف الإبل عن الماء بعد وروده، و أشتات كشتى جمع شتيت بمعنى المتفرق، و الآيه جواب بعد جواب لإذا.

و المراد بصدور الناس متفرقين يومئذ انصرافهم عن الموقف إلى منازلهم فى الجنة و النار و أهل السعاده و الفلاح منهم متميزون من أهل الشقاء و الهلاك، و إراءتهم أعمالهم إراءتهم جزء أعمالهم بالحلول فيه أو مشاهدتهم نفس أعمالهم بناء على تجسم الأعمال.

و قيل: المراد به خروجهم من قبورهم إلى الموقف متفرقين متميزين بسواد الوجوه و بياضها و بالفزع و الأمن و غير ذلك لإعلامهم جزاء أعمالهم بالحساب و التعبير عن العلم بالجزاء بالرؤيه و عن الاعلام بالإراءه نظير ما فى قوله تعالى: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا و مَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ»: آل عمران: ٣٠، و الوجه الأول أقرب و أوضح.

قوله تعالى: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ و مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» الميثقال ما يوزن به الأثقال، و الذره ما يرى فى شعاع الشمس من الهباء، و تقال لصغار النمل.

تفريع على ما تقدم من إراءتهم أعمالهم، فيه تأكيد البيان فى أنه لا يستثنى من الإراءه عمل خيرا أو شرا كبيرا أو صغيرا حتى ميثقال الذره من خير أو شر، و بيان حال كل من عمل الخير و الشر فى جملة مستقلة لغرض إعطاء الضابط و ضرب القاعده.

و لا منافاه بين ما تدل عليه الآياتان من العموم و بين الآيات الداله على حبط الأعمال، و الداله على انتقال أعمال الخير و الشر من نفس إلى نفس كحسنتات القاتل إلى المقتول و سيئات المقتول إلى القاتل، و الداله على تبديل السيئات حسنتات فى بعض التائبين إلى غير ذلك مما تقدمت الإشاره إليه فى بحث الأعمال فى الجزء الثانى من الكتاب و كذا فى تفسير قوله: «لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ» X الآيه X: الأنفال: ٣٧.

و ذلك لأن الآيات المذكوره حاكمه على هاتين الآيتين فإن من حبط عمله الخير محكوم بأنه لم يعمل خيرا فلا عمل له خيرا حتى يراه و على هذا القياس فى غيره فافهم.

فى الدر المنثور، أخرج ابن مردويه و البيهقى فى شعب الإيمان عن أنس بن مالك أن رسول الله ص قال*: إن الأرض لتخبر يوم القيامة-بكل ما عمل على ظهرها-و قرأ رسول الله ص « إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا » حتى بلغ « يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا » قال أ تدرؤن ما أخبارها؟ جاءنى جبريل قال: خبرها إذا كان يوم القيامة أخبرت بكل عمل عمل على ظهرها:.

أقول: و روى مثله عن أبى هريره .

و فيه، أخرج الحسين بن سفيان فى مسنده و أبو نعيم فى الحليه عن شداد بن أوس قال*:

سمعت رسول الله ص يقول:.

أيها الناس إن الدنيا عرض حاضر- يأكل منه البر و الفاجر، و إن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر- يحق فيها الحق و يبطل الباطل.

أيها الناس كونوا من أبناء الآخرة- و لا تكونوا من أبناء الدنيا- فإن كل أم يتبعها ولدها- اعملوا و أنتم من الله على حذر، و اعلموا أنكم معروضون على أعمالكم- و أنكم ملاقوا الله لا بد منه- فمن يعمل مثقال ذره خيرا يره- و من يعمل مثقال ذره شرا يره.

و فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: « وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا » قال: من الناس- « وَ قَالَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَىٰ أَهْلًا » قال: ذلك أمير المؤمنين (ع) « يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا »- إلى قوله- أَثْقَاتًا « قال: يجيئون أشقاتا مؤمنين و كافرين و منافقين « لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ » قال: يقفون على ما فعلوه.

و فيه، فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر (ع): فى قوله: « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ » يقول: إن كان من أهل النار- قد عمل مثقال ذره فى الدنيا خيرا (كان عليه ظ) يوم القيامة حسره- إن كان عمله لغير الله « وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » يقول: إن كان من أهل الجنة- رأى ذلك الشر يوم القيامة ثم غفر له.

(١٠٠) سورة العاديات مدنيه و هى إحدى عشره آيه (١١)

[سورة العاديات (١٠٠): الآيات ١ الى ١١]

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَنْزَنَ بِهِ نَفْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَ إِنَّهُ عَلَىٰ ذِكْرِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَ فَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَ حُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (١١)

تذكر السوره كفران الإنسان لنعم ربه و حبه الشديد للخير عن علم منه به و هو حجه عليه و سيحاسب على ذلك.

و السوره مدنيه بشهاده ما فى صدرها من الإقسام بمثل قوله: «وَ الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا» إلخ الظاهر فى خيل الغزاه المجاهدين على ما سيجىء، و إنما شرع الجهاد بعد الهجره و يؤيد ذلك ما ورد من طرق الشيعة عن أئمه أهل البيت(ع) أن السوره نزلت فى على (ع) و سريره فى غزوه ذات السلاسل، و يؤيده أيضا بعض الروايات من طرق أهل السنه على ما سنشير إليه فى البحث الروائى التالى إن شاء الله.

قوله تعالى: «وَ الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا» العاديات من العدو و هو الجرى بسرعه و الضبح صوت أنفاس الخيل عند عدوها و هو المعهود المعروف من الخيل و إن ادعى أنه يعرض لكثير من الحيوان غيرها، و المعنى أقسم بالخيل اللاتى يعدون يضبحن ضبحا.

و قيل: المراد بها إبل الحاج فى ارتفاعها بركبانها من الجمع إلى منى يوم النحر، و قيل:

إبل الغزاه، و ما فى الآيات التالیه من الصفات لا يلائم كون الإبل هو المراد بالعاديات.

قوله تعالى: «فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا» الإيراء إخراج النار و القدح الضرب و الصكك المعروف يقال: قدح فأورى إذا أخرج النار بالقدح، و المراد بها الخيل تخرج النار بحوافرها إذا عدت على الحجاره و الأرض المحصبه.

و قيل: المراد بالإيراء مكر الرجال فى الحرب، و قيل: إيقادهم النار، و قيل:

الموريات ألسنه الرجال تورى النار من عظيم ما تتكلم به، و هى وجوه ظاهره الضعف.

قوله تعالى: «فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا» الإغاره و الغاره الهجوم على العدو بغته بالخيل و هى

صفه أصحاب الخيل و نسبتها إلى الخيل مجاز، و المعنى فأقسم بالخيل الهاجمات على العدو بغته في وقت الصبح.

و قيل: المراد بها الآبال ترتفع بركبانها يوم النحر من جمع إلى منى و السنه أن لا ترتفع حتى تصبح، و الإغاره سرعه السير و هو خلاف ظاهر الإغاره.

قوله تعالى: «فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا» أثرن من الإثارة بمعنى تهيج الغبار و نحوه، و النقع الغبار، و المعنى فهيجن بالعدو و الإغاره غبارا.

قيل: لا- بأس بعطف «فَأَثَرُنَ» و هو فعل على ما قبله و هو صفه لأنه اسم فاعل و هو فى معنى الفعل كأنه قيل: أقسم بالللاتى عدون فأورين فأغرن فأثرن.

قوله تعالى: «فَوَسَّطَنَ بِهِ جَمْعًا» وسط و توسط بمعنى، و ضمير «بِهِ» للصبح و الباء بمعنى فى أو الضمير للنقع و الباء للملابسه.

و المعنى فصرن فى وقت الصبح فى وسط جمع و المراد به كتيبه العدو أو المعنى فتوسطن جمعا ملابسين للنقع.

و قيل: المراد توسط الآبال جمع منى و أنت خبير بأن حمل الآيات الخمس بما لمفرداتها من ظواهر المعانى على إبل الحاج الذين يفيضون من جمع إلى منى خلاف ظاهرها جدا.

فالمتعين حملها على خيل الغزاه و سياق الآيات و خاصه قوله: «فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا» «فَوَسَّطَنَ بِهِ جَمْعًا» يعطى أنها غزاه بعينها أقسم الله فيها بخيل المجاهدين العاديات و الفاء فى الآيات الأربع تدل على ترتب كل منها على ما قبلها.

قوله تعالى: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ» الكنود الكفور، و الآيه كقوله: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ»: الحج: ٦٦، و هو إخبار عما فى طبع الإنسان من اتباع الهوى و الانكباب على عرض الدنيا و الانقطاع به عن شكر ربه على ما أنعم عليه.

و فيه تعريض للقوم المغار عليهم، و كان المراد بكفرانهم كفرانهم بنعمه الإسلام التى أنعم الله بها عليهم و هى أعظم نعمه أو توها فيها طيب حياتهم الدنيا و سعاده حياتهم الأبدية الأخرى.

قوله تعالى: «وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ» ظاهر اتساق الضمائر أن يكون ضمير «وَإِنَّهُ» للإنسان فيكون المراد بكونه شهيدا على كفران نفسه بكفران نفسه علمه المذموم و تحمله له.

فالمعنى و إن الإنسان على كفرانه بربه شاهد متحمل فالآيه فى معنى قوله: «بَلْ

الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ: القيامة: ١٤.

و قيل: الضمير لله و اتساق الضمائر لا يلائمه.

قوله تعالى: « وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ » قيل: اللام في « لِحُبِّ الْخَيْرِ » للتعليل و الخير المال، و المعنى و إن الإنسان لأجل حب المال لشديد أى بخيل شحيح، و قيل: المراد أن الإنسان لشديد الحب للمال و يدعو ذلك إلى الامتناع من إعطاء حق الله، و الإنفاق في الله. كذا فسروا.

و لا- يبعد أن يكون المراد بالخير مطلقه و يكون المراد أن حب الخير فطرى للإنسان ثم إنه يرى عرض الدنيا و زينتها خيرا فتجذب إليه نفسه و ينسبه ذلك ربه أن يشكره.

قوله تعالى: « أَ فَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ -إلى قوله- لَخَبِيرٌ » البعثره كالبحثره البعث و النشر، و تحصيل ما فى الصدور تمييز ما فى باطن النفوس من صفه الإيمان و الكفر و رسم الحسنه و السيئه قال تعالى: « يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ »: الطارق: ٩، و قيل: هو إظهار ما أخفته الصدور لتجازى على السر كما تجازى على العلانيه.

و قوله: « أَ فَلَا يَعْلَمُ » الاستفهام فيه للإنكار، و مفعول يعلم جملة قائمه مقام المفعولين يدل عليه المقام. ثم استؤنف فقيل: إذا بعثر ما فى القبور إلخ تأكيداً للإنكار، و المراد بما فى القبور الأبدان.

و المعنى- و الله أعلم-أ فلا يعلم الإنسان أن لكنوده و كفرانه بربه تبعه ستلحقه و يجازى بها، إذا أخرج ما فى القبور من الأبدان و حصل و ميز ما فى سرائر النفوس من الإيمان و الكفر و الطاعه و المعصيه إن ربهم بهم يومئذ لخبير فيجازيهم بما فيها.

بحث روائى

فى المجمع، قيل: "بعث رسول الله ص سريه إلى حى من كنانه-فاستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصارى أحد النقباء-فتأخر رجوعهم فقال المنافقون:قتلوا جميعا-فأخبر الله تعالى عنها بقوله:« وَ الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا »: عن مقاتل.

و قيل: نزلت السوره لما بعث النبى ص عليا(ع)-إلى ذات السلاسل فأوقع بهم- و ذلك بعد أن بعث عليهم مرارا غيره من الصحابه-فرجع كل منهم إلى رسول الله ص:.

و هو المروى عن أبى عبد الله(ع)فى حديث طويل .

قال: وسميت هذه الغزوه ذات السلاسل لأنه أسر منهم و قتل و سبي و شد أسراؤهم في الحبال مكتفين كأنهم في السلاسل.

و لما نزلت السوره خرج رسول الله ص إلى الناس فصلى بهم الغداه و قرأ فيها « وَالْعَادِيَاتِ » فلما فرغ من صلاته قال أصحابه: هذه سوره لم نعرفها- فقال رسول الله ص: نعم إن عليا ظفر بأعداء الله- و بشرني بذلك جبريل في هذه الليله- فقدم على (ع) بعد أيام بالغنائم و الأسارى.

(١٠١) سوره القارعه مكيه و هي إحدى عشره آيه (١١)

[سوره القارعه (١٠١): الآيات ١ الى ١١]

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشِهِ رَاغِبٍ (٧) وَ أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَذْرَاكَ مَا هِيَةٌ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١)

بيان

إنذار و تبشير بالقيامه يغلب فيه جانب الإنذار، و السوره مكيه.

قوله تعالى: « الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ » مبتدأ و خبره، و القارعه من القرع و هو الضرب باعتماد شديد، و هي من أسماء القيامه في القرآن. قيل: سميت بها لأنها تقرع القلوب بالفزع و تقرع أعداء الله بالعذاب.

و السؤال عن حقيقه القارعه في قوله: « مَا الْقَارِعَةُ » مع كونها معلومه إشاره إلى تعظيم أمرها و تفخيمه و أنها لا تكتنه علما، و قد أكد هذا التعظيم و التفخيم بقوله بعد:

« وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ».

قوله تعالى: «يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ» ظرف متعلق بفعل مقدر نحو اذكر و تفرع و تأتي، و الفراش على ما نقل عن الفراء الجراد الذى ينفرش و يركب بعضه بعضا و هو غوغاء الجراد. قيل: شبه الناس عند البعث بالفراش لأن الفراش إذا ثار لم يتجه إلى جهة واحده كسائر الطير و كذلك الناس إذا خرجوا من قبورهم أحاط بهم الفزع فتوجهوا جهات شتى أو توجهوا إلى منازلهم المختلفه سعادته و شقاءه. و المبعوث من البث و هو التفريق.

قوله تعالى: «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» العهن الصوف ذو ألوان مختلفه، و المنفوش من النفش و هو نشر الصوف بندق و نحوه فالعهن المنفوش الصوف المنتشر ذو ألوان مختلفه إشاره إلى تلاشى الجبال على اختلاف ألوانها بزلزله الساعه.

قوله تعالى: «فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عَيْشِهِ رَاضِيًا» إشاره إلى وزن الأعمال و أن الأعمال منها ما هو ثقيل فى الميزان و هو ما له قدر و منزله عند الله و هو الإيمان و أنواع الطاعات، و منها ما ليس كذلك و هو الكفر و أنواع المعاصى و يختلف القسمان أثرا فيستتبع الثقيل السعاده و يستتبع الخفيف الشقاء، و قد تقدم البحث عن معنى الميزان فى تفسير السور السابقه.

و قوله: «فِي عَيْشِهِ رَاضِيًا» العيشه بكسر العين كالجلسه بناء نوع، و توصيفها براضييه - و الراضى صاحبها - من المجاز العقلى أو المعنى فى عيشه ذات رضى.

قوله تعالى: «وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ» الظاهر أن المراد بهاويه جهنم و تسميتها بهاويه لهوى من ألقى فيها أى سقوطه إلى أسفل سافلين قال تعالى: «ثُمَّ رَدَدْنَا هَٰؤُلَاءِ لَأَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا»: التين: ٦.

فتوصيف النار بالهاويه مجاز عقلى كتوصيف العيشه بالراضيه و عد هاويه إما للدخل فيها لكونها مأواه و مرجعه الذى يرجع إليه كما يرجع الولد إلى أمه.

و قيل: المراد بأمه أم رأسه و المعنى فأم رأسه هاويه أى ساقطه فيها لأنهم يلقون فى النار على أم رأسهم، و يعده بقاء الضمير فى قوله: «مَا هِيَ» بلا مرجع ظاهر.

قوله تعالى: «وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ» ضمير هى لهاويه، و الهاء فى «هِيَ» للوقوف و الجملة تفسير تفيد تعظيم أمر النار و تفخيمه.

قوله تعالى: «نَارٌ حَامِيَةٌ» أى حاره شديده الحراره و هو جواب الاستفهام فى «مَا هِيَ» و تفسير لهاويه.

فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» قال: العهن الصوف، و فى قوله:

« وَ أَمَا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ » قال: من الحسنات، و فى قوله: « فَأُمَّهُ هَاوِيَةٌ » قال: أم رأسه، يقذف فى النار على رأسه.

و فى الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن أبى أيوب الأنصارى أن رسول الله ص قال*:

إن نفس المؤمن إذا قبضت-يلقاها أهل الرحمه من عباد الله-كما يلقون البشير من أهل الدنيا فيقولون: انظروا صاحبكم يستريح فإنه كان فى كرب شديد-ثم يسألونه ما فعل فلان و فلانه؟ هل تزوجت؟ فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله فيقول: هيئات قد مات ذاك قبلى فيقولون: إنا لله و إنا إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاويه-فبئست الأم و بئست المرييه:.

أقول: و روى هذا المعنى عن أنس بن مالك و عن الحسن و الأشعث بن عبد الله الأعمى عنه (ص).

(١٠٢) سورة التكاثر مكيه و هى ثمان آيات (٨)

[سورة التكاثر (١٠٢): الآيات ١ الى ٨]

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاقُكُمْ التَّكَاثُرَ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)

بيان

توبيخ شديد للناس على تلهيهم بالتكاثر فى الأموال و الأولاد و الأعضاء و غفلتهم عما وراءه من تبعه الخسران و العذاب، و تهديد بأنهم سوف يعلمون و يرون ذلك و يسألون عن

هذه النعم التي أوتوها ليشكروا فتلوها بها و بدلوا نعمه الله كفرا.

و السوره بما لها من السياق تحتمل المكيه و المدينه، و سيأتي ما ورد في سبب نزولها في البحث الروائي إن شاء الله.

قوله تعالى: «[□]أَلِهَاتِكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ[□]» قال في المفردات:، اللهو ما يشغل الإنسان عما يعنيه و يهمله. قال، و يقال: ألهاه كذا أى شغله عما هو أهم إليه، قال تعالى:

«[□]أَلِهَاتِكُمُ التَّكَاثُرُ[□]» انتهى.

و قال: و المكاثره و التكاثر التبارى في كثره المال و العز، انتهى. و قال: المقبره بكسر الميم و المقبره -بفتحها- موضع القبور و جمعها مقابر، قال تعالى: «[□]حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ[□]» كناية عن الموت، انتهى.

فالمعنى على ما يعطيه السياق شغلكم التكاثر في متاع الدنيا و زينتها و التسابق في تكثير العده و العده عما يهكمم و هو ذكر الله حتى لقيتم الموت فعمتكم الغفله مدى حياتكم.

و قيل: المعنى شغلكم التباهى و التبارى بكثره الرجال بأن يقول هؤلاء: نحن أكثر رجالا، و هؤلاء: نحن أكثر حتى إذا استوعبتم عدد الأحياء صرتم إلى القبور فعددتم الأموات من رجالكم فتكاثرتم بأمواتكم.

و هذا المعنى مبنى على ما ورد في أسباب النزول أن قبيلتين من الأنصار تفاخرتا بالأحياء ثم بالأموات، و في بعضها أن ذلك كان بمكة بين بنى عبد مناف و بنى سهم فنزلت السوره، و سيأتي القصة في البحث الروائي.

قوله تعالى: «[□]كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ[□]» ردع عن اشتغالهم بما لا يههمم عما يعنيههم و تخطئه لهم، و قوله: «[□]سَوْفَ تَعْلَمُونَ[□]» تهديد معناه على ما يفيداه المقام سوف تعلمون تبعه تلهيكم هذا و تعرفونها إذا انقطعتم عن الحياه الدنيا.

قوله تعالى: «[□]ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ[□]» تأكيد للردع و التهديد السابقين، و قيل: المراد بالأول علمهم بها عند الموت و بالثانى علمهم بها عند البعث.

قوله تعالى: «[□]كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ[□]» ردع بعد تأكيدا و اليقين العلم الذى لا يداخله شك و ريب.

و قوله: «[□]لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ[□]» جواب لو محذوف و التقدير لو تعلمون الأمر علم اليقين لشغلكم ما تعلمون عن التباهى و التفاخر بالكثره، و قوله: «[□]لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ[□]» استئناف فى

الكلام، واللام للقسم، والمعنى أقسم لترون الجحيم التي جزاء هذا التلهي كذا فسروا.

قالوا: ولا يجوز أن يكون قوله: «لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ» جواب لو الامتناعيه لأن الرؤيه محقق الوقوع و جوابها لا يكون كذلك.

و هذا مبنى على أن يكون المراد رؤيه الجحيم يوم القيامة كما قال: «وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَىٰ»[□]: النازعات: ٣٦ و هو غير مسلم بل الظاهر أن المراد رؤيتها قبل يوم القيامة رؤيه البصيره و هي رؤيه القلب التي هي من آثار اليقين على ما يشير إليه، قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيُكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»[□]: الأنعام: ٧٥، و قد تقدم الكلام فيها، و هذه الرؤيه القلبيه قبل يوم القيامة غير محققه لهؤلاء المتلهين بل ممتنعه في حقهم لامتناع اليقين عليهم.

قوله تعالى: «ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ»[□] المراد بعين اليقين نفسه، و المعنى لترونها محض اليقين، و هذه بمشاهدتها يوم القيامة، و من الدليل عليه قوله بعد ذلك «ثُمَّ لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ»[□] فالمراد بالرؤيه الأولى رؤيتها قبل يوم القيامة و بالثانيه رؤيتها يوم القيامة. و قيل: الأولى قبل الدخول فيها يوم القيامة و الثانيه إذ دخلوها.

و قيل: الأولى بالمعرفه و الثانيه بالمشاهدته، و قيل: المراد الرؤيه بعد الرؤيه إشاره إلى الاستمرار و الخلود، و قيل غير ذلك و هي وجوه ضعيفه.

قوله تعالى: «ثُمَّ لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ»[□] ظاهر السياق أن هذا الخطاب و كذلك الخطابات المتقدمه في السوره للناس بما أن فيهم من اشتغل بنعمه ربه عن ربه فأنساه التكاثر فيها عن ذكر الله، و ما في السوره من التوبيخ و التهديد متوجه إلى عامه الناس ظاهرا واقع على طائفه خاصه منهم حقيقه و هم الذين ألهاهم التكاثر.

و كذا ظاهر السياق أن المراد بالنعيم مطلقه و هو كل ما يصدق عليه أنه نعمه فالإنسان مسؤل عن كل نعمه أنعم الله بها عليه.

و ذلك أن النعمه-و هي الأمر الذي يلائم المنعم عليه و يتضمن له نوعا من الخير و النفع-إنما تكون نعمه بالنسبه إلى المنعم عليه إذا استعملها بحيث يسعد بها فينتفع و أما لو استعملها على خلاف ذلك كانت نقمه بالنسبه إليه و إن كانت نعمه بالنظر إلى نفسها.

و قد خلق الله تعالى الإنسان و جعل غايه خلقته التي هي سعادته و منتهى كماله التقرب العبودي إليه كما قال: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»[□]: الذاريات ٥٦ و هي

الولاية الإلهية لعبده، وقد هيا الله سبحانه له كل ما يسعد و ينتفع به في سلوكه نحو الغايه التي خلق لها و هي النعم فأسبغ عليه نعمه ظاهره و باطنه.

فاستعمال هذه النعم على نحو يرتضيه الله و ينتهي بالإنسان إلى غايته المطلوبه هو الطريق إلى بلوغ الغايه و هو الطاعه، و استعمالها بالجمود عليها و نسيان ما وراءها غي و ضلال و انقطاع عن الغايه و هو المعصيه، و قد قضى سبحانه قضاء لا يرد و لا يبديل أن يرجع الإنسان إليه فيسأله عن عمله فيحاسبه و يجزيه، و عمله هو استعماله للنعم الإلهيه قال تعالى: «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَ أَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ وَ أَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُتْتَهَىٰ» النجم: ٤٢، فالسؤال عن عمل العبد سؤال عن النعم كيف استعمله أشكر النعمه أم كفر بها.

بحث روائى

في المجمع، قيل: "نزلت في اليهود قالوا: نحن أكثر من بنى فلان، و بنو فلان أكثر من بنى فلان-ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالا": عن قتاده.

و قيل: "نزلت في فخذ من الأنصار تفاخروا": عن أبي بريده، و قيل: "نزلت في حيين من قريش: بنى عبد مناف بن قصي- و بنى سهم بن عمر- و تكاثروا و عدوا أشرفهم- فكثرتهم بنو عبد مناف. ثم قالوا: نعد موتانا حتى زاروا القبور- فعدوهم و قالوا: هذا قبر فلان و هذا قبر فلان- فكثرتهم بنو سهم لأنهم كانوا أكثر عددا في الجاهليه": عن مقاتل و الكلبي.

و في تفسير البرهان، عن البرقي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله (ع) * في قوله تعالى: «لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ» قال: المعايين.

أقول: الروايه تؤيد ما قدمناه من المعنى.

و في تفسير القمى، بإسناده عن جميل عن أبي عبد الله (ع) قال: * قلت له: «لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ» قال: تسأل هذه الأمه عما أنعم الله عليها برسوله- ثم بأهل بيته.

و في الكافي، بإسناده عن أبي خالد الكابلي قال: * دخلت على أبي جعفر (ع) فدعا بالغذاء فأكلت معه طعاما- ما أكلت طعاما أطيب منه قط و لا ألطف- فلما فرغنا من الطعام قال: يا أبا خالد كيف رأيت طعامك؟ أو قال: طعامنا؟ قلت: جعلت فداك

ما أكلت طعاما أطيب منه قط و لا أنظف-و لكن ذكرت الآيه التى فى كتاب الله عز و جل « ثُمَّ لَتَسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ » فقال أبو جعفر(ع):إنما يسألكم عما أنتم عليه من الحق.

و فيه، بإسناده عن أبي حمزه قال: كنا عند أبي عبد الله(ع)جماعه-فدعا بطعام ما لنا عهد بمثله لذاذه و طيبا-و أتينا بتمر تنظر فيه أوجهنا من صفائه و حسنه-فقال رجل:

لتسألن عن هذا النعيم الذى تنعمتم به-عند ابن رسول الله-فقال أبو عبد الله إن الله عز و جل أكرم و أجل-أن يطعم طعاما فيسوغكموه ثم نسألكم عنه-إنما يسألكم عما أنعم عليكم بمحمد و آل محمد ص.

أقول:و هذا المعنى مروى عن أئمة أهل البيت(ع)بطرق أخرى و عبارات مختلفه و فى بعضها أن النعيم ولايتنا أهل البيت،و يثول المعنى إلى ما قدمناه من عموم النعيم لكل نعمه أنعم الله بها بما أنها نعمه.

بيان ذلك أن هذه النعم لو سئل عن شىء منها فليست يسأل عنها بما أنها لحم أو خبز أو تمر أو ماء بارد أو أنها سمع أو بصر أو يد أو رجل مثلا و إنما يسأل عنها بما أنها نعمه خلقها الله للإنسان و أوقعها فى طريق كماله و الحصول على التقرب العبودى كما تقدمت الإشارة إليه و ندبه إلى أن يستعملها شكرا لا كفرا.

فالمسئول عنها هى النعمه بما أنها نعمه،و من المعلوم أن الدال على نعيمه النعيم و كيفية استعماله شكرا و المبين لذلك كله هو الدين الذى جاء به النبى ص و نصب لبيانه الأئمة من أهل بيته فالسؤال عن النعيم مرجعه السؤال عن العمل بالدين فى كل حركة و سكون و من المعلوم أيضا أن السؤال عن النعيم الذى هو الدين سؤال عن النبى ص و الأئمة من بعده الذين افترض الله طاعتهم و أوجب اتباعهم فى السلوك إلى الله الذى طريقه استعمال النعم كما بينه الرسول و الأئمة.

و إلى كون السؤال عن النعيم سؤالا عن الدين يشير ما فى روايه أبي خالد من قوله:

«إنما يسألكم عما أنتم عليه من الحق».

و إلى كونه سؤالا عن النعيم الذى هو النبى و أهل بيته يشير ما فى روايتى جميل و أبى حمزه السابقتين من قوله:«يسأل هذه الأئمة عما أنعم الله عليها برسوله ثم بأهل بيته»أو ما فى معناه،

و فى بعض الروايات: «النعيم هو رسول الله ص-أنعم الله به على أهل العالم-

فاستنقذهم من الضلالة» ،

و فى بعضها: أن النعيم ولايتنا أهل البيت ،و المال واحد و من ولايه أهل البيت افتراض طاعتهم و اتباعهم فيما يسلكونه من طريق العبوديه.

و فى المجمع،و قيل:"النعيم الصحه و الفراغ":عن عكرمه،و يعضده ما

رواه ابن عباس عن النبى ص قال: نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس:الصحه و الفراغ.

و فيه،و قيل:" هو يعنى النعيم الأمن و الصحه":عن عبد الله بن مسعود و مجاهد، و روى ذلك عن أبى جعفر و أبى عبد الله(ع) .

أقول:و فى روايات أخرى من طرق أهل السنه أن النعيم هو التمر و الماء البارد و فى بعضها غيرهما،و ينبغى أن يحمل الجميع على إيراد المثال.

و فى الحديث النبوى من طرقهم أيضا: ،ثلاث لا يسأل عنها العبد:خرقه يوارى بها عورته-أو كسره يسد بها جوعته-أو بيت يكنه من الحر و البرد.الحديث ،و ينبغى أن يحمل على خفه الحساب فى الضروريات و نفى المناقشه فيه و الله أعلم.

(١٠٣) سورة العصر مكيه و هى ثلاث آيات(٣)

[سورة العصر (١٠٣): الآيات ١ الى ٣]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ تَوَّصَّوْا بِالْحَقِّ وَ تَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ (٣)

بيان

تخلص السوره جميع المعارف القرآنيه و تجمع شتات مقاصد القرآن فى أوجز بيان، و هى تحتل المكيه و المدنيه لكنها أشبه بالمكيه.

قوله تعالى:« وَ الْعَصْرِ »إقسام بالعصر و الأنسب لما تتضمنه الآيتان التاليتان من شمول الخسران للعالم الإنسانى إلا لمن اتبع الحق و صبر عليه و هم المؤمنون الصالحون عملاء، أن يكون المراد بالعصر عصر النبى ص و هو عصر طلوع الإسلام على المجتمع البشرى و ظهور الحق على الباطل.

و قيل:المراد به وقت العصر و هو الطرف الأخير من النهار لما فيه من الدلاله على

التدبير الربوبى يادبار النهار و إقبال الليل و ذهاب سلطان الشمس، و قيل: المراد به صلاه العصر و هى الصلاه الوسطى التى هى أفضل الفرائض اليومية، و قيل الليل و النهار و يطلق عليهما العصران، و قيل الدهر لما فيه من عجائب الحوادث الداله على قدره الربوبيه و غير ذلك.

و قد ورد فى بعض الروايات أنه عصر ظهور المهدي (ع) لما فيه من تمام ظهور الحق على الباطل.

قوله تعالى: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ» المراد بالإنسان جنسه، و الخسر و الخسران و الخسار و الخساره نقص رأس المال قال الراغب: و ينسب ذلك إلى الإنسان فيقال:

خسر فلان و إلى الفعل فيقال: خسرت تجارتك، انتهى. و التنكير فى «خُسْرٍ» للتعظيم و يحتمل التنويع أى فى نوع من الخسر غير الخسارات المالىه و الجاهيه قال تعالى: «الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ»: الزمر ١٥.

قوله تعالى: «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» استثناء من جنس الإنسان الواقع فى الخسر، و المستثنون هم الأفراد المتلبسون بالإيمان و الأعمال الصالحه فهم آمنون من الخسر.

و ذلك أن كتاب الله يبين أن للإنسان حياه خالده مؤبده لا تنقطع بالموت و إنما الموت انتقال من دار إلى دار كما تقدم فى تفسير قوله تعالى: «عَلَىٰ أَنْ يُدْأَلَ أَمْثَالُكُمْ وَ نُنْشِئْكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ»: الواقعة ٦١، و يبين أن شطرا من هذه الحياه و هى الحياه الدنيا حياه امتحانيه تتعين بها صفه الشطر الأخير الذى هو الحياه الآخره المؤبده من سعادته و شقاء قال تعالى: «وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ»: الرعد ٢٦، و قال: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً»: الأنبياء ٣٥.

و يبين أن مقدميه هذه الحياه لتلك الحياه إنما هى بمظاهرها من الاعتقاد و العمل فالاعتقاد الحق و العمل الصالح ملاك السعاده الأخرويه و الكفر و الفسوق ملاك الشقاء فيها قال تعالى: «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَأُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ»، و قال: «مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نُفْسَ لَهُمْ يَمْهَدُونَ» الروم ٤٤، و قال: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا»: حم السجده ٤٦، و قد سمى الله تعالى ما سيلقاه الإنسان فى الآخره جزاء و أجرا فى آيات كثيره.

و يتبين بذلك كله أن الحياه رأس مال للإنسان يكسب به ما يعيش به فى حياته الآخره فإن اتبع الحق فى العقد و العمل فقد ربحت تجارتك و بورك فى مكسبه و أمن الشر

فى مستقبفه، و إن اتبع الباطل و أعرض عن الإيمان و العمل الصالح فقد خسرت تجارتة و حرم الخير فى عقباه و هو قوله تعالى: «**إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**».

و المراد بالإيمان الإيمان بالله و من الإيمان بالله الإيمان بجميع رسله و الإيمان باليوم الآخر فقد نص تعالى فىمن لم يؤمن ببعض رسله (١) أو باليوم الآخر إنه غير مؤمن بالله.

و ظاهر قوله: «**وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**» التلبس بجميع الأعمال الصالحة فلا- يشمل الاستثناء الفساق بترك بعض الصالحات من المؤمنين و لآزمه أن يكون الخسر أعم من الخسر فى جميع جهات حياته كما فى الكافر المعاند للحق المخلد فى العذاب، و الخسر فى بعض جهات حياته كالمؤمن الفاسق الذى لا يخلد فى النار و ينقطع عنه العذاب بشفاعه و نحوها.

قوله تعالى: «**وَ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**» التواصى بالحق هو أن يوصى بعضهم بعضا بالحق أى باتباعه و الدوام عليه فليس دين الحق إلا- اتباع الحق اعتقادا و عملا و التواصى بالحق أوسع من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر لشموله الاعتقادات و مطلق الترغيب و الحث على العمل الصالح.

ثم التواصى بالحق من العمل الصالح فذكره بعد العمل الصالح من قبيل ذكر الخاص بعد العام اهتماما بأمره كما أن التواصى بالصبر من التواصى بالحق و ذكره بعده من ذكر الخاص بعد العام اهتماما بأمره، و يؤكد تكرار ذكر التواصى حيث قال: «**وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**» و لم يقل: و تواصوا بالحق و الصبر.

و على الجملة ذكر تواصيهم بالحق و بالصبر بعد ذكر تلبسهم بالإيمان و العمل الصالح للإشارة إلى حياه قلوبهم و انشراح صدورهم للإسلام لله فلهم اهتمام خاص و اعتناء تام بظهور سلطان الحق و انبساطه على الناس حتى يتبع و يدوم اتباعه قال تعالى: «**أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**»: الزمر ٢٢.

و قد أطلق الصبر فالمراد به أعم من الصبر على طاعه الله، و الصبر عن معصيته، و الصبر عند النوائب التى تصيبه بقضاء من الله و قدر.

ص: ٣٥٧

فى تفسير القمى، بإسناده عن عبد الرحمن بن كثير عن أبى عبد الله (ع) * فى قوله تعالى: «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا» إلخ، فقال: استثنى أهل صفوته من خلقه.

أقول: و طبق فى ذيل الروايه الإيمان على الإيمان بولايه على (ع)، و التواصى بالحق على توصيتهم ذرياتهم و أخلافهم بها.

و فى الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس " فى قوله: «و الْعَصِيرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ» يعنى أبا جهل بن هشام «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» ذكر عليا و سلمان.

(١٠٤) سورة الهمزة مكيه و هى تسع آيات (٩)

[سورة الهمزة (١٠٤): الآيات ١ الى ٩]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا - وَ عِدَدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَمَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُنْبِتَنَّ فِي الْأُخْطَمِ (٤) وَ مِمَّا أَذْرَاكَ مَا الْأُخْطَمُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (٩)

بيان

وعيد شديد للمغرمين بجمع المال المستعلين به على الناس المستكبرين عليهم فيزرون بهم و يعيونهم بما ليس بعيب، و السوره مكيه.

قوله تعالى: «وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ» قال فى المجمع: الهمزة الكثير الطعن على غيره بغير حق العائب له بما ليس بعيب، و أصل الهمز الكسر. قال: و اللمز العيب أيضا و الهمزه و اللمزه بمعنى، و قد قيل: بينهما فرق فإن الهمزه الذى يعيبك بظهر الغيب، و اللمزه الذى يعيبك فى وجهك. عن الليث.

و قيل: الهمزه الذى يؤذى جلسه بسوء لفظه، و اللمزه الذى يكسر عينه على جلسه

و يشير برأسه و يومئ بعينه.قال:وفعله بناء المبالغه فى صفه من يكثر منه الفعل و يصير عاده له تقول:رجل نكحه كثير النكاح و ضحكه كثير الضحك و كذا همزه و لمزه انتهى.

فالمعنى ويل لكل عياب مغتاب،و فسر بمعان آخر على حسب اختلافهم فى تفسير الهمزه و اللمزه.

قوله تعالى:«الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ»بيان لهمزه لمزه و تنكير «مَالًا» للتحقير فإن المال و إن كثر ما كثر لا يغنى عن صاحبه شيئاً غير أن له منه ما يصرفه فى حوائج نفسه الطبيعى من أكله تشبعه و شربه ماء ترويه و نحو ذلك و «عَدَّدَهُ» من العد بمعنى الإحصاء أى أنه لجه المال و شغفه بجمعه يجمع المال و يعده عدا بعد عد التذاذا بتكثره.وقيل:المعنى جعله عده و ذخرا لنوائب الدهر.

و قوله:«يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ»أى يخلده فى الدنيا و يدفع عنه الموت و الفناء فالماضى أريد به المستقبل بقريته قوله:«يَحْسَبُ».

فهذا الإنسان لإخلاقه إلى الأرض و انغماره فى طول الأمل لا يقنع من المال بما يرتفع به حوائج حياته القصيره و ضروريات أيامه المعدوده بل كلما زاد مالا- زاد حرصا إلى ما لا نهايه له فظاهر حاله أنه يرى أن المال يخلده،و لجه الغريزى للبقاء يهتم بجمعه و تعديده، و دغاه ما جمعه و عدده من المال و ما شاهده من الاستغناء إلى الطغيان و الاستعلاء على غيره من الناس كما قال تعالى:«إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ»العلق ٧،و يورثه هذا الاستكبار و التعدى الهمز و اللمز.

و من هنا يظهر أن قوله:«يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ»بمنزله التعليل لقوله:«الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ»، و قوله:«الَّذِي جَمَعَ»إلخ بمنزله التعليل لقوله:«وَيُلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ».

قوله تعالى:«كَلَّا- لِيُنَبِّئَنَّ فِي الْحُطَمَةِ»ردع عن حسابانه الخلود بالمال،و اللام فى «لِيُنَبِّئَنَّ»للقسم،و النبذ القذف و الطرح،و الحطمه مبالغه من الحطم و هو الكسر و جاء بمعنى الأكل،و هى من أسماء جهنم على ما يفسرها قوله الآتى:«نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ».

و المعنى ليس مخلدا بالمال كما يحسب أقسم ليموتن و يقذفن فى الحطمه.

قوله تعالى:«وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ»تفخيم و تهويل.

قوله تعالى:«نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفِتَّةِ» إيقاد النار إشعالها و الاطلاع و الطلوع على الشىء الإشراف و الظهور،و الأفئدة جمع فؤاد و هو القلب،و المراد به فى

القرآن مبدأ الشعور و الفكر من الإنسان و هو النفس الإنسانيه.

و كان المراد من اطلاعها على الأفتدنه أنها تحرق باطن الإنسان كما تحرق ظاهره بخلاف النار الدنيويه التي إنما تحرق الظاهر فقط قال تعالى: «وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ» البقره ٢٤.

قوله تعالى: «إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ» أى مطبقه لا مخرج لهم منها و لا منجاء.

قوله تعالى: «فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ» العمد بفتحيتين جمع عمود و التمديد مبالغه فى المد قيل:هى أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار، و قيل:عمد ممدده يوثقون فيها مثل المقاطر و هى خشب أو جذوع كبار فيها خروق توضع فيها أرجل المحبوسين من اللصوص و غيرهم، و قيل غير ذلك.

بحث روائى

فى روح المعانى، "فى قوله تعالى: «وَيَلُّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ» نزل ذلك على ما أخرج ابن أبى حاتم-من طريق ابن إسحاق عن عثمان بن عمر فى أبى بن خلف، و على ما أخرج عن السدى فى أبى بن عمر و الثقفى-الشهير بالأخنس بن شريق-فإنه كان مغتابا كثير الوقيعه.

و على ما قال ابن إسحاق فى أميه بن خلف الجمحى-و كان يهمز النبى ص.

و على ما أخرج ابن جرير و غيره عن مجاهد فى جميل بن عامر-و على ما قيل فى الوليد بن المغيره-و اغتيا به لرسول الله ص و غضه منه، و على قول فى العاص بن وائل.

أقول:ثم قال:و يجوز أن يكون نازلا فى جمع من ذكر.انتهى و لا يبعد أن يكون من تطبيق الرواه و هو كثير فى أسباب النزول.

و فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «وَيَلُّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ» قال:الذى يغمز الناس و يستحققر الفقراء، و قوله: «لُمَزَةٍ» يلوى عنقه و رأسه-و يغضب إذا رأى فقيرا أو سائلا «الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَ عَدَّدَهُ» قال:أعدده و وضعه.

و فيه، "قوله تعالى: «الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ» قال:تلتهب على الفؤاد-قال أبو ذر رضى الله عنه:بشر المتكبرين بكى فى الصدور و سحب على الظهور.قوله «إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ» قال:مطبقه «فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ» قال:إذا مدت العمد عليهم أكلت و الله الجلود.

و فى المجمع، روى العياشى بإسناده عن محمد بن النعمان الأ-حول عن حمران بن أعين عن أبى جعفر(ع)قال*: إن الكفار و المشركين يعيرون أهل التوحيد فى النار-و يقولون:

ما نرى توحيدكم أغنى عنكم شيئا-و ما نحن و أنتم إلا سواء-قال:فيأنف لهم الرب تعالى فيقول للملائكة:اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله-ثم يقول للبين:اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله-ثم يقول للمؤمنين:اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله-و يقول الله:أنا أرحم الراحمين اخرجوا برحمتي-فيخرجون كما يخرج الفراش.

قال:ثم قال أبو جعفر(ع):ثم مدت العمد و أوصدت عليهم و كان و الله الخلود.

(١٠٥) سورة الفيل مكيه و هي خمس آيات (٥)

[سورة الفيل (١٠٥): الآيات ١ الى ٥]

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَزِمِيهِمْ بِحِجَارِهِ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥)

بيان

فيها إشارة إلى قصة أصحاب الفيل إذ قصدوا مكة لتخريب الكعبة المعظمة فأهلكهم الله بإرسال طير أبابيل ترميهم بحجاره من سجيل فجعلهم كعصف مأكول، و هي من آيات الله العجيبه التي لا ستره عليها،و قد أرخوا بها و ذكرها الجاهليون في أشعارهم، و السوره مكيه.

قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ» المراد بالرؤيه العلم الظاهر ظهور الحس، و الاستفهام إنكارى، و المعنى أ لم تعلم كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، و قد كانت الواقعة عام ولد فيه النبي ص.

قوله تعالى: «أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ» المراد بكيدهم سوء قصدهم بمكة و إرادتهم تخريب البيت الحرام، و التضليل و الإضلال واحد، و جعل كيدهم في تضليل جعل سعيهم ضالا لا يهتدى إلى الغايه المقصوده منه فقد ساروا لتخريب الكعبه و انتهى بهم إلى هلاك أنفسهم.

ص: ٣٦١

قوله تعالى: « وَ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ » الأبايل - كما قيل - جماعات فى تفرقه زمره زمرة، والمعنى و أرسل الله على أصحاب الفيل جماعات متفرقة من الطير والآية و التى تتلوها عطف تفسير على قوله: « أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ».

قوله تعالى: « تَزْمِيهِمْ بِحِجَارِهِ مِنْ سَبَجٍ » أى ترمى أبايل الطير أصحاب الفيل بحجاره من سجيل، و قد تقدم معنى السجيل فى تفسير قصص قوم لوط.

قوله تعالى: « فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ » العصف ورق الزرع و العصف المأكول ورق الزرع الذى أكل حبه أو قشر الحب الذى أكل لبه و المراد أنهم عادوا بعد وقوع السجيل عليهم أجسادا بلا أرواح أو أن الحجر بحرارته أحرق أجوافهم، و قيل:

المراد ورق الزرع الذى وقع فيها الأكال و هو أن يأكله الدود فيفسده و فسرت الآية ببعض وجوه أخر لا يناسب الأدب القرآنى.

بحث روائى

فى المجمع، "أجمعت الرواه على أن ملك اليمن الذى قصد هدم الكعبة هو أبرهه بن الصباح الأشرم و قيل: إن كنيته أبو يكسوم و نقل عن الواقدى أنه جد النجاشى الذى كان على عهد رسول الله ص.

ثم ساق الكلام فى قصه استيلائه على ملك اليمن إلى أن قال: ثم إنه بنى كعبه باليمن و جعل فيها قبابا من ذهب فأمر أهل مملكته بالحج إليها يضاهى بذلك البيت الحرام، و إن رجلا من بنى كنانة خرج حتى قدم اليمن فنظر إليها ثم قعد فيها يعنى لحاجه الإنسان فدخلها أبرهه فوجد تلك العذرة فيها فقال: من اجترأ على بهذا؟ و نصرانيتى لأهدمن ذلك البيت حتى لا يحجه حاج أبدا و دعا بالفيل و أذن قومه بالخروج و من اتبعه من أهل اليمن، و كان أكثر من اتبعه منهم عك و الأشعرون و خثعم.

قال: ثم خرج يسير حتى إذا كان ببعض طريقه بعث رجلا من بنى سليم ليدعو الناس إلى حج بيته الذى بناه فتلقاه أيضا رجل من الحمس من بنى كنانة فقتله فازداد بذلك حنقا و حث السير و الانطلاق.

و طلب من أهل الطائف دليلا فبعثوا معه رجلا من هذيل يقال له نفيل فخرج بهم يهديهم حتى إذا كانوا بالمغمس نزله و هو من مكة على ستة أميال فبعثوا مقدماتهم إلى

مكة فخرجت قريش عباديد في رءوس الجبال و قالوا: لا طاقه لنا بقتال هؤلاء و لم يبق بمكة غير عبد المطلب بن هاشم أقام على سقايته و غير شبيه بن عثمان بن عبد الدار أقام على حجابيه البيت فجعل عبد المطلب يأخذ بعضادتي الباب ثم يقول:

لا هم أن المرء يمنع رحله فامنع جلالك

لا يغلبوا بصليبيهم و محالهم عدوا محالك

لا يدخلوا البلد الحرام إذا فأمر ما بدا لك

ثم إن مقدمات أبرهه أصابت نعماً لقريش فأصابت فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم فلما بلغه ذلك خرج حتى أتى القوم، و كان حاجب أبرهه رجلاً من الأشعرين و كان له بعبد المطلب معرفه فاستأذن له على الملك و قال له: أيها الملك جاءك سيد قريش الذي يطعم إنسها في الحى و وحشها في الجبل فقال له: انذن له.

و كان عبد المطلب رجلاً جسيماً جميلاً فلما رآه أبو يكسوم أعظمه أن يجلسه تحته و كره أن يجلسه معه على سريره فنزل من سريره فجلس على الأرض و أجلس عبد المطلب معه ثم قال: ما حاجتك؟ قال: حاجتى مائتا بعير لى أصابتها مقدمتك فقال أبو يكسوم:

و الله لقد رأيتك فأعجبتنى ثم تكلمت فزهدت فيك فقال: و لم أيها الملك؟ قال: لأنى جئت إلى بيت عزكم و منعتكم من العرب و فضلكم فى الناس و شرفكم عليهم و دينكم الذى تعبدون فجئت لأكسره و أصيبت لك مائتا بعير فسألتك عن حاجتك فكلمتنى فى إبلك و لم تطلب إلى فى بيتكم.

فقال له عبد المطلب: أيها الملك أنا أكلمك فى مالى و لهذا البيت رب هو يمنعه لست أنا منه فى شىء فراع ذلك أبو يكسوم و أمر برد إبل عبد المطلب عليه ثم رجع و أمست ليلتهم تلك الليله كالحه نجومها كأنها تكلمهم كلاماً لاقترباها منهم فأحست نفوسهم بالعذاب.

إلى أن قال: حتى إذا كان مع طلوع الشمس طلعت عليهم الطير معها الحجارة فجعلت ترميهم، و كل طائر فى منقاره حجر و فى رجليه حجران و إذا رمت بذلك مضت و طلعت أخرى فلا يقع حجر من حجارتهم تلك على بطن إلا خرقة و لا عظم إلا أوهاه و ثقبه، و تاب أبو يكسوم راجعاً قد أصابته بعض الحجارة فجعل كلما قدم أرضاً انقطع له فيها إرب حتى إذا انتهى إلى اليمن لم يبق شىء إلا باده فلما قدمها تصدع صدره و انشق بطنه فهلك و لم يصب من الأشعرين و خشم أحد، الحديث.

أقول: وفي الروايات اختلاف شديد في خصوصيات القصة من أراد الوقوف عليها فعليه بمطولات السير و التواريخ.

(١٠٦) سورة قريش مكيه و هي أربع آيات(٤)

[سورة قريش (١٠٦): الآيات ١ الى ٤]

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)

بيان

تتضمن السورة امتنانا على قريش بإيلافهم الرحلتين و تعقبه بدعوتهم إلى التوحيد و عباده رب البيت، و السورة مكيه.

و لمضمون السورة نوع تعلق بمضمون سورة الفيل و لذا ذهب قوم من أهل السنه إلى كون الفيل و لإيلاف سورة واحده كما قيل بمثله في الضحى و أ لم نشرح لما بينهما من الارتباط كما نسب ذلك إلى المشهور بين الشيعة و الحق أن شيئا مما استندوا إليه لا يفيد ذلك.

أما القائلون بذلك من أهل السنه فإنهم استندوا فيه إلى ما روى أن أبي بن كعب لم يفصل بينهما في مصحفه بالبسملة، و بما روى عن عمرو بن ميمون الأزدي قال: صليت المغرب خلف عمر بن الخطاب فقرأ في الركعه الأولى و التين و في الثانيه أ لم تر و لإيلاف قريش من غير أن يفصل بالبسملة.

و أوجب عن الروايه الأولى بمعارضتها بما روى أنه أثبت البسملة بينهما في مصحفه، و عن الثانيه بأن من المحتمل على تقدير صحتها أن يكون الراوى لم يسمع قراءتها أو يكون قرأها سرا. على أنها معارض بما روى عن النبي ص أن الله فضل قريشا بسبع خصال و فيها «و نزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم: لإيلاف قريش».

الحديث على أن الفصل متواتر.

و أما القائلون بذلك من الشيعة فاستندوا فيه

إلى ما في المجمع، عن أبي العباس عن أحدهما (ع) قال: أ لم تر كيف فعل ربك و لإيلاف قريش سورة واحده ،

و ما

فى التهذيب، بإسناده عن العلاء عن زيد الشحام قال*: صلى بنا أبو عبد الله (ع) الفجر - فقرأ الضحى و ألم نشرح فى ركعه ،

و ما فى المجمع، عن العياشى عن المفضل بن صالح عن أبى عبد الله (ع) قال*: سمعته يقول: لا- تجمع بين سورتين فى ركعه واحده إلا الضحى - و ألم نشرح و ألم تر كيف و لإيلاف قريش: و رواه المحقق فى المعتمر، نقلا من كتاب الجامع لأحمد بن محمد بن أبى نصر عن المفضل: مثله .

أما روايه أبى العباس فضعيف لما فيها من الرفع.

و أما روايه الشحام فقد رويت عنه بطريقتين آخرين: أحدهما

ما فى التهذيب، بإسناده عن ابن مسكان عن زيد الشحام قال*: صلى بنا أبو عبد الله (ع) فقرأ بنا بالضحى و ألم نشرح ، و ثانيهما

عنه عن ابن أبى عمير عن بعض أصحابنا عن زيد الشحام قال*: صلى بنا أبو عبد الله (ع) فقرأ فى الأولى الضحى - و فى الثانية ألم نشرح لك صدرك.

و هذه أعنى صحيحه ابن أبى عمير صريحه فى قراءة السورتين فى ركعتين و لا يبقى معها لروايه العلاء ظهور فى الجمع بينهما، و أما روايه ابن مسكان فلا ظهور لها فى الجمع و لا صراحه، و أما حمل ابن أبى عمير على الناقله فيدفعه قوله فيها: «صلى بنا» فإنه صريح فى الجماعه و لا جماعه فى نفل.

و أما روايه المفضل فهى أدل على كونهما سورتين منها على كونهما سوره واحده حيث قيل:

لا تجمع بين سورتين ثم استثنى من السورتين الضحى و ألم نشرح و كذا الفيل و لإيلاف.

فالحق أن الروايات إن دلت فإنما تدل على جواز القرآن بين سورتى الضحى و ألم نشرح و سورتى الفيل و لإيلاف فى ركعه واحده من الفرائض و هو ممنوع فى غيرها، و يؤيده

روايه الراوندى فى الخرائج، عن داود الرقى عن أبى عبد الله (ع) فى حديث قال*: فلما طلع الفجر قام فأذن و أقام - و أقامنى عن يمينه و قرأ فى أول ركعه الحمد و الضحى - و فى الثانية بالحمد و قل هو الله أحد - ثم قنت ثم سلم ثم جلس.

قوله تعالى: «لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ» الألف بكسر الهمزة اجتماع مع التثام كما قاله الراغب و منه الألفه، و قال فى الصحاح: و فلان قد ألف هذا الموضوع بالكسر يألفه ألفا و آلفه إياه غيره، و يقال أيضا: آلفت الموضوع أولفه إيلافا، انتهى.

و قريش عشيره النبى ص و هم ولد النضر بن كنانه المسمى قريشا، و الرحله حال السير على الراحله و هى الناقه القويه على السير كما فى المجمع، و المراد بالرحله خروج قريش

من مكة للتجاره و ذلك أن الحرم واد جديب لا زرع فيه و لا ضرع فكانت قريش تعيش فيه بالتجاره، و كانت لهم فى كل سنه رحلتان للتجاره رحله فى الشتاء إلى اليمن و رحله بالصيف إلى الشام، و كانوا يعيشون بذلك و كان الناس يحترمونها لمكان البيت الحرام فلا يتعرضون لهم بقطع طريقهم أو الإغاره على بلدهم الأمن.

و قوله: «لِيَلِافِ قُرَيْشٍ» اللام فيه للتعليل، و فاعل الإيلاف هو الله سبحانه و قريش مفعوله الأول و مفعوله الثانى محذوف يدل عليه ما بعده، و قوله: «إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَ الصَّيْفِ» بدل من إيلاف قريش، و فاعل إيلافهم هو الله و مفعوله الأول ضمير الجمع و مفعوله الثانى رحله إلخ، و التقدير لإيلاف الله قريشا رحله الشتاء و الصيف.

قوله تعالى: «فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ» الفاء فى «فَلْيَعْبُدُوا» لتوهم معنى الشرط أى أى شىء كان فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافه أيام الرحلتين أو لتوهم التفصيل أى مهما يكن من شىء فليعبدوا رب هذا البيت إلخ، فهو كقوله تعالى: «وَلِرَبِّكَ فَاضِبِرْ» المدثر: ٧.

و محصل معنى الآيات الثلاث ليعبد قريش رب هذا البيت لأجل إيلافه إياهم رحله الشتاء و الصيف و هم عائشون بذلك فى أمن.

هذا بالنظر إلى كون السوره منفصله عما قبلها ذات سياق مستقل فى نفسها، و أما على تقدير كونها جزء من سوره الفيل متممه لها فذكروا أن اللام فى «لِيَلِافِ» تعليليه متعلقه بمقدر يدل عليه المقام و المعنى فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمه منا على قريش مضافه إلى نعمتنا عليهم فى رحله الشتاء و الصيف فكانه قال: نعمه إلى نعمه و لذا قيل: إن اللام مؤديه معنى إلى و هو قول الفراء.

و قيل: المعنى فعلنا ذلك بأصحاب الفيل لتألف قريش بمكة و يمكنهم المقام بها أو لتؤلف قريشا فإنهم هابوا من أبرهه لما قصدوا و هربوا منه فأهلكناهم لترجع قريش إلى مكة و يألفوا بها و يولد محمد ص فيبعث إلى الناس بشيرا و نذيرا هذا، و الكلام فى استفاده هذه المعانى من السياق.

قوله تعالى: «الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ» إشاره إلى ما فى إيلافهم الرحلتين من منه الواضح و نعمته الظاهره عليهم و هو الإطعام و الأمن فيعيشون فى أرض لا خصب فيها و لا أمن لغيرهم فليعبدوا ربا يدبر أمرهم أحسن التدبير و هو رب البيت.

فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «لَا يَلَا فِ قُرَيْشٍ إِلَّا فِيهِمْ» قال: نزلت فى قريش لأنه كان معاشهم من الرحلتين -رحله فى الشتاء إلى اليمن، ورحله فى الصيف إلى الشام، و كانوا يحملون من مكة الأدم و اللب -و ما يقع من ناحيه البحر من الفلفل و غيره- فيشترون بالشام الثياب و الدرملك و الحبوب، و كانوا يتألفون فى طريقهم و يشتون فى الخروج -فى كل خرجه رئيسا من رؤساء قريش -و كان معاشهم من ذلك.

فلما بعث الله نبيه استغنوا عن ذلك -لأن الناس وفدوا على رسول الله ص و حجوا إلى البيت -فقال الله: «فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ -الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ» لا يحتاجون أن يذهبوا إلى الشام «و آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ» يعنى خوف الطريق.

أقول: قوله: فلما بعث الله إلخ خفى الانطباق على سياق آيات السوره، و لعله من كلام القمى أخذه من بعض ما روى عن ابن عباس.

(١٠٧) سوره الماعون مدنيه أو مكيه و هى سبع آيات (٧)

[سوره الماعون (١٠٧): الآيات ١ الى ٧]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (٢) وَ لَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ (٦) وَ يَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)

بيان

وعيد لمن كان من المنتحلين بالدين متخلقا بأخلاق المنافقين كالسهو عن الصلاه و الرياء فى الأعمال و منع الماعون مما لا يلائم التصديق بالجزاء.

و السوره تحتل المكيه و المدنيه، و قيل: نصفها مكى و نصفها مدنى.

قوله تعالى: «أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ» الرُّؤْيَةُ تحتل الرُّؤْيَةُ البصريه و تحتل أن تكون بمعنى المعرفه، و الخطاب للنبي ص بما أنه سامع فيتوجه إلى كل سامع، و المراد بالدين الجزاء يوم الجزاء فالمكذب بالدين منكر المعاد و قيل المراد به الدين بمعنى المله.

قوله تعالى: «فَذَلِكِ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ» الدع هو الرد بعنف و جفاء، و الفاء في «فَذَلِكِ» لتوهم معنى الشرط و التقدير أ رأيت الذى يكذب بالجزاء فعرفته بصفاته اللازمه لتكذيبه فإن لم تعرفه فذلك الذى يرد اليتيم بعنف و يجفوه و لا يخاف عاقبه عمله السيئ و لو لم يكذب به لخافها و لو خافها لرحمه.

قوله تعالى: «وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ» الحض الترغيب، و الكلام على تقدير مضاف أى لا يرغب الناس على إطعام طعام المسكين قيل: إن التعبير بالطعام دون الإطعام للإشعار بأن المسكين كأنه مالك لما يعطى له كما فى قوله تعالى: «وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ»: الذاريات: ١٩ و قيل: الطعام فى الآيه بمعنى الإطعام.

و التعبير بالحض دون الإطعام لأن الحض أعم من الحض العملى الذى يتحقق بالإطعام.

قوله تعالى: «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ» أى غافلون لا يهتمون بها و لا يباليون أن تفوتهم بالكلية أو فى بعض الأوقات أو تتأخر عن وقت فضيلتها و هكذا.

و فى الآيه تطبيق من يكذب بالدين على هؤلاء المصلين لمكان فاء التفریع و دلالة على أنهم لا يخلون من نفاق لأنهن يكذبون بالدين عملا و هم يتظاهرون بالإيمان.

قوله تعالى: «الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤْنَ» أى يأتون بالعبادات لمراءاه الناس فهم يعملون للناس لا لله تعالى.

قوله تعالى: «وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ» الماعون كل ما يعين الغير فى رفع حاجه من حوائج الحياه كالقرض تفرضه و المعروف تصنعه و متاع البيت تعيره و إلى هذا يرجع متفرقات ما فسر به فى كلماتهم.

بحث روائى

فى تفسير القمى، فى قوله تعالى: «أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ» قال: نزلت فى أبى جهل و كفار قريش، و فى قوله: «الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ» قال: عنى به تاركون لأن كل إنسان يسهو فى الصلاه-قال أبو عبد الله(ع): تأخير الصلاه عن أول وقتها لغير عذر.

و فى الخصال، عن على (ع) فى حديث الأربعمائه قال: ليس عمل أحب إلى الله عز و جل من الصلاة- فلا يشغلنكم عن أوقاتها شىء من أمور الدنيا- فإن الله عز و جل ذم أقواما فقال: «الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ» يعنى أنهم غافلون استهانوا بأوقاتها.

و فى الكافى، بإسناده عن محمد بن الفضيل قال: سألت عبدا صالحا (ع) عن قول الله عز و جل: «الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ» قال هو التضييع.

أقول: و فى هذه المضامين روايات أخرى.

و فى الدر المنثور، أخرج ابن جرير و ابن أبى حاتم و البيهقى فى سننه عن على بن أبى طالب * «الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ» قال: يراءون بصلاتهم.

و فيه، أخرج أبو نعيم و الديلمى و ابن عساكر عن أبى هريره عن النبى ص * فى قوله « وَ يَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ » قال: ما تعاون الناس بينهم الفأس و القدر و الدلو و أشباهه.

و فى الكافى، بإسناده عن أبى بصير عن أبى عبد الله (ع) فى حديث قال * : و قوله عز و جل: « وَ يَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ » هو القرض تقرضه و المعروف تصنعه- و متاع البيت تعيره و منه الزكاه.

أقول: و تفسير الماعون بالزكاه مروى من طرق أهل السنه أيضا

عن على (ع) كما فى الدر المنثور، و لفظه: الماعون الزكاه المفروضه- يراءون بصلاتهم و يمنعون زكاتهم.

و فى الدر المنثور، أخرج ابن قانع عن على بن أبى طالب قال سمعت رسول الله ص يقول * : المسلم أخو المسلم إذا لقيه حياه بالسلام- و يرد عليه ما هو خير منه لا- يمنع الماعون- قلت: يا رسول الله ما الماعون؟ قال (ص): الحجر و الحديد و الماء و أشباه ذلك.

أقول: و قد فسر (ص) فى روايه أخرى الحديد بقدور النحاس و حديد الفأس و الحجر بقدور الحجاره.

(١٠٨) سورة الكوثر مكيه و هى ثلاث آيات (٣)

[سورة الكوثر (١٠٨): الآيات ١ الى ٣]

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)

امتنان على النبي ص بإعطائه الكوثر و تطيب لنفسه الشريفه بأن شائته هو الأبتَر، و هي أقصر سورة في القرآن و قد اختلفت الروايات في كون السوره مكيه أو مدنيه، و الظاهر أنها مكيه، و ذكر بعضهم أنها نزلت مرتين جمعا بين الروايات.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ قال في المجمع، الكوثر فوعل و هو الشيء الذي من شأنه الكثره، و الكوثر الخير الكثير، انتهى.

و قد اختلفت أقوالهم في تفسير الكوثر اختلافا عجبيا ف قيل: هو الخير الكثير، و قيل نهر في الجنة، و قيل: حوض النبي ص في الجنة أو في المحشر، و قيل: أولاده و قيل: أصحابه و أشياعه (ص) إلى يوم القيامة، و قيل: علماء أمته (ص)، و قيل القرآن و فضائله كثيره، و قيل النبوه و قيل: تيسير القرآن و تخفيف الشرائع و قيل: الإسلام و قيل التوحيد، و قيل: العلم و الحكمة، و قيل: فضائله (ص)، و قيل المقام المحمود، و قيل: هو نور قلبه (ص) إلى غير ذلك مما قيل، و قد نقل عن بعضهم أنه أنهى الأقوال إلى ستة و عشرين.

و قد استند في القولين الأولين إلى بعض الروايات، و باقى الأقوال لا تخلو من تحكم و كيفما كان فقوله في آخر السوره: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ و ظاهر الأبتَر هو المنقطع نسله و ظاهر الجمله أنها من قبيل قصر القلب - أن كثره ذريته (ص) هي المراده وحدها بالكوثر الذي أعطيه النبي ص أو المراد بها الخير الكثير و كثره الذريه مراده في ضمن الخير الكثير و لو لا ذلك لكان تحقيق الكلام بقوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ خاليا عن الفائدة.

و قد استفاضت الروايات أن السوره إنما نزلت فيمن عابه (ص) بالبتر بعد ما مات ابنه القاسم و عبد الله، و بذلك يندفع ما قيل: إن مراد الشانئ بقوله: ﴿الْأَبْتَرُ﴾ المنقطع عن قومه أو المنقطع عن الخير فرد الله عليه بأنه هو المنقطع من كل خير.

و لما في قوله: ﴿إِذَا أَعْطَيْنَاكَ﴾ من الامتنان عليه (ص) جيء بلفظ المتكلم مع الغير الدال على العظمه، و لما فيه من تطيب نفسه الشريفه أكدت الجمله بيان و عبر بلفظ الإعطاء الظاهر في التمليك.

و الجمله لا تخلو من دلالة على أن ولد فاطمه(ع) ذريته(ص)، و هذا فى نفسه من ملاحم القرآن الكريم فقد كثر الله تعالى نسله بعده كثره لا يعادلهم فيها أى نسل آخر مع ما نزل عليهم من النوائب و أفنى جموعهم من المقاتل الذريعه.

قوله تعالى: « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ » ظاهر السياق فى تفریع الأمر بالصلاه و النحر على الامتان فى قوله: « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوفِرَ » إنه من شكر النعمه و المعنى إذا منا عليك بإعطاء الكوثر فاشكر لهذه النعمه بالصلاه و النحر.

و المراد بالنحر على ما رواه الفريقان عن النبى ص و عن على(ع) و روته الشيعة عن الصادق(ع) و غيره من الأئمه هو رفع اليدين فى تكبير الصلاه إلى النحر.

و قيل: معنى الآيه صل لربك صلاه العيد و انحر البدن، و قيل: يعنى صل لربك و استوقائما عند رفع رأسك من الركوع و قيل غير ذلك.

قوله تعالى: « إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ » الشانئ هو المبغض و الأبتَر من لا عقب له و هذا الشانئ هو العاص بن وائل.

و قيل: المراد بالأبتَر المنقطع عن الخير أو المنقطع عن قومه، و قد عرفت أن روايات سبب نزول السوره لا ثلاثه و ستجىء.

بحث روائى

فى الدر المنثور، أخرج البخارى و ابن جرير و الحاكم من طريق أبى بشر عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس أنه قال: «* الكوثر الخیر الذى أعطاه إياه- قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبیر- فإن ناسا يزعمون أنه نهر فى الجنة- قال: النهر الذى فى الجنة من الخیر الذى أعطاه الله إياه.

و فيه، أخرج ابن أبى حاتم و الحاكم و ابن مردويه و البيهقى فى سننه عن على بن أبى طالب قال: «* لما نزلت هذه السوره على النبى ص « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوفِرَ » قال النبى ص لجبريل: ما هذه النحيه التى أمرنى بها ربى؟ قال: إنها ليست بنحيه- و لكن يأمرك إذا تحرمت للصلاه- أن ترفع يديك إذا كبرت- و إذا ركعت و إذا رفعت رأسك من الركوع- فإنها صلاتنا و صلاه الملائكه الذين فى السماوات السبع، و أن لكل شىء زينه- و زينه الصلاه رفع اليدين عند كل تكبيره.

قال النبى ص: رفع اليدين من الاستكانه التى قال الله: « فَمَا اسْتَكَانُوا لِربِّهِمْ »

وَمَا يَتَضَرَّعُونَ».

أقول: ورواه في المجمع، عن مقاتل عن الأصبع بن نباته عنه (ع) ثم قال: أورده الثعلبي و الواحدى فى تفسيرهما

,

و قال أيضا: إن جميع عترته الطاهره رووا عنه (ع):

أن معنى النحر رفع اليدين إلى النحر فى الصلاة.

وفيه، أخرج ابن جرير عن أبى جعفر * فى قوله: «فَصَلِّ لِرَبِّكَ» قال: الصلاة «وَأَنْحَرْ» قال يرفع يديه أول ما يكبر فى الافتتاح.

وفيه، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس * فى قوله: «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ» قال: إن الله أوحى إلى رسوله - أن ارفع يديك حذاء نحرك إذا كبرت للصلاة فذاك النحر.

وفى المجمع، فى الآيه عن عمر بن يزيد قال سمعت أبا عبد الله (ع) يقول * فى قوله «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ» هو رفع يديك حذاء وجهك:.

أقول: ثم قال: وروى عنه عبد الله بن سنان مثله، وروى أيضا قريبا منه عن جميل عنه (ع) .

وفى الدر المنثور، أخرج ابن سعد و ابن عساكر من طريق الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس قال * : «كان أكبر ولد رسول الله ص القاسم - ثم زينب ثم عبد الله ثم أم كلثوم ثم فاطمه ثم رقيه - فمات القاسم و هو أول ميت من ولده بمكة - ثم مات عبد الله - فقال العاص بن وائل السهمى قد انقطع نسله فهو أبت - فأنزل الله «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» .

وفيه، أخرج الزبير بن بكار و ابن عساكر عن جعفر بن محمد عن أبيه قال * : «توفى القاسم بن رسول الله بمكة - فمات رسول الله ص و هو آت من جنازته - على العاص بن وائل و ابنه عمرو - فقال حين رأى رسول الله ص: «إِنِّى لِأَشْنُوهُ» فقال العاص بن وائل: لا جرم لقد أصبح أبت - فأنزل الله «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» .

وفيه، أخرج ابن أبى حاتم عن السدى قال * : «كانت قريش تقول - إذا مات ذكور الرجل - بتر فلان - فلما مات ولد النبى ص قال العاص بن وائل: بتر و الأبت الفرد.

أقول: و فى بعض الآثار أن الشانئ هو الوليد بن المغيرة، و فى بعضها أبو جهل و فى بعضها عقبه بن أبى معيط، و فى بعضها كعب بن الأشرف، و المعتمد ما تقدم.

و يؤيده ما

فى الاحتجاج الطبرسى، عن الحسن بن على (ع): فى حديث يخاطب فيه عمرو بن العاصى: و أنك ولدت على فراش مشترك -

فتحاكمت فيك رجال قريش

ص: ٣٧٢

منهم أبو سفيان بن حرب-و الوليد بن المغيرة و عثمان بن الحارث-و النضر بن الحارث بن كلده و العاص بن وائل-كلهم يزعم أنك ابنه-فغلبهم عليك من بين قريش ألأمهم حسبا- و أخبثهم منصبا و أعظمهم بغية.

ثم قمت خطيبا و قلت: أنا شانى محمد-و قال العاص بن وائل: إن محمدا رجل أبترا لا ولد له-قد مات انقطع ذكره-فأنزل الله تبارك و تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.

الحديث.

و فى تفسير القمى، "﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ قال: الكوثر نهر فى الجنة أعطى الله محمدا ص-عوضا عن ابنه إبراهيم.

أقول: الخبر على إرساله و إضمماره معارض لسائر الروايات و تفسير الكوثر بنهر فى الجنة لا ينافى التفسير بالخير الكثير كما تقدم فى خبر ابن جبير.

(١٠٩) سورة الكافرون مكيه و هى ست آيات (٦)

[سورة الكافرون (١٠٩): الآيات ١ الى ٦]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينِ (٦)

بيان

فيها أمره (ص) أن يظهر للكفار براءته من دينهم و يخبرهم بامتناعهم من دينه فلا دينه يتعداه إليهم و لا دينهم يتعداهم إليه فلا يعبد ما يعبدون أبدا و لا يعبدون ما يعبد أبدا فليأسوا من أى نوع من المداهنه و المساهله.

و اختلفوا فى كون السوره مكيه أو مدنيه، و الظاهر من سياقها أنها مكيه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ الظاهر أن هؤلاء قوم معهودون لا كل كافر و يدل على ذلك أمره (ص) أن يخاطبهم ببراءته من دينهم و امتناعهم من دينه.

قوله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ الآية إلى آخر السوره مقول القول، و المراد بما

تعبدون الأصنام التي كانوا يعبدونها، ومفعول «تَعْبُدُونَ» ضمير راجع إلى الموصول محذوف لدلاله الكلام عليه و لرعايه الفواصل، وكذا مفاعيل الأفعال التاليه: «أَعْبُدُ» و «عَبَدْتُمْ» و «أَعْبُدُ».

و قوله: «لَا أَعْبُدُ» نفى استقبالي فإن لا لنفى الاستقبال كما أن ما لنفى الحال، والمعنى لا أعبد أبدا ما تعبدونه اليوم من الأصنام.

قوله تعالى: «وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ» نفى استقبالي أيضا لعبادتهم ما يعبده (ص) وهو إخبار عن امتناعهم عن الدخول في دين التوحيد في مستقبل الأمر.

و بانضمام الأمر الذي في مفتتح الكلام تفيد الآيتان إن الله سبحانه أمرني بالدوام على عبادته و أن أخبركم أنكم لا تعبدونه أبدا فلا يقع بيني و بينكم اشتراك في الدين أبدا.

فلاية في معنى قوله تعالى: «لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَيَّ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ»: يس: ٧، و قوله: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ»: البقره: ٦.

و كان من حق الكلام أن يقال: و لا أنتم عابدون من أعبد. لكن قيل: ما أعبد ليطابق ما في قوله: «لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ».

قوله تعالى: «وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ» تكرر لمضمون الجملتين السابقتين لزياده التأكيد، كقوله: «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» التكاثر: ٤ و قوله: «فَقَتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ»: المدثر: ٢٠.

وقيل: إن ما في «مَا عَبَدْتُمْ» و «مَا أَعْبُدُ» مصدرية لا موصولة و المعنى و لا أنا عابد عبادتكم و لا أنتم عابدون عبادتي أي لا أشاركم و لا تشاركوني لا في المعبود و لا في العباده فمعبودي هو الله و معبودكم الوثن و عبادتي ما شرعه الله لى و عبادتكم ما ابتداعتموه جهلا و افتراء، و على هذا فالآيتان غير مسوقتين للتأكيد، و لا يخلو من بعد و سيأتي في البحث الروائي التالي وجه آخر للتكرار لطيف.

قوله تعالى: «لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينِ» تأكيد بحسب المعنى لما تقدم من نفى الاشتراك، و اللام للاختصاص أي دينكم و هو عباده الأصنام يختص بكم و لا يتعداكم إلى و ديني يختص بى و لا يتعدانى إليكم و لا محل لتوهم دلالة الآية على إباحه أخذ كل بما يرتضيه من الدين و لا أنه (ص) لا يتعرض لدينهم بعد ذلك فالدعوه الحقه التي يتضمنها القرآن تدفع ذلك أساسا.

وقيل: الدين في الآيه بمعنى الجزاء و المعنى لكم جزاؤكم و لى جزائي، و قيل: إن هناك مضافا محذوفا و التقدير لكم جزاء دينكم و لى جزاء ديني، و الوجهان بعيدان عن الفهم.

بحث روائى

فى الدر المنثور، أخرج ابن جرير و ابن أبى حاتم و ابن الأنبارى فى المصاحف عن سعيد بن ميناء مولى أبى البخترى قال * :
لقى الوليد بن المغيرة و العاص بن وائل -و الأسود بن المطلب و أمية بن خلف- رسول الله ص -فقالوا: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد
و تعبد ما نعبد- و لنشترك نحن و أنت فى أمرنا كله- فإن كان الذى نحن عليه أصح من الذى أنت عليه- كنت قد أخذت منه
حظا- و إن كان الذى أنت عليه أصح من الذى نحن عليه- كنا قد أخذنا منه حظا- فأنزل الله « قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا
تَعْبُدُونَ » حتى انقضت السوره: .

أقول: و روى الشيخ فى الأمالى، بإسناده عن ميناء عن غير واحد من أصحابه قريبا منه .

و فى تفسير القمى، عن أبية عن ابن أبى عمير قال * : سأل أبو شاعر أبا جعفر الأحول عن قول الله: « قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا
تَعْبُدُونَ - وَ لَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَ لَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ - وَ لَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ » فهل يتكلم الحكيم بمثل هذا القول، و
يكرر مره بعد مره؟ فلم يكن عند أبى جعفر الأحول فى ذلك جواب.

فدخل المدينة فسأل أبا عبد الله (ع) عن ذلك- فقال: كان سبب نزولها و تكرارها- أن قريشا قالت لرسول الله ص: تعبد آلهتنا سنه و
نعبد إلهك سنه- و تعبد آلهتنا سنه و نعبد إلهك سنه- فأجابهم الله بمثل ما قالوا فقال فيما قالوا: تعبد آلهتنا سنه: قُلْ يَا أَيُّهَا
الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، و فيما قالوا: نعبد إلهك سنه: « وَ لَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، و فيما قالوا: تعبد آلهتنا سنه: « وَ لَا أَنَا عَابِدٌ مَا
عَبَدْتُمْ » و فيما قالوا: نعبد إلهك سنه: « وَ لَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينِي ».

قال: فرجع أبو جعفر الأحول إلى أبى شاعر- فأخبره بذلك فقال أبو شاعر:

هذا حملته الإبل من الحجاز.

أقول: مفاد التكرار فى كلام قريش الاستمرار على عباده آلهتهم سنه و عباده الله تعالى سنه.

(١١٠) سورة النصر مدنيه و هي ثلاث آيات (٣)

[سورة النصر (١١٠): الآيات ١ الى ٣]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)

بيان

وعد له (ص) بالنصر و الفتح و أنه سيرى الناس يدخلون في الإسلام فوجا بعد فوج و أمره بالتسبيح حينئذ و التحميد و الاستغفار، و السوره مدنيه نزلت بعد صلح الحديبيه و قبل فتح مكه على ما سنستظهر.

قوله تعالى: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ» ظهور «إذا» المصدره بها الآيه في الاستقبال يستدعى أن يكون مضمون الآيه إخبارا بتحقيق أمر لم يتحقق بعد، و إذا كان المخبر به هو النصر و الفتح و ذلك مما تقر به عين النبي ص فهو وعد جميل و بشرى له (ص) و يكون من ملاحم القرآن الكريم.

و ليس المراد بالنصر و الفتح جنسهما حتى يصدقا على جميع المواقف التي أيد الله فيها نبيه ص على أعدائه و أظهر دينه على دينهم كما في حروبه و مغازيه و إيمان الأنصار و أهل اليمن كما قبل إذ لا يلائمه قوله بعد: «وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا».

و ليس المراد بذلك أيضا صلح الحديبيه الذى سماه الله تعالى فتحا إذ قال «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا»: الفتح: ١ لعدم انطباق الآيه الثانيه بمضمونها عليه.

و أوضح ما يقبل الانطباق عليه النصر و الفتح المذكوران في الآيه هو فتح مكه الذى هو أم فتوحاته «(ص)» فى زمن حياته و النصر الباهر الذى انهدم به بنيان الشرك فى جزيره العرب.

و يؤيده وعد النصر الذى فى الآيات النازله فى الحديبيه «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَ يُنصِرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا»: الفتح: ٣ فإن من القريب جدا أن يكون ما فى الآيات وعدا بنصر عزيز يرتبط بفتح الحديبيه و هو نصره تعالى نبيه «ص» على قريش حتى فتح مكه بعد

و هذا الذى ذكر أقرب من حمل الآيه على إجابته أهل اليمن الدعوه الحقه و دخولهم فى الإسلام من غير قتال، فالأقرب إلى الاعتبار كون المراد بالنصر و الفتح نصره تعالى نبيه «ص» على قريش و فتح مكه، و أن تكون السوره نازله بعد صلح الحديبيه و نزول سوره الفتح و قبل فتح مكه.

قوله تعالى: «و رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا» قال الراغب: الفوج الجماعه الماره المسرعه، و جمعه أفواج. انتهى. فمعنى دخول الناس فى دين الله أفواجا دخولهم فيه جماعه بعد جماعه، و المراد بدين الله الإسلام قال تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» آل عمران: ١٩.

قوله تعالى: «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا» لما كان هذا النصر و الفتح إذلالا منه تعالى للشرك و إعازا للتوحيد و بعبارة أخرى إبطالا- للباطل و إحقاقا للحق ناسب من الجبهه الأولى تنزيهه تعالى و تسيحه، و ناسب من الجبهه الثانيه- التى هى نعمه- الثناء عليه تعالى و حمده فلذلك أمره «ص» بقوله: «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ».

و هاهنا وجه آخر يوجه به الأمر بالتسبيح و التحميد و الاستغفار جميعا و هو أن للرب تعالى على عبده أن يذكره بصفات كماله و يذكر نفسه بما له من النقص و الحاجه و لما كان فى هذا الفتح فراغه «ص» من جل ما كان عليه من السعى فى إباطه الباطل و قطع دابر الفساد أمر أن يذكره عند ذلك بجلاله و هو التسبيح و جماله و هو التحميد و أن يذكره بنقص نفسه و حاجته إلى ربه و هو طلب المغفره و معناه فيه «ص»- و هو مغفور- سؤال إدامه المغفره فإن الحاجه إلى المغفره بقاء كالحاجه إليها حدوثا فافهم ذلك، و بذلك يتم شكره لربه تعالى و قد تقدم (١) كلام فى معنى مغفره الذنب فى الأبحاث السابقه.

و قوله: «إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا» تعليل للأمر بالاستغفار لا يخلو من تشويق و تأكيد.

بحث روائى

فى المجمع، عن مقاتل: لما نزلت هذه السوره قرأها «ص» على أصحابه- ففرحوا و استبشروا و سمعها العباس فبكى- فقال «ص» ما يبكيك يا عم؟ قال: أظن أنه قد

ص: ٣٧٧

نعيت إليك نفسك يا رسول الله- فقال: إنه لكما تقول فعاش بعدها سنتين- ما رثي بعدها ضاحكا مستبشرا.

أقول: وروى هذا المعنى في عدة روايات بألفاظ مختلفة وقيل في وجه دلالتها أن سياقها يلوح إلى فراغه «(ص)» مما عليه من السعي والمجاهدة وتمام أمره، وعند الكمال يرقب الزوال.

وفيه، عن أم سلمة قالت: كان رسول الله «(ص)» بالآخره لا- يقوم- ولا يقعد ولا يجيء ولا يذهب إلا قال: سبحان الله وبحمده استغفر الله و أتوب إليه- فسألناه عن ذلك فقال: إني أمرت بها- ثم قرأ «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ».

أقول: وفي هذا المعنى غير واحد من الروايات مع اختلاف ما فيما كان يقوله «(ص)».

وفي العيون، بإسناده إلى الحسين بن خالد قال: قال الرضا (ع) سمعت أبي يحدث عن أبيه (ع): أن أول سورة نزلت «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ» - و آخر سورة نزلت «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ».

أقول: لعل المراد به أنها آخر سورة نزلت تامه كما قيل.

وفي المجمع، في قصة فتح مكة: لما صالح رسول الله ص قريشا عام الحديبيه- كان في أشراطهم أنه من أحب- أن يدخل في عهد رسول الله ص- دخل فيه فدخلت خزاعه في عقد رسول الله ص- ودخلت بنو بكر في عقد قريش، وكان بين القبيلتين شر قديم.

ثم وقعت فيما بعد بين بنى بكر و خزاعه مقاتله- ورفدت قريش بنى بكر بالسلاح- وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا، وكان ممن أعان بنى بكر على خزاعه بنفسه- عكرمه بن أبي جهل و سهيل بن عمرو.

فركب عمرو بن سالم الخزاعي- حتى قدم على رسول الله ص المدينة- وكان ذلك مما هاج فتح مكة- فوقف عليه و هو في المسجد بين ظهراى القوم و قال:

لا هم إني ناشد (١) محمدا

حلف أبينا و أبيه الأتلدا (٢)

إن قريشا أخلفوك الموعدا

و نقضوا ميثاقك المؤكدا

و قتلونا ركعا و سجدا

١-١) الناشر: الطالب و المذكر.

٢-٢) الأتلد: القديم.

فقال رسول الله ص: حسبك يا عمرو- ثم قام فدخل دار ميمونه و قال: اسكبي لى ماء فجعل يغتسل و هو يقول: لا نصرت إن لم أنصر بنى كعب- و هم رهط عمرو بن سالم- ثم خرج بديل بن ورقاء الخزاعي- فى نفر من خزاعة- حتى قدموا على رسول الله ص- فأخبروه بما أصيب منهم- و مظاهره قريش بنى بكر عليهم- ثم انصرفوا راجعين إلى مكة- و قد كان(ص) قال للناس: كأنكم بأبى سفيان قد جاء ليشدد العقد- و يزيد فى المده و سيلقى بديل بن ورقاء- فلقوا أبا سفيان بعسفان- و قد بعثه قريش إلى النبى ص ليشدد العقد.

فلما لقي أبو سفيان بديلا قال: من أين أقبلت يا بديل- قال: سرت فى هذا الساحل و فى بطن هذا الوادى- قال: ما أتيت محمدا؟ قال: لا فلما راح بديل إلى مكة- قال أبو سفيان: لئن كان جاء من المدينة- لقد علف بها النوى- فعمد إلى مبرك ناقته و أخذ من بعرها- ففته فرأى فيها النوى فقال: أحلف بالله لقد جاء بديل محمدا.

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم إلى رسول الله ص فقال: يا محمد احقن دماء قومك- و أجر بين قريش و زدنا فى المده- فقال: أ غدرتم يا أبا سفيان؟ قال: لا- فقال:

فنحن على ما كنا عليه فخرج فلقي أبا بكر فقال: أجر بين قريش- قال: ويحك و أحد يجير على رسول الله ص؟ ثم لقي عمر بن الخطاب- فقال له مثل ذلك ثم خرج فدخل على أم حبيبه فذهب ليجلس على الفراش- فأهوت إلى الفراش فطوته- فقال: يا بنيه أ رغبت بهذا الفراش عنى؟ فقالت: نعم هذا فراش رسول الله ص- ما كنت لتجلس عليه و أنت رجس مشرك.

ثم خرج فدخل على فاطمه(ع)- فقال يا بنت سيد العرب تجيرين بين قريش- و تزيدين فى المده فتكونين أكرم سيده فى الناس؟ فقالت: جوارى جوارى رسول الله ص. قال: أ تأمرين ابنيك أن يجيرا بين الناس؟ قالت: و الله ما بلغ ابناى أن يجيرا بين الناس- و ما يجير على رسول الله ص- أحد- فقال: يا أبا الحسن إنى أرى الأمور قد اشتدت على- فانصحنى فقال على(ع): إنك شيخ قريش- فقم على باب المسجد و أجر بين قريش- ثم الحق بأرضك- قال: و ترى ذلك مغنيا عنى شيئا؟ قال:

لا و الله ما أظن ذلك و لكن لا أجد لك غير ذلك- فقام أبو سفيان فى المسجد فقال: يا أيها الناس إنى قد أجرت بين قريش- ثم ركب بعيره فانطلق.

فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ فأخبرهم بالقصه فقالوا: والله إن زاد على بن أبي طالب-على أن لعب بك فما يغنى عنا ما قلت؟ قال: لا والله ما وجدت غير ذلك.

قال: فأمر رسول الله ص بالجهاز لحرب مکه-و أمر الناس بالتهيئه وقال: اللهم خذ العيون و الأخبار عن قريش-حتى نبغتها فى بلادها، و كتب حاطب بن أبى بلتعه إلى قريش-فأتى رسول الله ص الخبر من السماء-فبعث عليا(ع) و الزبير حتى أخذوا كتابه من المرأه-و قد مضت هذه القصه فى سورة الممتحنه.

ثم استخلف رسول الله ص أبأ ذر الغفارى-و خرج عامدا إلى مکه لعشر مضمين من شهر رمضان-سنه ثمان فى عشره آلاف من المسلمين-و نحو من أربعمائنه فارس-و لم يتخلف من المهاجرين و الأنصار عنه أحد.

و قد كان أبو سفیان بن الحارث بن عبد المطلب -و عبد الله بن أميه بن المغيره-قد لقيا رسول الله ص بنيق العقاب-فيما بين مکه و المدينه-فالتما الدخول عليه فلم يأذن لهما-فكلمته أم سلمه فيهما فقالت: يا رسول الله ابن عمك و ابن عمتك و صهرک- قال لا-حاجه لى فيهما أما ابن عمى فهتك عرضى، و أما ابن عمتى و صهرى-فهو الذى قال لى بمکه ما قال-فلما خرج الخبر إليهما بذلك-و مع أبى سفیان بنى له قال: و الله ليأذن لى أو لأخذن بيد بنى هذا-ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشا و جوعا-فلما بلغ ذلك رسول الله ص رق لهما-فأذن لهما فدخلا عليه فأسلما.

فلما نزل رسول الله ص مر الظهران-و قد غمت الأخبار عن قريش-فلا-يأتهم عن رسول الله ص خبر-خرج فى تلك الليله أبو سفیان بن حرب-و حكيم بن حزام و بدیل بن ورقاء-يتجسسون الأخبار و قد قال العباس ليلتذ: يا سوء صباح قريش-و الله لئن بغتها رسول الله ص فى بلادها-فدخل مکه عنوه أنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر-فخرج على بغله رسول الله ص و قال: أخرج إلى الأراک لعلى أرى خطابا-أو صاحب لبن أو داخلا يدخل مکه-فيخبرهم بمكان رسول الله ص فيأتونه فيستأمنونه.

قال العباس فوالله إنى لأطوف فى الأراک-ألتمس ما خرجت له-إذ سمعت صوت أبى سفیان-و حكيم بن حزام و بدیل بن ورقاء-و سمعت أبأ سفیان يقول: و الله ما رأيت كالليله قط نيرانا-فقال بدیل: هذه نيران خزاعه-فقال أبو سفیان: خزاعه الأم من ذلك-

قال: فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظله يعني أبا سفيان- فقال: أبو الفضل؟ فقلت: نعم- قال: لبيك فداك أبي و أمى ما وراءك؟ فقلت: هذا رسول الله وراءك- قد جاء بما لا قبل لكم به بعشره آلاف من المسلمين.

قال: فما تأمرنى؟ قلت: تركب عجز هذه البغلة- فاستأمن لك رسول الله ص- فوالله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فردفنى- فخرجت أركض به بغلة رسول الله ص- فكلما مرتت بنار من نيران المسلمين قالوا: هذا عم رسول الله ص على بغلة رسول الله- حتى مرتت بنار عمر بن الخطاب- فقال يعنى عمر: يا أبا سفيان- الحمد لله الذى أمكن منك بغير عهد و لا عقد- ثم اشتد نحو رسول الله ص- و ركضت البغلة حتى اقتحمت باب القبه- و سبقت عمر بما يسبق به الدابه البطيئه الرجل البطيء.

فدخل عمر فقال: يا رسول الله- هذا أبو سفيان عدو الله- قد أمكن الله منه بغير عهد و لا عقد- فدعنى أضرب عنقه- فقلت: يا رسول الله إنى قد أجرته- ثم إنى جلست إلى رسول الله ص- و أخذت برأسه و قلت: و الله لا ينجيه اليوم أحد دونى- فلما أكثر فيه عمر قلت: مهلا- يا عمر- فوالله ما يصنع هذا الرجل- إلا أنه رجل من آل بنى عبد مناف- و لو كان من عدى بن كعب ما قلت هذا- قال: مهلا يا عباس لإسلامك يوم أسلمت- كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم- فقال (ص): اذهب فقد آمنه حتى تغدو به على فى الغداه.

قال: فلما أصبح غدوت به على رسول الله ص- فلما رآه قال: ويحك يا أبا سفيان- ألم يأن لك أن تعلم أن لا- إله إلا الله؟ فقال: بأبى أنت و أمى ما أوصلك و أكرمك- و أرحمك و أحلمك- و الله لقد ظننت أن لو كان معه إله- لأغنى يوم بدر و يوم أحد- فقال:

ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك- أن تعلم أنى رسول الله؟ فقال: بأبى أنت و أمى أما هذه فإن فى النفس منها شيئاً- قال العباس: فقلت له: ويحك- أشهد بشهاده الحق قبل أن يضرب عنقك فتشهد.

فقال (ص) للعباس: انصرف يا عباس- فاحبسه عند مضيق الوادى حتى يمر عليه جنود الله- قال: فحبسته عند خطم (1) الجبل بمضيق الوادى- و مر عليه القبائل قبيله قبيله و هو يقول: من هؤلاء؟ و أقول: أسلم و جهينه و فلان- حتى مر رسول الله ص فى الكتيبه الخضراء- من المهاجرين و الأنصار فى الحديد- لا يرى منهم إلا الحدق- فقال:

ص: ٣٨١

(١-١) خطم الجبل: أنفه.

من هؤلاء يا أبا الفضل؟ قلت: هذا رسول الله في المهاجرين و الأنصار- فقال: يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما، فقلت: ويحك أنها النبوه فقال: نعم إذا.

و جاء حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء- رسول الله ص- و أسلما و بايعاه فلما بايعاه بعثهما رسول الله ص- بين يديه إلى قريش يدعونهم إلى الإسلام- و قال: من دخل دار أبي سفيان و هي بأعلى مكة فهو آمن، و من دخل دار حكيم و هي بأسفل مكة فهو آمن، و من أعلق بابه و كف يده فهو آمن.

و لما خرج أبو سفيان و حكيم- من عند رسول الله ص عامدين إلى مكة- بعث في أثرهما الزبير بن العوام -و أمره على خيل المهاجرين- و أمره أن يغرز رايته بأعلى مكة بالحجون- و قال له: لا- تبرح حتى آتيك- ثم دخل رسول الله ص مكة و ضربت هناك خيمته، و بعث سعد بن عباده في كتبه الأنصار في مقدمته، و بعث الخالد بن الوليد فيمن كان أسلم من قضاعه و بنى سليم- و أمره أن يدخل أسفل مكة- و يغرز رايته دون البيوت.

و أمرهم رسول الله ص جميعا- أن يكفوا أيديهم و لا- يقاتلوا إلا- من قاتلهم، و أمرهم بقتل أربعة نفر عبد الله بن سعد بن أبي سرح- و الحويرث بن نفيل و ابن خطل و مقبس بن ضبابه- و أمرهم بقتل قينتين كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ص- و قال: اقتلوهما و إن وجدتموهما متعلقين بأستار الكعبه- فقتل علي(ع) الحويرث بن نفيل- و إحدى القينتين و أفلتت الأخرى، و قتل مقبس بن ضبابه في السوق، و أدرك ابن خطل و هو متعلق بأستار الكعبه- فاستبق إليه سعيد بن حريث و عمار بن ياسر- فسبق سعيد عمارا فقتله.

قال: و سعى أبو سفيان إلى رسول الله ص- و أخذ غرزه أي ركابه فقبله ثم قال:

بأبي أنت و أمي أ ما تسمع ما يقول سعد إنه يقول:

اليوم يوم الملحمة

اليوم تسبى الحرمه

فقال(ص) لعل(ع): أدركه و خذ الرايه منه- و كن أنت الذي يدخل بها- و أدخلها إدخالا رفيقا- فأخذها علي(ع) و أدخلها كما أمر.

و لما دخل رسول الله ص مكة- دخل صناديد قريش الكعبه- و هم يظنون أن السيف لا يرفع عنهم -و أتى رسول الله ص و وقف قائما على باب الكعبه- فقال: لا إله إلا الله وحده و عدو- أنجز وعده و نصر عبده و هزم الأحزاب وحده- ألا إن كل مال أو مأثره و دم يدعى- فهو تحت قدمي هاتين- إلا سدانه الكعبه و سقايه الحاج- فإنهما مردودتان إلى أهليهما، ألا إن

مكة محرمة بتحريم الله-لم تحل لأحد كان قبلي و لم تحل لى إلا-ساعه من نهار-و هى محرمة إلى أن تقوم الساعه لا يختلى خلاها،و لا يقطع شجرها و لا ينفر صيدها،و لا تحل لقطتها إلا لمنشد.

ثم قال:ألا لبئس جيران النبى-كنتم لقد كذبتهم و طردتم و أخرجتم و آذيتهم-ثم ما رضيتم حتى جئتمونى فى بلادى تقاتلوننى-فاذهبوا فأنتم الطلقاء فخرج القوم-فكأنما أنشروا من القبور و دخلوا فى الإسلام،و كان الله سبحانه أمكنه من رقابهم عنوه-فكانوا له فيئا فلذلك سمي أهل مكة الطلقاء.

و جاء ابن الزبيرى إلى رسول الله ص و أسلم و قال:

يا رسول الإله إن لسانى

راتق ما فتقت إذ أنا بور (١)

إذ أبارى (٢)الشیطان فى سنن (٣)

الغى و من مال ميله مشبور

آمن اللحم و العظام لربى

ثم نفسى الشهيد أنت النذير

قال:و عن ابن مسعود قال: دخل النبى ص يوم الفتح-و حول البيت ثلاثمائة و ستون صنما-فجعل يطعنها بعود فى يده و يقول:«
جَاءَ الْحَقُّ وَ مَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَ مَا يُعِيدُ جَاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبَاطِلُ-إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا».

و عن ابن عباس قال: لما قدم النبى ص إلى مكة-أبى أن يدخل البيت و فيه الآلهة- فأمر بها فأخرجت و صوره إبراهيم و إسماعيل(ع)-و فى أيديهما الأزام-فقال(ص) قاتلهم الله أما و الله-لقد علموا أنهما لم يستقسما بها قط.

أقول:و الروايات حول قصه الفتح كثيره من أراد استقصاءها فعليه بكتب السير و جوامع الأخبار و ما تقدم كالمخلص منها.

(١١١) سورة تبت مكيه و هى خمس آيات(٥)

[سوره المسد (١١١): الآيات ١ الى ٥]

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَ مَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا

١-١ البور:الهالك.

٢-٢ المباره:المباهاه.

٣-٣ السنن:وسط الطريق.

وعيد شديد لأبى لهب بهلاك نفسه و عمله و بنار جهنم و لامرأته، و السوره مكيه.

قوله تعالى: « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ » التَّبُّ و التَّبَابُ هو الخسران و الهلاك على ما ذكره الجوهري، و دوام الخسران على ما ذكره الراغب، و قيل: الخيبة، و قيل الخلو من كل خير و المعانى - كما قيل - متقاربه فيد الإنسان هي عضوه الذى يتوصل به إلى تحصيل مقاصده و ينسب إليه جل أعماله، و تباب يديه خسرانهما فيما تكتسبانه من عمل و إن شئت فقل: بطلان أعماله التى يعملها بهما من حيث عدم انتهائها إلى غرض مطلوب و عدم انتفاعه بشيء منها و تباب نفسه خسرانها فى نفسها بحرمانها من سعاده دائمه و هو هلاكها المؤبد.

فقوله: « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ » أى أبو لهب، دعاء عليه بهلاك نفسه و بطلان ما كان يأتية من الأعمال لإطفاء نور النبوه أو قضاء منه تعالى بذلك.

و أبو لهب هذا هو أبو لهب بن عبد المطلب عم النبى ص كان شديد المعاداه للنبى ص مصرا فى تكذيبه مبالغا فى إيذائه بما يستطيعه من قول و فعل و هو الذى قال للنبى ص: تبا لك لما دعاهم إلى الإسلام لأول مره فنزلت السوره و رد الله التباب عليه.

و ذكر بعضهم أن أبا لهب اسمه و إن كان فى صورته الكنيه، و قيل: اسمه عبد العزى و قيل: عبد مناف و أحسن ما قيل فى ذكره فى الآيه بكنيته لا باسمه إن فى ذلك تهكما به لأن أبا لهب يشعر بالنسبه إلى لهب النار كما يقال أبو الخير و أبو الفضل و أبو الشر فى النسبه إلى الخير و الفضل و الشر فلما قيل: « سَيَصِلُنَّ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ » فهم منه أن قوله: « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ » فى معنى قولنا: تبت يدا جهنمى يلازم لهبها.

و قيل: لم يذكر باسمه و هو عبد العزى لأن عزى اسم صنم فكره أن يعد بحسب اللفظ عبدا لغير الله و هو عبد الله و إن كان الاسم إنما يقصد به المسمى.

قوله تعالى: « مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَ مَا كَسَبَ » ما الأولى نافية و ما الثانية موصولة

و معنى «مَا كَسَبَ» الذى كسبه بأعماله و هو أثر أعماله أو مصدرية و المعنى كسبه بيديه و هو عمله، و المعنى ما أغنى عنه عمله.

و معنى الآية على أى حال لم يدفع عنه ماله و لا عمله- أو أثر عمله-تباب نفسه و يديه الذى كتب عليه أو دعى عليه.

قوله تعالى: «سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ» أى سيدخل نارا ذات لهب و هى نار جهنم الخالده، و فى تنكير لهب تفخيم له و تهويل.

قوله تعالى: «وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ» عطف على ضمير الفاعل المستكن فى «سَيَصْلَىٰ» و التقدير: و ستصلى امرأته إلخ و «حَمَّالَةَ الْحَطَبِ» بالنصب و وصف مقطوع عن الوصفية للذم أى أذم حمالة الحطب، و قيل: حال من «إِمْرَأَتُهُ» و هو معنى لطيف على ما سيأتى.

قوله تعالى: «فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ» المسد جبل مفتول من الليف، و الجملة حال ثانيه من امرأته.

و الظاهر أن المراد بالآيتين أنها ستمثل فى النار التى تصلاها يوم القيامة فى هيئتها التى كانت تتلبس بها فى الدنيا و هى أنها كانت تحمل أغصان الشوك و غيرها تطرحها بالليل فى طريق رسول الله ص تؤذيه بذلك فتعذب بالنار و هى تحمل الحطب و فى جيدها جبل من مسد.

قال فى مجمع البيان، و إذا قيل: هل كان يلزم أبا لهب الإيمان بعد هذه السوره و هل كان يقدر على الإيمان و لو آمن لكان فيه تكذيب خبر الله سبحانه بأنه سيصلى نارا ذات لهب.

فالجواب أن الإيمان يلزمه لأن تكليف الإيمان ثابت عليه و إنما توعدده الله بشرط أن لا يؤمن انتهى موضع الحاجة.

أقول: مبنى الإشكال على الغفله من أن تعلق القضاء الحتمى منه تعالى بفعل الإنسان الاختيارى لا يستوجب بطلان الاختيار و اضطرار الإنسان على الفعل فإن الإرادة الإلهيه- و كذا فعله تعالى- إنما يتعلق بفعله الاختيارى على ما هو عليه أى إن يفعل الإنسان باختياره كذا و كذا فلو لم يقع الفعل اختيارا تخلف مراده تعالى عن إرادته و هو محال و إذا كان الفعل المتعلق للقضاء الموجب اختياريا كان تركه أيضا اختياريا و إن كان لا يقع فافهم و قد تقدم هذا البحث فى غير موضع من المباحث السابقه.

فقد ظهر بذلك أن أبا لهب كان في اختياره أن يؤمن و ينجو بذلك عن النار التي كان من المقضى المحتوم أن يدخلها بكفره.

و من هذا الباب الآيات النازله فى كفار قريش أنهم لا يؤمنون كقوله: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» البقره: ٦، وقوله: «لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» يس: ٧، و من هذا الباب أيضا آيات الطبع على القلوب.

بحث روائى

فى المجمع، "فى قوله تعالى: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية صعد رسول الله ص الصفا- فقال: يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش فقالوا:

ما لك؟ فقال: أ رأيتكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم و ممسيكم- ما كنتم تصدقوننى؟ قالوا: بلى. قال: فإننى نذير لكم بين يدي عذاب شديد- قال أبو لهب: تبا لك أ لهذا دعوتنا جميعا؟ فأنزل الله عز و جل «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ».

أقول: و رواه أيضا فى تفسير السوره عن سعيد بن جبير عن ابن عباس "و لم يذكر فيه كون الدعوه عند نزول آيه «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ» الآية.

وفيه، أيضا عن طارق المحاربى قال: بينما أنا بسوق ذى المجاز إذا أنا بشاب- يقول أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، و إذا برجل خلفه يرميه قد أدمى ساقيه و عرقوبيه- و يقول: يا أيها الناس إنه كذاب فلا تصدقوه- فقلت: من هذا؟ فقالوا: هو محمد يزعم أنه نبي- و هذا عمه أبو لهب يزعم أنه كذاب.

و فى قرب الإسناد، بإسناده إلى موسى بن جعفر (ع) فى حديث طويل يذكر فيه آيات النبي ص قال: من ذلك أن أم جميل امرأه أبا لهب- أتته حين نزلت سوره تبت- و مع النبي ص أبو بكر بن أبى قحافه- فقال: يا رسول الله هذه أم جميل محفظه- أى مغضبه تريدك و معها حجر تريد أن ترميك به- فقال (ص): إنها لا ترانى- فقالت لأبى بكر: أين صاحبك؟ قال: حيث شاء الله- قالت: جنته و لو أراه لرميته- فإنه هجانى و اللات و العزى إنى لشاعره- فقال أبو بكر: يا رسول الله لم ترك؟ قال (ص):

لا. ضرب الله بينى و بينها حجابا.

أقول: و روى ما يقرب منه بغير واحد من طرق أهل السنه.

و فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ» قال: كانت أم جميل بنت صخر-و كانت تنم على رسول الله ص و تنقل أحاديثه إلى الكفار.

(١١٢) سورة الإخلاص مكيه و هى أربع آيات(٤)

[سورة الإخلاص (١١٢): الآيات ١ الى ٤]

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ (٣) وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)

بيان

السورة تصفه تعالى بأحديه الذات و رجوع ما سواه إليه فى جميع حوائجه الوجوديه من دون أن يشاركه شىء لا فى ذاته و لا فى صفاته و لا فى أفعاله، و هو التوحيد القرآنى الذى يختص به القرآن الكريم و يبنى عليه جميع المعارف الإسلاميه.

و قد تكاثرت الأخبار فى فضل السوره حتى ورد من طرق الفريقين أنها تعدل ثلث القرآن كما سيجىء إن شاء الله.

و السوره تحتل المكيه و المدنيه، و الظاهر من بعض ما ورد فى سبب نزولها أنها مكيه.

قوله تعالى: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» هو ضمير الشأن و القصه يفيد الاهتمام بمضمون الجملة التاليه له، و الحق أن لفظ الجلاله علم بالغلبه له تعالى بالعربيه كما أن له فى غيرها من اللغات اسما خاصا به، و قد تقدم بعض الكلام فيه فى تفسير سوره الفاتحه.

و أحد وصف مأخوذ من الوحده كالواحد غير أن الأحد إنما يطلق على ما لا يقبل الكثره لا خارجا و لا ذهنا و لذلك لا يقبل العد و لا- يدخل فى العدد بخلاف الواحد فإن كل واحد له ثانيا و ثالثا إما خارجا و إما ذهنا بتوهم أو بفرض العقل فيصير بانضمامه كثيرا، و أما الأحد فكل ما فرض له ثانيا كان هو هو لم يزد عليه شىء.

و اعتبر ذلك فى قولك: ما جاءنى من القوم أحد فإنك تنفى به مجيء اثنين منهم و أكثر كما تنفى مجيء واحد منهم بخلاف ما لو قلت: ما جاءنى واحد منهم فإنك إنما تنفى به مجيء واحد منهم بالعدد و لا ينافيه مجيء اثنين منهم أو أكثر، و لإفادته هذا المعنى لا يستعمل فى الإيجاب مطلقا إلا فيه تعالى و من لطيف البيان فى هذا الباب قول

على عليه أفضل السلام فى بعض خطبه فى توحيده تعالى: كل مسمى بالوحده غيره قليل، و قد أوردنا طرفا من كلامه (ع) فى التوحيد فى ذيل البحث عن توحيد القرآن فى الجزء السادس من الكتاب.

□
قوله تعالى: «اللَّهُ الصَّمَدُ» الأصل فى معنى الصمد القصد أو القصد مع الاعتماد يقال:

صمده يصمده صمدا من باب نصر أى قصده أو قصده معتمدا عليه، و قد فسروا الصمد -و هو صفه- بمعانى متعدده مرجع أكثرها إلى أنه السيد المصمود إليه أى المقصود فى الحوائج، و إذا أطلق فى الآيه و لم يقيد بقيد فهو المقصود فى الحوائج على الإطلاق.

و إذا كان الله تعالى هو الموجد لكل ذى وجود مما سواه يحتاج إليه فيقصده كل ما صدق عليه أنه شىء غيره، فى ذاته و صفاته و آثاره قال تعالى: «أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ»: الأعراف: ٥٤ و قال و أطلق: «وَ أَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى»: النجم: ٤٢ فهو الصمد فى كل حاجه فى الوجود لا يقصد شيئا إلا و هو الذى ينتهى إليه قصده و ينجح به طلبته و يقضى به حاجته.

و من هنا يظهر وجه دخول اللام فى الصمد و أنه لإفاده الحصر فهو تعالى وحده الصمد على الإطلاق، و هذا بخلاف أحد فى قوله «اللَّهُ أَحَدٌ» فإن أحدا بما يفيد من معنى الوحده الخاصه لا يطلق فى الإثبات على غيره تعالى فلا حاجه فيه إلى عهد أو حصر.

□
و أما إظهار اسم الجلاله ثانيا حيث قيل: «اللَّهُ الصَّمَدُ» و لم يقل: هو الصمد، و لم يقل: الله أحد صمد فالظاهر أن ذلك للإشاره إلى كون كل من الجملتين وحدها كافيه فى تعريفه تعالى حيث إن المقام مقام تعريفه تعالى بصفه تختص به فقيل: الله أحد الله الصمد إشاره إلى أن المعرفه به حاصله سواء قيل كذا أو قيل كذا.

□
و الآيتان مع ذلك تصفانه تعالى بصفه الذات و صفه الفعل جميعا فقوله: «اللَّهُ أَحَدٌ» يصفه بالأحديه التى هى عين الذات، و قوله: «اللَّهُ الصَّمَدُ» يصفه بانتهاه كل شىء إليه و هو من صفات الفعل.

و قيل: الصمد بمعنى المصمت الذى ليس بأجوف فلا يأكل و لا يشرب و لا ينام و لا يلد و لا يولد و على هذا يكون قوله: «لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ» تفسيرا للصمد.

قوله تعالى: «لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» الآيتان الكريمتان تنفيان عنه تعالى أن يلد شيئا بتجزيه فى نفسه فين فصل عنه شىء سنخه بأى معنى أريد من الانفصال

والاشتقاق كما يقول به النصارى فى المسيح(ع) إنه ابن الله و كما يقول الوثنيه فى بعض آلهتهم أنهم أبناء الله سبحانه.

و تنفيان عنه أن يكون متولدا من شىء آخر و مشتقا منه بأى معنى أريد من الاشتقاق كما يقول الوثنيه فى آلهتهم من هو إله أبو إله و من هو آله أم إله و من هو إله ابن إله.

و تنفيان أن يكون له كفؤ يعدله فى ذاته أو فى فعله (1) و هو الإيجاد و التدبير و لم يقل أحد من الملميين و غيرهم بالكفؤ الذاتى بأن يقول بتعدد واجب الوجود عز اسمه، و أما الكفؤ فى فعله و هو التدبير فقد قيل به كآلهه الوثنيه من البشر كفرعون و نمرود من المدعين للألوهيه و ملائك الكفاءه عندهم استقلال من يرون ألوهيته فى تدبير ما فوض إليه تدبيره كما أنه تعالى مستقل فى تدبير من يدبره و هم الأرباب و الآلهه و هو رب الأرباب و إله الآلهه.

و فى معنى كفاءه هذا النوع من الإله ما يفرض من استقلال الفعل فى شىء من الممكنات فإنه كفاءه مرجعها استغناؤه عنه تعالى و هو محتاج من كل جهه و الآيه تنفيها.

و هذه الصفات الثلاث المنفيه و إن أمكن تفريع نفيها على صفه أحديته تعالى بوجه لكن الأسبق إلى الذهن تفرعها على صفه صمديته.

أما كونه لم يلد فإن الولاده التى هى نوع من التجزى و التبعض بأى معنى فسرت لا تخلو من تركيب فيمن يلد، و حاجه المركب إلى أجزائه ضروريه و الله سبحانه صمد ينتهى إليه كل محتاج فى حاجته و لا حاجه له، و أما كونه لم يولد فإن تولد شىء من شىء لا- يتم إلا مع حاجه من المتولد إلى ما ولد منه فى وجوده و هو سبحانه صمد لا حاجه له، و أما أنه لا كفؤ له فلأن الكفؤ سواء فرض كفوا له فى ذاته أو فى فعله لا تتحقق كفاءته إلا مع استقلاله و استغناؤه عنه تعالى فيما فيه الكفاءه و الله سبحانه صمد على الإطلاق يحتاج إليه كل من سواه من كل جهه مفروضه.

فقد تبين أن ما فى الآيتين من النفى متفرع على صمديته تعالى و مآل ما ذكر من صمديته تعالى و ما يتفرع عليه إلى إثبات توحده تعالى فى ذاته و صفاته و أفعاله بمعنى أنه واحد لا يناظره شىء و لا يشبهه فذاته تعالى بذاته و لذاته من غير استناد إلى غيره و احتياج إلى من سواه و كذا صفاته و أفعاله، و ذوات من سواه و صفاتهم و أفعالهم بإفاضه منه على ما يليق بساحه كبريائه و عظمته فمحصل السوره وصفه تعالى بأنه أحد واحد.

ص: ٣٨٩

(١- ١) لم نذكر الصفه لأنها إما صفه الذات فهى عين الذات و إما صفه الفعل متزعه عن الفعل، منه.

و مما قيل فى الآيه إن المراد بالكفو الزوجه فإن زوجة الرجل كفؤه فى معنى قوله: «تعالى حيد ربنا ما اتخذ صاحبه» و هو كما ترى.

بحث روائى

فى الكافى، بإسناده عن محمد بن مسلم عن أبى عبد الله (ع) قال*: إن اليهود سألو رسول الله ص فقالوا: انسب لنا ربك فلبث ثلاثا لا يجيبهم- ثم نزلت «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» إلى آخرها.

أقول: و فى الاحتجاج، عن العسكرى (ع): إن السائل عبد الله بن سوريا اليهودى ،

و فى بعض روايات أهل السنه": أن السائل عبد الله بن سلام سأله (ص) ذلك بمكه- ثم آمن و كتم إيمانه، و فى بعضها أن أناسا من اليهود سألوه ذلك، و فى غير واحد من رواياتهم": أن مشركى مكه سألوه ذلك، و كيف كان فالمراد بالنسبه النعت و الوصف.

و فى المعانى، بإسناده عن الأصبع بن نباته عن على (ع) فى حديث*: نسبة الله عز و جل قل هو الله.

و فى العلل، بإسناده عن الصادق (ع) فى حديث المعراج: أن الله قال له أى للنبي ص:

أقرأ قل هو الله أحد كما أنزلت- فإنها نسبتى و نعتى.

أقول: و روى أيضا بإسناده إلى موسى بن جعفر (ع) ما فى معناه.

و فى الدر المنثور، أخرج أبو عبيد فى فضائله عن ابن عباس عن النبي ص قال* قل هو الله أحد ثلث القرآن.

أقول: و قد تكاثرت الروايات من طرقهم فى هذا المعنى روه عن عده من الصحابه كابن عباس و قد مر و أبى الدرداء و ابن عمر و جابر و ابن مسعود و أبى سعيد الخدرى و معاذ بن أنس و أبى أيوب و أبى أمامه و غيرهم عن النبي ص، و ورد أيضا فى عده من الروايات عن أئمه أهل البيت (ع)، و قد وجهوا كون السوره تعدل ثلث القرآن بوجه مختلفه أعدلها أن ما فى القرآن من المعارف تنحل إلى الأصول الثلاثة: التوحيد و النبوه و المعاد و السوره تتضمن واحدا من الثلاثة و هو التوحيد.

و فى التوحيد، عن أمير المؤمنين (ع): رأيت الخضر (ع) فى المنام قبل بدر بليله- فقلت له: علمنى شيئا أنصر به على الأعداء- فقال: قل: يا هو يا من لا هو إلا هو- فلما أصبحت قصصتها على رسول الله ص فقال لى: يا على علمت الاسم الأعظم- فكان على

لسانى يوم بدر.

و إن أمير المؤمنين(ع)قرأ قل هو الله أحد-فلما فرغ قال:يا هو يا من لا هو إلا هو-اغفر لى و انصرنى على القوم الكافرين.

و فى نهج البلاغه،:الأحد لا بتأويل عدد.

أقول:و رواه فى التوحيد،عن الرضا(ع)و لفظه: أحد لا بتأويل عدد.

و فى أصول الكافى، بإسناده عن داود بن القاسم الجعفرى قال*: قلت لأبى جعفر الثانى (ع): ما الصمد؟ قال(ع): السيد المصمود إليه فى القليل و الكثير.

أقول:و فى تفسير الصمد معان آخر مرويه عنهم(ع)

فعن الباقر(ع):

الصمد السيد المطاع الذى ليس فوقه أمر و ناه ،

و عن الحسين(ع): الصمد الذى لا جوف له و الصمد الذى لا ينام،و الصمد الذى لم يزل و لا يزال ،

و عن السجاد(ع): الصمد الذى إذا أراد شيئاً قال له:كن فيكون،و الصمد الذى أبدع الأشياء- فخلقها أضدادا و أشكالا و أزواجا- و تفرد بالوحده بلا ضد و لا شكل و لا مثل و لا ند.

و الأصل فى معنى الصمد هو الذى روينا عن أبى جعفر الثانى(ع)لما فى مادته لغه فى معنى القصد فالمعانى المختلفه المنقوله عنهم(ع)من التفسير يلزم المعنى فإن المعانى المذكوره لوازم كونه تعالى مقصودا يرجع إليه كل شىء فى كل حاجه فإليه ينتهى الكل من دون أن تتحقق فيه حاجه.

و فى التوحيد،عن وهب بن وهب القرشى عن الصادق عن آبائه(ع)* أن أهل البصره كتبوا إلى الحسين بن على(ع)-يسألونه عن الصمد فكتب إليهم:بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد-فلا- تخوضوا فى القرآن و لا- تجادلوا فيه-و لا- تتكلموا فيه بغير علم-فقد سمعت جدى رسول الله ص يقول:من قال فى القرآن بغير علم-فليتبوأ مقعده من النار،و إن الله سبحانه فسر الصمد فقال:الله أحد الله الصمد ثم فسره فقال:لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد.

و فيه، بإسناده إلى ابن أبى عمير عن موسى بن جعفر(ع)أنه قال*: و اعلم أن الله تعالى واحد أحد صمد-لم يلد فيورث و لم يولد فيشارك.

و فيه، فى خطبه أخرى لعلى(ع): الذى لم يولد فيكون فى العز مشاركا-و لم يلد فيكون موروثا هالكا.

و فيه، في خطبه له (ع): تعالى أن يكون له كفؤ فيشبهه به.

أقول: وفي المعاني المتقدمه روايات أخرى.

(١١٣) سورة الفلق مكيه و هي خمس آيات (٥)

[سورة الفلق (١١٣): الآيات ١ الى ٥]

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)

بيان

أمر للنبي ص أن يعوذ بالله من كل شر و من بعضه خاصة و السوره مدنيه على ما يظهر مما ورد في سبب نزولها.

قوله تعالى: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ» العوذ هو الاعتصام و التحرز من الشر بالالتجاء إلى من يدفعه، و الفلق بالفتح فالسكون الشق و الفرق، و الفلق بفتحين صفة مشببه بمعنى المفعول كالقصص بمعنى المقصوص، و الغالب إطلاقه على الصبح لأنه المشقوق من الظلام، و عليه فالمعنى أعوذ برب الصبح الذي يفلقه و يشقه و مناسبه هذا التعبير للعوذ من الشر الذي يستر الخير و يحجب دونه ظاهر.

و قيل: المراد بالفلق كل ما يفطر و يفلق عنه بالخلق و الإيجاد فإن في الخلق و الإيجاد شقا للعدم و إخراجا للموجود إلى الوجود فيكون مساويا للمخلوق، و قيل هو جب في جهنم و يؤيده بعض الروايات.

قوله تعالى: «مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ» أي من شر من يحمل شرا من الإنس و الجن و الحيوانات و سائر ما له شر من الخلق فإن اشتمال مطلق ما خلق على الشر لا يستلزم الاستغراق.

قوله تعالى: «وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ» في الصحاح: الغسق أول ظلمه الليل و قد غسق الليل يغسق إذا أظلم و الغاسق الليل إذا غاب الشفق. انتهى، و الوقوب الدخول فالمعنى و من شر الليل إذا دخل بظلمته. و نسبه الشر إلى الليل إنما هي لكونه بظلمته يعين

الشرير في شره لستره عليه فيقع فيه الشر أكثر مما يقع منه بالنهار، والإنسان فيه أضعف منه في النهار تجاه هاجم الشر، وقيل: المراد بالغاسق كل هاجم يهجم بشره كائنا ما كان.

و ذكر شر الليل إذا دخل بعد ذكر شر ما خلق من ذكر الخاص بعد العام لزياده الاهتمام و قد اهتم في السوره بثلاثة من أنواع الشر خاصه هي شر الليل إذا دخل و شر سحر السحره و شر الحاسد إذا حسد لغلبيه الغفله فيهن.

قوله تعالى: «وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ» أي النساء الساحرات اللاتي يسحرن بالعقد على المسحور و ينفثن في العقد. و خصت النساء بالذكر لأن السحر كان فيهن و منهم أكثر من الرجال، و في الآية تصديق لتأثير السحر في الجمليه، و نظيرها قوله تعالى: في قصه هاروت و ماروت «فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ»: البقره: ١٠٢ و نظيره ما في قصه سحره فرعون.

و قيل: المراد بالنفثات في العقد النساء اللاتي يملن آراء أزواجهن إلى ما يرينه و يردنه فالعقد هو الرأى و النفث في العقد كناية عن حله، و هو بعيد.

قوله تعالى: «وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ» أي إذا تلبس بالحسد و عمل بما في نفسه من الحسد بترتيب الأثر عليه.

و قيل: الآية تشمل العائن فعين العائن نوع حسد نفساني يتحقق منه إذا عين ما يستكثره و يتعجب منه.

بحث روائى

في الدر المنثور، أخرج عبد بن حميد عن زيد بن أسلم قال: * سحر النبي ص رجل من اليهود فاشتكى فأتاه جبريل فنزل عليه بالمعوذتين و قال: إن رجلا من اليهود سحر ك و السحر في بئر فلان - فأرسل عليا فجاء به فأمره أن يحل العقد و يقرأ آيه - فجعل يقرأ و يحل حتى قام النبي ص كأنما نشط من عقال:.

أقول: و عن كتاب طب الأئمه، بإسناده إلى محمد بن سنان عن المفضل عن الصادق (ع): مثله

و في هذا المعنى روايات كثيره من طرق أهل السنه باختلاف يسيره، و في غير واحد منها أنه أرسل مع علي (ع) زبيرا و عمارا و فيه روايات أخرى أيضا من طرق أئمه أهل البيت (ع).

و ما استشكل به بعضهم في مضمون الروايات أن النبي ص كان مصنونا من تأثير السحر كيف؟ و قد قال الله تعالى: «وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا أَنْظُرْ

كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً: الفرقان: ٩.

يدفعه أن مرادهم بالمسحور و المجنون بفساد العقل بالسحر و أما تأثره عن السحر بمرض يصيبه في بدنه و نحوه فلا دليل على مصونيته منه.

و في المجمع، و روى: أن النبي ص كان كثيرا ما-يعوذ الحسن و الحسين(ع) بهاتين السورتين.

و فيه، عن عقبه بن عامر قال: قال رسول الله ص: أنزلت على آيات لم ينزل مثلهن المعوذتان؛، أورده في الصحيح .

أقول: و أسندها في الدر المنثور، إلى الترمذى و النسائى و غيرهما أيضا، و روى ما فى معناه أيضا عن الطبرانى فى الأوسط عن ابن مسعود، و لعل المراد من عدم نزول مثلهن أنهما فى العوذة فقط و لا يشار كهما فى ذلك غيرهما من السور.

و فى الدر المنثور، أخرج أحمد و البزار و الطبرانى و ابن مردويه من طرق صحيحة عن ابن عباس و ابن مسعود " * أنه كان يحك المعوذتين من المصحف و يقول: لا- تخطوا القرآن بما ليس منه-إنهما ليستا من كتاب الله-إنما أمر النبي أن يتعوذ بهما، و كان ابن مسعود لا يقرأ بهما.

أقول: ثم قال السيوطى قال البزار: و لم يتابع ابن مسعود أحد من الصحابة و قد صح عن النبي ص أنه قرأ بهما فى الصلاة و قد أثبتنا فى المصحف انتهى.

و فى تفسير القمى، بإسناده عن أبى بكر الحضرمى قال: * قلت لأبى جعفر(ع)-إن ابن مسعود كان يمحو المعوذتين من المصحف. فقال: كان أبى يقول: إنما فعل ذلك ابن مسعود برأيه-و هو[هماظ]من القرآن.

أقول: و فى هذا المعنى روايات كثيرة من طرق الفريقين على أن هناك تواترا قطعيا من عامه المنتحلين بالإسلام على كونهما من القرآن، و قد استشكل بعض المنكرين لإعجاز القرآن أنه لو كان معجزا فى بلاغته لم يختلف فى كون السورتين من القرآن مثل ابن مسعود، و أجيب بأن التواتر القطعى كاف فى ذلك على أنه لم ينقل عنه أحد أنه قال بعدم نزولهما على النبي ص أو قال بعدم كونهما معجزتين فى بلاغتهما بل قال بعدم كونهما جزء من القرآن و هو محجوج بالتواتر.

و فى الدر المنثور، أخرج ابن جرير عن أبى هريره عن النبي ص قال: * الفلق جب فى جهنم مغطى.

أقول: و فى معناه غير واحد من الروايات

فى بعضها: قال(ص): باب فى النار إذ

فتح سعرت جهنم: رواه عقبه بن عامر ،

و فى بعضها: بئر فى جهنم إذا سعرت جهنم فمنه تسعر: رواه عمرو بن عبسبه إلى غير ذلك.

و فى المجمع، و قيل: "الفلق جب فى جهنم-يتعوذ أهل جهنم من شدة حره" :عن السدى و رواه أبو حمزه الشمالى و على بن إبراهيم فى تفسيرهما.

و فى تفسير القمى، عن أبيه عن النوفلى عن السكونى عن أبى عبد الله (ع) قال: *قال رسول الله ص: كاد الفقر أن يكون كفرا-و كاد الحسد أن يغلب القدر:.

أقول: الروايه مرويه بلفظها عن أنس عنه (ص) .

و فى العيون، بإسناده عن السلطى عن الرضا عن أبيه عن آبائه عن النبى ص قال: *

كاد الحسد أن يسبق القدر.

و فى الدر المنثور، أخرج ابن أبى شيبه عن أنس قال: *قال رسول الله ص: إن الحسد لياكل الحسنات كما يأكل النار الحطب.

(١١٤) سورة الناس مدنيه و هى ست آيات (٦)

[سورة الناس (١١٤): الآيات ١ الى ٦]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)

بيان

أمر للنبى ص أن يعوذ بالله من شر الوسواس الخناس و السوره مدنيه كسابقتها على ما استفاد مما ورد فى سبب نزولها بل المستفاد من الروايات أن السورتين نزلتا معا.

قوله تعالى: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ» من طبع الإنسان إذا أقبل عليه شر يحذره و يخافه على نفسه و أحسن من نفسه الضعف أن يلتجئ بمن يقوى على دفعه و يكفيه وقوعه و الذى يراه صالحا للعوذ و الاعتصام به أحد ثلاثه إما رب يلى أمره و يدبره و يربيه يرجع إليه فى حوائجه عامه، و مما يحتاج إليه فى بقائه دفع ما يهدده من

الشر، وهذا سبب تام في نفسه، وإما ذو قوه و سلطان بالغه قدرته نافذ حكمه يجيره إذا استجاره فيدفع عنه الشر بسلطته كملك من الملوك، وهذا أيضا سبب تام مستقل في نفسه.

و هناك سبب ثالث و هو الإله المعبود فإن لازم معبوديه الإله و خاصه إذا كان واحدا لا شريك له إخلاص العبد نفسه له فلا يدعو إلا إياه و لا يرجع في شيء من حوائجه إلا إليه فلا يريد إلا ما أراه و لا يعمل إلا ما يشاؤه.

و الله سبحانه رب الناس و ملك الناس و إله الناس كما جمع الصفات الثلاث لنفسه في قوله: «ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنى تُضَيَّرُونَ» الزمر: ٦ و أشار تعالى إلى سببيه ربوبيته و ألوهيته بقوله: «رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَ كَيْلًا» المزمّل: ٩٠، و إلى سببيه ملكه بقوله: «لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» الحديد: ٥ فإن عاذ الإنسان من شر يهدده إلى رب الله سبحانه هو الرب لا رب سواه و إن أراد بعوده ملكا فالله سبحانه هو الملك الحق له الملك و له الحكم (١) و إن أراد لذلك إلهها فهو الإله لا إله غيره.

فقوله تعالى: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» الخ أمر لنيبه (ص) أن يعوذ به لأنه من الناس و هو تعالى رب الناس ملك الناس إله الناس.

و مما تقدم ظهر أولا وجه تخصيص الصفات الثلاث: الرب و الملك و الإله من بين سائر صفاته الكريمه بالذكر و كذا وجه ما بينها من الترتيب فذكر الرب أولا لأنه أقرب من الإنسان و أخص ولايه ثم الملك لأنه أبعد منالا و أعم ولايه يقصده من لا ولى له يخصه و يكفيه ثم الإله لأنه ولى يقصده الإنسان عن إخلاصه لا عن طبعه المادى.

و ثانيا وجه عدم وصل قوله: «مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ» بالعطف و ذلك للإشارة إلى كون كل من الصفات سببا مستقلا في دفع الشر فهو تعالى سبب مستقل لكونه ربا لكونه ملكا لكونه إلهها فله السببيه بأى معنى أريد السبب و قد مر نظير الوجه في قوله «اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ».

و بذلك يظهر أيضا وجه تكرار لفظ الناس من غير أن يقال: ربهم و إلههم فقد أشير به إلى أن كلا من الصفات الثلاث يمكن أن يتعلق بها العوذ وحدها من غير ذكر الآخرين لاستقلالها و لله الأسماء الحسنى جميعا، و للقوم فى توجيه اختصاص هذه الصفات

و سائر ما مر من الخصوصيات وجوه لا تغنى شيئا.

قوله تعالى: «مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ» قال في المجمع: الوسواس حديث النفس بما هو كالصوت الخفى انتهى فهو مصدر كالوسوسة كما ذكره و ذكروا أنه سماعى و القياس فيه كسر الواو كسائر المصادر من الرباعى المجرد و كيف كان فالظاهر كما استظهر أن المراد به المعنى الوصفى مبالغه، و عن بعضهم أنه صفة لا مصدر.

و الخناس صيغه مبالغه من الخنوس بمعنى الاختفاء بعد الظهور قيل: سمي الشيطان خناسا لأنه يوسوس للإنسان فإذا ذكر الله تعالى رجع و تأخر ثم إذا غفل عاد إلى وسوسته.

قوله تعالى: «الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ» صفة للوسواس الخناس، و المراد بالصدر هي النفوس لأن متعلق الوسوسة هو مبدأ الإدراك من الإنسان و هو نفسه و إنما أخذت الصدر مكانا للوسواس لما أن الإدراك ينسب بحسب شيوع الاستعمال إلى القلب و القلب فى الصدر كما قال تعالى: «وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»: الحج: ٤٦ قوله تعالى: «مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ» بيان للوسواس الخناس و فيه إشارة إلى أن من الناس من هو ملحق بالشياطين و فى زمرةهم كما قال تعالى: «شَّيَاطِينِ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ»: الأنعام: ١١٢.

بحث روائى

فى المجمع: أبو خديجه عن أبى عبد الله (ع) قال*: جاء جبرئيل إلى النبى ص و هو شاك-فرقاه بالمعوذتين و قل هو الله أحد و قال: بسم الله أرقيك و الله يشفيك من كل داء يؤذيك-خذها فلتهنيك فقال: بسم الله الرحمن الرحيم-قل أعوذ برب الناس إلى آخر السوره.

أقول: و تقدم بعض الروايات الوارده فى سبب نزول السوره.

و فيه، روى أن أنس بن مالك قال*: قال رسول الله ص: إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم-فإذا ذكر الله خنس و إذا نسى التقم-فذلك الوسواس الخناس.

و فيه، روى العياشى بإسناده عن أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد (ع) قال*: قال رسول الله ص: ما من مؤمن إلا و لقلبه فى صدره أذنان-أذن ينفث فيها الملك و أذن ينفث فيها الوسواس الخناس-فيؤيد الله المؤمن بالملك، و هو قوله سبحانه: «وَ أَيْدُهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ».

و فى أمالى الصدوق، بإسناده إلى الصادق (ع) قال: لما نزلت هذه الآية « وَ الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَا حِشَّةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِدُنُوبِهِمْ » صعد إبليس جبلا بمكه يقال له ثوير-فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه-فقالوا: يا سيدنا لم دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين فقال: أنا لها بكذا وكذا.

قال: لست لها فقام آخر فقال مثل ذلك فقال لست لها.

فقال الوسواس الخناس: أنا لها. قال: بما ذا؟ قال: أعدهم و أمنهم حتى يواقعوا الخطيئة- فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار- فقال: أنت لها فوكله بها إلى يوم القيامة.

أقول: تقدم بعض الكلام فى الشيطان فى أوائل الجزء الثامن من الكتاب.

تم الكتاب و الحمد لله و اتفق الفراغ من تأليفه فى ليله القدر المباركه الثالثه و العشرين من ليالى شهر رمضان من شهور سنه اثنتين و تسعين و ثلاثمائه بعد الألف من الهجره و الحمد لله على الدوام، و الصلاه على سيدنا محمد و آله و السلام.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

